شواهد التنزيل

لمن خص بالتفضيل

العلامة المجاهد

عيدروس بن أحمد السقاف العلوي الأندونيسي

المعروف بابن رويش

مكتبة الروضة الحيدرية
www.haydarya.com

شواهد التنزيل

لمن خص بالتفضيل

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٩٤٨٢٠
التاريخ ٢٠١٠/٩/١٦

العلامة المجاهد
عيدروس بن أحمد السقاف العلوي الأندونيسي
المعروف بابن رويش

هدية
الأستاذ أركان رفيق
مكتبة الروضة الحيدرية

المجمع العالمي لأهل البيت

بالتعاون مع رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية

الكتاب :	شواهد التّنزيل لمن خصّ بالتّفضيل
المؤلف :	ابن رويش الاندونيسي
تحقيق :	لجنة التحقيق في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
الناشر :	المجمع العالمي لأهل البيت(ع) ـ قم
الطبعة :	الاولىٰ
المطبعة :	أمير
سنة الطبع :	١٩٩٦ ـ ١٤١٦هـ
الكمية :	٣٠٠٠

«حقوق الطبع محفوظة»

قم، ص. ب ٨٣٧ ـ ٣٧١٨٥، ت ٧٤٠٧٧١

النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المجمع

الحمد لله رب العالمين ، وأشرف الصلاة وأتم التحية والسلام علىٰ خير الأنـام ، الهادي إلىٰ النور من متاهات الظلام ، محمد الأمين المبعوث رحمة للـعالمين ، وعـلىٰ آله الكرام الهداة الميامين .

إن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام صفات وميزات لم تكن تتوفر في غيره ، وقد أكد القرآن الكريم علىٰ لسان رب العالمين هذه الحقيقة ، فالمتتبع لآيـات الكـتاب العزيز يجد الكثير من الآيات التي جاءت في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام وبيان اسبقيته إلىٰ الايمان وأفضليته في كل شيء علىٰ جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله .

هذه الحقيقة لفتت أنظار العلماء والحـفاظ والمحـدثين والمـفسرين ، واسـترعت انتباههم ، الأمر الذي دفع بهم إلىٰ تأليف تصانيف وافية في سرد جميع الآيات التي وردت في أمير المؤمنين علي عليه السلام وبيان أفضليته ، ثم ذكر جميع التفاسير التي وردت علىٰ لسان رسول الله صلى الله عليه وآله أو علىٰ لسان صحابته الاجلّاء ، والتي أكدت اختصاص الامام علي عليه السلام بهذا الشرف دون غيره ، وتفوقه في هذا المضمار علىٰ من سواه .

ولكن هذه الكتب والمصنفات اكتفت بذكر الآيات والروايـات التي وردت في تفسيرها ، دون محاولة التعرض إلىٰ مناقشة بعض هذه الروايات ، فيما إذا كان هناك ما يحرف النصّ عن هدفه ، ويحاول صرفه إلى غير مستحقه ، بل كان هـؤلاء المـصنّفون ينقلون الروايات المفسرة لتلك الآيات علىٰ علّاتها ، سواء كانت تلك الروايات صحيحة أو غير صحيحة ، متناً أو مسنداً .

والكتاب الذي بين ايدينا من مميزاته أن مؤلفه لم يكتف بسرد الآيات والروايات

التي ذكرها غيره من الاعلام، بل عرض الروايات علىٰ محك الدليل ، وتناول بعضها بالنقاش العلمي والموضوعي ، مفنداً ما جاء فيها من محاولات نسبة سبب النزول إلىٰ غير أمير المؤمنين ، ومبرهناً علىٰ أن ذلك كله إنما هو من أجل سلب الحق عن نصابه .

ونظراً لأهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية قام المجمع العالمي لأهل البيت بطبعه، لا سيما وأن مؤلفه العالم الجليل «ابن رويش الاندونيسي» ممن سبق للمجمع أن نشر له كتاب «المقتطفات» و «البيان الجلي» لما يتمتعان به من مزايات تحقيقية ومطارحات علمية تثبت الحق لأهله، وذلك كله من خلال ما أورده أعلام إخواننا أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وكتبهم التفسيرية والحديثية . من روايات تصرّح بأحقية أمير المؤمنين علي عليه‌السلام وتثبت له الفضل على غيره، بما لا يدع مجالاً للشك عند القارئ المتنزّه عن روح العصبية ، والمبتغي للحقيقة كما وردت علىٰ لسان صاحب الرسالة وناشر معالمها الرسول الكريم صلى‌الله‌عليه‌وآله .

يضع المجمع العالمي لأهل البيت هذا السفر بين يدي قرائه ليعرفوا الحق فيتبعوه ، ويبصروا مواطن الخلل في التراث العلمي فيجتنبوها ، حتىٰ يكونوا علىٰ الصراط المستقيم الذي أمرنا الله بسلوكه حيث قال تعالىٰ : ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الانعام : ١٥٣].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم‌السلام

قـــم المقـدسـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منّ علىٰ خلقه بجلائل النّعم الباطنة والظّاهرة، وخصّ من بينهم عباداً بخصائص عظام ومعالي الفضائل الزاهرة، والصلاة والسلام على مصطفاه الأمين المؤتمن بالوحي والتبليغ على رغم أنوف الحسدة والبغاة والكفرة، النبيّ الأقدس والشهاب الأقبس، سيّدنا محمّد ﷺ منية أهل الدّنيا والآخرة، وعلىٰ آله المنزّهة ذاتهم بشاهد آية التطهير الباهرة، وأصحابه المكرّمين بالاهتداء إلى ولاية أفضل السّابقين ويعسوب المؤمنين إمام البررة، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم يعضّ فيه الظّالم بنانه من فرط الندامة والحسرة.

أمّا بعد:

فهذه بعض مقيّداتي التي اقتطفتها من عدةٍ من كتب الأعلام، راجياً من المولى العظيم أن ينفعني بها دنياً وأُخرىٰ، وينتفع بها من هو لي رفيق وصديق. بحرمة من لقّبه الرسول بأكبر صدّيق، فإنه نعم المولى وليّ التوفيق، والهادي إلىٰ سواء الطريق، وسمّيتها بـ«شواهد التنزيل لمن خصّ بالتفضيل».

* * *

المبحث الأوّل

في قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ ما أُنزلَ إليك مِن رَبِّك وإنْ لم تفعلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَته واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

نزلت هذه الآية الشريفة في (١٨) من ذي الحجّة عند منصرف النبيّ من حجّة الوداع مع مئة ألف نسمة أو يزيدون. وفي رواية ابن الجوزي كان مجموعهم مئة وعشرين ألف نفس.

وذلك حين بلغ النبيّ صلى الله عليه وآله غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيّين والعراقيّين والمصريّين. وقف صلى الله عليه وآله وأمر أن يعود من تقدّم من الأُمّة وينتظر من تأخّر منهم، وكان ذلك في يوم الخميس، وقد بلغت الرمضاء وقتئذٍ من الحرارة ما بلغت، حتّى إنّ الرجل ليضع رداءه تحت قدمه من شدة وطأة الحرّ، فنزل وقتذاك إليه صلى الله عليه وآله جبرئيل الأمين عن الله تعالىٰ بالآية الشريفة، كما رواه جمع من أئمة المفسرين وحفظة السنن المبرّزين في عصرهم، وأثبتوا في كتبهم على أنّ نزولها في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام. فمنهم:

١ ـ الطبري:

وهو محمّد بن جرير أبو جعفر، صاحب التفسير والتأريخ السائرين الدائرين، المتوفّى سنة (٣١٠) قال الخطيب البغدادي في تاريخه [١٢: ١٦٩] مثنياً عليه: كان أحد العلماء، يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله الخ.. وذكره الذهبي في تذكرته [١: ٢٧٧ ـ ٢٨٣] وأثنى عليه بالإمامة والزهد والرفض للدّنيا.

وقد أغدق في الثناء على تفسيره (جامع البيان) رجال: كالسيوطي كما في كتابه الإتقان بقوله: وكتابه ـ أي الطبري ـ أجلّ كتب التفسير وأعظمها، إلى أن قال: فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين. وقال النوويّ: أجمعت الأمّة على أنه لم يصنّف مثل تفسير الطبري. وقال الإسفرائيني: لو سافر رجل إلى الصّين حتى يحصل له كتاب تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً. توجد تلك العبارات في أوّل صفحة من تفسير جامع البيان. انتهى.

وإليك ما أخرجه في مصنّفه المسمّى كتاب (الولاية في طريق حديث الغدير) [مخطوط] مسنداً عن زيد بن أرقم قال: لما نزل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم في رجوعه من حجّة الوداع، وكان وقت الضحى وحرّ شديد، أمر بالدّوحات فقمّت ونادى الصّلاة جامعة، فاجتمعنا فخطب خطبةً بالغة، ثم قال:

إنّ الله تعالى أنزل إليّ: ﴿ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإنْ لم تَفْعَلْ فما بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، وقد أمرني جبرئيل عن ربّي أنّ أقوم في هٰذا المشهد، واعلم كل أبيض وأسود: أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربّي لعلمي بقلّة المتّقين وكثرة المؤذين لي، واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي وشدّة إقبالي عليه. حتى سمّوني اذناً. فقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذينَ يُؤْذُونَ النبيَّ ويقُولُونَ هو أُذُنٌ قل أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾[1]، ولو شئت أن أسمّيهم وأدلّ عليهم لفعلت، ولكنّي بسترهم قد تكرّمت، فلم يرض الله إلّا بتبليغي فيه.

فاعلموا معاشر النّاس ذلك، فإنّ الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كلّ أحد، ماضٍ حكمه، جائزٌ قوله، ملعونٌ من خالفه، مرحومٌ من صدّقه، اسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم وعليّ عليه السلام إمامكم، ثمّ الإمامة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامة، لا حلال إلّا ما أحلّه الله ورسوله. ولا حرام إلّا ما حرّم الله و رسوله وهم، فما من علمٍ إلّا وقد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه، فلا تضلّوا عنه ولا تستنكفوا منه، فهو الذي يهدي

---

(١) التوبة: ٦١.

إلىٰ الحقّ ويعمل به، لن يتوب اللّه علىٰ أحدٍ أنكره ولن يغفر له، حتماً علىٰ اللّه من يفعل ذلك أن يعذّبه عذاباً نكراً أبد الآبدين، فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرّزق وبقي الخلق، ملعونٌ من خالفه، قولي عن جبرئيل عن اللّه، فلتنظر نفسٌ ما قدّمت لغد.

إفهموا محكم القرآن ولا تتّبعوا متشابهه، ولن يفسّر ذلك إلّا من أنا آخذٌ بيده، وشائلٌ بعضده، ومعلمكم: أن من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وموالاته من اللّه عزّوجل أنزلها عليّ. ألا وقد أدّيت، ألا وقد بلّغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحدٍ غيره.

ثمّ رفعه إلىٰ السماء حتىٰ صارت رجله مع ركبة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال:

معاشر الناس، هٰذا أخي ووصيّي وواعي علمي وخليفتي علىٰ من آمن بي وعلىٰ تفسير كتاب ربّي.

وفي رواية: اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، والعن من أنكره، واغضب علىٰ من جحد حقه، اللّهم إنك أنزلت عند تبيين ذٰلك في علي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1] بإمامته، فمن لم يأتمّ به وبمن كان من ولدي من صلبه إلىٰ يوم القيامة فأُولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إن ابليس أخرج آدم عليه السلام من الجنة مع كونه صفوة اللّه بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزلّ أقدامكم، في عليّ نزلت سورة: ﴿والعَصْرِ * إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

معاشر الناس، آمنوا باللّه ورسوله والنّور الذي أنزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها علىٰ أدبارها ونلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت. النور من اللّه فيّ، ثمّ في علي، ثمّ في النسل منه إلىٰ القائم المهدي.

معاشر الناس، سيكون من بعدي أئمّةٌ يدعون إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون، وإن اللّه وأنا بريئان منهم، إنهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً، فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان، يرسل عليكما شواظٌ من نارٍ

(١) المائدة: ٣.

ونحاس فلا تنتصران. الحديث [راجع: احقاق الحق ٢: ٤١٩ ـ ٤٢٠ عن ضياء العالمين].

٢ ـ ابن أبي حاتم:

وهو الحافظ أبو محمد الحنظلي الرازي المتوفّى سنة (٣٢٧) ترجمه الذهبي في تذكرة الحفّاظ [٣: ٨٣٠ ط. بيروت] وأثنى عليه بالإمامة والحفظ والنقد، وحكى عن أبي الوليد الباجي ثقته.

وترجمه السّبكي في طبقاته [٢: ٢٣٧] وحكى عن أبي يعلى الخليلي أنّه قال: كان زاهداً يعدّ من الأبدال. انتهى.

وقد أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري أن الآية نزلت علىٰ رسول الله ﷺ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب.

راجع: الدر المنثور [٢: ٢٩٨] للسيوطي. وتفسير فتح القدير للشوكاني [٢: ٦٠].

٣ ـ المحاملي:

وهو الفقيه أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل بن سعيد الضبّي، المتوفّى سنة (٣٣٠) عن (٩٥) سنة. قال السّمعاني في كتاب الأنساب [٥: ٢٠٨]: كان فاضلاً صادقاً ديّناً ثقةً صدوقاً.

وقال فيه ابن كثير في تأريخه [١١: ٢٣٠ ط. دار الاحياء ـ بيروت ـ]: كان صدوقاً ديّناً، فقيهاً محدّثاً، ولي قضاء الكوفة ستّين سنة، وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها. ثم استعفى من ذلك كلّه ولزم منزله، واقتصر على إسماع الحديث وسماعه. انتهى.

وقد أخرج الحديث في أماليه على ما نقله عنه الشيخ إبراهيم الوصابي في كتابه «الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء» بإسناده عن ابن عباس قال: لمّا أُمر النبي ﷺ أن يقوم بعلي بن أبي طالب المقام الذي قام به فانطلق النبي ﷺ إلى مكة، فقال: رأيت الناس حديثي عهدٍ بكفر بجاهليّة، ومتى أفعل هذا به يقولوا صنع هذا بابن عمّه، ثمّ

مضى حتّى قضى حجة الوداع ثمّ رجع، حتى إذا كان بغدير خمّ أنزل اللّه عزوجل: ﴿ يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا اُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية، فقام منادٍ فنادى: الصلاة جامعة، ثم قام وأخذبيد عليّ عليه السلام، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

راجع: كنز العمّال [١١: ٦٠٩، ح: ٣٢٩٤٦] للمتّقي الهندي، وتاريخ الخلفاء [ص ١٦٩] للسيوطي، وشمس الأخبار [ص ٣٨] للقرشي، و نزل الأبرار للبدخشاني [ص ٥٢] ورواه الحاكم [٣: ١١٠]، والإمام أحمد [في مسنده ١: ٨٤]، والبزّار وابن مردويه، وابن حبان.

٤ ـ الشّيرازي:

وهو الحافظ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الفارسي، المتوفّىٰ سنة (٤٠٧ أو ٤١١) قال فيه الذهبي مترجماً في كتابه تذكرة الحفّاظ [٣: ٢٦٧]: الحافظ الإمام الجوّال. وحكى فيه عن أبي الفرج البجلي أنّه قال: كان صدوقاً حافظاً يحسن هذا الشأن جيداً جيداً. انتهى.

وقد أخرج الحديث عن ابن عباس في كتابه (ما نزل من القرآن في علي) مسنداً، وقال: إن الآية نزلت يوم غدير خمٍّ في علي بن أبي طالب.

٥ ـ ابن مردويه:

وهو الحافظ أحمد بن موسىٰ بن مردويه الأصبهاني المكنىٰ بأبي بكر، المتوفّىٰ سنة (٤١٦) المولود سنة (٣٢٣) ذكره الذهبي في تذكرته [٣: ٢٥٢] وقال: هو الحافظ الثبت العلّامة، كان قيّماً بمعرفة هذا الشأن، بصيراً بالرجال، طويل الباع، مليح التصانيف.

وقد أخرج الحديث بإسناده عن أبي سعيد الخدري، في أن الآية نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب.

وبإسنادٍ آخر عن ابن مسعود أنه قال: كنّا نقرأ على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ يا

أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إليْكَ مِنْ رَبِّكَ ـ أَنَّ عَلِيّاً موْلىٰ المؤمنين ـ وَإنْ لمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس﴾.

راجع: الدر المنثور للسيوطي [٢: ٢٩٨] وتفسير فتح القدير للشوكاني [٢: ٥٨] وكشف الغمّة للإربلي [١: ٣١٩ ط. دار الكتاب الاسلامي ـ بيروت].

وروى بإسناده عن ابن عبّاس قال: لمّا أُمر اللّٰه رسوله ﷺ أن يقوم بعليّ عليه السلام فيقول له ما قال، فقال ﷺ: يا ربّ إن قومي حديثو عهد بجاهلية، ثم مضى بحجّه، فلمّا قفل راجعاً نزل بغدير خم أنزل اللّٰه عليه: ﴿يا أيّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزل إليْكَ مِنْ رَبِّك﴾ الآية. فأخذ بعضد علي ثمّ خرج إلى الناس، فقال: «أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «اللّٰهم من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وأعن من أعانه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، وأحب من أحبّه، وأبغض من أبغضه». قال ابن عبّاس: فوجبت واللّٰه في رقاب القوم، وقال حسان ابن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم وأسمع بالرسول مناديا

وقد مرّ الإيعاز إليه بتمامه في مقتطفاتنا من المجلّد الأول.

وروى أيضاً عن زيد بن علي أنه قال: لما جاء جبرئيل بأمر الولاية، ضاق النبي ﷺ بذلك ذرعاً، وقال: «قومي حديثو عهدٍ بالجاهلية»، فنزلت الآية.

٦ ـ الثعلبي:

وهو أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري المفسّر المشهور، المتوفّى سنة (٤٢٧ أو ٤٣٧). قال ابن خلكان في تأريخه [١: ٢٢]: كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير. وذكره الفارسي في تأريخ نيسابور وقال: هو صحيح النقل موثوق به، إلىٰ أن قال: وكان كثير الحديث كثير الشيوخ. انتهى.

روى في تفسيره الكبير (الكشف والبيان) [مخطوط] عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر: إن معناها ـ أي الآية ـ بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك في فضل علي، فلما نزلت أخذ رسول اللّٰه بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وروى بإسنادٍ آخر من طريق أبي محمّد عبد اللّٰه القائني، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية، قال: نزلت في عليّ، أُمر النبي ﷺ أن يبلّغ فيه، فأخذ رسول اللّٰه ﷺ بيد علي، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه».

قال الأميني في التعليقات من غديره [١: ٢١٨]: وروى الحديثين عنه: ابن بطريق في العمدة [ص ٩٩] وابن طاووس في الطرائف [ص ١٥١ ـ ١٥٢] والإربلي في كشف الغمّة [١: ٣١٨] والطبرسي في تفسيره مجمع البيان [٢: ٢٢٣] وروى عنه ابن شهر آشوب في مناقبه [٣: ٢١].

٧ ـ أبو نعيم:

وهو الحافظ أحمد بن عبداللّٰه الأصفهاني المولود سنة (٣٣٦) المتوفّىٰ سنة (٤٣٠) أثنى عليه جمعٌ من أهل المعاجم والتواريخ في كتبهم، قال ابن خلّكان في تاريخه [١: ٢٧]: كان من أعلام المحدّثين وأكابر الحفّاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل وأخذوا عنه وانتفعوا به، وكتابه الحلية من أحسن الكتب.

وقال الذهبي في التذكرة [٣: ٢٩٢]: قال ابن مردويه: كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه، لم يكن في أفقٍ من الآفاق أحدٌ أحفظ وأسند، كان حفّاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده، وكلّ يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر. انتهى.

وقد روى في تأليفه «ما نزل من القرآن في علي» [ص ٥٦ ط. وزارة الارشاد] بإسناده من طريق أبي بكر بن خلاد عن عطية، قال: نزلت هذه الآية علىٰ رسول اللّٰه ﷺ في علي يوم غدير خمٍّ. راجع: الغدير [١: ٢١٨]. والخصائص [ص ٢٩].

٨ ـ الواحدي:

وهو المفسّر الكبير أبو الحسن علي بن أحمد بن محمّد بن علي بن متّويه النيسابوري المتوفّى سنة (٤٢٨).

قال ابن خلّكان في تأريخه [١: ٣٦١]: كان استاذ عصره في النحو والتفسير، ورزق السّعادة في تصانيفه، فأجمع النّاس علىٰ حسنها، وذكرها المدرّسون في دروسهم، منها: الوسيط والوجيز في التفسير، وله كتاب أسباب النزول. انتهى.

وقد روى في كتابه أسباب النزول [ص ١٥٠] بالإسناد من طريق أبي سعيد محمّد ابن علي الصفّار عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية يوم غدير خمّ في علي بن أبي طالب عليه السلام.

٩ ـ السجستاني:

وهو الحافظ مسعود بن ناصر بن عبدالله بن أحمد أبو سعيد السّجزي، المتوفّى سنة (٤٧٧).

قال الذهبي في تذكرته [٤: ١٦]: الحافظ الفقيه الرحّال صاحب المصنّفات. قال محمّد بن عبد الواحد الدقّاق: لم أر في المحدّثين أجود إتقاناً ولا أحسن ضبطاً منه.

وقال ابن كثير في تأريخه [١٢: ١٢٧]: رحل في الحديث، وسمع الكثير، وجمع الكتب النفيسة، وكان صحيح الخطّ صحيح النقل حافظاً ضابطاً. انتهى.

أورد في تأليفه «كتاب الولاية» بإسناده من عدّة طرق عن ابن عبّاس، قال: أُمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبلّغ بولاية علي فأنزل: ﴿ يا أيّها الرسولُ بلّغ ما أُنزِلَ إليكَ من ربّك﴾ الآية، فلما كان يوم غدير خمّ قام، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «ألست أولىٰ بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه، وانصر من

نصره، وأعزّ من أعزّه، وأعن من أعانه» راجع: كتاب الطرائف للسيّد ابن طاووس [ص ١٥٢].

١٠ ـ الحاكم الحسكاني:

وهو الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن حسكان أبو القاسم النيسابوري الحنفي.

قال الذهبي في تذكرته [٣: ٣٩٠]: شيخ متقنٌ ذو عناية تامةٍ بعلم الحديث، كان معمّراً عالي الإسناد، صنّف وجمع، توفّي سنة (٤٩٠). انتهى.

وقد أورد في كتابه «شواهد التنزيل لقواعد التفضيل والتأويل» [١: ١٦٦ ط. بيروت] بإسناد من طريق الكلبي عن ابن عباس وجابر بن عبدالله الأنصاري، قالا: أمر الله محمّداً ﷺ أن ينصب عليّاً للناس، فيخبرهم بولايته، فتخوّف النبي ﷺ أن يقولوا حابىٰ ابن عمّه وأن يطعنوا في ذلك عليه. فأوحى الله اليه ﷺ الآية: ﴿يا أيُّها الرّسُولُ بلّغ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك﴾ فقام رسول الله ﷺ بولايته يوم غدير خمّ.

راجع: تفسير مجمع البيان، للإمام الطبرسي [٢: ٢٧٨ ط. مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت].

١١ ـ ابن عساكر الشافعي:

وهو الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي الملقب بـ«ثقة الدّين» المتوفّىٰ سنة (٥٧١) صاحب التأريخ الكبير السائر الدائر، تجد ترجمته في تأريخ ابن خلّكان [١: ٣٦٣] وأثنى عليه ابن الأثير في تأريخه الكامل [١١: ١٧٧] وقال ابن كثير في تأريخه البداية والنهاية [١٢: ٢٩٤]: أحد أكابر حفّاظ الحديث، ومن عني به سماعاً وجمعاً وتصنيفاً واطّلاعاً وحفظاً لأسانيده ومتونه، وإتقاناً لأساليبه وفنونه، صنّف تأريخ الشام في ثمانين مجلّداً. ثمّ أطنب في الثناء عليه وعلىٰ تآليفه.

وذكره السّبكي في طبقاته [٤: ٢٧٣ - ٢٧٧] وأكثر الثناء عليه وعلىٰ ثقته وإتقانه وتآليفه. انتهى.

وقد أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في غدير خمّ في علي بن أبي طالب.

راجع: الدر المنثور [٢: ٢٩٨] للسيوطي، وتفسير فتح القدير [٢: ٦٠] للشوكاني.

١٢ ـ النطنزي:

وهو أبو الفتح محمّد بن علي بن إبراهيم المولود سنة (٤٨٠) قال السمعاني في كتابه أنساب الأشراف: أفضل من هو بخراسان والعراق في اللغة والأدب والقيام بصنعة الشّعر، قدم علينا مرو سنة إحدى وعشرين، وقرأت عليه طرفاً صالحاً من الأدب، واستفدت منه واغترفت من بحره، ثمّ لقيته بهمدان، ثّم قدم علينا بغداد غير مرّةٍ في مدة مقامي بها، وما لقيته إلّا وكتبت عنه واقتبست منه. ثمّ ذكر فيه مشايخه. انتهى.

وقد روى في كتابه الخصائص العلوية من طريق الحسن بن أحمد المهري بإسناده عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى عليﷺ في غدير خمّ، وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقمّ، وذلك يوم الخميس، فدعا علياً فأخذ بضبعيه، فرفعهما حتى نظر الناس إلىٰ بياض إبطي رسول الله ﷺ ثمّ لم يتفرّقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿اليَوْمَ أكْمَلْتُ لكم دينَكُم﴾ فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر علىٰ إكمال الدّين وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي والولاية لعلي من بعدي، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله». فقال حسان بن ثابت: إئذن لي يا رسول الله فأقول في علي أبياتاً لتسمعها، فقال: قل علىٰ بركة الله، فقام حسان فقال: يناديهم يوم الغدير نبيهم «الخ» كما أسلفنا.

١٣ ـ الفخر الرازي:

وهو أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسين الشافعي، المتوفّىٰ سنة (٦٠٦) صاحب التفسير الكبير الشهير.

قال ابن خلّكان في تأريخه [٢: ٤٨]: فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، وذكر فيه تآليفه. وذكره ابن كثير في تأريخه [١٣: ٥٥]وقال: كان إمام الدنيا في عصره. وترجمه السّبكي في طبقاته [٥: ٣٣ـ٤٠] وأثنى عليه وبالغ في الردّ على الذهبي في غمزه على المترجم في ميزان الاعتدال. انتهى.

قال في تفسيره الكبير [١٢: ٤٩ ط. دار الاحياء ـ بيروت]: العاشر: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام ولما نزلت هذه الآية أخذ صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عبّاس، والبراء بن عازب، ومحمّد بن علي.

١٤ ـ ابن طلحة الشافعي:

وهو أبو سالم محمّد بن طلحة القرشي النصيبي، المتوفّى سنة (٦٥٢) قال في كتابه مطالب السؤول [ص ١٦]: نقل الإمام أبو الحسن علي الواحدي في كتابه المسمّىٰ أسباب النزول، يرفعه بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية يوم غدير خمّ في علي.

١٥ ـ الرسعني الحنبلي:

وهو الحافظ عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر عز الدّين الرسعني الحنبلي المتوفّى سنة (٦٦١).

قال فيه الذهبي في تذكرته [٤: ٢٤٣]: كان إماماً متقناً ذا فنون وأدب، صنّف كتاب

مقتل الحسين عليه السلام، وجمع وصنّف تفسيراً حسناً رأيته يروي فيه بأسانيده.

وأثنىٰ عليه ابن كثير في تأريخه [١٣: ٢٤١].

وقال زميله الإربلي صاحب كشف الغمة [١: ٨٥، ط. بيروت]: كان صديقنا وكنّا نعرفه، وكان حنبلي المذهب، وكان رجلاً فاضلاً أديباً حسن المعاشرة، حلو الحديث، فصيح العبارة، اجتمعت به في الموصل. انتهى.

وقد روى في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

١٦ ـ الحمّوئي:

وهو شيخ الاسلام أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الدين محمّد بن المؤيّد بن حمّويه الخراساني الجويني، المتوفّى سنة (٧٢٢) عن ٨٧ عاماً، أطراه الذهبي في تذكرته [٤: ٢٩٨] بالإمام المحدّث الأوحد الأكمل، وقال: كان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الاجزاء، وعلى يده أسلم الملك غازان. وأغدق الثناء عليه ابن حجر كما في كتابه الدرر [١: ٦٧].

وقد أورد في كتابه المسمى بـ«فرائد السّمطين في فضائل المترضى و البتول والسبطين» [١: ٧٢ـ٧٥] عن مشايخه الثلاث، وهم: السيد برهان الدين إبراهيم بن عمر الحسيني، والشيخ الإمام مجد الدين عبدالله بن محمود الموصلي، والشيخ بدر الدين محمّد ابن محمّد بن أسعد البخاري، بإسنادهم عن أبي هريرة أنّ الآية نزلت في علي.

١٧ ـ الهمداني:

وهو السيّد علي بن شهاب بن محمّد الهمداني الملقب في بعض المعاجم بشهاب الدين، المتوفّى سنة (٨٧٦). وقد أثنىٰ عليه وعلىٰ تآليفه ومقاماته وكراماته غير واحدٍ من الأعلام، كما قاله الأميني في تصنيفه «الغدير» في طبقات الرواة من العلماء، وقال: توجد ترجمته في غدير العبقات [١: ٢٤١ ـ ٢٤٤]. انتهى.

وقد أورد في كتابه «مودّة القربىٰ» عن البراء بن عازب، قال: أقبلت مع رسول اللّه ﷺ في حجّة الوداع، فلما كان بغدير خمّ نودي: الصلاة جامعة، وجلس رسول اللّه ﷺ تحت شجرةٍ وأخذ بيد علي وقال: «ألست أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول اللّه، فقال ﷺ: «ألا من أنا مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعادمن عاداه»، فلقيه عمر ﷺ فقال: هنيئاً لك يا علي بن أبي طالب. أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة، وفيه نزلت: ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزل إلَيْكَ مِنْ رَبِّك﴾ الآية.

١٨ ـ العيني الحنفي:

وهو العلّامة محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد قاضي القضاة بدر الدين، المولود بمصر سنة (٧٦٢) والمتوفّى سنة (٨٥٥) ترجمه السخاوي في الضوء اللامع [١٠: ١٣١] وذكر فيه أساتذته في الفقه وأُصوله والحديث والأدب، وعد تآليفه وأثنىٰ عليها، وقال: حدّث وأفتىٰ ودرّس وأخذ عنه الأئمّة من كلّ مذهب طبقة بعد أُخرى، بل أخذ عنه أهل الطبقة الثالثة، وكنت ممن قرأ عليه أشياء. وذكره ابن خطيب الناصرية في تأريخه فقال: إمام عالم فاضل مشاركٌ في علوم، وعنده حشمة ومروءة وعصبيةٌ وديانة.

وذكره السيوطي في كتابه «بغية الوعاة» [ص ٣٨٦] وأثنىٰ عليه وذكر مشائخ قراءته وتآليفه وقال: كان إماماً عالماً علّامة، عارفاً بالعربيّة والتصريف وغيرهما.

وقد ذكر العيني في كتابه «عمدة القاري في شرح صحيح البخاري» [٨: ٥٨٤] في قوله تعالى: ﴿يا أيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِل إليك مِنْ رَبّك﴾ الآية: عن الحافظ الواحدي كما مرّ في الرواة الثامن من هذا الكتاب، ثمّ حكى فيه سبب نزول الآية عن مقاتل والزمخشري، فقال: قال أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين الباقر: معناه: بلّغ ما أُنزل إليك من ربك في فضل علي بن أبي طالب ﷺ فلما نزلت هذه الآية، أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

١٩ ـ ابن الصباغ المالكي:

وهو العلّامة نور الدّين علي بن محمّد بن أحمد الغزّي الأصل، المولود سنة (٧٨٤) المتوفّىٰ سنة (٨٥٥) روى عنه السّخاوي بالإجازة، وترجمه في الضوء اللامع [٥: ٢٨٣] وذكر مشائخه في الفقه وغيره. ثمّ قال: له مؤلفات، منها الفصول المهمّة لمعرفة الأئمّة وهم اثنا عشر. وقد نقل عن كتابه المذكور: الشبلنجي في كتابه نور الأبصار، والصّفوري في كتابه نزهة المجالس.

وقد ذكر في فصوله [ص ٤١ ط. بيروت] المذكور أحاديث في هذا الموضوع، منها ما نقله عن أبي الفتوح أسعد بن أبي الفضائل العجلي يرفعه بسنده إلى حذيفة بن أسيد، وعامر بن ليلى بن ضمرة، قالا: لمّا صدر رسول اللّه ﷺ من حجة الوداع ولم يحج غيرها، أقبل حتى إذا كان بالجحفة نهى عن سمراتٍ متغاديات بالبطحاء أن لا ينزل تحتهن أحدٌ، حتى إذا أخذ القوم منازلهم أرسل فأقام تحتهن، حتّىٰ إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلّى بالناس تحتهن، وذلك يوم غدير خم، وبعد فراغه من الصلاة قال: «أيّها الناس، إنه قد نبّأني اللّطيف الخبير أنه لم يعمّر نبي إلّا نصف عمر النبي الذي كان قبله، وإني لأظن أنّي اُدعىٰ واُجيب، وإني مسؤولٌ و أنتم مسؤولون هل بلّغت؟ فما أنتم قائلون؟»، قالوا: نقول: قد بلّغت، وجهدت، ونصحت، وجزاك اللّه خيراً.

قال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلّا اللّه وأن محمّداً عبده ورسوله، وأن جنّته حقّ، وأن ناره حقّ، والبعث بعد الموت حقّ»؟ قالوا: اللّهم اشهد. ثمّ قال: «أيّها الناس، ألا تسمعون؟ ألا فإن اللّه مولاي، وأنا أولى بكم من أنفسكم، ألا و من كنت مولاه فعلي مولاه».

وفي رواية ابن عساكر، وابن كثير في البداية والنهاية [٥: ٢٠٩، و ٧: ٣٤٨] بزيادة لفظ: أيّها النّاس إنّي فرطكم وإنّكم واردون عليّ الحوض، حوضٌ أعرض مما بين بصرىٰ وصنعاء، فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضّة، وإنّي سائلكم حين تردون عليّ عن

الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر: كتاب اللّٰه، سببٌ طرفه بيد اللّٰه وطرفٌ بأيديكم فاستمسكوا به، لا تضلّوا ولا تبدّلوا. و[الثّقل الأصغر][1]: عترتي أهل بيتي، فإنّه نبأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وفي رواية السّمهودي، فعن ابن عقدة كما ذكره الأميني في رواة الغدير من الصحابة [١: ٢٥] بلفظ: إني سائلكم حين تردون عليّ الحوض عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، قالوا: وما الثّقلان؟ قال: الثّقل الأكبر كتاب اللّٰه، سببٌ طرفه بيد اللّٰه وطرفه بأيديكم، والأصغر عترتي. الحديث. ثمّ قال: وأخرجه الطبراني في الكبير. والضّياء في المختارة.

٢٠ ـ النيسابوري:

وهو العلّامة نظام الدّين الحسن بن محمّد بن حسين القمّي النيسابوري. فقد أوردفي تفسيره السائر الدائر، غرائب القرآن ورغائب الفرقان [٦: ١٩٤ بهامش تفسير الطبري] عن أبي سعيد الخدري، أنها نزلت في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خمّ، فأخذ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فلقيه عمر، فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عبّاس، والبراء بن عازب، ومحمّد بن علي.

٢١ ـ الميبذي:

وهو العلّامة كمال الدين حسين بن معين الدّين اليزدي شارح ديوان أمير المؤمنين، وقال فيه [ص ٤١٥]: روى الثعلبي أن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم قال ما قال في غدير خمّ بعد ما نزل قوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الرسولُ بَلّغْ مَا أنْزِلَ إليك مِنْ رَبّك﴾ ولا يخفى علىٰ أهل التوفيق أن قوله تعالى: ﴿ النبيُّ أوْلىٰ بِالمُؤمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ﴾ يلائم حديث الغدير. والله

---

(١) راجع البداية والنهاية ٧: ٣٨٦ ط. دار الاحياء.

أعلم.

٢٢ ـ السيوطي:

وهو الحافظ جلال الدّين عبدالرحمٰن بن كمال الدّين المصري الشافعي، المتوفّى سنة (٩١١). قال عبد الحيّ في شذراته [٨: ٥١ ـ ٥٥]: المسند المحقّق المدقّق صاحب المؤلّفات الفائقة النافعة. وأثنىٰ عليه وأكثر، وذكر تآليفه وقال: إنه رأى النبي ﷺ بضعاً وسبعين مرّة يقظةً، وحكى له كرامة طيّ الأرض وأخذ صاحبه معه من القرافة إلى مكة، ذهاباً وإياباً بخطوات عديدة. وذكره ابن العيدروس في كتابه النّور السافر [ص ٥٤ ـ ٥٧] وأثنى عليه، وذكر بعض كراماته وتآليفه.

قال في كتابه الدر المنثور [٢: ٢٩٨]: أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً وعرفت أن الناس مكذّبي، فوعدني لأبلّغنّ أو ليعذّبني، فأنزل: ﴿يا أيُّها الرسولُ بَلّغْ ما أُنْـزِلَ إليك مِنْ رَبِّك﴾ ».

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد، قال: لما نزلت: ﴿بلّغ ما أُنْزل إليك من ربّك﴾ قال ﷺ: « يا رب إنما أنا واحدٌ كيف أصنع يجتمع علي الناس؟ »، فنزلت: ﴿وَإنْ لمْ تفعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَه﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هٰذه الآية: ﴿يا أيُّها الرسولُ بَلّغْ مَا أُنْزل إليكَ مِنْ رَبّك﴾ علىٰ رسول الله ﷺ وإن عليّاً مولى المؤمنين، ﴿وإنْ لَمْ تَفْعَل فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه واللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس﴾.

٢٣ ـ السيّد عبد الوهّاب البخاري:

وهو ابن محمّد رفيع الدّين بن أحمد الحسيني[١]، المتوفّى سنة (٩٣٢). قال الأميني

---

(١) في كشف الظنون وفي هداية العارفين ورد اسمه عبد الوهاب بن أحمد الملتاني.

في طبقات الرواة من العلماء من كتابه الغدير [١: ١٣٥]: توجد ترجمته والثناء عليه وذكره الجميل بالعلم والعمل في «أخبار الأخيار» للشيخ عبد الحقّ الدهلوي. وفي «تذكرة الأبرار» للسيد محمد كما في العبقات [١: ٥٣٧].

قال في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا المودَّةَ في الْقُرْبى﴾: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الرسول بَلّغْ ما أُنْزِلَ إليك مِنْ رَبِّك﴾: أي: بلّغ من فضائل علي، نزلت في غدير خمّ، فخطب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»، فقال عمر: بخٍ بخٍ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمنٍ و مؤمنة.

٢٤ ـ الشّيرازي:

وهو العلّامة جمال الدّين عطاء اللّه بن فضل اللّه الحسيني، المتوفّىٰ سنة (١٠٠٠) صاحب كتاب الأربعين في مناقب أمير المؤمنين، وكتاب روضة الأحباب في سيرة النبي والآل والأصحاب. قال الأميني في طبقاته من الغدير [١: ١٣٧]: قد ذكر تفصيل فصوله كاتب چلبي في كشف الظّنون [١: ٥٨٢].

وقد روى في أربعينه المذكور نزول آية التبليغ في علي بغدير خمّ، كما مرّ فيما أخرجه المحاملي عن ابن عباس.

٢٥ ـ محمّد محبوب العالم:

وهو ابن صفي الدّين جعفر بدر العالم، له تفسيره المعروف بـ«تفسير الشاهي»، وقد حكى في تفسيره الحديث الذي مرّ لفظه عن تفسير النيسابوري.

٢٦ ـ البدخشاني:

وهو العلّامة ميرزا محمد بن معتمد خان مؤلّف كتاب مفتاح النجا في مناقب آل

العبا، وكتاب نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار، قال الأميني في طبقاته: والكتابان ينمّان عن طول باع مؤلّفه[1] في علم الحديث وفنونه، والتضلّع في مسانيده.

قال ﷺ في كتابه مفتاح النجا: الآيات النازلة في شأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كثيرة جداً، لا أستطيع استيعابها، فأوردت في هذا الكتاب لبّها ولبابها. إلىٰ أن قال: وأخرج ابن مردويه عن زر عن عبد الله ﷺ قال: كنّا نقرأ علىٰ عهد رسول الله ﷺ: ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك ـ أن علياً مولى المؤمنين ـ و إنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه﴾، ثمّ أورد ما أخرجه عن أبي سعيد الخدري السالف ذكره، وما أخرجه الرسعني بلفظه المذكور.

٢٧ ـ الشوكاني:

وهو القاضي محمّد بن علي بن محمّد الصنعاني، المولود سنة (١١٧٣) كما في البدر الطالع، والمتوفّىٰ سنة (١٢٥٠) كما هو مكتوبٌ في تفسير فتح القدير، قال الأميني: فقيهٌ متضلّعٌ مشارك في العلوم، بارع في الفضائل. ألّف وأكثر وأحسن في تآليفه وأجاد، توجد له ترجمة ضافيةٌ بقلمه في كتاب البدر الطالع [٣: ٢١٤ ـ ٢٢٥] ذكر فيه مشايخه في الحكمة والكلام والفقه وأُصوله والحديث وفنونه، والمعاني والبيان والعلوم العربيّة، وعدّ من رسالاته وكتاباته ما يبلغ المائة، وهناك تآليف أُخرى لم يذكرها في عدّ كتبه، استدركها من علّق على كتابه البدر الطالع في هامشه، وقد طبع كثيرٌ من تآليفه، وهي تعرب عن تضلّعه في الفنون، وطول باعه في العلوم الشرعيّة كتاباً وسنّةً، وما يتعلّق بهما من معرفة المشيخة والمسانيد، وله مقدّمة في كتابه «نيل الأوطار» [ط. بُولَاق] بقلم حسين بن محسن السّبعي.

وقد قال في تفسيره «فتح القدير» [٢: ٦٠]: نزلت هذه الآية يوم غدير خمّ في علي ابن أبي طالب ﷺ وأورد أحاديث من عدّة طرق عن قادة السنن، كما مرّ ذكرها في هذا

(١) هكذا في الأصل، راجع: الغدير ١: ١٤٣. والصحيح مؤلفهما.

الكتاب.

٢٨ ـ الآلوسي:

وهو السيد محمود بن عبدالله الحسيني شهاب الدّين أبو الثناء البغدادي الشافعي المولود بالكرخ سنة (١٢١٧) والمتوفّى سنة (١٢٧٠). قال الأميني في طبقاته من كتاب الغدير [١: ١٤٧]: أحد نوابغ العراق وأعلامها، الطائر الصيت في الآفاق، المتضلّع في الفنون، المشارك في العلوم، من اُسرة عراقيّة شهيرة في العلم والأدب، له تآليف قيّمة كثيرة لا يستهان بعدّتها، توجد ترجمته في أعلام العراق [ص ٢١] ومشاهير العراق [٢: ١٩٨] وجلاء العينين [ص ٢٧ ـ ٢٨].

قال في تفسيره «روح المعاني» [٦: ١٩٢ ط. دار الاحياء ـ بيروت]: زعمت الشّيعة أن المراد من الآية ﴿ما انزل إليك﴾: خلافة علي كرم اللّه وجهه، فقد رووا بأسانيدهم عن ابي جعفر وأبي عبد اللّه رضي الله تعالىٰ عنهما: أن الله تعالى أوحى إلى نبيه ﷺ أن يستخلف علياً كرم اللّه وجهه، فكان ﷺ يخاف أن يشق ذلك علىٰ جماعةٍ من أصحابه، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية تشجيعاً له عليه الصلاة والسلام بما أمره بأدائه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في علي كرم اللّه تعالىٰ وجهه، حيث أمر سبحانه أن يخبر الناس بولايته، فتخوّف رسول اللّه ﷺ أن يقولوا: حابى ابن عمّه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية، فقام بولايته يوم غدير خمّ، وأخذ بيده، فقال ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وذكر فيه أيضاً ما أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم، وابن عساكر، وابن مردويه راوين عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ في عليّ بن أبي طالب كرّم اللّه تعالىٰ وجهه، وروى فيه ما أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول اللّه ﷺ: ﴿**يا أيّها الرسولُ**

بَلِّغْ ما أُنزل إليْكَ من رَبِّك ـ أنّ علياً ولي المؤمنين ـ وإنْ لم تفعل فما بلّغتَ رسالته﴾.

٢٩ ـ القندوزي الحنفي:

وهو الشيخ سليمان بن الشيخ إبراهيم المعروف بـ(خواجه) كلان ابن الشيخ محمّد المعروف بـ(بابا خواجه) الحسيني البلخي الأصل، توفّي في القسطنطينية سنة (١٢٩٣) كان من الأعلام الأفذاذ، من نوابغ الحديث و فنونه، جمع «أجمع الفوائد» و«مشرق الأكوان»، و«ينابيع المودّة»، الدائر السائر المكرّر طبعه في شتّى الأقطار. قال الأميني في طبقاته من كتاب الغدير: توجد ترجمته في أعلام العراق، و مشاهير العراق [٢: ١٩٨] و جلاء العينين [ص ٢٧ و ٢٨].

قال في كتابه «ينابيع المودّة» [ص ١٢٠]: أخرج الثعلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن محمد الباقر رضي الله عنهما، قالا: نزلت هذه الآية في عليّ، وأخرجه أيضاً الحمّوئي في كتابه «فرائد السّمطين» [١: ٧٤] عن أبي هريرة، وأخرجه أيضاً المالكي في كتابه الفصول المهمّة [ص ٤٠] عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية في علي في غدير خمّ، ثمّ قال: هكذا ذكره الشيخ محيي الدّين النووي.

٣٠ ـ الشيخ محمّد عبده:

وهو ابن حسن خير الله المصري، المتوفّى سنة (١٣٢٣) مفتي الدّيار المصريّة وعلّامتها الكبير. قال الأميني في طبقاته: له شهرةٌ طائلة في العلم، وقدمٌ راسخةٌ في الإصلاح، والسعي وراء صالح الأمة، سجّلها له التأريخ في صحائف مشاهير الشرق [ص ١٩ و ٢٠ و٤٤]. قال في تفسيره «المنار» [٦: ٤٦٣]: روى ابن أبي حاتم، وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري أنّها نزلت يوم غدير خمّ في علي بن أبي طالب.

والى ذلك أشار العوني بقوله:

يا بائع الدّين بدنياه ليس بهذا أمر اللّه

فــارجــع إلى اللّٰـه وألق الهـوىٰ — إن الهـــوىٰ في النـــار مأواه
مـن أيـن أبـغضت عـليّ الرّضـا — وأحمـــدٌ قــد كــان يــرضاه
جــهدك أن تســلبه اليـوم مـا — كـــان رســول اللّـــه أعــطاه
مـن ذا الّـذي أحمـدُ مـن بـينهم — يـــوم غــدير الخــمّ نــاداه
أقــامه مــن بــين أصـحابه — وهــم حــواليــه فســمّــاه
هــذا عــليّ بــن أبي طــالب — مــولىً لمــن قـد كـنت مـولاه
فــوال مــن والاه يـا ذا العـلىٰ — وعـــاد مــن قــد كـان عـاداه

وله أيضاً:

لقـــد سمــعوا مــقالته بخــمّ — غــداة يــضمّهم وهـو الغـدير
فمـــن أولى بكــم مـنكم فـقالوا — مــقالة واحــدٍ وهــم الكـثير
جمـــيعاً أنت مـــولانا و أولىٰ — بـــنا مـــنّا وأنت لنـــا نــذير
فـــقال لهـــم عـــلانيةً جــهاراً — مــقالة نــاصح وهــم حـضور
فـــإنّ وليّكـــم بـــعدي عـــليّ — ومـولاكـم هـو الهـادي الوزيـر
وزيري في الحـياة وعـند مـوتي — ومـــن بـعدي الخـليفة والأمـير
فـوالى اللّٰـــه مـن والاه مـنكم — وقـــابله لدىٰ المـوت السرور
وعادى اللّٰـه مـن عـاداه مـنكم — وحل به لدى المـوت النشـور(١)

وقال خطيب منيح:

وقـــال لهـــم رضـــيتم بي وليّـاً — فـــقالوا يـــا محمّد قـد رضـينا
فـــقال وليّكـــم بـــعدي عـــليّ — ومـــولاكـــم فكـونوا عـارفينا
فـــقام لقـــوله عـــمرٌ سريــعاً — وقـــال له مـــقال الواصـــفينا
هـــنيئاً يـــا عـــليٌّ أنت مـــولىً — عــلينا مــا بــقيتَ ومـا بـقينا

راجع مناقب ابن شهر آشوب [٢: ٢٣٤ ط. النجف، ٣: ٣٢ ـ ٣٤ ط. دار الاضواء ـ بيروت].

---

(١) هكذا في الأصل، والصحيح النشور.

٣١ ـ الطبراني:

أخرج في معجمه [٥: ١٦٧] بالإسناد الصّحيح إلى زيد بن أرقم قال: خطب رسول اللّه ﷺ بغدير خمّ تحت شجراتٍ، فقال: «أيها النّاس، يوشك أن أُدعىٰ فاجيب، وإنّي مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟».

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت وجاهدت ونصحت، فجزاك اللّه خيراً، فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلّا اللّه. وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّة حق. وأنّ ناره حق، وأنّ الموت حق، وأنّ البعث حق بعد الموت، وأنّ الساعة آتية لاريب فيها، وأنّ اللّه يبعث من في القبور»؟ قالوا: بلىٰ نشهد بذلك. قال ﷺ: «اللهم اشهد»، ثم قال: «يا أيها الناس إنّ اللّه مولاي، وأنا مولىٰ المؤمنين، وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهٰذا مولاه ـ يعني عليّاً ـ اللّٰهم وال من والاٰه، وعاد من عاداه».

ثمّ قال: «يا أيها الناس إنّي فرطكم، وإنّكم واردون عليّ الحوض، حوضٌ أعرض مما بين بصرىٰ إلىٰ صنعاء، فيه عدد النجوم قدحانٌ من فضةٍ. وإنّي سائلكم حين تردّون عليّ عن الثقلين، كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب اللّه عزوجل، سببٌ طرفه بيداللّٰه تعالى، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلّوا ولاتبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن ينقضيا حتى يردا عليّ الحوض».

قد ذكر ابن حجر هذا في كتابه الصواعق [ص ٢٥] في الشبهة الحادية عشرة في الفصل الخامس من الباب الأول[١].

قال الامام شرف الدّين الموسوي في كتابه المراجعات [ص ١٨٠ ط. المجمع العالمي لأهل البيت]، في قوله ﷺ: «يوشك أن أُدعىٰ فأُجيب»: إنما نعى إليهم نفسه الزكية تنبيهاً إلىٰ أنّ الوقت قد استوجب تبليغ عهده، واقتضى الأذان بتعيين الخليفة من بعده، وأنه لا يسعه تأخير ذلك، مخافة أن يُدعىٰ فيجيب قبل إحكام هذه المهمة التي لابدّ من إحكامها.

---

(١) بعد مراجعة المصدرين المذكورين وجدنا اختلافاً يسيراً بينهما، فراجع.

ولا غنى لأُمّته عن إتمامها.

وقال في قوله ﷺ : « وإنّي مسؤولٌ » : لما كان عهده إلىٰ أخيه ثقيلاً علىٰ أهل التنافس والحسد والشحناء و النفاق، أراد ﷺ قبل أن ينادي بذلك أن يتقدّم في الاعتذار إليهم، تأليفاً لقلوبهم وإشفاقاً من معرّة أقوالهم وأفعالهم، فقال : « وإني مسؤولٌ » ليعلموا أنّه مأمورٌ بذلك ومسؤولٌ عنه، فلا سبيل له إلىٰ تركه.

وقال في قوله ﷺ : « وإنّكم مسؤولون »: لعلّه أشار بقوله ﷺ إلىٰ ما أخرجه الديلمي وغيره ، كما في الصواعق وغيرها، عن أبي سعيدٍ أن النبي ﷺ قال: ﴿ وقِفُوهُمْ إنَّهُمْ مسؤولون﴾ [1] عن ولاية علي.

وقال الإمام الواحديّ: إنهم مسؤولون عن ولاية علي وأهل البيت. فيكون الغرض من قوله ﷺ: « وإنكم مسؤولون» تهديد أهل الخلاف لوليّه ووصيّه يعني ـ عليّاً ـ.

٣٢ ـ الحاكم النيسابوري:

قد أخرج في مناقب عليّ من المستدرك [٣: ١٠٩] عن زيد بن أرقم من طريقين صحّحهما علىٰ شرط الشيخين، قال: قال: لمّا رجع رسول اللّه ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ، أمر بدوحاتٍ فقممن، فقال: كأنّي دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثّقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب اللّه وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض. ثمّ قال: إن اللّه عزّوجلّ مولاي. وأنا مولى كلّ مؤمنٍ، ثمّ أخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وذكرالحديث بطوله. وذكره أيضاً في [٢: ٣٣] عن زيد بن أرقم.

---

(١) الصافات: ٢٤.

٣٣ ـ الإمام أحمد بن حنبل:

أخرج في المسند [٤: ٣٧٢] عن زيد بن أرقم قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ بوادٍ يقال له وادي خمٍّ، فأمر بالصلاة، فصلّاها بهجير، قال: فخطبنا، وظُلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: «ألستم تعلمون، أو ألستم تشهدون أني أولىٰ بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه».

وأخرج أيضاً في مسنده [٤:٢٨١]عن البراء بن عازب من طريقين، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين، فصلّىٰ الظهر وأخذ بيد علي ﷺ، فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أنّي أولىٰ بكل مؤمنٍ من نفسه؟» قالوا: بلىٰ، قال: فأخذ بيد علي، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعادمن عاداه»، قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولىٰ كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ.

٣٤ ـ النّسائي:

أخرج النّسائي في الخصائص العلوية [ص ٢١]: عن زيد بن أرقم قال: لمّا رجع النبي من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ، أمر بدوحات فقممن، ثمّ قال: «كأنّي دعيت فأجبت، وإنّي تاركٌ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيها، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، ثمّ قال: «إنّ الله مولاي، وأنا ولي كلّ مؤمن»، ثمّ إنه أخذ بيد علي، فقال: «من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

قال أبو الطفيل: قلت: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: وإنّه ما كان في الدوحات أحدٌ إلّا رآه بعينيه، وسمعه بأُذنيه.

وهذا الحديث أخرجه مسلم في باب فضائل علي [٢: ٣٢٥] من صحيحه، ولكنّه اختصره وبتره، وكذلك يفعلون. كذا قال الموسوي.

وأخرج أيضاً عن عائشة بنت سعد [ص ٤٧] من الخصائص العلوية باب منزلة علي عليه السلام من الله عزّوجلّ، قالت: سمعت أبي يقول: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يوم الجحفة، فأخذ بيد علي فخطب، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: أيها الناس إنّي وليّكم، قالوا: صدقت يا رسول اللّه، ثمّ أخذ بيد عليٍّ فرفعها، فقال: «هذا وليّي، ويؤدّي عنّي ديني، وأنا موالي من والاه، ومعادي من عاداه».

٣٥ ـ شرف الدّين الموسوي:

قال في كتابه النفيس المراجعات [المراجعة: ٥٦ ص ١٨٤]: إن حديث الغدير كان محل العناية من اللّه عز وجل؛ إذ أوحاه تبارك وتعالىٰ إلىٰ نبيّه صلى الله عليه وآله وأنزل فيه قرآناً يرتّله المسلمون آناء الليل وأطراف النهار، ويتلونه في خلواتهم وجلواتهم، وفي أورادهم وصلواتهم وعلىٰ أعواد منابرهم، وعوالي منائرهم ﴿يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فلمّا بلغ الرسالة يومئذٍ بنصّه علىٰ عليّ بالإمامة، وعهد إليه بالخلافة، أنزل اللّه عزّوجلّ عليه: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُم الإِسْلَامَ دِيناً﴾ بخٍّ بخٍّ ذلك الفضل من اللّه يؤتيه من يشاء، إنّ من نظر إلىٰ هذه الآيات، بخع لهذه العنايات.

وإذا كانت العناية من اللّه عزّوجلّ علىٰ هذا الشكل، فلا غرو أن يكون من عناية رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما كان، فإنه لمّا دنا أجله، ونعيت إليه نفسه. أجمع ـ بأمر اللّه تعالى ـ على أن ينادي بولاية علي في الحجّ الأكبر علىٰ رؤوس الأشهاد، ولم يكتف بنصّ الدار يوم الإنذار بمكّة، ولا بغيره من النصوص المتوالية، فأذّن في الناس قبل الموسم أنّه حاجٌّ في هذا العام حجّة الوداع، فوافاه الناس من كل فجّ عميقٍ. وخرج من المدينة بنحو مئة ألفٍ أو يزيدون.

فلمّا كان يوم الموقف بعرفات نادىٰ في الناس: « عليٌ مني، وأنا من علي، ولا يؤدّي عنيّ إلّا أنا أو علي ». ولمّا قفل بمن معه من تلك الأُلوف وبلغوا وادي خم، وهبط عليه الروح الأمين بآية التبليغ عن رب العالمين، حطّ ﷺ هناك رحله، حتى لحقه من تأخّر عنه من الناس، ورجع إليه من تقدّمه منهم، فلما اجتمعوا صلّىٰ بهم الفريضة، ثم خطبهم عن اللّه عزّوجلّ فصدع بالنصّ في ولاية علي، وقد سمعت شذرةً من شذوره، وما لم تسمعه أصح وأصرح. على أنّ فيما سمعته كفاية، وقد حمله عن رسول اللهﷺ كل من كان معه يومئذٍ من تلك الجماهير، وكانت تربو علىٰ مئة ألف نسمة من بلاد شتّىٰ، فسنّة اللّه عزّوجلّ التي لا تبديل لها في خلقه تقتضي تواتره، مهما كانت هناك موانع تمنع عن نقله.

وقال في [ص ١٩٤ من المراجعة: ٥٨] ردّاً علىٰ من صرف معنى المولىٰ في الحديث المذكور الىٰ معنىً بعيد عن المراد الذي في مضمون هذه القضية الهائلة في ذلك المشهد العظيم، وإليك لفظه:

فلو سألكم فلاسفة الأغيار عمّا كان منه يوم غدير خمٍّ. فقال: لماذا منع تلك الأُلوف المؤلّفة يومئذٍ عن المسير؟ وعلىٰ م حبسهم في تلك الرمضاء بهجير؟ وفيم اهتم بإرجاع من تقدّم منهم وإلحاق من تأخّر؟ ولم أنزلهم جميعاً في ذلك العراء على غير كلاء ولا ماء؟ ثمّ خطبهم عن اللّه عزّوجلّ في ذلك المكان الذي منه يتفرّقون، ليبلّغ الشاهد منهم الغائب، وما المقتضي لنعي نفسه إليهم في مستهلّ خطابه؟ إذ قال: يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب، وإني مسؤولٌ وإنكم مسؤولون، وأيّ أمر يسأل النبيﷺ عن تبليغه، وتسأل الأمة عن طاعتها فيه؟ ولماذا سألهم فقال: ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ اللّه، وأن محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حق وأن ناره حق، وأنّ الموت حقٌ، وأنّ البعث حق بعد الموت، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ اللّه يبعث من في القبور؟ قالوا: بلىٰ نشهد بذلك.

ولماذا أخذ حينئذٍ علىٰ سبيل الفور بيد علي فرفعها إليه حتى بان بياض إبطيه؟

فقال: «يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين». ولماذا فسرّ كلمته «وأنا مولى المؤمنين» بقوله: «وأنا أولى بهم من أنفسهم»؟ ولماذا قال بعد هذا التفسير: «فمن كنت مولاه فهٰذا مولاه» أو من كنت وليّه فهٰذا وليّه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله؟ ولماذا قرن العترة بالكتاب، وجعلها قدوةً لأُولي الألباب إلى يوم الحساب؟ وفيم هذه الاهتمام العظيم من هذا النبي الحكيم؟

وما المهمة التي احتاجت إلىٰ هٰذه المقدمات كلّها؟ وما الغاية التي توخّاها في هذا الموقف المشهود؟ وما الشيء الذي أمره اللّٰه تعالىٰ بتبليغه إذ قال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾؟ وأي مهمّةٍ استوجبت من اللّٰه هٰذا التأكيد، واقتضت الحضّ علىٰ تبليغها بما يشبه التهديد؟ وأيّ أمر يخشىٰ النبي الفتنة بتبليغه، ويحتاج إلىٰ عصمة اللّٰه من أذى المنافقين ببيانه؟

أكنتم تجيبونه بأن اللّٰه عزّوجلّ ورسوله ﷺ إنما أرادا بيان نصرة علي للمسلمين وصداقته لهم ليس الّا؟ ما أراكم ترضون هذا الجواب، ولا أتوهّم أنّكم ترون مضمونه جائزاً علىٰ ربّ الأرباب، ولا علىٰ سيد الحكماء وخاتم الرسل والأنبياء، وأنتم أجلّ من أن تجوّزوا عليه أن يصرف همه كلها وعزائمه بأسرها إلىٰ تبيين شيءٍ بيّن لا يحتاج إلى بيان، وتوضيح أمر واضح بحكم الوجدان والعيان، ولا شكّ أنّكم تنزّهون أفعاله وأقواله عن أن تزدري بها العقلاء، أو ينتقدها الفلاسفة والحكماء.

وقال في التعليقات من الكتاب [ص ١٨٥ المراجعة: ٥٦]: ومما يشهد له ـ أي في أنّ المراد بالتبليغ في مضمون آية ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ هو أن ينصّ النبي ﷺ علىٰ علي بالإمامة ويعهد إليه بالخلافة لا غير ـ أنّ الصلاة كانت قبل نزولها قائمة، والزكاة مفروضة والصوم كان مشروعاً، والبيت محجوجاً، والحلال بيّناً، والحرام بيّناً، والزكاة مفروضة، والشريعة متّسقة، وأحكامها مستتبة، فأيّ شيء غير ولاية العهد يستوجب من اللّٰه هٰذا التأكيد ويقتضي الحض علىٰ بلاغه بما يشبه الوعيد؟ وأيّ أمرٍ غير الخلافة

يخشىٰ النبي ﷺ الفتنة بتبليغه، ويحتاج إلى العصمة من أذىٰ الناس بأدائه؟

وقال في [ص ١٩٦ المراجعة: ٥٨]: ولو أراد مجرّد بيان فضله، والردّ علىٰ المتحاملين عليه، لقال ﷺ : هذا ابن عمي، وصهري، وأبو ولدي وسيد أهل بيتي، فلا تؤذوني فيه، أو نحو ذٰلك من الأقوال الدالة علىٰ مجرّد الفضل وجلالة القدر، على أنّ لفظ الحديث لا يتبادر إلىٰ الأذهان منه إلّا ما قلناه، فليكن سببه مهما كان، فإن الألفاظ إنما تحمل علىٰ ما تبادر إلىٰ الأفهام منها، ولا يلتفت إلىٰ أسبابها كما لا يخفىٰ.

وأمّا ذكر أهل بيته في حديث الغدير، فإنّه من مؤيّدات المعنى الذي قلناه، حيث قرنهم بمحكم الكتاب، وجعلهم قدوةً لأولي الألباب، فقال: «إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب اللّٰه وعترتي أهل بيتي»، وإنما فعل ذٰلك لتعلم الأمّة أن لا مرجع بعد نبيها إلّا إليهما، ولا معوّل لها من بعده الّا عليهما. وحسبك في وجوب اتّباع الأئمّة من العترة الطاهرة، اقترانهم بكتاب اللّٰه عزوجلّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكما لا يجوز الرّجوع الىٰ كتاب يخالف في حكمه كتاب اللّٰه سبحانه وتعالىٰ، لا يجوز الرجوع إلىٰ إمام يخالف في حكمه أئمّة العترة.

وقوله ﷺ : «إنّهما لن ينقضيا» أو «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» دليلٌ على أنّ الأرض لن تخلو بعده من إمام منهم، هو عدل الكتاب.

ومن تدبّر الحديث وجده يرمي إلى حصر الخلافة في أئمّة العترة الطاهرة، ويؤيّد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده [٥: ١٨٢، الحديث: ٢١٠٦٨] عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول اللّٰه ﷺ : «إنّي تاركٌ فيكم خليفتين، كتاب اللّٰه حبلٌ ممدودٌ ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلىٰ الأرض، وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وهذا نص في خلافة أئمّة العترة عليهم السلام. وأنت تعلم أنّ النصّ علىٰ وجوب اتّباع العترة نص علىٰ وجوب اتّباع علي، إذ هو سيد العترة لا يدافع، وإمامها لا ينازع، فحديث الغدير وأمثاله يشتمل على النصّ على عليّ، تارةً من حيث إنه إمام العترة المنزلة

من اللّٰه ورسوله منزلة الكتاب، وأُخرىٰ من حيث شخصه العظيم، وإنه وليّ كلّ من كان رسول اللّٰه وليّه. والسلام.

وقال في كتاب آخر له أيضاً المسمىٰ بـ«النص والاجتهاد» ما مضمونه: علىٰ أنّ حياة النبيّ ﷺ بعد النبوّة كانت مليئة مفعمة بتلك النصوص، منذ يوم الإنذار في دار أبي طالب، فما بعده من الأيام، حتّى سجّي ﷺ على فراش الموت والحجرة غاصةٌ بأصحابه، فقال: «أيها الناس يوشك أن اُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إني مخلفٌ فيكم كتاب اللّٰه عزوجل وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد علي فرفعها. فقال: هٰذا علي مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض».

ولكن لم يكد أن يغمض رسول اللّٰه ﷺ عينيه الشريفتين عن هذه الدار، إلّا وقد قضوا أمرهم بينهم، بدون أن يؤذنوا به أحداً من بني هاشم وأوليائهم وهم أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي والتنزيل، حتى كأنهم عليهم السلام لم يكونوا ثقل رسول اللّٰه ﷺ وأعدال كتاب اللّٰه عزوجلّ، وأمان الاُمة.

كما قال ﷺ: «أهل بيتي أمانٌ لاُمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلةٌ من العرب اختلفوا، فصاروا حزب إبليس» أخرجه الحاكم في المستدرك [٣: ١٤٩] وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وكأنّهم لم يكونوا سفينة نجاة الاُمّة، كما قال ﷺ: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوحٍ في قومه، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق» وفي روايةٍ: «ومن تخلّف عنها هلك»، وفي رواية: «ومن تخلّف عنها زجّ في النّار». أخرجه الحاكم في المستدرك [٣: ١٥١] بالإسناد إلىٰ أبي ذر الغفاري.

وكأنّهم لم يكونوا باب حطّة الاُمّة كما قال ﷺ فيما أخرجه الطبراني عن أبي سعيد قال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: «إنّما مثل أهل بيتي كسفينة نوحٍ، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة بني إسرائيل، من دخله غفر له».

وكأنّهم لم يكونوا من الأُمة بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العينين من الرأس، كما قال ﷺ فيما نقله الإمام الصبّان في كتابه «إسعاف الراغبين» والشيخ يوسف النبهاني في كتابه «الشرف المؤبّد» وغير واحد من الثّقات بالإسناد إلىٰ أبي ذر قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إجعلوا أهل بيتي منكم محلّ الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدي الرأس إلّا بالعينين».

أجل قضي الأمر في السقيفة، ورسول اللّه ﷺ لقىً بين عترته الطاهرة وأوليائهم ثلاثة أيامٍ وهم حوله، يتقطّعون حسراتٍ، ويتصعّدون من الزّفرات، قد أخذهم من الحزن ما تنفطر به المرائر، ومن الهمّ والغمّ ما يذيب لفائف القلوب، وأولئك في معزل عن المسجّى، ثلاثاً ـ بأبي وأمي ـ يرهفون لسلطانه عزائمهم، ويشحذون لملكه آراءهم، لم يهتمّوا في شيءٍ من أمره. حتى قضوا أمرهم مستأثرين به.

وما إن فاؤوا إلى مواراته حتى فاجأوا أولياءه وأحبّاءه بأخذ البيعة منهم، كما قال شاعر النّيل حافظ إبراهيم، [ممتدحاً لهذا الفعل الشّنيع، والعمل الفظيع، ما يسودّ به وجه التأريخ الإسلامي][(١)]:

وقــولةٌ لعــلي قــالها عــمر ... أكــرم بســامعها أعــظم بمــلقيها
حرقت دارك لا أُبقي عـليك بهـا ... إن لم تبايع و بنت المـصطفىٰ فـيها
ما كان غير أبي حـفصٍ بـقائلها ... أمـام فـارس عـدنان وحـاميها

فلو فرض أن لا نص بالخلافة علىٰ أحدٍ من آل محمد ﷺ وفرض كونهم مع هذا غير مبرّزين في حسب أو نسبٍ أو أخلاق، أو جهادٍ، أو علمٍ، أو عملٍ أو إيمانٍ أو إخلاصٍ، ولم يكن لهم السبق في مضامير كلّ فضل، بل كانوا كسائر الصحابة. فهل كان من مانع شرعيّ أو عقليّ أو عرفيّ يمنع من تأجيل عقد البيعة إلى فراغهم من تجهيز رسول اللّه ﷺ؟ ولو بأن يوكل حفظ الأمن إلى القيادة العسكريّة مؤقّتاً حتىٰ يستتب أمر الخلافة؟ أليس هذا المقدار من التريّث كان أرفق بأُولئك المفجوعين وهم وديعة النبي

(١) ما بين القوسين من قول المؤلف لا من قول الإمام شرف الدين ﵀.

لديهم، وبقيته فيهم؟

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام علىٰ علمٍ من تصميم القوم على صرف الأمر عنه، وأنّه لو نازعهم فيه لنازعوه. ولو قاتلهم عليه لقاتلوه، وإنّ ذٰلك يوجب التغرير في الدين والخطر بالاُمّة، فاختار الكفّ احتياطاً علىٰ الإسلام، وإيثاراً للصالح العام[١]، وتلك أمةٌ قد خلت لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت، غير أنّ من انطبعت في نفسه اللّين والرقّة، ليتأسّىٰ ويتأسّف من سماع تلك الحادثة، ويستدر منه العجب العجاب، إذ كان فيهم الصحابيّ الكبير مثل عمر بن الخطّاب.

وكان ما كان منه ما لا ينصور صدوره من أجهل مسلمٍ وأغلظهم قلباً، تجاه أهل بيتٍ كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يكرمهم إكراماً، ويحبهم أشد حبٍّ إلى غاية أن يقول فيهم: اللّهم إنّي أحبهم فأحبّهم وأحب من أحبّهم، وابغض من أبغضهم[٢]. وقال في كريمته الزهراء عليها السلام: «رضاي في رضاها وسخطي في سخطها»[٣].

علىٰ أنه ليس في الكتاب آية، ولا في الحديث رواية، تدلّ علىٰ وجوب بيعة أبي بكر حتى شدّد بها الكافة عليها تشديداً كاد أن يقضي إحراقه أكرم بيتٍ في الإسلام بعد بيت اللّه ورسوله.

فلعلّ ذلك من أدمغ الحجج التي يتوقّف بها بعضهم في القطع بصحّة خلافة أبي بكر، لأنّ مدار الصحة في نظرهم موقوفة علىٰ إجماع الاُمّة عليها، فتقوم الحجة قويّة علىٰ مبناها الرصين. واتّفقت مع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تجتمع اُمتي على ضلالٍ. وفي روايةٍ: على خطأ. ومع ما كان من ذٰلك فإن مما يؤيّد مبدأ المتوقّفين في صحة خلافة أبي بكر أن جماعةً من محقّقي علماء السنة قد منعوا صحّة صدور الحديث المذكور عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كما أخبرنا بذلك الأمير محمّد الكاظمي القزويني في كتابه (نقض الصواعق) [ص ٩٤ الطبعة الثانية] وإليك لفظه:

---

(١) إلىٰ هنا انتهىٰ كلام السيد شرف الدين قدس سره راجع النص والاجتهاد ص ٢٢ ـ ٣٠ ط. اُسوة.

(٢) راجع المعجم الكبير ٣: ٤٩ ط. دار الاحياء ـ بيروت.

(٣) راجع: الحاكم، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥٤ والإمامة والسياسة ص ٢٠.

إن أقوى ما تمسك به أهل السنة لإثبات خلافة أبي بكر هو دعواهم إجماع الأُمّة علىٰ اختياره ورضاهم به، وعزّزوا ذلك بما نقلوه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تجتمع أُمتي على ضلال. أو قال علىٰ خطأ» وقد أجمعوا عليه، فوجب أن يكون إجماعهم عليه صواباً. هذا تقرير كلام أهل السنة، ونحن إذا أثبتنا لك عدم صحة هذه الدعوى تمكنّا من إيقافك على القطع بعدم استحقاقه للخلافة.

أوّلاً: إن الحديث لم يصح صدوره عن النبي ﷺ في حالٍ، وقد منع صحّته جماعةٌ من محقّقي أهل السنة، منهم: النووي الشارح لصحيح مسلم، كما يأتي، وأنكره شيخ الاعتزال إبراهيم بن سيار النظام، على ما حكاه عنه عضد الملّة في شرحه لمختصر ابن الحاجب [١: ١٢٥] مع أنه من آحاد الخبر الذي لا يقتضي علماً ولا عملاً علىٰ ما صرّح به الآمدي في كتاب الاحكام [١: ٣١٥] والعضدي في شرح المختصر [١: ١٢٧].

ثانياً: لو فرضنا صحّته فإنّه يفيد أن جميع الأُمة لا تجتمع علىٰ ضلال، كما يقتضي الجمع المنكر المضاف في قوله: «أُمتي» وعليه إن أرادوا من الاجتماع المدعىٰ على إجماع جميع أُمة الإسلام على اختيار أبي بكر والرضا والقبول بخلافته، فذلك لم يقع ولم يحصل من جميع أهل المدينة، فضلاً عن بقية الأمصار الإسلامية الذين لهم حق الاختيار.

وإن أرادوا به اجتماع بعض الأُمة وهم أهل السقيفة على اختيار أبي بكر والرضا به، فذلك قطعاً لا يكون إجماعاً من جميع الأُمة على الرضا به، لكي يصحّ الاستدلال له بالحديث. ولم يكن المجمعون عليه في السقيفة منتخبين من بقيّة الأُمة، لكي يمثّلوهم في انتخابه شأن الانتخابات الحرّة لدى الأُمم الراقية في العصور الأُولىٰ وما بعدها إلى يومنا هذا.

ولا ريب أن إجماع بعض الأُمّة لا حجّة فيه لجواز الخطأ عليهم فيما اجتمعوا عليه، ولا دليل على حجّيته مطلقاً، كما أنه لا ينعقد بالواحد والاثنين من أهل الحلّ والعقد؛ إذ لو كانت الخلافة الشرعيّة تنعقد بواحدٍ أو اثنين من الرعيّة لجاز أن ينعقد في كلّ زمان و مكان ألف خليفة وزيادة، بأن اتفق جماعةٌ على واحدٍ، وجماعةٌ اخرىٰ علىٰ آخر وهلمّ

جرّا، وفي ذلك فساد الدنيا وخرابها.

وإن أرادوا به اتّفاق أهل الحلّ والعقد، فغير صحيح لوجهين:

الأول: أن أهل الحلّ والعقد هم بعض الأمة، ولا دليل على حجّية إجماعهم.

الثاني: أنه لم يحصل اتّفاق أهل الحلّ والعقد عليه، لخروج جماعةٍ كثيرةٍ منهم عن معقد ذلك الإجماع المزعوم، كعليّ بن أبي طالب﵇ وسائر بني هاشم، وأسامة بن زيد، والزبير بن العوام، وسلمان، وأبي‌ذر، والمقداد، وعمّار، وحذيفة، وخزيمة بن ثابت، وأبي بريدة الأسلمي، والبراء بن عازب، وأُبيّ بن كعب، وسهل بن حنيف، وأبي الهيثم بن التيهان، وسعد بن عبادة وابنه قيسٍ، وعثمان بن حنيف، وفروة بن عمرو، وورقة الأنصاري، وأبي أيوب الأنصاريّ، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبي سفيان بن حرب، وخالد بن كثير، وكثير غيرهم من وجوه المهاجرين والأنصار.

ولم يكن المبايعون لأبي بكر يومئذٍ سوىٰ خمسة نفر، أوّلهم عمر بن الخطاب والسابق إليها، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، وبشر بن سعيد، وأسيد بن الحصين. فلا إجماع حينئذٍ عليه.

وأن أرادوا الإجماع التدريجي على معنى وقوعه في أوقاتٍ متعدّدةٍ، فهو غير صحيح لأُمور:

الأول: أن مثل هذا الإجماع على فرض وجوده في إجماعهم، فهو مخالفٌ لما هو المعتبر في حقيقة الإجماع المصرّح به في كلمات علماء الأُصول بين أهل السنّة.

فهذا البيضاوي في منهاجه، والعضدي في شرحه على المختصر، وصاحب المأمول في علم الاصول محمّد صدّيق حسن [ص ٣٣] وغيرهم من علماء الأصول كلّهم يقولون: إنّه يعتبر في الإجماع الشرعي اتّفاق أهله على أمرٍ أو أُمورٍ في وقتٍ واحدٍ. إذ لو لم يكن كذلك احتمل رجوع المتقدّم قبل دخول المتأخّر. وطرو هذا الاحتمال موجبٌ لفساد الإجماع وبطلان الاحتجاج به.

الثاني: أن مثل هذا الإجماع لم يقع في إجماعهم، فإن سعداً لم يبايع أحداً حتّى قتل

بحوران، وهكذا تخلّف علي ﷺ عن بيعتهم ستّة أشهر.

الثالث: لو سلّمنا جدلاً، صحّة مثل هذا الإجماع، وسلّمنا كذلك حصوله فيه، ولكن اعتباره منوطٌ بدخول الباقين طوعاً، لا مع العلم باستظهار الأكثر وخوف الأقلّ، ودخوله فيما دخل فيه الأكثر كرهاً، كما وقع ذلك في إجماعهم.

فهذا المؤرّخ الكبير ابن عبدالبرّ يقول في استيعابه عند ذكره للبيعة: إن سعداً لم يبايع أحداً من أبي بكرٍ وعمر، ولم يقدروا إلزامه كما ألزموا غيره، لكثرة أقوامه من الخزرج، فخافوا فتنتهم، وتخلّف عن البيعة بنو هاشم، وفي طليعتهم علي بن أبي طالب وجماعة كثيرةٌ من قريش. وهكذا حكاه محمد حسنين هيكل في كتاب أبي بكر [ص ٦٥ و ٧٤]، فمثله لا يصلح أن يكون حجة شرعية يجب اتّباعها.

وقد أتى الإمام شرف الدّين الموسوي في المراجعة الثمانين من مراجعاته [ص ٢٤٥] بالبراهين الكافية والحجج القطعيّة، من البيانات العقلية والأدلّة المنطقيّة في شرح قوله ﷺ «لا تجتمع أُمتّي على الخطأ» ما لفظه:

إنّ المراد من قوله ﷺ لا تجتمع أمّتي على الخطأ، ولا تجتمع على الضلال، إنما هو نفي الخطأ والضلال عن الأمر الذي اشتورت فيه الأمّة فقرّرته باختيارها، واتّفاق آرائها، وهذا هو المتبادر من السنن لا غير، أمّا الأمر الذي يراه نفرٌ من الأمّة فينهضون به، ثمّ يتسنّىٰ لهم إكراه أهل الحلّ والعقد عليه، فلا دليل على صوابه، وبيعة السقيفة لم تكن عن مشورة، وإنّما قام بها الخليفة الثّاني، وأبو عبيدة، ونفرٌ معهما، ثم فاجأوا بها أهل الحلّ والعقد، وساعدتهم تلك الظروف على ما أرادوا.

وأبو بكر يصرّح بأنّ بيعته لم تكن عن مشورة ولا عن رويّة، وذلك حيث خطب الناس في أوائل خلافته معتذراً إليهم، فقال: «إن بيعتي كانت فلتةً، وقىٰ اللّه شرها، وخشيت الفتنة؛ وعمر يشهد بذلك علىٰ رؤوس الأشهاد في خطبةٍ خطبها على المنبر النبويّ يوم الجمعة في أواخر خلافته، وقد طارت كلّ مطير. وأخرجها البخاري في

صحيحه[١].

وإليك محلّ الشاهد منها بعين لفظه، قال: ثمّ إنه بلغني أنّ قائلا منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترّن امرؤٌ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكنّ الله وقىٰ شرها ـ إلى أن قال ـ: من بايع رجلاً عن غير مشورةٍ من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا[٢].

ومن المعلوم بحكم الضرورة من أخبارهم أن أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة لم يحضر البيعة أحدٌ منهم قط، وقد تخلّفوا عنها في بيت عليّ، ومعهم سلمان وأبو ذر، والمقداد، وعمّار، وخزيمة بن ثابت، وأبيّ بن كعب، وفروة بن عمرو بن ودقة الأنصاري، والبراء بن عازب، وخالد بن سعيد بن العاص الأمويّ، وغير واحد من أمثالهم. فكيف يتم الإجماع مع تخلّف هؤلاء كلّهم؟ وفيهم آل محمدٍ كافةً وهم من الأمة بمنزلة الرأس من الجسد، والعينين من الوجه، ثقل رسول الله وعيبته، وأعدال كتاب الله وسفرته، وسفن نجاة الأمة وباب حطتّها، وأمانها من الضّلال في الدّين وأعلام هدايتها، كما أثبتناه فيما أسلفناه[٣]، علىٰ أن شأنهم غني عن البرهان، بعد أن كان شاهده الوجدان.

وقد أثبت البخاري ومسلم في صحيحيهما: [صحيح البخاري ٣: ٣٩، وصحيح مسلم ٢: ٧٢] وغيرو احدٍ من اثبات السنن والأخبار، تخلّف علي عن البيعة، وأنه لم يصالح حتى لحقت سيّدة النّساء بأبيها صلّى الله عليه وآله، وذلك بعد البيعة بستة أشهر، حيث اضطرّته المصلحة الإسلاميّة العامة في تلك الظروف الحرجة إلى الصلح والمسالمة، والحديث في هذا مسندٌ إلى عائشة، وقد صرّحت فيه: أن الزهراء هجرت أبابكر، فلم تكلّمه بعد رسول الله، حتى ماتت، وأنّ عليّاً لمّا صالحهم، نسب إليهم الاستبداد بنصيبه من الخلافة، وليس في ذلك الحديث تصريحٌ بمبايعته إياهم حين الصلح، وما أبلغ حجته إذ قال مخاطباً لأبي بكر:

---

(١) صحيح البخاري ٤ : ١١٩، باب رجم الحبلى من كتاب الحدود والمحاربين. وتاريخ الطبري، أحداث سنة ١١ هـ.
(٢) صحيح البخاري ٨: ٢٦، كتاب المحاربين باب رجم الحبلىٰ ط. دار الفكر ـ بيروت.
(٣) المراجعات، المراجعة ٦ ـ ١٢.

فإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبيّ وأقرب
وإن كنت بالشورىٰ ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيّب

واحتجّ العباس بن عبد المطلب بمثل هذا علىٰ أبي بكر، إذ قال له في كلامٍ دار بينهما: فإن كنت برسول الله ﷺ طلبت، فحقّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت، فنحن منهم متقدّمون فيهم. وإن كان هذا الأمر إنّما يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين[1].

فأين الإجماع بعد هذا التصريح من عمّ رسول الله ﷺ وصنو أبيه، ومن ابن عمّه [ووليّه] وأخيه، ومن سائر أهل بيته وذويه؟

٣٦ ـ السيِّد محمّد بن محمّد الموسوي الحائري البحراني:

قال في كتابه «خلفاء الرسول» [ص ١٢٣]: إن نزول هذه الآية الكريمة ـ يعني آية التبليغ ـ في يوم الغدير عند منصرف النبي ﷺ من حجّة الوداع سنة (١٠) هجريّة مما أجمع عليه أئمّة أهل البيت وشيعتهم، وتسالم عليه معظم فطاحل علماء أهل السنّة في كتبهم المعتبرة، نقلاً عن كثير من الصحابة، كزيد بن أرقم، وأبي سعيد الخدري، وابن عبّاس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، والبراء بن عازب، وأبي هريرة، وغيرهم. وذكر فيه رواية الغدير نقلاً عن كتاب «الولاية» للطبري.

وذكر أيضاً في التعليقات من الكتاب [ص ١٢٥] أنه قال ابن الجوزيّ في كتابه «تذكرة الخواص» [ص ١٨]: اتّفق علماء السّير على أنّ قصّة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجّة الوداع، في الثامن عشر من ذي الحجة، جمع الصحابة وكانوا مئة وعشرين ألفاً، وقال ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه. الحديث. نص الرسول ﷺ على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة.

وقال السيّد المؤلّف في الكتاب المذكور في التعليقات [ص ١٢٧]: وممّا يضحك الثكلى هو ما قاله النبهاني في كتابه الخلافة [ص ١٠٢] من أنّ عليّاً عليه السلام لم يكن يوم الغدير

(١) الإمامة والسياسة ص ٢١ ط. مؤسسة الحلبي.

مع النبي، فإنّه كان باليمن، إلى آخر ما حاكه من نسيج الخيال.

فإن كلامه هذا لا يخلو من جهل شائن، أو كذبٍ مفترى، لأنك ـ مع صرف النظر عن هذا الجمع الغفير الذين رووا حديث الغدير من الحفّاظ وأئمة الحديث، الذين يكفي أن يكون قولٌ منهم حجراً يلقم به النبهاني ـ لا تجد أحداً من الأوّلين والآخرين مهما بلغت قيمته العلميّة يقول ولو على وجه الحكاية ما يدعم قول هذا الكذّاب، بل اتّفق كلّهم أجمعون أكتعون أبصعون، علىٰ أن عليّاً عليه السلام لحق بالرسول صلى الله عليه وآله في حجّته تلك، وحجّ معه حجّة الوداع.

إلى أن قال: وإنّي وإن كنت أزمعت في المقدّمة على أن لا أسوّد شيئاً من صحائف هذا الكتاب بذكر الخزايات الّتي سوّد بها النبهاني جبهة كتابه، وسوّد بها صحيفة تأريخه، لكنّي آثرت ذكر البعض، ليكون لدى القارئ نموذجاً من الأكاذيب الّتي اختلقتها مخيّلة هذا المصلح و أوهامه [يعني النبهاني].

٣٧ ـ السيد أمير محمّد الكاظمي القزويني:

قال في كتابه «نقض الصواعق» [ص ١٣٥ الطبعة الثانية]: قد يخطر علىٰ وهم الكثير ممّن لم يقفوا علىٰ الحقيقة ولم يدرسوها دراسةً صحيحةً على ضوء التّأريخ الصحيح وصحيح الحديث، فيقول: لماذا يا ترى لم يخاصم علي عليه السلام أبا بكر؟ ولماذا لم يحتجّ عليه وعلىٰ من بايعه يوم السقيفة بنصوص الخلافة؟ إن كان ثمّة نصوص تدلّ عليها. ولماذا لم يذكرها لهم وهو أعرف بمفادها من غيره؟ وكل أولئك أدلّةٌ علىٰ أنه كان راضٍ بتقديمهم عليه وأنه لا نصّ بالخلافة من النبي صلى الله عليه وآله عليه.

والجواب عن هذا:

أولاً: إن عدم نقل احتجاجه عليه السلام عليهم لا يكون دليلاً على عدم احتجاجه عليهم، لا سيما إذا علمنا أن الدواعي متوفّرة على ترك نقله، لمنافاته لما قامت عليه السقيفة، كما لا يكون ذلك علماً بعدمه، فكيف ينفىٰ ذلك مع وجوده؟

ثانياً: إن الذي تستريح إليه في إزاحة هذا الوهم هو: أنا نعلم وكل الناس يعلمون، أنّ عليّاً عليه السلام وسائر بني هاشم وجماعة من قريش لم يحضروا البيعة، ولم يدخلوا السقيفة، وكانوا منصرفين بكلّهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بين أيديهم جنازة. وما أن فرغوا من تجهيزه ومواراته في ضريحه الطاهر، حتى أكمل القوم أمرهم، فأبرموا البيعة وأجمعوا علىٰ منع كلّ قولٍ أو فعل يوهن تلك البيعة، أو يخدش في عقدها أو يدخل الاضطراب عليها.

فأين كان علي عليه السلام عمّا أبرموه وأحكموه في السقيفة؟ وأين هو حينئذٍ عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ومصافقيه حتى يحتج عليهم ويلزمهم بنصوص الخلافة؟ ومن أين يتسنّىٰ له أن يحتجّ عليهم بعد انعقادها؟ وقد سلك أُولو الأمر والنهي سبيل القوة والإرهاب مع المعارضين، ومطاردة الممتنعين عن بيعته بالشدّة والغلظة.

واستظهروا عليهم بالحول والطول، وبثّوا ذلك ونشروه في أقصى البلاد وأدناها، بل لا يؤمن علىٰ نفسه من القتل غيلة كما قتلوا سعداً كذلك، وادّعوا أنّ الجنّ قتلوه. بربّك قل لي أيها الحر المثقّف، هل يتسنّىٰ لأحدٍ في عصرنا الحاضر أن ينازع الحكومة القائمة ويقابلها بما يزيل سلطانها ويزيح دولتها؟ وهل يتركونه وشأنه لو حاول شيئاً من ذلك ولا يمسّونه بسوء؟ هيهات ذلك، فإن الأحوال يشبه بعضها بعضاً، ولا تزال الليلة أُختَ البارحة.

ثالثاً: إن الاحتجاج عليهم بنصوص خلافته إنما يحسن مع العلم بغفلة القوم عنها، وإنهم سيثوبون الى رشدهم، ويدفعون إليه ما ابتزّوه منه، ويعدلون إليه إن هو احتجّ بها عليهم، أمّا إذا علم أنّهم سمعوها ووعوها، ولكنّهم مصرّون علىٰ أخذ حقّه وقادمون على دفعه وهضمه، وباذلون في سبيلها كل نفيس وغال، فلا يؤثر الاحتجاج عليهم سوىٰ إثارة الفتنة وتفريق المسلمين وتمزيق كلمة الدّين، ونكوص العرب علىٰ أعقابهم، فكان ـ روحي فداه ـ يؤثر ضياع حقّه علىٰ بقاء الدّين في ذلك الظرف العصيب، إذ كان لا يؤمن فيها على بيضة الإسلام من التلاشي والتبدّد، ولأجل هذا و نحوه من الفتن الطاغية التي لولا سكوته عليه السلام عن مطالبتهم حقّه لدكّت صروح الدّين، واستأصلت شأفة المسلمين،

رأىٰ من الواجب أن يضحّي بحقّه في سبيل حياة الإسلام. وردّ عادية المنافقين الذين كانوا ينتهزون الفرصة حيناً بعد حين للوثوب عليه والقضاء علىٰ روحه.

أجل لقد أراد عليه السلام أن يحتفظ بحقّه وأراد الاحتجاج عليهم، ولكن بالشكل الذي لا يتفكّك به شمل الأُمّة، ولا تقع بينهم فتنةٌ يتخذها العدوّ ذريعة لمحق الإسلام وسحق الدّين، فلازم بيته حتّى أخرجوه قهراً وكرهاً من غير قتال، ولو أنّه أسرع إليهم لم يكمل له حجة، ولم ينبثق لها نورٌ، ولم يسطع لشيعته أي برهان، فكان ما فعله عليه السلام من حسن الصّنيع، جامعاً بين الاحتفاظ بحقه من الخلافة، والاحتياط علىٰ كلمة الدّين، إذ لم يجد له معيناً من الأُمّة يومئذٍ ولا مساعداً من القوم حتى يبوح بحجّته، ويدلي عليهم بنصوص خلافته، فرأى أنّ حفظ حوزة الإسلام ودفع عادية أعدائها موقوفان في تلك الظروف على الموادعة والمسالمة، دون المجادلة وإظهار العداء وسلّ السيف، إذ به ذهاب الدين بأصوله وفروعه[1].

ثمّ إنّنا إذا أمعنا النظر حول هذه القضيّة المؤسفة، وما جرى بين أمير المؤمنين علي عليه السلام وبين الجماعة وقتئذٍ رأينا أحوالاً غريبة، وأشياء عجيبة، لم تكن لها مظاهر بين الناس من قبل، مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كثيراً ما يلفظ ـ كما رواه الإمام أحمد في مسنده [١: ١٠٩] ـ بقوله: «وإن تؤمّروا عليّاً ـ ولا أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهديّاً يأخذ بكم الطريق المستقيم».

وروىٰ الخطيب البغدادي في تأريخه [١: ٤٧][2]: «وان ولّيتموها ـ يعني الخلافة ـ عليّاً وجدتموه هادياً مهديّاً يسلك بكم على الطريق المستقيم»، وفي رواية أبي داود: «أن تستخلفوه ولن تفعلوا ذٰلك، يسلك بكم الطريق المستقيم وتجدوه هادياً مهديّاً».

وفي حديث أبي نعيم في الحلية [١: ٦٤] عن حذيفة، قال: قالوا يا رسول اللّٰه: ألا تستخلف عليّاً؟ قال: «إن تولّوا عليّاً تجدوه هادياً مهديّاً يسلك بكم الطريق المستقيم».

---

(١) إلى هنا انتهى كلام السيد القزويني رحمه الله.

(٢) راجع: تأريخ بغداد ٣: ٣٠٢ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ، فإن لفظ الحديث يختلف وإليك لفظه: وإن ولّيتموها علياً فهادٍ مهتدي يقيمكم علىٰ صراط مستقيم، ثم نقل حديث ابن أبي السري: فهادٍ مهتدي يقيمكم على طريق مستقيم.

وفي لفظٍ آخر: «وإن تستخلفوا عليّاً ـ وما أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهديّاً يحملكم على المحجّة البيضاء».

وفي كنز العمّال [١١: ٦٣٠، ح ٣٣٠٧٢]: إن تستخلفوا علياً ـ وما أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهديّاً يحملكم على المحجّة البيضاء».

وفي المستدرك [٣: ١٤٢]: «إن ولّيتموها عليّاً فهادٍ مهدي يقيمكم على طريقٍ مستقيم».

وروى الخوارزمي في المناقب [ص ١١٤ ط. مؤسسة النشر الاسلامي] مسنداً عن عبدالله بن مسعود، قال: كنت مع رسول الله ﷺ وقد أصحر فتنفّس الصعداء فقلت: يا رسول الله مالك تنفّس؟ فقال: يابن مسعود، نعيت إليّ نفسي، فقلت: استخلف يا رسول الله. قال: من؟ قلت: أبا بكر، فسكت ثم تنفس، فقلت: مالي أراك تتنفّس يا رسول الله؟ قال: نعيت إليّ نفسي، فقلت: استخلف يا رسول الله قال: من؟ قلت: عمر بن الخطاب، فسكت ثم تنفّس، فقلت: مالي أراك تنفّس يا رسول الله؟ قال: نعيت إليّ نفسي، قلت: يا رسول الله استخلف قال: من؟ قلت: علي بن أبي طالب، قال: أوّه ولن تفعلوا إذاً أبداً، والله لئن فعلتموه ليدخلنّكم الجنّة.

فهذه الأحاديث وكثيرٌ من أمثالها تعطينا علماً وخبراً بعظيم اهتمام النّبي ﷺ بأمر الخلافة والولاية من بعده، حرصاً على سلامة اُمّته عن العدول عن الطريق المستقيم، ولكن القوم بعده كانوا كما قد علمنا، ولعلّ كل ما حدث عقيب وفاته ﷺ كان مصداق قوله ﷺ فيما أخرجه الحاكم في المستدرك [٣: ١٤٠] بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: أما إنك ستلقى بعدي جهداً، قال علي: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامةٍ من دينك. قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المضمون.

ثم إن القوم رأوا أن كلّ ما صدر من تلك الأفاعيل كانت اجتهاداً منهم واحتياطاً على الدين، فيا ليت شعري، كأن لم يكن في الناس بحّاثةٌ متقنون في الحساب، ورجالٌ

متبصّرون متحقّقون من أُولي الألباب، ما ينكشف بإشاراتهم عمّا في وراء الحجاب.

وأين كان يا ترى إشفاقهم وحرصهم علىٰ هذا الدّين في الأيّام الخالية؟ لا سيما في الساعات التي زاغت فيها الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. ولذلك قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة له حين سمحت له الظروف، وتمكّن له أن يبدي مما كان يلقاه منهم فيكظمه صبراً منذ أن ارتحل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملأ الأعلى.

وإليك لفظه نقلاً عن مناقب آل أبي طالب [٢: ٤٦ ط. النجف و ٢: ٢٠١ ط ايران] قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «ما لنا ولقريش؟ وما تنكر منا قريشٌ؟ غير أنا من أهل بيتٍ شيّد الله بنيانهم ببنياننا، وأعلى الله فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا الله عليهم فنقموا عليه أن اختارنا عليهم، وسخطوا ما رضي الله و أحبّوا ما كره الله، فلمّا اختارنا عليهم شركناهم في حريمنا، وعرّفناهم الكتاب والسنّة، وعلّمناهم الفرائض والسنن، وحفظناهم الصّدق واللين. وديّناهم الدّين والإسلام، فوثبوا علينا وجحدوا فضلنا ومنعونا حقنا، والتوونا أسباب أعمالنا وأعلامنا.

اللهم فإنّي أستعديك على قريش، فخذ لي بحقّي منها، ولا تدع مظلمتي لها، وطالبهم يا رب بحقّي فإنك الحكم العدل، فإن قريشاً صغّرت قدري، واستحلّت المحارم منّي، واستخفّت بعرضي وعشيرتي، وقهرتني على ميراثي من ابن عمّي، وأغروا بي أعدائي، ووتروا بيني وبين العرب والعجم، وسلبوني ما مهّدت لنفسي من لدن صباي بجهدي و كدّي، ومنعوني ما خلّفه أخي وحميمي وشقيقي، وقالوا إنّك لحريصٌ متّهم، بنا اهتدوا من متاه الكفر ومن عمىٰ الضلالة وغي الظلماء.

أليس أنقذتهم من الفتنة الظلماء، والمحنة العمياء؟ ويلهم ألم أخلّصهم من نيران الطغاة، وكره العتاة، وسيوف البغاة، ووطأة الأسد، ومقارعة الصماء، ومجادلة القماقمة. الذين كانوا عجم العرب، وغنم الحرب، وقطب الاقدام، وجبال القتال، وسهام الخطوب، وسل السيوف؟

أليس بي تسنّموا الشرف، ونالوا الحق والنصف؟ ألست آية نبوّة محمّدٍ، ودليل

رسالته، وعلامة رضاه وسخطه؟ الذي كان يقطع الدرع الدّلاص، ويصطلم الرّجال الحراص، وبي كان يبري جماجم البهم وهام الأبطال، إلى أن فزعت تيم إلى الفرار وعديّ إلى الانتكاص. أما وإنّي لو أسلمت قريشاً للمنايا والحتوف وتركتها لحصدتها سيوف الغواة، ووطأتها الأعاجم وكرّات الأعادي، وحملات الأعالي، وطحنتهم سنابك الصافنات، وحوافر الصاهلات، في مواقف الأزل والهزل، في طلاب الأعنّة، وبريق الأسنّة، ما بقوا لهضمي، ولا عاشوا لظلمي، ولما قالوا إنك لحريصٌ متّهم».

ثمّ قال بعد كلامٍ: «إنما أنطق لكم العجماء ذات البيان، وأفصح الخرساء ذات البرهان، لأنّي فتحت الإسلام، ونصرت الدّين، وعزّزت الرسول، وبنيت أعلامه، وأعليت مناره، وأعلنت أسراره، وأظهرت أثره وحاله، وصفيت الدولة، ووطأت الماشي والراكب، ثمّ قدتها صافيةً على أنّي بها مستأثر».

ثمّ قال بعد كلام: « سبقني إليها التيمي والعدوي، كسباق الفرس احتيالاً واغتيالاً وخدعةً وغيلةً ».

ثمّ قال بعد كلامٍ: « يا معشر المهاجرين والأنصار، أين كانت سبقة تيم وعدي إلى سقيفة بني ساعدة خوف الفتنة ؟. ألا كانت يوم الأبواء، إذ تكاثفت الصفوف، وتكاثرت الحتوف، وتقارعت السيوف ؟ أم هلّا خشيا فتنة الإسلام يوم ابن عبدودّ وقد نفح بسيفه، وشمخ بأنفه، وطمح بطرفه؟ ولم لم يشفقا على الدّين وأهله يوم بواط ؟ إذ اسودّلون الأفق، وأعوجّ عظم العنق، وأنحلّ سيف الغرق ! ولم لم يشفقا يوم رضوى ؟ إذ السّهام تطير، والمنايا تسير، والأسد تزأر ! وهلّا بادرا يوم العشيرة ؟ إذ الأسنان تصتك، والآذان تستك، والدروع تهتك ! وهلّا كانت مبادرتهما يوم بدرٍ ؟ إذ الأرواح في الصعداء ترتقي، والجياد في الصناديد ترتدي، والأرض من دماء الأبطال ترتوي ! ولم لم يشفقا على الدّين يوم بدر الثانية ؟ والدّعاس ترعب، والأوداج تشخب، والصدور تخضب ! وهلّا بادرا يوم ذات الليوث ؟ وقد أمح التّولب، واصطلم الشوقب، وأدلهمّ الكوكب ! ولم لا كانت شفقتهما على الإسلام يوم كدر؟ والعيون تدمع، والمنية تلمع، والصفايح تنزع !».

ثمّ عد وقائع النبي، وقرعهما بأنهما في هذه المواقف كلّها كانا مع النظارة.

ثم قال: « ما هٰذه الدهماء التي وردت علينا من قريش؟ أنا صاحب هذه المشاهد، وأبو هٰذه المواقف، وأين هذه الأفعال الحميدة ؟ » إلى آخر الخطبة....

قال الناشي:

فلم لم يثوروا ببدر وقد ... تبلت من القوم إذ بارزوكا

ولم عردوا إذ شجيت العدى ... بمهراس أحدٍ ولم نازلوكا

ولم أجمحوا يوم سلع وقد ... ثبتّ لعمرو ولم أسلموكا

ولم يوم خيبر لم يثبتوا ... صحابة أحمد واستركبوكا

فلاقيت مرحب والعنكبوت ... واسدٌ يحامون إذ وجهوكا

فدكدكت حصنهم قاهراً ... وطوحت بالباب إذ حاجزوكا

ولم يحضروا بحنين وقد ... صككت بنفسك جيشاً صكوكا

فأنت المقدم في كلّ ذاك ... فلله درك لم أخّروكا

ثمّ ذكر الشيخ المؤلّف في نفس المصدر [٢: ٤٨ ط. النجف و ٢: ٢٠٤ ط. ايران] نقلاً عن نهج البلاغة [الخطبة ١٧٢ مع اختلاف يسير]: «اللّهم إنّي استعديك علىٰ قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا علىٰ منازعتي أمراً هو لي، وكنت أولى به من غيري، ثم قالوا: ألا إن في الحقّ أن تأخذه وفي الحقّ أن تتركه[١]، فاصبر مغموماً أو مت متأسفاً، فنظرت فإذا ليس لي رافدٌ ولاذابٌّ ولا مساعدٌ إلّا أهل بيتي. فضننت بهم على المنيّة، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقي على الشجى، وصبرت على الأذى، وطبت نفسي علىٰ كظم الغيظ، وما هو أمرّ من العلقم، وآلم من حرّ الشّفار».

ثمّ ذكر فيه خطبته عليه السلام المشهورة المسمّاة بالشقشقيّة وقد ذكرناها في مجلّدنا الثاني من المقتطفات.

---

(١) الى هنا انتهىٰ الكلام في نهج البلاغة راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٣٠٥ ط. دار الاحياء ـ بيروت. وصبحي الصالح الخطبة ١٧٢ ط. قم.

وأمّا ما ذكره الإمام الفقيه ابن قتيبة، المولود سنة (٢١٣) والمتوفّ سنة (٢٧٦) في كتابه «الإمامة والسّياسة» [١: ١٨] ممّا قاله الإمام علي لمّا أُتي به إلى أبي بكر ليدخل فيما دخل فيه الناس طوعاً أوكرهاً، فقال عليه السلام:

أنا عبد اللّه وأخو رسوله، فقيل له: بايع أبا بكر، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي. أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم تأخذونه منّا أهل البيت غصباً؟ ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّدٌ منكم؟ فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به علىٰ الأنصار، نحن أولى برسول اللّه حيّاً وميّتاً فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلّا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال له عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع، فقال له علي: إحلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً، ثمّ قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أُبايعه. فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهك.

فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي كرم اللّه وجهه: يابن عمّ إنّك حديث السّنّ وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلّا أقوى علىٰ هذا الأمر منك، وأشد احتمالاً واضطلاعاً به. فسلّم لأبي بكر هذا الأمر، فإنك إن تعش ويطل بك بقاءٌ، فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيقٌ، في فضلك ودينك، وعلمك وفهمك، وسابقتك ونسبك وصهرك.

فقال علي كرّم اللّه وجهه: «اللّه اللّه يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمّدٍ في العرب عن داره وقعر بيته، إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فواللّه يا معشر المهاجرين، لنحن أحق النّاس به، لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب اللّه، الفقيه في دين اللّه، العالم بسنن رسول اللّه، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأُمور السيّئة، القاسم بينهم بالسّوية. واللّه إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل اللّه، فتزدادوا من الحقّ بعداً».

فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان.

قال: وخرج علي كرّم اللّه وجهه يحمل فاطمة بنت رسول اللّهﷺ على دابّةٍ ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النّصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرّم اللّه وجهه: أفكنت أدع رسول اللّهﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما اللّه حسيبهم وطالبهم.

٣٨ـ التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي:

روى شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الدين الحموينيّ بإسناده في فرائد السمطين [١: ٣١٢] في الفصل الأوّل في الباب الثامن والخمسين عن التابعي سليم بن قيس الهلالي، قال: رأيت علياً في مسجد رسول اللّهﷺ في خلافة عثمان وجماعة يتحدثون ويتذاكرون العلم والفقه، فذكروا قريشاً في فضلها وسوابقها وهجرتها، وما قال فيها رسول اللّهﷺ من الفضل مثل قولهﷺ: «الأئمّة من قريش». وقوله: «الناس تبع لقريش، وقريشٌ أئمّة العرب».

الى أن قال ـ بعد ذكر مفاخرة كلّ حي برجال قومه ـ: وفي الحلقة أكثر من مئتي رجل فيهم علي بن أبي طالبعليه السلام، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرّحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، والمقداد، وأبو ذرّ، وهاشم بن عتبة، وابن عمر، والحسن، والحسين، وابن عبّاس، ومحمّد بن أبي بكر، وعبد اللّه بن جعفر. [وكان في الحلقة] من الأنصار أُبي بن كعب، وزيد ابن ثابت، وأبو أيّوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيّهان، ومحمّد بن سلمة، وقيس بن سعد ابن عبادة، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وعبداللّه بن أبي أوفى، وأبو ليلى، ومعه ابنه عبدالرحمن قاعدٌ بجنبه غلامٌ صبيح الوجه أمرد، فجاء أبو الحسن

البصري ومعه ابنه الحسن البصري غلامٌ أمرد صبيح الوجه معتدل القامة، قال [سليم]: فجعلت أنظر إليه وإلىٰ عبدالرحمن بن أبي ليلى، فلا أدري أيّهما أجمل! غير أن الحسن أعظمهما، وأطولهما.

فأكثر القوم، وذلك من بكرةٍ إلى حين الزّوال، وعثمان في داره، لا يعلم بشيءٍ مما هم فيه، وعلي بن أبي طالب عليه السلام ساكتٌ لا ينطق، ولا أحدٌ من أهل بيته، فأقبل القوم إليه فقالوا: يا أبا الحسن ما يمنعك أن تتكلم؟

فقال: ما من الحيّين إلّا وقد ذكر فضلاً وقال حقّاً، فأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار، بمن أعطاكم اللّٰه هذا الفضل؟ بأنفسكم و عشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم؟ قالوا: بل أعطانا اللّٰه ومنّ علينا بمحمّد صلى الله عليه وآله وعشيرته لا بأنفسنا وعشائرنا ولا بأهل بيوتاتنا.

قال عليه السلام: «صدقتم يا معشر قريش والأنصار، ألستم تعلمون أنّ الذي نلتم من خير الدنيا والآخرة منا أهل البيت خاصة دون غيرهم؟ وأن ابن عمي رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله قال: إني وأهل بيتي كنا نوراً يسعىٰ بين يدي اللّٰه تعالىٰ قبل أن يخلق اللّٰه تعالىٰ آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف سنة، فلما خلق اللّٰه تعالىٰ آدم عليه السلام وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلىٰ الأرض، ثم حمله في السفينة في صلب نوحٍ عليه السلام ثمّ قذف به في النار في صلب إبراهيم عليه السلام ثمّ لم يزل اللّٰه تعالىٰ ينقلنا في الأصلاب الكريمة، إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلىٰ الأصلاب الكريمة من الآباء والأمهات، لم يلق واحد منهم علىٰ سفاحٍ قط»، فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بدرٍ وأهل أحدٍ: نعم قد سمعنا ذلك من رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال علي عليه السلام: «أنشدكم اللّٰه، أتعلمون أن [اللّٰه] عزوجلّ فضّل في كتابه السابق علىٰ المسبوق في غير آية، وأني لم يسبقني إلىٰ اللّٰه عز وجل وإلىٰ رسوله صلى الله عليه وآله أحدٌ من هذه الأمة» قالوا: اللّهم نعم.

قال: «فأنشدكم اللّٰه، أتعلمون حيث نزلت: ﴿ والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المهاجِرِينَ والأنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المقَرَّبُونَ﴾؟ [الواقعة: ١٠] سئل

عنها رسول اللّهﷺ فقال: أنزلها اللّه تعالى ذكره في الأنبياء وأوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء اللّه ورسله، وعلي بن أبي طالب وصيّي أفضل الأوصياء» قالوا: اللّهم نعم.

قال: «فأنشدكم اللّه، أتعلمون حيث نزلت: ﴿يا أيّها الذين آمَنُوا أطِيعُوا اللّه وأطيعُوا الرّسُول وَأولي الأمْرِ مِنْكُم﴾ [النساء: ٥٩] وحيث نزلت: ﴿إنّما وليّكم اللّه ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [المائدة: ٥٥] وحيث نزلت: ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم اللّه الذين جاهدوا منكم ولم يتّخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾؟ [التوبة: ١٦] قال الناس: يا رسول اللّه، أخاصةٌ في بعض المؤمنين أم عامةٌ لجميعهم؟ فأمر اللّه عزّوجلّ نبيه أن يعلّمهم ولاة أمرهم، و أن يفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجّهم، فنصبني للناس بغدير خمٍّ».

ثمّ خطب وقال: «أيها الناس، إن اللّه أرسلني برسالةٍ ضاق بها صدري، وظننت أن الناس مكذّبي. فأوعدني لأبلّغها أو ليعذّبني»، ثمّ أمرﷺ فنودي بالصلاة جامعة، ثم خطب فقال: «أيها الناس، أتعلمون أن اللّه عزّوجلّ مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم»؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه، قال: «قم يا علي»، فقمت، فقال: «من كنت مولاه فعلي هذا مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه».

فقام سلمان فقال: يا رسول اللّه ولاءٌ كماذا؟ قالﷺ: «ولاءٌ كولايتي من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه»، فأنزل اللّه تعالى ذكره: ﴿اَليَومَ أكْمَلْتُ لكُمْ دِينَكُم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾ الآية.. فكبر النبيﷺ وقال: «اللّه أكبر تمام نبوّتي، وتمام دين اللّه ولاية علي بعدي».

فقام أبو بكر وعمر، فقالا: يا رسول اللّه هؤلاء الآيات خاصّة في علي؟ قال: «بلىٰ فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة»، قالا: يا رسول اللّه بيّنهم لنا، قال: «علي أخي ووزيري، ووارثي ووصيّي وخليفتي في أمتي ووليّ كلّ مؤمنٍ بعدي، ثمّ ابني الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ تسعةٌ من ولد ابني الحسين واحدٌ بعد واحدٍ، القرآن معهم وهم مع القرآن،

لايفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض».

فقالوا كلهم: اللهمّ نعم قد سمعنا ذلك، وشهدنا كما قلت سواء. وقال بعضهم: قد حفظنا جلّ ما قلت ولم نحفظه كله، وهؤلاء الذين حفظوا أخيارنا وأفاضلنا. فقال علي: «صدقتم، ليس كلّ الناس يستوون في الحفظ».

قال علي عليه السلام: «أُنشد اللّه عزّوجلّ من حفظ ذٰلك من رسول اللّه صلى الله عليه وآله لما قام فأخبر به»، فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وسلمان، وأبو ذرّ، والمقداد، وعمار، فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول النبي وهو قائم علىٰ المنبر وأنت إلى جنبه، وهو يقول: «أيها الناس، إن اللّه عزّوجلّ أمرني أن أنصب لكم إمامكم، والقائم فيكم بعدي ووصيّي وخليفتي، والذي فرض اللّه عزّوجلّ علىٰ المؤمنين في كتابه طاعته، فقرنه بطاعته وطاعتي، وأمركم بولايته، وإنّي راجعت ربّي خشية طعن أهل النّفاق وتكذيبهم، فأوعدني لأبلّغها أو ليعذّبني».

«يا أيّها النّاس، إن اللّه أمركم في كتابه بالصلاة فقد بيّنتها لكم، والزكاة والصوم، والحجّ فبينتها لكم وفسّرتها، وأمركم بالولاية، وإنّي أُشهدكم أنها لهٰذا خاصة»، ووضع يده على عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «ثمّ لابنيه بعده، ثمّ للأوصياء من بعدهم من ولدهم، لايفارقون القرآن، ولايفارقهم القرآن حتى يردوا عليّ حوضي. أيها الناس، قد بيّنت لكم مفزعكم بعدي، وإمامكم ووليّكم ودليلكم وهاديكم. وهو أخي علي بن أبي طالب، وهو فيكم بمنزلتي فيكم، فقلّدوه دينكم وأطيعوه في جميع أُموركم، فإن عنده جميع ما علّمني اللّه من علمه وحكمته، فسلوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده، ولاتعلّموهم ولا تتقدموهم ولا تخلّفوا عنهم، فإنهم مع الحقّ والحق معهم، لا يزايلوه ولايزايلهم»، ثم جلسوا. الحديث.

٣٩ ـ العلّامة الكبير الأميني:

قال في كتابه الغدير [١: ٩] نقلاً عن الطبقات لابن سعدٍ [٣: ٢٢٥، و ٢: ١٧٢ ط. دار

الفكر - بيروت] و الامتاع للمقريزي [ص ٥١٠] وإرشاد السّاري في شرح صحيح البخاري لابن حجر [٦: ٤٢٩]:

أجمع رسول اللّٰهﷺ، الخروج إلى الحجّ في سنة عشر من مهاجره، وأذّن في النّاس بذلك، فقدم المدينة خلقٌ كثيرٌ يأتمّون به في حجته تلك التي يقال عليها حجّة الوداع، وحجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة الكمال، وحجة التمام، ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفّاه اللّٰه.

فخرجﷺ من المدينة مغتسلاً متدهّناً مترجّلاً متجرّداً في ثوبين صحاريّين، إزار ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليال أو ستّ بقين من ذي القعدة، وأخرج معه نساءه كلّهنّ في الهودج، وسار مع أهل بيته وعامة المهاجرين والأنصار، ومن شاء من قبائل العرب وأفناء الناس.

وعند خروجهﷺ أصاب النّاس بالمدينة جدري - بضمّ الجيم وفتح الدال - أو حصبةٌ منعت كثيراً من النّاس من الحجّ معهﷺ ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها إلّا اللّٰه تعالىٰ، وقد يقال: خرج معه تسعون ألف، ويقال: مئة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مئة ألف وعشرون ألفا. وقيل: مئة الف وأربعة وعشرون ألفاً. ويقال أكثر من ذلك، وهذه عدّة من خرج معه. وأمّا الذين حجّوا معه فأكثر من ذلك، كالمقيمين بمكّة والذين أتوا من اليمن مع علي أمير المؤمنين وأبي موسىٰ.

أصبحﷺ يوم الأحد بيلملم، ثمّ راح فتعشّى بشرف السيّالة، وصلّى هناك المغرب والعشاء، ثمّ صلّى الصبح بعرق الظبية، ثمّ نزل الروحاء، ثمّ سار من الروحاء فصلّى العصر بالمنصرف، وصلّى المغرب والعشاء بالمتعشّى وتعشّى به، وصلّى الصبح بالاثابة، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج واحتجم بلحى جمل - وهو عقبة الجحفة - ونزل السقياء يوم الأربعاء، وأصبح بالأبواء، وصلّى هناك، ثمّ راح من الأبواء، ونزل يوم الجمعة الجحفة، ومنها إلى قديد و سبت فيه، وكان يوم الأحد بعسفان، ثمّ سار فلمّا كان بالغميم اعترض المشاة فصفّوا صفوفاً، فشكوا إليه المشي، فقال: استعينوا بالنسلان (مشي سريع دون العدو) ففعلوا فوجدوا لذلك راحة، وكان يوم الإثنين بمرّ الظهران، فلم يبرح حتى أمسى

وغربت له الشّمس بسرفٍ، فلم يصلّ المغرب حتّى دخل مكّة، ولمّا انتهى إلى الثّنيّتين بات بينهما، فدخل مكّة نهار الثلاثاء.

فلمّا قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات، ووصل إلى غدير خمّ من الجحفة التي تتشعّب فيها طرق المدنييّن والمصريّين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثّامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرئيل الأمين عن اللّٰه بقوله: ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية، وأمره أن يقيم عليّاً علماً للنّاس، ويبلّغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطّاعة على كلّ أحدٍ.

وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة فأمر رسول اللّٰه ﷺ أن يردّ من تقدّم منهم ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمراتٍ خمسٍ متقاربات دوحاتٍ عظام أن لا ينزل تحتهنّ أحدٌ، حتّى إذا أخذ القوم منازلهم فقمّ ما تحتهنّ، حتّى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلّى بالناس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الرّمضاء، وظلّل لرسول اللّٰه بثوبٍ على شجرة سمرةٍ من الشّمس، فلمّا انصرف ﷺ من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال:

«الحمد للّٰه ونستعينه ونؤمن به، ونتوكّل عليه، ونعوذ باللّٰه من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا الذي لا هادي لمن ضلّ، ولا مضلّ لمن هدى. وأشهد أن لا إله إلّا اللّٰه، وأن محمّداً عبده ورسوله.

أما بعد: أيّها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلّا مثل نصف عمر الذي قبله، وإنّي أوشك أن أُدعىٰ فأجيب، وإنّي مسؤولٌ وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت، فجزاك اللّٰه خيراً.

قال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلّا اللّٰه، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأن اللّٰه يبعث من في القبور؟» قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «اللهم اشهد».

ثمّ قال: «أيها الناس ألا تسمعون؟» قالوا: نعم، قال: «فإنّي فرطٌ على الحوض،

وأنتم واردون علي الحوض، وأن عرضه ما بين صنعاء وبصرىٰ، فيه أقداحٌ عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين» فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول اللّٰه؟ قال: «الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزّوجلّ وطرف بأيديكم فتمسّكوا به ولا تضلّوا والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا».

ثمّ أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون فقال: «أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: اللّٰه ورسوله أعلم، قال: «إن اللّٰه مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه»، يقولها ثلاث مرّات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرّات، ثمّ قال: «اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه. وانصر من نصره. واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب».

ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي اللّٰه بقوله: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي** ﴾ الآية. فقال رسول اللّٰه ﷺ: «اللّٰه أكبر علىٰ إكمال الدّين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي، والولاية لعلي من بعدي»، ثمّ طفق القوم يهنّئون أمير المؤمنين صلوات اللّٰه عليه. وممّن هنّأه في مقدّم الصحابة: الشيخان أبو بكر و عمر كلّ يقول: بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة. وقال ابن عبّاس: وجبت واللّٰه في أعناق القوم، فقال حسان: إئذن لي يا رسول اللّٰه أن أقول في علي أبياتاً تسمعهنّ، فقال: قل علىٰ بركة اللّٰه، فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول اللّٰه في الولاية ماضية، ثمّ قال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ فأسمع بالرسول مناديا

هذا مجمل القول في واقعة الغدير، وسيوافيك تفصيل ألفاظها، وقد أصفقت الأمّة علىٰ هذا، وليست في العالم كلّه وعلى مستوى البسيط واقعة إسلاميّة غديريّة غيره، ولو أطلق يومه فلا ينصرف إلّا إليه. وإن قيل محلّه فهو هذا المحلّ المعروف علىٰ أُمم من الجحفة، ولم يعرف أحد من البحّاثة والمنقّبين سواه، نعم: شذّ عنهم ـ الدكتور ملحم إبراهيم

الأسود ـ في تعليقه على ديوان أبي تمام، فإنّه قال: هي واقعة حرب معروفة، ولنا حول ذلك بحث ضاف تجده في ترجمة أبي تمام من الجزء الثاني إن شاء اللّه.

وقد ذكر الشيخ المؤلّف في كتابه المذكور عدد طرق رواة الغدير، ما فاق بها الأئمّة البحّاثة من متقدّميه، وقد كان الإمام ابن حنبل فيما ذكره الشيخ من تعليقه [ص ١٤] قد روى حديث الغدير من أربعين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيّف وسبعين طريقاً، والجزري المقري من ثمانين طريقاً، وأبو بكر الجعابي من مئة وخمسة وعشرين طريقاً، وكان هو رضوان اللّه عليه قد ذكر رواة حديث الغدير من الصحابة مئة وعشرة صحابيّاً، ومن التابعين أربعة وثمانين تابعياً، وفي طبقات الرواة من أئمّة الحديث وحفّاظه والأساتذة المبرّزين في هذا الفنّ ثلاثمائة وستّون نسمة، ولذلك أشار بعضهم إلى كتابه القيّم «الغدير» ممتدحاً بقوله(١):

سألوني عن الغدير أناس ... أين كان الغدير قبل الأميني
قلت كان الغدير في سجن غيّ ... صفّدته قيود إفك ومين
وغدا في السجون من يوم خمّ ... يوم قال الإله أكملت ديني
قد أتاه الأمين لمّا دعاه ... مستعيناً فياله من معين
فجزاه الإله خير جزاء ... أوضح الحقّ في كتاب مبين
وإذا بالغدير بين يدينا ... فيه تبيان كلّ شيء دفين
فيه ما تشتهي النفوس وفيه ... ما تلذّ العيون رأي العيون
فرحة الصادقين فيه وفيه ... ترحة الكاذبين حقّ اليقين
يا كتاب الغدير أبهجت منّا ... مذ تلوناك كلّ قلب حزين
سوف يبقى بعزة الدهر نوراً ... خالداً في الوجود طول السنين
وسلام على المؤلّف سفر ... فاق فضلاً رجال كلّ القرون

* * *

(١) راجع الغدير ٩: ٣٩٩.

المبحث الثّاني

في قوله عزّوجل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ [الصافات: آية ٢٤].

قال الأعلام من أهل التّفاسير، وحفظة السّنن: كثرت الأقاويل، واختلف أهل التّأويل، في المعنى المراد به المسؤول عنه في هذه الآية الشّريفة، ومن جملة المعاني التي ذكروها في تفاسيرهم وتآليفهم، بأن المسؤول عنه غداً هو: ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام. وإليك من ذكر ذلك:

١ ـ الإمام الواحدي:

قال في كتابه أسباب النزول بعد ذكر حديث الغدير: هذه الولاية التي أثبتها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي مسؤولٌ عنها يوم القيامة، روي في قوله تعالى: ﴿وقفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولون﴾ أي عن ولاية علي عليه السلام وأهل البيت. والمعنى: أنّهم يسألون هل والوهم حقّ الموالاة كما أوصاهم النّبي صلى الله عليه وآله أم أضاعوها وأهملوها؟ فتكون عليهم المطالبة والتبعة.

وذكره أيضاً ابن حجر في الصّواعق [ص ٨٩] والزّرندي في نظم الدرر [ص ١٠٩] والسّيد الحبيب أبو بكر بن شهاب الدّين العلوي الحضرمي في كتابه رشفة الصادي [ص ٢٤].

٢ ـ الحمّوئي:

أخرج في فرائد السمطين [١: ٨١] من طريق الحاكم مسنداً عن عبد اللّه بن مسعود، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «أتاني ملكٌ فقال: يا محمّد! واسأل من أرسلنا من قبلك من

رسلنا على ما بعثوا؟ قال: قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية علي بـن أبي طالبٍ صلى الله عليهما.

وقال: روي عن عليﷺ أنّه قال: «جعلت الموالاة أصلاً من أصول الدّين».

وأخرج في [١: ٩٧] من طريق الحاكم مسنداً عن سفيان بن إبراهيم الحرنوي عن أبيه عن أبي صادق، قال: قال عليﷺ: «أُصول الإسلام ثلاثة، لا تنفع واحدة منهنّ دون صاحبها: الصلاة والزكاة والموالاة».

٣ ـ الآلوسي صاحب التفسير:

قال في تفسيره روح المعاني [٢٣: ٨٠ ط. دار الاحياء ـ بيروت] في قوله تعالى: ﴿وقفُوهم إنَّهُمْ مَسْؤولُون﴾ بعد ما أتى بأقوال فيها: وأولى هذه الأقوال أن السؤال عن العقائد والأعمال، ورأس ذلك: لا إله إلا اللّه، ومن أجلّه ولاية علي كرّم اللّهُ وجهه.

ومن طريق البيهقي عن الحاكم النّيسابوري بإسناده عن رسول اللّهﷺ: إذا جمع اللّه الأوّلين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط علىٰ جسر جهنّم لم يجزها أحد إلّا من كانت معه براءةٌ بولاية علي كرّم اللّه وجهه.

وأخرجه محب الدين الطّبري في الرياض النضرة [٢: ١٧٢].

٤ ـ ابن حجر:

قال في كتابه الصّواعق [ص ٨٩]: أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أنّ النبيّﷺ قال: «وقفوهم إنّهم مسؤولون عن ولاية علي»، وكان هذا هو مراد الواحدي بقوله: روي في قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولُون﴾ أي: عن ولاية علي وأهل البيت؛ لأنّ اللّه أمر نبيّه أن يعرّف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرّسالة أجراً إلاّ المودّة في القربى. والمعنى: إنّهم يسألون، هل والوهم حقّ المولاة كما أوصاهم النبيّﷺ أم أضاعوها وأهملوها؟ فتكون عليهم المطالبة والتبعة.

ولعل هذه التّفاسير المبيّنة للمعنى المراد بالآية الشّريفة إذا قورنت بحديث البراءة والجواز على الصّراط لاستبانت حقيقة الأمر جليّةً لاغبار فيها لمن كان له قلبٌ منصفٌ وبصيرةٌ منيرة، بل وازداد يقيناً علىٰ يقين بأن ليس معنىً من المعاني التي فسّر بها بعض المفسّرين من الأمور المسؤولة عنها بأكثر ملائمةً من معنى الولاية لإمير المؤمنين عليه السلام.

كقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الحافظ ابن السمان في الموافقة عن قيس بن حازم، قال: التقىٰ أبو بكر الصدّيق وعليّ بن أبي طالب، فتبسّم أبو بكر في وجه عليّ، فقال له: مالك تبسّمت؟ قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا يجوز أحدٌ الصراط إلّا من كتب له عليّ الجواز.

وقد ذكره المحبّ الطبري في الرّياض النضرة [٢: ١٧٧ و ٢٤٤] وابن حجر في الصّواعق [ص ٧٥] والصّبّان في إسعاف الراغبين [ص ١٧٦] بهامش نور الأبصار.

وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الحافظ الخوارزمي في المناقب [ص ٣٢٠ ط. قم] بإسناده عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة أقام اللّه عزّوجلّ جبرئيل و محمّداً علىٰ الصّراط، فلا يجوزه أحدٌ إلّا من كان معه براءةٌ من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وروى ابن المغازلي في المناقب [ص ١١٩ ط. طهران]: عليٌّ يوم القيامة علىٰ الحوض، لا يدخل الجنّة إلّا من جاء بجوازٍ من عليّ بن أبي طالب. وذكره القرشي في شمس الأخبار [ص ٣٦].

وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الحاكم كما رواه الطبري في الرّياض النّضرة [٢: ١٧٢] عن عليّ قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: إذا جمع اللّه الأوّلين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط علىٰ جسر جهنّم، لم يجز بها احدٌ إلّا من كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب.

وذكره الحمويني في فرائد السّمطين في الباب الرابع و الخمسين [١: ٢٨٩].

كما أخرجه الخوارزمي في المناقب [ص ٧١] عن الحسن البصري، عن عبد اللّه،

قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس، وهو جبل قد علا علىٰ الجنّة، وفوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تتفجّر أنهار الجنّة وتتفرّق في الجنان، وهو جالسٌ علىٰ كرسيّ من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحدٌ الصّراط إلّا ومعه براءةٌ بولايته وولاية أهل بيته، يشرف علىٰ الجنّة فيدخل محبّيه الجنّة ومبغضيه النّار.

ورواه الحمّوئي في كتابه فرائد السمطين في الباب الرّابع والخمسين [١: ٢٩٢].

وكذلك فيما أخرجه القاضي عياض في الشّفاء [ص ٤١ ط. العثمانية سنة ١٣١٢ و ٢: ٤٧ ط. دار الفكر ـ بيروت] عن النبيّ ﷺ أنّه قال: معرفة آل محمّد براءة من النّار، وحبّ آل محمّد جوازٌ على الصّراط، والولاية لآل محمّدٍ آمانٌ من العذاب.

ورواه ابن حجر في الصّواعق [ص ١٣٩] والشّبراوي في الإتحاف [ص ١٥] والحبيب أبو بكر بن شهاب الدّين في رشفة الصّادي [ص ٤٥٩].

ومعرفتهم كما قال بعض العلماء فيما ذكره القاضي عياض في الكتاب المذكور هي: معرفة مكانهم من النّبيّ ﷺ فإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقّهم وحرمتهم بسببه ﷺ. ثمّ ذكر بعده آية التّطهير وحديث: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»، وغير ذلك ممّا له علاقة بأهل البيت النّبوي من الفضائل ما جاءت بها السنن الثّابتة عن مصدر الرّسالة صلوات الله عليه وآله.

وكقوله ﷺ فيما أخرجه الخطيب البغدادي في تأريخه [٣: ١٦١ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت] عن ابن عبّاس قال: قلت للنّبيّ ﷺ: يا رسول الله للنّار جوازٌ؟ قال: نعم، قلت: وما هو؟ قال: حبّ علي بن أبي طالب.

٥ ـ ابن شهرآشوب:

أورد في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢: ١٥٢ ط. دار الأضواء] نقلاً عن كتاب ما نزل من القرآن في علي ﷺ للشّيرازي، وأبو معاوية الضّرير، عن الأعمش، عن مسلم البّطين،

عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: إذا كان يوم القيامة أمر اللّٰه مالكاً أن يسعّر النيران السّبع، وأمر رضوان أن يزخرف الجنان الثمانية، ويقول: يا ميكائيل مدّ الصراط على متن جهنم، ويقول: يا جبرئيل إنصب الميزان تحت العرش، ونادِ يا محمّد قرّب اُمتّك للحساب، ويأمر اللّٰه تعالىٰ أن يعقد على الصّراط سبع قناطر، طول كل قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ، وعلىٰ كلّ قنطرة سبعون ألف ملكٍ قيامٌ.

فيسألون هذه الاُمّة نساؤهم ورجالهم على القنطرة الاُولىٰ: عن ولاية علي بن أبي طالب وحبّ آل محمّد عليهم السلام، فمن أتى به جاز القنطرة الأولى كالبرق الخاطف، ومن لم يحب أهل بيت نبيّه سقط على اُمّ رأسه في قعر جهنّم، ولو كان له من أعمال البرّ عمل سبعين صدّيقاً.

وعلى القنطرة الثّانية: يسألون عن الصّلاة، وعلى الثّالثة: يسألون عن الزّكاة، وعلى القنطرة الرابعة: عن الصّيام. وعلى الخامسة: عن الحجّ، وعلى السّادسة: عن العدل. فمن أتى بشي من ذلك جاز كالبرق الخاطف، ومن لم يأت عذّب. وذلك قوله: ﴿وقفوهم إنّهُم مسؤولون﴾ يعني: معاشر الملائكة، وقفوهم. يعني: العباد على القنطرة الاُولىٰ عن ولاية علي وحبّ أهل البيت.

وسئل الباقر عليه السلام عن هذه الآية، فقال: «يقفون فيسألون ما لكم لا تناصرون في الآخرة كما تعاونتم في الدنيا علىٰ علي عليه السلام؟ قال: يقول اللّٰه: ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُون * وأقبَلَ بعضُهُمْ على بعضٍ يتساءَلون﴾ إلى قوله: ﴿مُجْرِمِين﴾».

قال ابن شهر آشوب: قال محمّد بن إسحاق. والشعبي، والأعمش، وسعيد بن جبير، وابن عبّاس، وأبو نعيم الأصفهاني، والحاكم الحسكاني، والنطنزي، وجماعة أهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿وَقِفوهُمْ إنَّهُمْ مَسْؤُولُون﴾ يعني: عن ولاية علي بن أبي طالب وحبّ أهل البيت عليهم السلام.

وعن الرضا عليه السلام: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قرأ: ﴿إنّ السّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ اُولئكَ كان عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الاسراء: ٣٦]، فسئل عن ذلك، فأشار إلى الثّلاثة، فقال: هم السّمع والبصر

والفؤاد. وسيسألون عن وصيّي هذا، وأشار إلىٰ علي بن أبي طالب، ثمّ قال: وعزّة ربّي إنّ جميع أمّتي لموقوفون يوم القيامة، ومسؤولون عن ولايته، وذلك قول اللّه تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾.

وفي تفسير وكيع بن سفيان، عن السدي في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] عن ولاية أمير المؤمنين، ثمّ قال: ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٣] عن أعمالهم في الدّنيا.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] يعني: الأمن، والصحّة، وولاية علي بن أبي طالب.

وروى الثّعلبي في تفسيره عن مجاهد عن ابن عبّاس، وأبو القاسم القشيري في تفسيره عن الحاكم الحافظ عن أبي برزة، وابن بطّة في الإبانة بإسناده عن أبي سعيد الخدري، كلّهم، عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتّى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت.

وفي أربعين المكّي وولاية الطبري: فقيل له: فما آية محبّتكم من بعدكم؟ فوضع يده على رأس عليّ وهو علىٰ جانبه، فقال: «إنّ حبّي من بعدي حبّ هذا».

وفي منقبة المطهّرين عن أبي نعيم: فقال عمر: ما آية حبّكم يا رسول اللّه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «حب هذا». ووضع يده على كتف عليّ وقال: «من أحبّه فقد أحبّنا، ومن أبغضه فقد أبغضنا».

وقال ابن عبّاس: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «والّذي بعثني بالحقّ، لا يقبل اللّه من عبده حسنة حتّى يسأله عن حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام».

٦ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٤: ٥٦٨ ط، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت] في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ : روى أنس بن مالك مرفوعاً، إنّهم مسؤولون عمّا دعوا إليه من البدع، وقيل: عن أعمالهم وخطاياهم، وقيل عن قول لا إله إلّا اللّه، وقيل: عن ولاية علي عليه السلام.

وفي ذلك قال الحميري:

أشهد بالله وآلائه — والمرء عمّا قاله يسأل
أنّ عليّ بن أبي طالب — خليفة اللّه الذي يعدل
وأنّه قد كان من أحمدٍ — كمثل هارون ولا مرسل
لكن وصيّاً خازناً عنده — علمٌ من اللّه به يعمل

وقال الصاحب بن عباد:

عليّ أمير المؤمنين خليفةٌ — شهدت له بالجنّة المتعاليه
وإنّي لأرجو من مليكي كرامةً — بحبّ عليّ يوم أُعطىٰ كتابيه

راجع: المناقب لابن شهرآشوب [٢: ٢٦٢ و٣: ٦٤ ط. دار الاضواء ـ بيروت].

※ ※ ※

المبحث الثّالث

في قوله عزّوجلّ: ﴿إنّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ والّذين آمنُوا الّذين يـقيمون الصّلاة ويُؤتُون الزّكاةَ وَهُمْ رَاكِعُون﴾ [المائدة: ٥٥].

دلّت الرّوايات المتواترة في كتب التفسير والحديث والفقه والكلام لفظاً ومعنى، على أنّ نزول الآية الكريمة في حقّ الإمام عليّ عليه السلام، ونصّ علىٰ صحّة تلك المرويات الأعاظم من الجمهور، من أهل التّفاسير وقادة السّنن الشّريفة، فنهم:

١ ـ الواحدي:

وقد روى هذا المفسّر الكبير في تفسيره أسباب النّزول [ص ١٤٨ ط. مصر سنة ١٣١٥] أنّ عبداللّه بن سلام أقبل ومعه نفرٌ من قومه وشكوا بُعد المنزل عن المسجد، وقالوا: إنّ قومنا لمّا رأوا أسلمنا رفضونا ولا يكلّمونا ولا يجالسونا ولا يناكحونا، فنزلت هذه الآية، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد فرأى سائلاً فقال: «هل أعطاك أحدٌ شيئاً؟ قال: نعم خاتم فضّة». وفي روايةٍ: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعطاكه؟ قال: أعطانيه هذا الرّاكع».

٢ ـ الثعلبي:

فقد أخرج في تفسيره السّائر الدّائر «الكشف والبيان» بإسناده عن أبي ذرّ الغفاري، قال: أما إنّي صلّيت مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله يوماً من الأيّام الظهر، فسأل سائلٌ في المسجد فلم يعطه أحدٌ شيئاً، فرفع السّائل يديه إلىٰ السّماء وقال: اللهمّ اشهد أنّي سألت في مسجد نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعطني أحدٌ شيئاً، وكان عليّ عليه السلام في الصّلاة راكعاً، فأومأ إليه

بخنصره اليمنى وفيه خاتمٌ، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبيّ ﷺ وهو في المسجد، فرفع رسول اللّه طرفه إلى السّماء وقال: اللهمّ إن أخي موسى سألك فقال: ﴿ربّ اشْرَحْ لي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لي أمرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهْلي * هَارُونَ أخي * اُشدد بهِ أزْري * وأشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾. فأنزلت عليه قرآناً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأخِيكَ ونَجْعلُ لَكُما سُلْطَاناً﴾ اللهم إنّي نبيّك وصفيّك، اللهم اشرح لي صدري ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً اشددبه ظهري.

قال أبو ذرّ ﵁: فما استتمّ دعاءه حتّى نزل جبرئيل ﵇ من عند اللّه عزّوجلّ وقال: يا محمّد اقرأ: ﴿إنّما وَلِيّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ والذين آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون﴾. راجع: إحقاق الحق [٣: ٥٠٤] عنه.

وروى فيه أيضاً عن أبي جعفر ﵇: أنّ رهطاً من اليهود أسلموا، منهم: عبد اللّه بن سلام، واُسيد، وبنيامين، وسلام، وابن صوريا، فقالوا: يا رسول اللّه أنّ موسى أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصيّك يا رسول اللّه؟ ومن وليّت بعدك؟ فنزلت هذه الآية، ثمّ قال رسول اللّه ﷺ: قوموا، فقاموا فأتوا المسجد، فإذا السائل خارجٌ، فقال ﷺ: «يا سائل ما أعطاك أحدٌ شيئاً؟» قال: نعم هذا الخاتم، قال: «من أعطاكه؟» قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلّي. قال ﷺ، «على أي حالٍ أعطاك؟» قال: راكعاً، فكبّر النبي ﷺ وكبّر أهل المسجد، فقال ﷺ: «علي بن أبي طالب وليّكم بعدي» فقالوا: رضينا باللّه ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيّاً، وبعلي وليّاً، فأنزل اللّه تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنّ حِزْبَ اللّهِ هُم الغَالِبُون﴾ [المائدة: ٥٦].

٣ ـ الشيرازي:

فقد روى في كتابه «ما نزل من القرآن في علي» نقلاً عن ابن شهرآشوب في مناقبه [٣: ٤ ط. دار الأضواء]: أنّه لمّا سأل السّائل وضعها على ظهره، إشارة إليه أن ينزعها، فمدّ

السّائل يده ونزع الخاتم من يده ودعا له، فباهى اللّه تعالى ملائكته بأمير المؤمنين، وقال: ملائكتي أما ترون عبدي؟ جسده في عبادتي، وقلبه معلّقٌ عندي، وهو يتصدّق بماله طلباً لرضاي. أُشهدكم أنّي رضيت عنه وعن خلفه، يعني ذرّيّته. ونزل جبرئيل بالآية.

قال ابن شهرآشوب: وفي المصباح: تصدّق به يوم الرابع والعشرين من ذي الحجّة. وفي رواية أبي ذر: كان عليه السلام في صلاة الظّهر. وروي أنّه كان عليه السلام في نافلة الظهر.

٤ ـ ابن شهرآشوب:

وهو الحافظ الشّهير محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندراني المتوفّى سنة (٥٨٨ هـ)، قال في كتابه مناقب آل أبي طالب [٣: ٤ ط. دار الأضواء] نقلاً عن أمالي ابن بابويه أنّه قال عمر بن الخطّاب: لقد تصدّقت بأربعين خاتماً وأنا راكعٌ لينزل فيّ ما نزل في علي بن أبي طالب فما نزل.

وذكر في كتابه المذكور نقلاً عن الواحدي في أسباب النّزول قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرسولَه﴾ يعني: يحبّ اللّه ورسوله ﴿ والّذين آمنوا﴾ يعني: عليّاً ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللّه﴾ يعني: شيعة اللّه ورسوله ووليّه ﴿ هُمُ الغَالِبُون﴾ يعني: هم الغالبون علىٰ جميع العباد. فبدأ عزّوجلّ في هذه الآية بنفسه، ثمّ بنبيّه، ثمّ بوليّه، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ إنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية.

وروى فيه نقلاً عن كتاب الكافي للكليني [١: ٤٢٧ ح ٧٧] عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: لمّا نزلت: ﴿ إنَّما وليُّكُمُ اللّهُ ورسُولُهُ والذينَ آمنوا﴾ اجتمع نفرٌ من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة، وقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ قال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنّا فإن هذه ذلّ حين يسلّط علينا علي بن أبي طالب، فقالوا: قد علمنا أنّ محمّداً صادقٌ فيما يقول، ولكنّا نتولاّه ولا نطيع عليّاً فيما أمرنا، فنزل: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ يعني: ولاية محمّد صلى الله عليه وآله ﴿ وأكثرهم الكافرون﴾ بولاية علي عليه السلام.

وذكر فيه أيضاً [٣: ٥ ـ ٦] ما ورد عن علي بن جعفر عن أبي الحسن عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ واذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ أوحى اللّٰه إليه: يا محمّد إني أمرت فلم أُطع فلا تجزع إذا أمرت فلم تُطع في وصيّك.

فقوله تعالى: ﴿وَالَّذِين آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ويؤتُون الزكاة وَهُمْ راكِعُون﴾ أثبت الولاية لمن جعله وليّاً لنا علىٰ وجه بالتخصيص[1]، ونفى معناها عن غيره، ويعني بوليّكم القائم بأُموركم ومن يلزمكم طاعته، وإذا ثبت ذلك ثبتت إمامته، لأن لا أحد يجب له التصرف في الأمّة وفرض الطاعة له بعد النّبي إلّا من كان إماماً لهم، وثبتت أيضاً عصمته، لأنّه سبحانه وتعالىٰ إذا أوجب له فرض الطّاعة مثل ما أوجبه لنفسه ولنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم اقتضى ذلك طاعته في كلّ شيءٍ، وهذا برهان عصمته، لأنّه لو لم يكن كذلك لجاز منه الأمر بالقبيح، فيقبح طاعته، وإذا قبحت كان تعالىٰ قد أوجب فعل القبيح، وفي علمنا أنّ ذلك لا يجوز عليه سبحانه وتعالى وذلك دليلٌ علىٰ وجوب العصمة.

قال خزيمة بن ثابت رضي الله عنه:

فديت علياً إمام الورى ... سراج البريّة مأوى التقى
وصيّ الرسول وزوج البتول ... إمام البريّة شمس الضحى
تصدّق خاتمه راكعاً ... فأحسنْ بفعل إمام الورىٰ
ففضّله اللّٰه ربّ العباد ... وأنزل في شأنه هل أتى

٥ ـ ابن كثير:

فقد ذكر تلك الإثارة في تفسيره[2] بعد ما فر وكرّ، وأثبت فيها أقوالاً وأنكر. وإليك قوله: فقد توهّم بعض النّاس أنّ هذه الجملة في موضع الحال من قوله: ﴿ ويؤتونَ الزكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون﴾ أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزّكاة في حال الركوع

(١) هكذا في الأصل، والصواب أنها على وجه التخصيص.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٧٣ ط. دار المعرفة ـ بيروت.

أفضل من غيره لأنه ممدوحٌ، وليس الأمر كذلك عند أحدٍ من العلماء ممّن نعلمه من أئمّة الفتوىٰ، وحتّى أنّ بعضهم ذكر في هذا أثراً عن علي بن أبي طالب وأنّ هذه الآية نزلت فيه، وذلك أنّه مرّ به سائلٌ في حال ركوعه فأعطاه خاتمه، وهو راكعٌ، فنزلت الآيـة: ﴿إِنَّمَا وليُّكُم اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالذين آمَنُوا الذِينَ يقيمون الصلاة ويُؤتُونَ الزكَاةَ وَهُم رَاكعُون﴾.

وقال ابن جرير: حدّثني الحارث، حدّثنا عبد العزيز، حدّثنا غالب بن عبداللّٰه، سمعت مجاهداً يقول في قوله تعالى: ﴿إنَّمَا وليُّكُم اللّٰهُ وَرَسُولُهُ﴾: نزلت في علي بـن أبي طالب، تصدّق وهو راكعٌ.

وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا الرّبيع بن سليمان المرادي، حدّثنا أيوب بن سويد، عن عتبة بن أبي حكيم في قوله تعالى: ﴿إنَّما وليُّكُمُ اللّٰهُ ورسولُهُ والذينَ آمَنُوا﴾ قال: هم المؤمنون وعلي بن أبي طالب.

وحدّثنا أبو سعيد الأشج، حدّثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول، حدّثنا موسى ابن قيس الحضرمي عن سلمة بن كهيل قال: تصدّق عليّ بخاتمه وهو راكع فنزلت: ﴿إنّما وَلِيُّكُم اللّٰهُ وَرَسُولُه﴾ الآية.

وقال عبد الرّزاق: حدّثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ: ﴿إنّما وليُّكُم اللّٰهُ وَرَسُولُه﴾ الآية نزلت في علي بن أبي طالب.

وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثّوري عن أبي سنان عن الضّحّاك عن ابن عبّاس، قال: كان علي بن أبي طالب قائماً يصلّي فمرّ سائلٌ وهو راكعٌ، فأعـطاه خـاتمه، فنزلت ﴿إنّما وَلِيُّكُم اللّه ورسوله﴾ الآية، قال: الضّحّاك لم يلق ابن عبّاس.

وروى ابن مردويه أيضاً عن محمّد بن السّائب الكلبي، قال: وهو متروك، عن أبي صالح عن ابن عبّاس، قال: خرج رسول اللّٰه ﷺ إلى المسجد و النّاس يصلّون بين راكع وساجد وقائم وقاعد، وإذا مسكينٌ يسأل، فدخل رسول اللّٰه ﷺ فقال: «أعطاك أحدٌ شيئاً؟» قال: نعم، قال: «من؟» قال: ذلك الرّجل القائم، قال: «على أي حالٍ أعطاكه؟» قال: وهو راكعٌ، قال: وذلك علي بن أبي طالب، قال: فكبّر رسول اللّٰه ﷺ عند ذلك

وهو يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ وَرَسولَهُ وَالذِينَ آمَنُوا فإنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الغَالِبُون﴾.

قال ابن كثير: وهذا إسنادٌ لا يقدح به.

ثمّ ذكر ما رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب ﷺ نفسه، وعمّار بن ياسر، وأبي رافع، وقال: وليس يصحّ منها شيء بالكليّة، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها.

ثمّ روى بإسناده عن ميمون بن مهران، عن ابن عبّاس في قوله: ﴿إنّما وَليُّكُم اللّٰهُ ورسوله﴾ الآية، أنها نزلت في المؤمنين، وعليّ بن أبي طالب أوّلهم.

ثمّ أورد ما قاله ابن جرير: حدّثنا هنّاد، حدّثنا عبدة عن عبدالملك، عن أبي جعفر، قال: سألته عن هذه الآية: ﴿إنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ والذين آمنوا الذين يُقيمونَ الصلاة ويُؤتُونَ الزَّكَاةَ وهم رَاكِعُون﴾ قلنا: من الذين آمنوا؟ قال: الّذين آمنوا، قلنا: بلغنا أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب. قال: علي من الذين آمنوا.

وقال أسباط عن السّدّي: نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب مرّ به سائلٌ وهو راكعٌ في المسجد فأعطاه خاتمه.

ثمّ قال في الأخير: وقد تقدّم في الأحاديث التي أوردناها أنّ هذه الآيات كلّها نزلت في عبادة بن الصّامت حين تبرّأ من حلف اليهود. إلى آخر كلامه.

أقول: ما أحسب النّابه البصير فيما اعترض به ابن كثير، ومن قوله باختصاص الآية بعبادة بن الصّامت أو ببعض المؤمنين. إلّا استنكره من وجوهٍ، وذلك كما قاله ابن شهرآشوب في مناقبه [٣: ٥ ط. دار الأضواء]:

١ ـ واختصاص الآية ببعض المؤمنين حيث وصفهم بإيتاء الزكاة يوجب خروج من لم يؤتها.

٢ ـ ومن حيث خصّ إيتاؤهم بحال الركوع، ولم يحصل ذلك لجميع المؤمنين.

٣ ـ ومن حيث نفي الولاية عن غير المذكورين في الآية بإدخال لفظة «إنّما» وإيتاء الزكاة في حال الركوع لم يدع لأحدٍ غير عليّ.

ولا مندوحة لابن كثير في صرف معنى الآية إلى غير عليﷺ إلاّ باستفظاعه عمل المتصدّق في حال الركوع حتّى رمى من قال: إنّ جملة الآية في موضع الحال بالوهم. كما مرّت عبارته. والله أعلم.

٦ـ الزّمخشري:

وهو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، المولود سنة (٤٦٧) والمتوفّى سنة (٥٣٨) قال في تفسيره الكشّاف [١: ٦٤٨ ـ ٦٤٩ ط. قم] في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ : ومعنىٰ ﴿إنَّما﴾ : وجوب اختصاصهم بالموالاة ﴿والذين يُقيمُون﴾ محلّه على البدل من الذين آمنوا، أو على ﴿هُمُ الذين يُقيمون﴾ وقال في ﴿وهُمْ رَاكعون﴾ : الواو فيه للحال، أي: يعملون ذلك في حال الركوع، وهو الخشوع والإخبات والتواضع للّه إذا صلّوا وإذا زكّوا.

وقيل: هو حال من يؤتون الزكاة، بمعنى: يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وإنها نزلت في علي كرّم اللّهُ وجهه، حين سأله سائلٌ وهو راكعٌ في صلاته، فطرح له خاتمه كأنّه كان مرجاً في خنصره، فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته.

فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعليﷺ واللّفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السّبب رجلاً واحداً، ليرغب النّاس في مثل فعله، فينالوا مثل ثوابه، ولينبّه علىٰ أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون علىٰ هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقّد الفقراء، حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التّأخير وهم في الصلاة لم يؤخّروه إلى الفراغ منها.

٧ـ الشوكاني:

وهو الشيخ الكبير محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني، المتوفّىٰ بصنعاء سنة

(١٢٥٠هـ) صاحب التّفسير المسمّى بـ«فتح القدير» وقد ذكر هذه الإثارة عن الخطيب في المتّفق والمفترق عن ابن عبّاس، قال: تصدّق عليّ وهو راكع، فقال النبي ﷺ للسّائل: «من أعطاك هذا الخاتم؟» قال: ذلك الرّاكع، فأنزل اللّه فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية.

قال: وأخرج عبد الرزّاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عبّاس، قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

قال: وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر عن علي بن أبي طالب نحوه.

قال: وأخرج الطبراني بسند فيه مجاهيل عنه نحوه[1].

٨ ـ الشّبلنجي:

وهو الشّيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي من علماء القرن الثالث عشر، وقد ذكر هذه الإثارة في كتابه (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار) [ص ٨٦ ط. دار الفكر].

قال: وقد ورد في فضله آياتٌ وأحاديث جمّة، نقل الواحدي في كتابه المسمّى بـ«أسباب النزول»، عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال: صلّيت مع رسول اللّه ﷺ يوماً من الأيّام الظهر، فسأل سائلٌ في المسجد فلم يعطه أحدٌ شيئاً فرفع السائل يديه الىٰ السماء وقال: اللهم إنّي سألت في مسجد نبيّك محمد ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي ﷺ في الصّلاة راكعاً. فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيها خاتمٌ، فأقبل السّائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبي ﷺ وهو في المسجد، فرفع رسول اللّه ﷺ طرفه إلى السّماء وقال: «اللهم إن أخي موسىٰ سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرح لي صدري * ويسّر لي أمري * واحْلُلْ عقدَة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهْلِي * هارُونَ أخِي * اشدُدْ بِهِ أزْرِي * وأشْركهُ في أمري﴾. فأنزلت عليه قرآناً: ﴿سنشدّ عَضُدَكَ

(١) فتح القدير ٢: ٥٣.

بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾.

اللهم وإني محمّدٌ نبيّك وصفيّك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً اشدد به ظهري. قال أبو ذر: فما استتمّ دعاءه حتّى نزل جبرئيل من عند الله عزّوجلّ وقال: يا محمّد اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّه ورسوله والذين آمنوا الَّذِينَ يُقيمونَ ا لصَّلاة وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وهم راكعون﴾.

٩ ـ النّيسابوري:

وهو العلّامة نظام الدّين الحسن بن محمّد بن حسين القمي صاحب التفسير المسمّى بـ «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» المطبوع في هامش تفسير الطّبري عند قوله: القول الثاني: يعني: من معنى ﴿وهم راكعون﴾ إن المراد شخصٌ معيّنٌ، وجيء على لفظ الجمع ليرغب النّاس في مثل فعله، ثمّ إنّ ذلك الشخص الذي روي عن عكرمة هو: أبو بكر.

وروى عطاء عن ابن عبّاس عن علي أنّ عبدالله بن سلام قال: لمّا نزلت هذه الآية، قلت: يا رسول الله أنا رأيت عليّاً تصدّق بخاتمه على محتاج وهو راكعٌ فنحن نتولّاه.

وروى عن أبي ذرّ أنّه قال: صلّيت مع رسول الله يوماً صلاة الظهر، إلى آخر الحديث الذي ذكرناه فيما رواه الثعلبي والشبلنجي.

١٠ ـ الطبري:

ذكر الإثارة في تفسيره الكبير الشهير المسمّى بـ «جامع البيان» [٤: ٦٢٨ ط. دار الكتب العلمية] عند تفسير قوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يُقيمُون الصّلاةَ ويُؤْتُونَ الزكاة وهم راكعون﴾: قال: إنّ أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به، فقال بعضهم: عني به علي بن أبي طالب، وقال بعضهم: عني به جميع المؤمنين.

ثمّ أخرج حديثاً بإسناده عن السّدّي قال: ثمّ أخبرهم بمن يتولّاه، فقال: ﴿إنّما

وليُّكُم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ هؤلاء جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب مرّ به سائلٌ وهو راكعٌ في المسجد فأعطاه خاتمه.

وأخرج أيضاً بإسناده عن عبدة عن عبد الملك عن أبي جعفر، قال: سألته عن هذه الآية: ﴿إنّما وليُّكُمُ اللّه ورسوله والذين آمنوا الذين يقمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ قلت: من الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا، قلت: بلغنا أنّها نزلت في علي بن أبي طالب؟ قال: عليّ من الذين آمنوا.

وأخرج أيضا بإسناده عن غالب بن عبيد اللّه، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم اللّه ورسوله﴾ الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب تصدّق وهو راكع.

١١ ـ الإمام شرف الدّين الموسوي:

قال في التّعليقات من كتابه المراجعات [ص ٤١] في المراجعة الثانية عشرة الّتي جرت بينه وبين شيخ الأزهر يومئذٍ وهو الشيخ سليم البشري: أجمع المفسّرون ـ كما اعترف القوشجي وهو من أئمّة الأشاعرة في مبحث الإمامة من كتابه (شرح التجريد) ـ علىٰ أنّ هذه الآية نزلت في عليّ حين تصدّق راكعاً في الصّلاة. وأخرج النسائي في صحيحه عن عبد الله بن سلام أنّ نزولها في عليّ، وأخرج نزولها فيه أيضاً صاحب الجمع بين صحاح السنّة في تفسير سورة المائدة. وأخرج الثّعلبي في تفسيره الكبير نزولها في أمير المؤمنين.

وقال في [ص ١٥٦ من المراجعة ـ ٤٠ ـ] من نفس المصدر: وحسبك ممّا جاء نصّاً في هذا من غيرهم ـ يعني غير العترة الطاهرة ـ فذكر طرق الحديث إلى أن قال: وإن شئت فراجعه في كنز العمّال [٦: ٤٠٥] على أنّ نزولها في عليّ ممّا أجمع عليه المفسّرون، وقد نقل إجماعهم هذا غير واحد من أعلام أهل السنّة.

وقال أخيراً: ومع ذلك فإنّا لا ندع مراجعتنا خاليةً ممّا جاء فيها من حديث الجمهور، مقتصرين على ما في تفسير الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم النيسابوري التعلبي، فنقول: أخرج عند بلوغه هذه الآية في تفسيره الكبير بالإسناد إلى أبي ذرّ الغفاري، قال: سمعت رسول اللهﷺ بهاتين وإلّا صمّتا، ورأيته بهاتين وإلّا عميتا، يقول: عليّ قائد البررة، قاتل الكفرة، منصورٌ من نصره، مخذولٌ من خذله، أما إنّي صلّيت مع رسول اللهﷺ يوماً من الأيام، فساق الحديث الّذي مرّ عن الثعلبي.

وذكرها جمعٌ من أعلام الأُمّة غيرهم، كالآلوسي في تفسيره روح المعاني [٦: ١٦٧ ط. دار الاحياء ـ بيروت] أوردها بإسنادٍ متّصل.

والأردبيلي الشهير بابن حيّان وهو أبو عبد الله محمّد بن يوسف الجياني الغرناطي الأندلسي النحوي المتوفّى سنة (٧٥٤) ذكرها في تفسيره البحر المحيط [٣: ٥١٣ وفي ط. الحلبي ٢: ٥٣ وفي ط. دار الفكر ٤: ٣٠٠].

وذكرها الإمام جلال الدّين السيوطي المتوفّى سنة (٩١١) في كتاب لباب النقول، الطبعة الثّانية بمطبعة مصطفى الحلبي، وفي تفسيره الدرّ المنثور [٢: ٢٩٣].

والمحدّث الكبير محب الدين الطبري المتوفّى سنة (٦٩٣) في كتاب ذخائر العقبى [ص ٨٨ ط. مكتبة القدسي بالقاهرة] وفي كتابه الرّياض النّضرة [٢: ٢٢٧].

والعلّامة المحدّث الشّهير بالكنجي الشافعي المتوفّى سنة (٦٥٨) ذكر الإشارة في كتابه كفاية الطالب في الباب الحادي والستّين [ص ١٠٦ ط. النجف وص: ٢٢٩ ط. قم].

والخطيب البغدادي المتوفّى سنة (٤٦٣) كما ذكر في تفسير الخازن [١: ٤٧٥ ط. مصر].

والرازي الحنفي وهو الشيخ أبو بكر أحمد بن علي المتوفّى سنة (٣٧٠) في تفسيره [٢: ٥٤٣ ط. القاهرة بالمطبعة البهيّة].

والقرطبي وهو العلّامة الشيخ محمّد بن أحمد الأنصاري ذكرها في كتابه الجامع لأحكام القرآن [٦: ٢٢١ ط. مصر].

والبيضاوي صاحب التّفسير الدّائر، ذكرها فيه [١: ٣٤٥، أو ٢: ١٥٦].

والإمام ابن حجر ذكرها في كتابه الصّواعق [ص ٢٤].

والطبرسي رواها في تفسيره مجمع البيان في سبب النزول، ثمّ فسّرها وبيّنها بياناً شافياً وافياً.

١٢ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٢: ٢١١ ط. ايران و ٢٦٤ ط. مؤسسة التأريخ العربي بيروت]:

وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحّة إمامة عليّ بعد النّبيّ ﷺ بلا فصلٍ، والوجه فيه أنّه إذا ثبت أنّ لفظة «وليّكم» تفيد من هو أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم، وثبت أنّ المراد بالّذين آمنوا: عليّ، ثبت النّص عليه بالإمامة ووضح، والّذي يدلّ على الأوّل هو الرجوع إلى اللغة. فمن تأمّلها علم أنّ القوم نصّوا على ذلك، وقد ذكرنا قول أهل اللّغة فيه قبل، فلا وجه لإعادته.

ثم الّذي يدلّ على أنّها في الآية تفيد ذلك دون غيره أنّ لفظة «إنّما» على ما تقدّم ذكره تقتضي التخصيص ونفي الحكم عمّن عدا المذكور، كما يقولون: إنّما الفصاحة للجاهليّة، يعنون نفي الفصاحة عن غيرهم. وإذا تقرّر هذا لم يجز حمل لفظة الوليّ على الموالاة في الدين والمحبّة، لأنّه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمنٍ دون مؤمن آخر، والمؤمنون كلّهم مشتركون في هذا المعنى كما قال سبحانه: ﴿ والمؤمِنُونُ والمُؤمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ وإذا لم يجز حمله على ذلك، لم يبق إلّا الوجه الآخر وهو التحقّق بالأمور وما يقتضي فرض الطّاعة على الجمهور؛ لأنه لا محتمل للفظه إلّا الوجهان، فإذا بطل أحدهما ثبت الآخر.

والّذي يدلّ على أنّ المعنيّ بـ«الذين آمنوا» هو عليّ، الرواية الواردة من طريق العامّة والخاصّة بنزول الآية فيه لمّا تصدّق بخاتمه في حال الركوع. وقد تقدّم ذكرها. وأيضاً فإنّ كلّ من قال إنّ المراد بلفظة «وليّ» ما يرجع إلى فرض الطّاعة والإمامة، ذهب

إلىٰ أنّه هو المقصود بالآية والمتفرّد بمعناها، ولا أحد من الأمّة يذهب إلى أن هذه اللّفظة تقتضي ما ذكرناه ويذهب إلى أنّ المعنيّ بها سواه.

وليس لأحدٍ أن يقول انّ لفظ «الذين آمنوا»، لفظ جمع، فلا يجوز أن يتوجّه إليه علىٰ الانفراد، وذلك أنّ أهل اللّغة قد يعبّرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التّفخيم والتعظيم، وذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه، وليس لهم أن يقولوا: إنّ المراد بقوله: ﴿ وهُمْ رَاكِعُون﴾ إن هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالاً لإيتاء الزكاة، وذلك لأن قوله: ﴿ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ قد دخل فيه الركوع، فلو لم يحمل قوله: ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ علىٰ أنّه حال من يؤتون الزّكاة، وحملناه على من صفتهم الركوع كان ذلك كالتكرار غير المفيد، والتأويل المفيد أولى من البعيد الّذي لا يفيد.

ووجهٌ آخر في الدّلالة علىٰ أن الولاية في الآية مختصة، أنه سبحانه قال: ﴿ إنَّما وَليُّكُمُ اللّٰهُ﴾ فخاطب جميع المؤمنين، ودخل في الخطاب النّبيﷺ وغيره، ثمّ قال: ﴿ وَرَسُولُه﴾ فأخرج النبيﷺ من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته، ثمّ قال: ﴿ والّذين آمنوا﴾ فوجب أن يكون الذي خوطب بالآية غير الّذي جعلت له الولاية، وإلّا أدّىٰ إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه، وإلى أن يكون كل واحدٍ من المؤمنين وليّ نفسه، وذلك محال.

واستيفاء الكلام في هذه الباب يطول به الكتاب، فمن أراده فليطلبه من مظانّه.

قال الواحدي: واستدلّ أهل العلم بهذه الآية علىٰ أنّ العمل القليل لا يقطع الصّلاة، وأن دفع الزكاة إلى السّائل في الصّلاة جائز مع نيّة الزكاة ﴿ وَمَنْ يَتَولَّ اللّٰه﴾ بالقيام بطاعته ﴿ وَرَسُولَهُ﴾ باتّباع أمره ﴿ والذِينَ آمَنُوا﴾ بالموالاة والنّصرة ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ﴾ أي جند اللّه، عن الحسن. وقيل أنصار اللّه ﴿هم الغالبُون﴾ الظّاهرون علىٰ أعدائهم الظّافرون بهم.

وإلى ذلك أشار العبدي بقوله من قصيدته الكبيرة:

وقال لأحمد بلّغ قريشاً   أكن لك عاصماً ان تستكينا

فـإن لم تـبلغ الأنـباء عـنّي ... فـما أنت المـبلّغ والأمـينا
فأنزل بالحجيج «غدير خم» ... وجاء بـه ونـادى المسـلمينا
فأبـرز كـفّه للنّاس حـتّى ... تـبيّنها جمـيع الحـاضرينا
فأكـرم بـالّذي رفـعت يـداه ... وأكـرم بـالّذي رفـع اليمـينا
فقال لهـم وكـلّ القـوم مـصغٍ ... لمـنطقه وكـلٌّ يسـمعونا
ألا هـذا أخـي ووصيّ حـقٍّ ... وموفي العهد والقاضي الديونا
ألا مـن كـنت مـولاه فـهذا ... له مـولىً فكـونوا شـاهدينا
تـولّى اللّـه مـن والى عـليّاً ... وعـادىٰ مـبغضيه الشـانئينا

ومن قصيدة له:

يوم «الغدير» لأشرف الأيّـام ... وأجلّها قـدراً عـلى الإسـلام
يـومٌ أقـام اللّـه فـيه إمـامنا ... أعني الوصيّ إمـام كـلّ إمـام
قال[1] النبيّ بدوح خـمّ رافـعاً ... كـفّ الوصي يـقول للأقـوام
من كنت مولاه فـذا مـولىً له ... بالوحي من ذي العزّة العـلاّم
هذا وزيري في الحياة عليكم ... فإذا قضيت فذا يقوم مـقامي
يا ربّ وال مـن أقـرّ له الولا ... وانزل بمن عاداه سـوء حمـام
فتهافتت أيدي الرّجال لبـيعةٍ ... فـيها كـمال الدّيـن والإنـعام

ومن قصيدة له:

تـروم فسـاد دليـل النـصوص ... ونـصراً لإجمـاع مـا قـد جمـع
ألم تسـتمع قـوله صـادقاً ... غـداة «الغـدير» بمـاذا صـدع
ألا إنّ هـذا وليّ لكـم ... أطـيعوا فـويلٌ لمـن لم يـطع
وقـال له أنت مـنّي أخـي ... كـهارون مـن صـنوه فـاقتنع
وقـال له أنت بـابٌ إلى ... مـدينة عـلمي لمـن يـنتجع

---

(١) هكذا في المصدر، والظاهر أنها قام.

وقــال لكــم هــو أقضاكــم — وكــلّ لمــن قــد مضى متّبع
ويــوم بــراءة نــصّ الإلٰــه — جــلّ عــليه فــلا تخــتدع
وسمّــاه في الذكر نفس الرسـول — يــوم التــباهل لمّــا خشــع
إلى آخر الأبيات[1].

* * *

(١) الغدير ٤ : ١٤٨ ـ ١٤٩.

المبحث الرابع

في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: آية ١ ـ ٢].

روى جمعٌ من المفسّرين في تفاسيرهم والمحدّثين في تآليفهم مجمعين على نزول هذه الآية فيمن جحد ولاية أمير المؤمنين علي بعد أن نصبه رسول الله ﷺ وليّاً للأمّة بعده، في يوم غدير خمّ، بقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، كما بسطنا القول في ما مرّ من هذا الكتاب.

غير أنّهم اختلفوا في اسم الجاحد، فمنهم من قال: إنّه جابر بن النّضر بن الحارث بن كلدة العبدري، وهذا ممّا لا يستبعد في صحّته، لأن النضر قد قتله أمير المؤمنين صبراً يوم بدر الكبرى بأمر من النبيّ، كما ذكره الأميني في التعليقات من غديره [١: ٢٤١] نقلاً عن سيرة ابن هشام، وتأريخي اليعقوبي والطّبري. ولعلّ إنكاره ذلك من الحقد بسبب تلك القضيّة التي جرت على أبيه. ومنهم من قال: إنّ الجاحد هو الحارث بن النّعمان الفهري، ومنهم من روى باسم النّضر بن الحارث، وتلك النّصوص في ذلك عن الرواة الثّقات. منهم:

١ ـ الهروي:

وهو الحافظ قاسم بن سلام أبو عبيد الهروي، المتوفّى سنة (٢٢٣) بمكّة المكرّمة، قال ابن خلّكان في تأريخه [٤: ٦٠ برقم ٥٣٤ ط. دار الثقافة ـ بيروت]: كان ربّانيّاً متفنّناً في أصناف علوم الإسلام، حسن الرّواية، صحيح النقل، لا أعلم أحداً من النّاس طعن عليه

في شيء من أمر دينه.

روى في تفسيره غريب القرآن بقوله: لمّابلغ رسول اللّهﷺ غدير خمّ وبلّغ ما بلّغ وشاع ذلك في البلاد، أتى جابر بن النّضر بن الحارث بن كلدة العبدري، فقال: أمرتنا من اللّه أن نشهد أن لا إله إلّا اللّه، وأنّك رسول اللّه، وبالصّلاة، والصّوم، والحجّ، والزكاة، فقبلنا منك. ثمّ لم ترض بذلك حتّى رفعت بضبع ابن عمّك ففضّلته علينا، وقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه. فهذا الشيء منك أم من اللّه؟ فقال رسول اللّهﷺ: والّذي لا إله إلّا هو، إنّ هذا من اللّه. فولّى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللّهم إن كان ما يقول محمّدٌ حقّاً، فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتّى رماه اللّه بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل اللّه تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ الآية.

٢ ـ الحاكم النيسابوري:

قال في كتابه المستدرك [٢: ٥٠٢]: أخبرنا محمّد بن علي الشّيباني بالكوفة، حدّثنا أحمد بن حازم الغفاري، حدّثنا عبيد اللّه بن موسى، عن سفيان الثوري عن الأعمش، عن سعيد بن جبير سأل سائلٌ هو: النضر بن الحارث بن كلدة، قال: اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء. هذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٣ ـ النّقاش:

وهو العلّامة أبو بكر محمّد بن الحسن بن محمّد النقّاش المفسّر الموصلي البغدادي المتوفّى سنة (٣٥١). قال ابن كثير في تأريخه [١١: ٢٧٦ ط. دار الاحياء ـ بيروت]: كان رجلاً صالحاً في نفسه عابداً ناسكاً، له تفسير شفاء الصدور، روى هذه الواقعة في تفسيره المذكور ما رواه أبو عبيد، غير أنّ الرّجل السّائل هو: الحارث بن النعمان الفهري لا جابر

ابن النّضر. كما يأتي في رواية الثعلبي.

٤ ـ الثعلبي:

قال في تفسيره الكشف والبيان: إنّ سفيان بن عيينه سئل عن قوله عـزوجلّ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بعذابٍ وَاقِعٍ﴾ فيمن نزلت؟ فقال للسائل: سألتني عن مسألةٍ ما سألني أحد قبلك، حدّثني أبي عن جعفر بن محمّد عن آبائه صلوات اللّٰه عليهم، قال: لمّا كان رسول اللّٰه بغدير خمّ نادى النّاس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليّ، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري، فأتى رسول اللّٰه ﷺ على ناقةٍ له حتّى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته فأناخها، فقال: يا محمّد، أمرتنا عن اللّٰه أن نشهد أن لا إله إلّا اللّٰه وأنك رسول اللّٰه فقبلناه، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزّكاة فقبلناه، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلناه، وأمرتنا بالحج فقبلناه، ثمّ لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك ففضّلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فهذا منك أم من اللّٰه؟ فقال: والذي لا إله إلّا هو إن هذا من اللّٰه. فولّى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللّهم إن كان ما يقول محمّدٌ حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو ائتنا بعذابٍ أليم. فما وصل إليها حتّى رماه اللّٰه بحجر فسقط على هامته، وخرج من دبره وقتله، وأنزل اللّه عزّوجلّ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ واقِعٍ﴾ الآية.

٥ ـ الحاكم الحسكاني:

روىٰ الحادثة بإسناده عن حذيفة بن اليمان في كتابه «دعاة الهداة إلىٰ أداء حـقّ الموالاة» قال: قال رسول اللّٰه ﷺ لعليّ عليه السلام: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». قال النعمان ابن المنذر الفهري: هذا شي قلته من عندك أو شيء أمرك به ربّك؟ قال: لا بل أمرني به ربّي، فقال: اللهمّ أنزل علينا حجارةً من السّماء، فما بلغ راحلته «رحله» حتّى جاء حجرٌ فأدماه فخرّ ميّتاً. فأنزل اللّٰه تعالى: «سأل سائلٌ بعذابٍ واقع».

قال الأميني في غديره [١: ٢٤١]: إسناد هذا الحديث صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات، غير أنّ اسم الجاحد فيه تصحيفٌ.

وأورد فيه أيضاً حديثاً من طريق أبي عبد اللّه الشّيرازي مسنداً عن جعفر ابن محمّد الصّادق عن آبائه عليهم السلام: لمّا نصب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً يوم غدير خمّ، وقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه». طار ذلك في البلاد، فقدم علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم النّعمان بن الحرث الفهري، فقال: أمرتنا عن اللّه أن نشهد أن لا إله إلّا اللّه وأنّك رسول اللّه، وأمرتنا بالجهاد والحجّ والصّوم والصّلاة والزّكاة فقبلناها، ثمّ لم ترض حتّى نصبت هذا الغلام، فقلت: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». فهذا شيءٌ منك، أو أمر من عند الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: والذي لا إله إلّا هو إنّ هذا من الله، فولّىٰ النعمان بن الحرث وهو يقول: اللهم إن كان هٰذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء، فرماه اللّه بحجرٍ على رأسه فقتله، وأنزل اللّه تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

٦ ـ القرطبي:

وهو الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي الملقّب بسابق الدّين، المولود سنة (٤٨٦) المتوفّى سنة (٥٦٧) صاحب التفسير الكبير. قال ابن الأثير في كامله [١١: ٢٥٢]: كان إماماً في القراءة والنحو وغيره من العلوم، زاهداً عابداً انتفع به النّاس في كثيرٍ من البلاد ولا سيّما أهل الموصل، فإنّه أقام بها وفيها توفّي.

وقال ياقوت في معجم البلدان [٤: ٣٢٤ ط. دار الإحياء ـ بيروت]: قرأ عليه كثيرٌ من شيوخنا، وكان أديباً فاضلاً مقرئاً عارفاً بالنّحو واللّغة، سمع كثيراً من كتب الأدب.

وقال في كتابه معجم الأُدباء [٢٠: ١٤ ـ ١٥، ط. دار الفكر ـ بيروت]: شيخٌ فاضلٌ عارفٌ بالنّحو ووجوه القراءات، وكان ثقة صدوقاً ثبتاً ديّناً كثير الخير.

قال في تفسيره في سورة المعارج: لمّا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، قال النّضر بن الحارث لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: أمرتنا بالشّهادتين عن اللّه فقبلنا منك،

وأمرتنا بالصّلاة والزّكاة، ثمّ لم ترض حتى فضّلت علينا ابن عمّك، آللّه أمرك؟ أم من عندك؟ قال ﷺ: «والّذي لا إله إلا هو، إنه من عند اللّه»، فولى وهو يقول: إن كان هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء، فوقع عليه حجرٌ من السماء فقتله[1].

٧ـ سبط ابن الجوزي:

وهو الشيخ شمس الدّين أبو المظفّر الحنفي، المتوفّى سنة (٦٥٤) رواه في كتابه «تذكرة خواصّ الأُمّة» [ص ٣٠ ط. طهران] قال: ذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده أن النبيّ ﷺ لما قال ذلك ـ يعني: حديث الولاية ـ طار في الأقطار وشاع في البلاد والأمصار، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتاه علىٰ ناقةٍ له، فأناخها علىٰ باب المسجد، ثمّ عقلها وجاء فدخل في المسجد فجثا بين يدي رسول اللّه ﷺ فقال: يا محمّد، إنّك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلّا اللّه وأنّك رسول اللّه فقبلنا منك ذلك، وإنّك أمرتنا أن نصلّي خمس صلواتٍ في اليوم والليلة، ونصوم رمضان، ونحج البيت فقبلنا منك ذلك، ثمّ لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك وفضّلته علىٰ الناس وقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فهذا شيء منك أو من اللّه؟ فقال رسول اللّه وقد احمرّت عيناه: «واللّه الذي لا إله إلّا هو، إنه من اللّه وليس منّي» ـ قالها ثلاثاً ـ فقام الحرث وهو يقول: اللهمّ إن كان ما يقول محمّدٌ حقّاً فأرسل من السّماء علينا حجارة أو ائتنا بعذاب أليم، قال: فو الله ما بلغ ناقته حتّى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته، فخرج من دبره ومات، وأنزل اللّه تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ﴾ الآيات.

٨ـ الحمّوئي:

روى في كتابه فرائد السّمطين في الباب الخامس عشر [١: ٨٢ ـ ٨٣ ط. المحمودي ـ بيروت]: أخبرني الشيخ عماد الدّين عبد الحافظ بن بدران بمدينة نابلس، فيما

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٨: ٢٧٨ ط. دار الاحياء ـ بيروت.

أجاز لي أن أرويه عن القاضي جمال الدين أبي القاسم بن عبد الصّمد الأنصاري، إجازةً عن عبد الجبّار بن محمد الحواري البيهقي، إجازةً عن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ﷺ، قال: قرأت علىٰ شيخنا الأستاذ أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره أنّ سفيان بن عيينة سئل عن قوله الله عزّوجلّ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فيمن نزلت؟ فقال للسائل: سألتني عن مسألة ... الحديث إلى آخر لفظ الثعلبي.

٩ ـ أبو السُّعود العمّادي:

وهو كما ترجمه الأميني في التّعليقات من غديره [١: ٢٤٣] نقلاً عن شذرات الذّهب [٨: ٣٩٨]: المولى محمّد بن محمّد بن مصطفى الحنفي، ولد سنة (٨٩٨) بقرية قرية من قسطنطينيّة، وأخذ العلم وقلّد القضاء والفتيا، وتوفّي بقسطنطينية مفتياً سنة (٩٨٢).

قال في تفسيره [٩: ٢٩ ط. دار الاحياء]: قيل: هو ـ أي: سائل العذاب ـ الحرث بن النعمان الفهري، وذلك لمّا بلغه قول رسول اللّه ﷺ في عليّ ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، قال: اللّهم إن كان ما يقول محمّدٌ حقّاً فأمطر علينا حجارة من السّماء، فما لبث حتّى رماه الله تعالىٰ بحجرٍ فوقع علىٰ دماغه، فخرج من أسفله فهلك من ساعته.

١٠ ـ الشّربيني:

وهو الشّيخ شمس الدّين محمّد بن أحمد الشّربيني القاهري الشّافعي، المتوفّىٰ سنة (٩٧٧) صاحب تفسير «السّراج المنير» وكتاب «الإقناع في ألفاظ أبي شجاع».

قال في تفسيره السّراج المنير [٤: ٣٦٤]: اختلف في هذا الدّاعي، فقال ابن عبّاس: هو النّضر بن الحرث، وقيل: هو الحرث بن النعمان، وذلك أنّه: لمّا بلغه قول النبيّ ﷺ «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته الأبطح، ثمّ قال: يا محمّد، أمرتنا عن اللّه أن نشهد أن لا إله إلّا اللّه وأنّك رسول اللّه فقبلنا منك، وأن نصلّي خمساً ونزكّي أموالنا فقبلنا منك، وأن نصوم شهر رمضان في كلّ عامٍ فقبلنا منك، وأن نحجّ فقبلنا منك، ثمّ لم ترض حتى فضّلت ابن عمّك علينا، أفهذا شيءٌ منك أم من اللّه تعالىٰ؟

فقال النبي ﷺ: «والذي لا إله إلّا هو، ما هو الّا من اللّه»، فولّى الحرث وهو يقول: اللّهم إن كان ما يقول محمّدٌ حقّاً فأمطر عينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم، فواللّه ما وصل إلى ناقته حتى رماه اللّه بحجر، فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله، فنزلت: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ الآيات.

١١ ـ الحفني:

وهو العلّامة الشّيخ محمّد بن سالم بن أحمد المصري الشّافعي، المولود سنة (١١٠١) والمتوفّى سنة (١١٨١) صاحب «شرح الجامع الصّغير» للسيوطي.

قال في الكتاب المذكور [٢: ٣٨٧] عند شرح قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»: لمّا سمع ذلك بعض الصّحابة قال: أما يكفي رسول اللّه أن نأتي بالشهادة وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة «الخ» حتّى يرفع علينا ابن أبي طالب؟ فهل هذا من عندك أم من عند اللّه؟

فهو دليل على فضل عليّ عليه السلام. وقد روى ذلك غير هؤلاء كثير مثل:

شهاب أحمد دولت آبادي المتوفّى سنة (٨٤٩) في كتابه «هداية السّعداء»

والسّمهودي الشافعي في كتابه «جواهر العقدين».

والسيد جمال الدّين الشيرازي في «الأربعين في مناقب أمير المؤمنين» في الحديث الثّاني عشر.

وسيّدنا الحبيب شيخ بن عبداللّه بن شيخ بن عبداللّه بن شيخ بن عبداللّه العيدروس في كتابه «العقد النبوي والسّرّ المصطفوي».

والشيخ أحمد باكثير الشافعي في «وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل».

والصّفوري في «نزهة المجالس» [٢: ٢٤٢].

والزّرقاني المالكي في «شرح المواهب اللّدنّية» [٢: ١٣].

والزمخشري في تفسيره «الكشّاف» [٤: ١٥٦].

والنيّسابوري في تفسيره «غرائب القرآن» [٢٩: ٤٠ بهامش الطّبري].

والشوكاني في تفسيره «فتح القدير» [٥: ٢٨٨].

ولكن البعض منهم اقتصروا علىٰ ذكر نزولها في الفهري الجاحد فحسب، دون الرّواية في سبب النزول.

١٢ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٥: ٤٤٦ ط. مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت]: حدّثنا أبو القاسم الحسكاني، قال: حدّثنا أبو عبدالله الشّيرازي، قال: حدّثنا أبو بكر الجرجاني، حدّثنا أبو أحمد البصري، قال: حدّثنا محمّد بن سهل، قال: حدّثنا زيد بن إسماعيل مولى الأنصار، قال: حدّثنا محمّد بن أيوّب الواسطي، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر ابن محمّد الصّادق، عن آبائه عليهم السلام، قال: «لمّا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام يوم غدير خم، وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، طار ذلك في البلاد، فقدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم النعمان ابن الحرث الفهري، فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحجّ والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها، ثمّ لم ترض حتّى نصبت هذا الغلام، فقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فهذا شيء منك أو أمرٌ من عند الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: والله الذي لا إله إلّا هو إن هذا من الله، فولّى النعمان بن الحرث وهو يقول: اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء، فرماه الله بحجرٍ من السماء على رأسه فقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾».

١٣ ـ الشّبلنجي:

قال في كتابه نور الأبصار [ص ٨٧]: نقل الإمام أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله في تفسيره: أن سفيان بن عيينة رحمه الله سئل عن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فيمن نزلت؟ فقال للسائل: لقد سألتني عن مسألة لم يسألني أحدٌ قبلك، حدّثني أبي عن جعفر بن محمّد عن آبائه رضي الله عنهم: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير خم نادى النّاس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي رضي الله عنه، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك وطار

في البلاد، وبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله ﷺ على ناقةٍ له، فأناخ راحلته ونزل عنها، وقال: يا محمّد أمرتنا عن الله عزّوجلّ أن نشهد أن لا إله إلّا اللّه وأنّك رسول اللّه فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا بالزّكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا ثمّ لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك تفضّله علينا، فقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فهذا شيء منك أو من اللّه عزّوجل؟ فقال النبي ﷺ: والّذي لا إله إلّا هو، إن هذا من اللّه عزّوجلّ، فولّى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللّهم إن كان ما يقول محمّدٌ حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو ائتنا بعذابٍ أليم، فما وصل إلىٰ راحلته حتّى رماه اللّه عزوجلّ بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله، فأنزل اللّه عزّوجلّ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذابٍ واقع * للكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِع * مَن اللّهِ ذِي المَعَارِجِ﴾.

١٤ ـ شرف الدّين الموسوي:

قال في مراجعاته [ص ٤٢ المراجعة ١٢ ط. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام]: ألم تركيف فعل ربّك يومئذٍ بمن جحد ولايتهم علانيةً، وصادر بها رسول اللّه جهرةً، فقال: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو ائتنا بعذابٍ اليم، فرماه اللّه بحجر من سجّيل، كما فعل من قبل بأصحاب الفيل، وأنز ل في تلك الحال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَاب وَاقِع * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِع﴾ وسيسأل النّاس عن ولايتهم يوم يبعثون، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُون﴾. وقد مرّ في البحث الثّاني من هذا الكتاب.

١٥ ـ الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٥: ٢٨٨ ـ ٢٩١ ط. عالم الكتب ـ بيروت]: وهذا السائل هو النّضر بن الحارث، حين قال: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو ائتنا بعذابٍ أليم، وهو ممّن قتل يوم بدر صبراً، وقيل: أبو جهل، وقيل: هو

الحارث بن النعمان الفهري والأول أولىٰ. وقد أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، والنّسائي، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه. وابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قال: هو النضر بن الحرث، قال: اللّهم إن كان هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء.

١٦ ـ النّيسابوري:

قال في تفسيره غرايب القرآن [٢٩: ٤٠ بهامش جامعُ البيان للطّبري]: التفسير في من قرأ ﴿سَأَلَ﴾ بالهمزة ففيه وجهان. الأول: عن ابن عباس أن النضر بن الحرث قال: اللهم إن كان هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً فأنزل اللّه تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ أي: دعا داعٍ، ولهذا عدّي بالباء، يقال: دعاه بكذا إذا استدعاه وطلبه.

وقال ابن الأنباري: الباء للتأكيد، والتّقدير: سأل سائلٌ عذاباً لا دافع له البتّة: إمّا في الآخرة، وإمّا في الدنيا، كيوم بدرٍ.

وإلى ذلك أشار العوني بقوله:

يـقول رسـول اللّـه هـذا لأمّـتي ... هو اليوم مولىً ربّ ما قلت فاسمع
فـقال جَـحودٌ ذو شـقاقٍ مـنافقٌ ... ينادي رسول اللّه من قلب موجع
أعـن ربّـنا هـذا أم أنت اخـترعته ... فـقال مـعاذ اللّـه لست بمبدع
فقال عـدو اللّـه للـهم[1] إن يكـن ... كـما قـال حـقّاً بي عـذاباً فأوقـع
فـعوجل مـن أفـق السّماء بكـفره ... بجـندلةٍ فـانكبّ ثـاوٍ بمصرع

راجع الغدير [١: ٢٤٧].

* * *

(١) هكذا في الأصل، والصحيح أنها لاهُمَّ.

المبحثُ الخامس

في قوله تعالى: ﴿ اليَوْمَ أكْمَلْتُ لكُمْ دِينَكُمْ وَأتْمَمْتُ عَلَيكُم نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُم الإسْلامَ دِيناً﴾ [المائدة: آية ٣].

هذه الآية من الآيات النّازلة في أمير المؤمنين عليعليه السلام وكان نزولها في يوم الغدير بعد نزول آية التّبليغ باتّفاق بعض المفسّرين والمؤرّخين وحفظة السنن والآثار، ما عدا البخاري ومسلم ومن نحا نحوهما، فإنهم قالوا بأنّها نزلت في يوم عرفة، وهذا القول لا يتّفق، باعتبار أن ما بقي من عمر النبيصلى الله عليه وآله وسلم بناءً علىٰ القول بأن النبيصلى الله عليه وآله وسلم توفّي في الثاني عشر من ربيع الأول كما هو المشهور بين الأُمم[1] بعد نزول هذه الآية واحدٌ أو اثنان وثمانون يوماً، كما نص على ذلك جمعٌ من أعلام الامة في كتبهم، فلهذا كان القول الأوّل في سوق الاعتبار أقرب إلى الحقيقة من القول الثّاني، لكون وقوع يوم الغدير في الثّامن عشر من ذي الحجّة. والله أعلم.

ومن الفريق الأوّل القائلين بنزولها يوم الغدير، هم:

١ ـ الطبري:

أبو جعفر بن جرير صاحب التفسير المشهور المتوفىٰ سنة (٣١٠) روى في كتابه «الولاية» بإسناده عن زيد بن أرقم في نزول الآية الكريمة يوم غدير خم، كما مرّ في المبحث الأوّل من هذا الكتاب في رواية خطبة النبيصلى الله عليه وآله وسلم في ذلك اليوم المشهود، منها: «معاشر النّاس، هذا أخي ووصيّي وواعي علمي وخليفتي علىٰ من آمن بي وعلىٰ تفسير

(١) راجع: الوفا بأحوال المصطفىٰ لابن الجوزي، ص: ٧٨٣ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

كتاب ربّي».

وفي روايةٍ: «اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، والعن من أنكره، وأغضب على من جحد حقّه، اللهم إنك أنزلت عند تبيين ذلك في عليّ: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ بإمامته. فمن لم يأتمّ به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة فأُولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إن إبليس أخرج آدمعليه السلام من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم، وتزلّ أقدامكم، في عليّ نزلت سورة ﴿والعصر * إنّ الإنسان لفي خُسرٍ﴾».

٢ ـ ابن مردويه:

روى من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، كما ذكره ابن كثير في تفسيره [٢: ١٤] بعد إيراده عدّة روايات، أنها نزلت يوم غدير خمّ حين قالصلى الله عليه وآله لعليّ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ثمّ ذكر أيضاً ما روي عن أبي هريرة، وقال: وفيه أنّه اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، يعني مرجعهصلى الله عليه وآله من حجّة الوداع، ثمّ قال: لا يصحّ هذا ولا هذا «الخ» وكان ممّن يرى أنّ الصحيح نزولها في يوم عرفة.

وقال السّيوطي في كتابه الدّر المنثور [٢: ٢٥٩ ط. المرعشي نجفي ـ قم]: أخرج ابن مردويه وابن عساكر بسندٍ ضعيف عن أبي سعيد الخدري، قال: لمّا نصب رسول اللّهصلى الله عليه وآله عليّاً يوم غدير خمّ، ونادىٰ له بالولاية، فهبط جبرئيلعليه السلام بهذه الآية: ﴿اليَوْمَ أكملتُ لكم دِينَكُمْ﴾.

وأخرج ابن مردويه والخطيب، وابن عساكر بسند ضعيفٍ عن أبي هريرة قال: لمّا كان غدير خمّ وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، قال النبيصلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فأنزل اللّه: ﴿اَلْيَوْمَ أكملتُ لكم دينَكُم﴾ الآية. وروى عنه أيضاً في كتابه الإتقان [١: ٣١ ط. سنة ١٢٦٠] بطريقيه.

قال الأميني في التعليقات من غديره [١: ٢٣١]: إن تضعيفه تحكّمٌ، والحديث

واضحٌ، ورجال إسناده كلّهم ثقات.

٣ـ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني:

روى في كتابه «ما نزل من القرآن في علي» بإسناده من طريق محمّد بن أحمد بن علي بن مخلّد، المتوفّى سنة (٣٧٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دعا الناس إلى عليّ في غدير خم، أمر بما تحت الشجرة من الشوك فقمّ، وذلك يوم الخميس، فدعا عليّاً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزلت هذه الآية: ﴿اليومَ أكملتُ لكم دِينَكُمْ﴾ الآية، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «اللّه أكبر علىٰ إكمال الدّين، وإتمام النعمة، ورضا الرّب برسالتي، وبالولاية لعليّ عليه السلام من بعدي»، ثمّ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»، فقال حسّان: إئذن لي يا رسول اللّه أن أقول في علي أبياتاً تسمعهن، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قل على بركة اللّه».

فقام حسّان فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ فأسمع بالرسول مناديا
يقول فمن مولاكم ووليّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلٰهك مولانا وأنت وليّنا ... ولم تر منّا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدقٍ مواليا
هناك دعا اللّهم وال وليّه ... وكن للّذي عادىٰ عليّاً معاديا[1]

٤ـ الخطيب البغدادي:

روى في تأريخه [٨: ٢٩٠ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت] عن عبداللّه بن علي بن محمّد

(١) راجع: الغدير ١: ٢٣٢ ط. طهران.

ابن بشران، عن الحافظ الدار قطني، عن حبشون الخلّال، عن علي بن سعيد الرّملي، عن ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر الورّاق، عن ابن حوشب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

وأخرج فيه أيضاً عن أحمد بن عبد الله النيري، عن علي بن سعيد، عن ضمرة عن ابن شوذب، عن مطر، عن ابن حوشب، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنّه قال: «من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجّة كتب له صيام ستّين شهراً»، وهو يوم غدير خم، لمّا أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب، فقال: ألست وليّ المؤمنين؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فقال عمر بن الخطّاب: بخٍّ بخٍّ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم، فأنزل الله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لكم دِينكم﴾ الآية.

أقول: هذا هو الحديث الذي اعتمد عليه الأميني وقال بوضوحه وثقة رواته وردّ على السّيوطي لمّا قال بضعف سنده، كما مرّ قريباً في هذا الكتاب.

٥ ـ السجستاني:

المتوفّىٰ (٤٧٧) روىٰ ذلك في كتاب «الولاية» بإسناده بطريق أبي نعيم، عن أبي سعيد الخدري.

٦ ـ ابن المغازلي:

المتوفّىٰ (٤٨٣) روىٰ ذلك في مناقبه [ص ١٩] بإسناده بطريق الخطيب البغدادي عن أبي هريرة.

٧ ـ الحاكم الحسكاني:

المتوفّىٰ (٤٩٠) روىٰ ذلك في كتابه شواهد التنزيل [١: ١٥٧ ط. الأعلمي ـ بيروت] بإسناده عن أبي سعيد الخدري: أنّ رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: ﴿ اليوم أكملتُ

لَكُم دينكُمْ﴾ قال: «اللّٰه أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرّب برسالتي، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي»، وقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

٨ ـ ابن عساكر الشافعي:

المتوفّىٰ (٥٧١) روىٰ ذلك الحديث المذكور بطريق ابن مردويه عن أبي سعيد وأبي هريرة، كما في الدرّ المنثور [٢: ٢٥٩].

٩ ـ الخوارزمي:

المتوفّىٰ سنة (٥٦٨) روىٰ ذلك في مناقبه [ص ٨٠] عن الديلمي بإسناده إلىٰ أبي سعيد الخدري بطريق أبي نعيم السالف ذكره، وروىٰ أيضاً عن المناقب [ص ٩٤] بالإسناد عن الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، وعن الحاكم أبي عبداللّٰه النيسابوري بطريق الخطيب البغدادي سنداً ومتناً.

١٠ ـ النطنزي:

روى في كتابه «الخصائص العلويّة» عن أبي سعيد الخدري بلفظ ما مرّ، وروى أيضاً عن أبي سعيد الخدري وجابر الأنصاري أنهما قالا: لما نزلت: ﴿اليَوْمَ أكمَلْتُ لكم دينكُم﴾ الآية. قال النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «اللّه أكبر علىٰ إكمال الدّين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي، وولاية عليّ بن أبي طالبٌ من بعدي».

وروى في الخصائص أيضاً بإسناده عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام قالا: «نزلت هٰذه الآية ـ يعني آية التبليغ ـ يوم الغدير، وفيه نزلت: ﴿اَليومَ أكملتُ لكم دينَكُمْ﴾»، قال: قال الصادق عليه السلام: أي: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ بإقامة حافظه ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ أي: بولايتنا، ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ أي: تسليم النفس

لأمرنا».

وروى فيه أيضاً بإسناده عن أبي هريرة حديث صوم الغدير بطريق الخطيب لفظاً ومتناً، وفيه نزول الآية في عليّ يوم الغدير.

١١ ـ أبو حامد سعد الدين الصالحاني:

قال شهاب الدّين أحمد في «توضيح الدلائل علىٰ ترجيح الفضائل»: وبالإسناد المذكور عن مجاهد رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بغدير خمّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الله أكبر علىٰ إكمال الدّين، وإتمام النعمة، ورضا الله برسالتي، والولاية لعليّ». رواه الصالحاني، الغدير [١: ٢٣٥].

١٢ ـ سبط ابن الجوزي الحنفي:

المتوفّىٰ (٦٥٤) روىٰ ذلك في كتابه تذكرة خواصّ الأُمّة [ص ١٨] ما أخرجه الخطيب البغدادي من طريق الدارقطني.

١٣ ـ الحمّوئي الحنفي:

المتوفّىٰ سنة (٧٢٢) روىٰ ذلك في كتابه فرائد السّمطين [١: ٧٤ الباب ـ ١٢ ـ] ما أورده الخوارزمي سنداً ومتناً. وروى أيضاً من طريق الديلمي بإسناده إلى أبي سعيد الخدري بلفظ أبي نعيم، ثمّ قال: هذا حديث الغدير له طرقٌ كثيرة إلىٰ أبي سعيد سعد بن مالك الخدري الأنصاري.

١٤ ـ السيوطي:

المتوفّىٰ (٩١١) روىٰ ذلك في الدر المنثور [١: ٢٣٦] من طريق ابن مردويه والخطيب وابن عساكر في رواية ابن مردويه فيما مرّ.

وقال في كتابه الإتقان [١: ٧٥ ط. بيدار ـ قم] في عدّ الآيات السفرية، منها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ في الصحيح عن عمر أنها نزلت عشيّة عرفة يوم الجمعة عام حجّة الوداع، وله طرقٌ كثيرةٌ. لكن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدير خمّ. وأخرج مثله حديث أبي هريرة، وفيه: أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة مرجعه من حجّة الوداع. وكلاهما لا يصحّ.

أقول: لقد استغرب بعضهم كالأميني المجاهد الحجّة من قول السيوطي بعدم الصحّة في الحديثين المذكورين وحيث لم يكن يبيّن وجه العلّة فيهما أو من أيّ ناحيةٍ كانت، حتى قال الأميني في قوله: «وكلاهما لا يصحّ» لم يكن إلّا تقليداً لقول ابن كثير المذكور في تفسيره [١: ٢٣٦] حيث قال في الحديثين: لا يصلح لا هذا ولا هذا.

وإليك ما قاله الأميني ردّاً على قوليهما ومن لفّ لفهما:

إن كان مراده من عدم الصّحة غميزة في الإسناد، ففيه أن رواية أبي هريرة صحيحة الإسناد عند أساتذة الفنّ، منصوصٌ علىٰ رجالها بالتّوثيق، وحديث أبي سعيد له طرقٌ كثيرةٌ كما في فرائد السّمطين للحمويني، علىٰ أن الرواية لم تختصّ بأبي سعيد وأبي هريرة، فقد عرفت أنها رواها جابر بن عبداللّٰه والمفسّر التابعي مجاهد المكّي، والإمامان الباقر والصادق عليهما السلام وأسند إليهم العلماء مخبتين إليها.

كما أنّها لم تختص روايتها من العلماء وحفّاظ الحديث بابن مردويه، وقد سمعت عن السيوطي نفسه في الدرّ المنثور رواية الخطيب وابن عساكر، وعرفت أن هناك جمعاً آخرين أخرجوها بأسانيدهم، وفيها مثل الحاكم النيسابوري، والحافظ البيهقي، والحافظ ابن أبي شيبة، والحافظ الدار قطني، والحافظ الدّيلمي، والحافظ الحدّاد الحسكاني وغيرهم. كلّ ذلك من دون غمز فيها عن أي منهم.

وإن كان يريد عدم الصحّة من ناحية معارضتها لما روي من نزول الآية يوم عرفة، فهو مجازفٌ في الحكم الباتّ بالبطلان علىٰ أحد الجانبين. وهب أنّه ترجّح في نظره الجانب الآخر، لكنه لا يستدعي الحكم القطعيّ ببطلان هذا الجانب، كما هو الشأن

عند تعارض الحديثين، لا سيما مع إمكان الجمع بنزول الآية مرّتين، كما احتمله سبط ابن الجوزي في تذكرته [ص ١٨] كغير واحدةٍ من الآيات الكريمة النازلة غير مرّةٍ واحدة، ومنها البسملة النازلة في مكّة مرّةً وفي المدينة أُخرىٰ(١).

١٥ـ الإمام الطبرسي:

روى الحديث في تفسيره مجمع البيان [٢: ٢٠٠ ط. مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت] عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام: قالا: «إنه إنما أنزل بعد أن نصب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام علماً للأنام يوم غدير خمّ، منصرفه عن حجّة الوداع، قالا: وهو آخر فريضةٍ أنزلها اللّٰه تعالى، ثمّ لم ينزل بعدها فريضة». انتهىٰ.

ثمّ روى أيضاً من طريق السيد العالم أبي الحمد مهدي بن نزار الحسيني مسنداً عن أبي سعيد الخدري: أن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم لمّا نزلت هذه الآية قال: «اللّٰه أكبر علىٰ إكمال الدّين، وإتمام النّعمة. ورضا الرب برسالتي وولاية عليّ بن أبي طالبٍ من بعدي».

١٦ـ ابن شهر آشوب:

روى ابن شهر آشوب في مناقبه [٣: ٢٣ ط. دار الأضواء] عن أبي سعيد الخدري، وجابر بن عبداللّٰه الأنصاري، قالا: لما نزلت: ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللّٰه أكبر على إكمال الدّين، وإتمام النّعمة، ورضا الرب برسالتي، وولاية عليّ ابن أبي طالب عليه السلام بعدي» رواه النطنزي في الخصائص.

وروى العياشي عن الصادق عليه السلام: ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينَكُمْ﴾ بإقامة حافظه ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي﴾ بولايتنا ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلَامَ دِيناً﴾ أي تسليم النّفس لأمرنا.

وقال الباقر و الصادق عليهما السلام: «نزلت هٰذه الآية يوم الغدير». وقال يهودي لعمر:

---

(١) الغدير ١: ٢٣٦ ط. دار الكتب الاسلامية ـ طهران.

لو كان هذا اليوم فينا لاتّخذناه عيداً، فقال ابن عباس: وأيّ يوم أكمل من هذا العيد.

وقال ابن عبّاس: إن النبي ﷺ توفّي بعد هٰذه الآية باحدى[1] وثمانين يوماً. قال السّدّي: لم ينزل اللّٰه بعد هذه الآية حلالاً ولا حراماً، وحجّ رسول اللّٰه ﷺ في ذي الحجّة ومحرّم وقبض.

وروى أنه لمّا نزل: ﴿إنّما وليُّكمُ اللّهُ ورسولهُ﴾ أمره اللّٰه تعالىٰ أن ينادي بولاية عليّ، فضاق النبي ﷺ بذٰلك ذرعاً لمعرفته بفساد قلوبهم، فأنزل: ﴿يا ايُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِل إلَيكَ﴾ ثمّ أنزل: ﴿اذْكرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُم﴾ ثم أنزل: ﴿اَليَومَ أكلمتُ لَكُم دِينكُم﴾ وفي هذه الآية خمس بشاراتٍ: إكمال الدّين، وإتمام النّعمة، ورضا الرحمن، وإهانة الشيطان، ويأس الجاحدين.

قوله تعالى: ﴿اليَوْمَ يَئِسَ الذَين كَفَرُوا مِنْ دِينِكُم﴾ وعيد المؤمنين في الخبر الغدير عيد اللّٰه الأكبر. وعن ابن عباس: اجتمعت في ذلك اليوم خمسة أعياد: الجمعة، والغدير، وعيد اليهود، والنصارى، والمجوس. ولم يجتمع هذا فيما سمع قبله، وفي رواية الخدري: أنه كان يوم الخميس.

وقال العودي:

أما قال إن اليوم أكملت دينكم ... وأتممت بالنعماء منّي عليكم

وقال أيضاً:

وقال أطيعوا اللّٰه ثمّ رسوله ... تفوزوا ولا تعصوا أُولي الأمر منكم

* * *

(١) هكذا في الأصل، والصحيح بواحد.

المبحث السادس

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

إن ممّا ذكره بعض المفسّرين في تفاسيرهم والحفّاظ في مصنّفاتهم بأنّ هذه الآية الشريفة نزلت في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأنّه هو المراد به ومواليه في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ . وإليك جمعٌ من أُولئك الذين ذكروا ذلك في كتبهم وزبرهم، منهم:

١ ـ الطبري:

قال في تفسيره «جامع البيان» [١٢: ٦٥٧]: وقد حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا علس بن فرقد، عن أبي الجارود عن محمّد بن علي: ﴿ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت يا عليّ وشيعتك».

٢ ـ الطبرسي:

قال العلّامة في القرن السادس، المفسّر الكبير الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في تفسيره مجمع البيان [٥: ٦٦٩ ط. مؤسسة التأريخ العربي بيروت]: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ بالإسناد، المرفوع إلىٰ يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ عليه السلام قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مسنده إلىٰ صدري فقال: يا عليّ ألم تسمع قول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنوا وعملوا الصَّالحات أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ؟ هم أنت شيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا اجتمعت الأمم للحساب تدعون غرّاً

محجّلين.

وذكره الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل [٢: ٣٥٦].

وفيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباسٍ في قوله تعالىٰ: ﴿**هُمْ خيرُ البريَّة**﴾ قال: نزلت في عليّ ﷺ وأهل بيته.

٣ ـ الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٥: ٤٧٧]: أخرج ابن مردويه عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول اللّٰه من أكرم الخلق علىٰ اللّٰه؟ قال: يا عائشة أما تقرئين: ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمـنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحات أُولئكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّة**﴾؟

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد اللّٰه الأنصاري، قال: كنّا عند النبيّ ﷺ فأقبل عليّ، فقال النبيّ ﷺ: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة». ونزلت: ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّة**﴾ فكان أصحاب محمد ﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: قد جاء خير البريّة.

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: عليّ خير البرية.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ أُولَئكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّة**﴾ قال رسول اللّٰه ﷺ لعليّ: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين».

٤ ـ الخوارزمي:

أخرج في مناقبه [ص ١١١ تحت رقم ١٢٠ ط. جامعة المدرسين ـ قم] عن جابر قال: كنّا عند النبيّ ﷺ فأقبل عليّ بن أبي طالب، فقال رسول اللّٰه ﷺ: «قد أتاكم أخي، ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»، ثم قال: «إنه أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد اللّٰه تعالىٰ، وأقومكم بأمر اللّٰه،

وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسويّة، وأعظمكم عند الله مزيّة» قال: نزلت فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ﴾.

٥ ـ ابن الصبّاغ المالكي:

قال ابن الصبّاغ في الفصول المهمة [ص ١١٧ ط. دار الأضواء ـ بيروت] عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية، قال النبيّ ﷺ لعليّ: «أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيّين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين».

٦ ـ ابن حجر الهيثمي:

قال في كتابه الصواعق المحرقة [ص ٩٦ ط. الميمنية ـ مصر. و ص ٢٤٦ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت] في الآية الحادية عشرة، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذِينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ أُولَئكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ﴾: أخرج الحافظ جمال الدّين الزّرندي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن هذه الآية لمّا نزلت قال ﷺ لعليّ: «هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، ويأتي عدوّك غضاباً مقمحين». قال: ومن عدوّي؟ قال: «من تبرأ منك ولعنك».

[ثمّ قال رسول الله ﷺ: «ومن قال: رحم الله عليّاً رحمه الله»][1].

٧ ـ جلال الدين السيوطي:

قال في كتابه الدرّ المنثور [٦: ٣٧٩] أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبدالله، قال: كنّا عند النبيّ ﷺ فأقبل عليّ، فقال النبيّ ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة». ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصالحات أُولَئكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّة﴾ فكان أصحاب النبيّ ﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البريّة.

---

(١) ما بين القوسين غير موجود في الطبعة الميمنية والبيروتية فراجع.

وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لمّا نزلت: ﴿إن الذينَ آمنوا وَعملوا الصَّالحات﴾ قال رسول اللّهﷺ لعليّ: «أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين».

وأخرج ابن مردويه عن عليّ، وذكر حديث يزيد بن شراحيل الذي ذكره الطّبرسي كما مرّ لفظه.

٨ ـ الشبلنجي:

قال في كتابه «نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار» [ص ٨٧]: وقد ورد في فضله [يعني عليّاً] آياتٌ وأحاديث جمةٌ، فروى منها حديثاً من بين الأحاديث، ما ورد عن ابن عباس، قال: لمّا نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال النبيّﷺ لعلي: «أنت وشيعتك، تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيّين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين».

٩ ـ الصبّان:

قال في كتابه إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار [ص ١٧٢ ـ ١٧٣]: وأخرج الطبراني بسندٍ ضعيف، إنّ عليّاً قال: إن خليليﷺ قال: يا عليّ إنك ستقدم على اللّه أنت وشيعتك راضين مرضيّين، وتقدم أعداؤك غضاباً مقمحين، ثمّ جمع عليٌّ يده إلى عنقه يريهم الإقماح.

ثمّ أردف الشيخ المؤلّف الحديث بعباراته العجيبة، وكلماته الغريبة، مفسّراً في معنى الشّيعة بقوله: «وشيعته هم: أهل السنّة، لأنهم الذين أحبّوه كما أمر اللّه ورسوله، لا الرّوافض» فكأنّ الروافض بالنظر إلى هذه العبارة إنّما رفضوا من رفضوا ليس إلّا لبغضهم في عليّ، ثمّ قال: وأعداؤه الخوارج ونحوهم من أهل الشام لا معاوية ونحوه من الصحابة، لأنهم متأوّلون، وغاية الأمر أنهم أخطأوا في اجتهادهم فلهم أجرٌ.

لعلّ هذا القول مقبولٌ عند بسطاء الأمة وجهّالها، الذين يزعمون من هذا الإفتاء

أن معاوية ممن وازروا الإمام وناصروه ومن أهل المدينة، لا ممن خرجوا عليه وحاربوه من أهل الشام.

ثمّ اعتذر له الشيخ وأضرابه، بقوله: «لأنهم متأوّلون. وغاية الأمر أنهم أخطأوا في اجتهادهم فلهم أجرٌ» فيا للعجب من هذا الإفتاء ويا ليت شعري، كيف ظنّك بمن يقطع ويفتي فيمن يخرج علىٰ إمام الحقّ بكلّ حول وطولٍ أنهم كانوا متأوّلين ومجتهدين؟ ومن يخرج عن طاعة السلف الثلاثة المتقدّمين عليه إنهم كانوا من المعاندين المرتدّين. أنا لا أدري ويا ليت الناس يدرون.

١٠ ـ ابن شهر آشوب:

قال في كتابه مناقب آل أبي طالب [٣: ٦٧ ط. دار الأضواء] أخرج ابن مجاهد في التأريخ، والطبري في الولاية، والديلمي في الفردوس، وأحمد بن حنبل في الفضائل، والأعمش عن أبي وائل، وعن عطية عن عائشة، وقيس عن أبي حازم، عن جرير بن عبد اللّٰه، قالوا: قال رسول اللّٰه ﷺ: «عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر، ومن رضي فقد شكر».

وعن أبي الزبير وعطية العوفي وجوّاب قال كل واحدٍ منهم: رأيت جابراً يتوكّأ علىٰ عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم، وهو يروي هذا الخبر، ثمّ يقول: معاشر الأنصار أدّبوا أولادكم علىٰ حبّ عليّ، فمن أبىٰ فلينظر في شأن أمّه.

وروى الداري بإسناده عن الأصبغ بن نباته، عن جميع التيمي، كليهما عن عائشة، أنها لمّا روت هذا الخبر قيل لها: فلم حاربتيه؟ قالت: ما حاربته من ذات نفسي، إلّا حملني طلحة والزبير. وفي روايةٍ: أمرٌ قدر وقضاءٌ غلب.

وروىٰ أبو وائل، ووكيع، وأبو معاوية، والأعمش، وشريك، ويوسف القطّان بأسانيدهم: أنه سئل جابر وحذيفة عن عليّ عليه السلام فقالا: عليّ خير البشر، لا يشكّ فيه إلّا كافر. وروى عطاء عن عائشة مثله. ورواه سالم بن أبي الجعد عن جابر بأحد عشر

طريقاً.

قال أبو الطفيل الكناني:

أشهـــد بـــالله وآلائـــه وآل يس وآل الزمـــر
أن عـــلي بـــن أبي طـالب بعد رسول الله خير البشر
لو يسمعوا قول نـبيّ الهـدى من حاد عن حبّ عليّ كفر

وروى أبو بكر الهذلي عن الشعبي: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علّمني شيئاً ينفعني الله به، قال ﷺ: «عليك بالمعروف فإنه ينفعك في عاجل دنياك وآخرتك، إذ أقبل عليّ، فقال: يا رسول الله فاطمة تدعوك، قال: نعم، فقال الرّجل: من هذا يا رسول الله؟ قال ﷺ: هذا من الذين قال الله فيهم: **﴿إنَّ الذينَ آمنُوا وعَمِلوُا الصَّالحات أولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّة﴾**.

روىٰ ابن عباس، وأبو برزة، وابن شراحيل، والباقرعليه السلام: قال النبي ﷺ لعليّ مبتدئاً: **﴿إنَّ الذين آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالحات أولَئكَ هُمْ خيْرُ البريَّـة﴾** أنت وشيعتك، وميعادي وميعادكم الحوض، إذا حشر الناس جئت أنت وشيعتك غرّاً محجّلين».

وروى أبو نعيم في كتابه «ما نزل من القرآن في علي» بالإسناد عن شريك بن عبدالله، عن أبي إسحاق عن الحرث، قال: قال عليعليه السلام: نحن أهل بيتٍ لا نقاس بالناس. فقام رجلٌ فأتى ابن عباس فأخبره بذلك، فقال ـ ابن عباس ـ: صدق عليّ، أو ليس النبي لا يقاس بالناس؟ وقد نزل في عليّ: **﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات أولَئكَ هُمْ خيرُ البَرِيَّة﴾**.

وروى الأعمش عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، وروى الخطيب عن جابر بن عبدالله: أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «عليّ خير البريّة»، وفي رواية جابر: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أقبل عليّ، قالوا: جاء خير البريّة.

قال البياري:

ألا اقرأ لم يكـن وتأمّـلنها تجد فيها خسار النـاصبيّة

أمــير المــؤمنين لنــا إمــامٌ　　له العلياء والرتب الســنية
فلم أنكرتم لو قلت يــوماً　　بأن المرتضى خير البريّـة
ستذكر بغضه وقلاه يــوماً　　أتاك ردى وحمّ لك المنيّة

وروى الخطيب في تأريخه عن الأعمش عن عدي عن زرّ عن عبيد اللّـه عـن عليﷺ قال: قال رسول اللّهﷺ: «من لم يقل عليّ خير البشر فقد كفر»[١].

وروىٰ أيضاً في التأريخ بالإسناد عن علقمة عن عبداللّه، قال رسول اللّهﷺ: «خير رجالكم عليّ بن أبي طالب، وخير شبابكم الحسن والحسين، وخير نسائكم فاطمة بنت محمّدﷺ»[٢].

***

(١) تأريخ بغداد ٣: ١٩٢ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.
(٢) المصدر نفسه ٤: ٣٩١ ـ ٣٩٢.

المبحثُ السَّابع

في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

قال المفسّرون في تفاسيرهم وحملة السنن في كتبهم: أنّ نزول هذه الآية الكريمة في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حينما وقع النزاع بينه وبين الوليد بن عقبة، فأظهر اللّٰه مصداق قول عليّ عليه السلام بها.

وممّن ذكر ذلك:

١ ـ الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [١٠: ٢٤٥] قال: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة ابن الفضل، قال: حدّثني ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت ـ أي الآية ـ بالمدينة في عليّ بن أبي طالب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، كان بين الوليد و بين عليّ كلامٌ. فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأردّ منك للكتيبة، فقال علي: «اُسكت يا فاسق»، فأنزل اللّٰه فيهما: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ** ـ إلىٰ قوله ـ **به تكذّبون**﴾.

٢ ـ الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٤: ٢٥٥]: أخرج الأصبهاني في كتاب الأغاني والواحدي، وابن عدي. وابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر من طرق، عن ابن عباس، قال: قال الوليد بن عقبة لعليّ بن أبي طالب: أنا أحدّ منك سناناً، وأنشط منك لساناً،

وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: أُسكت فإنّما أنت فاسق، فنزلت: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مؤمِناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ يعني بالمؤمن عليّاً، وبالفاسق الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

٣ ـ النيسابوري:

قال في تفسيره غرائب القرآن [٢١: ٧٢ بهامش تفسير الطبري]: يروىٰ أنه شجر بين عليّ بن أبي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلامٌ، فقال له الوليد: أُسكت فإنك صبي. فقال له عليّ: «أُسكت فإنّك فاسق»، فأنزل اللّٰه تعالىٰ فيهما خاصّة، و في أمثالهما من الفريقين عامّة.

٤ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٣: ٤٧٠ ط. دار المعرفة ـ بيروت]: وقد ذكر عطاء بن يسار، والسدّي وغيرهما أنها ـ أي الآية ـ نزلت في عليّ بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط.

وهذا فيه تصحيفٌ لا يخفىٰ.

٥ ـ الموسوي:

قال في التعليقات من مراجعاته [ص ٤٧ المراجعة ـ ١٢ ـ]: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين والوليد بن عقبة بن أبي معيط بلا نزاع، وهذا هو الذي أخرجه المحدّثون، وصرّح به المفسّرون. أخرج الإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدي في معنىٰ الآية في كتابه «أسباب النزول» بالإسناد إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: قال الوليد بن عقبة ابن أبي معيط لعليّ: أنا أحدّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك، فقال له عليّ: «أُسكت فإنما أنت فاسق»، فنزل: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يستوون﴾ قال: يعني بالمؤمنين عليّاً، وبالفاسق الوليد بن عقبة.

٦ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٤: ٤٢٩ ط . مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت]. قال ابن أبي ليلى: نزل قوله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً ﴾ الآية، في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورجل من قريش. وقال غيره: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة، والمؤمن عليّ، والفاسق الوليد. وذلك أنه قال لعليّ: أنا أبسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، فقال عليّ عليه السلام: «ليس كما تقول يا فاسق». قال قتادة: لا والله ما استووا، لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة.

٧ ـ ابن المنير:

وهو الإمام العلّامة ناصر الدين أحمد بن محمّد بن المنير الاسكندري المالكي، قال في كتابه الانتصاف المطبوع مع تفسير الكشّاف [٣: ٥١٤ الهامش رقم ٣ ط. قم] في الشقّ الاسفل من تفسير الزمخشري: قوله تعالى: ﴿ وأمّا الذين فسقوا فمأواهم النّار ﴾ قال: سبب نزولها انه شجر بين عليّ بن أبي طالب كرّم اللّهُ وجهه والوليد بن عقبة يوم بدر كلامٌ، فقال له الوليد: أُسكت فإنّك صبيّ، أنا أشبّ منك شباباً. وأجلد جلداً. وأذرب لساناً. وأحدّ منك سناناً، وأشجع جناناً، وأملأحشواً في الكتيبة، فقال له علي: «أُسكت فإنك فاسق».

٨ ـ الأصفهاني:

قال في كتابه الأغاني [٤: ١٨٥] على ما نقله الأميني في غديره [٢: ٤٦]: كان بين عليّ والوليد تنازع وكلامٌ في شيء، فقال الوليد لعليّ: أُسكت فإنك صبي وأنا شيخٌ. والله إني أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال علي: «أُسكت فإنك فاسق»، فأنزل الله هذه الآية.

وكذا في تفسير الخازن [٣: ٤٧٠] وفي أسباب النزول للواحدي [ص ٢٦٣] وفي الرياض النضرة للمحبّ الطّبري [٢: ٢٠٦] وفي مناقب الخوارزمي [ص ١٨٨] وفي كفاية الطّالب للكنجي [ص ٥٥] وفي المستدرك [٣: ١٣٠].

قال بعض بني عامر:

عليّ الذي في الفخر طال ثناؤه	فلا تكثروا الدعوى عليه فتفجروا
ببدرٍ خرجتم للبراز فردّكم	شيوخ قريش حسرةً وتأخّروا
فلمّا أتاهم حمزة وعبيدةٌ	وجاء عليّ بالمهنّد يخطر
فقالوا نعم أكفاء صدقٍ فأقبلوا	إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبّروا
فجال عليّ جولةً هاشميّة	فدمّرهم لما عتوا وتكبّروا[1]

❊ ❊ ❊

(١) ابن شهر آشوب، المناقب ٣: ١١٩ ط. دار الأضواء - بيروت.

المبحثُ الثَّامن

في قوله عزّوجلّ: ﴿إنَّ الّذينَ آمنوا وعملوا الصَّالحات سيجعلُ لهمُ الرَّحمٰن ودّاً﴾ [مريم: ٩٦].

قال الأعلام من المفسّرين والمحدّثين في مصنّفاتهم وتآليفهم: أنّ هذه الآية الشّريفة نزلت في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وممّن قال بذلك:

١ ـ النيسابوري:

ذكر في تفسيره غرائب القرآن المطبوع بهامش جامع البيان للطّبري [١٦: ٧٤] حديثاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعليّ: «قل اللّهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودّة»، فأنزل اللّه هذه الآية يعني: ﴿إنَّ الذِينَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰن وُدّاً﴾.

٢ ـ الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٣: ٣٥٤]: أخرج الطّبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب: ﴿إنَّ الذينَ آمنوا وعملوا الصَّالحات سيجعل لهم الرَّحمن ودّاً﴾ قال: محبّة في قلوب المؤمنين.

وأخرج ابن مردويه والديلمي عن البراء قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ: «قل اللّهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي عندك ودّاً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودّة»،

فأنزل اللّه الآية في عليّ.

وأخرج الحكيم الترمذي وابن مردويه عن علي قال: «سألت رسول اللّه ﷺ عن قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ ما هو؟ قال ﷺ: المحبة الصادقة في صدور المؤمنين».

٣ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٣: ٦٨٧ ط. مؤسسة التأريخ العربي بيروت] قيل فيه أقوال أحدها: أنها خاصة في علي بن أبي طالب عليه السلام فما من مؤمن إلا وفي قلبه محبةٌ لعلي عليه السلام عن ابن عباس. وفي تفسير أبي حمزة الثمالي، حدّثني أبو جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال رسول اللّه ﷺ لعلي عليه السلام: قل اللّهمّ اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في قلوب المؤمنين وداً فقالها عليٌّ عليه السلام» فنزلت هٰذه الآية. وروي نحوه عن جابر بن عبداللّه الأنصاري.

٤ ـ الزمخشري:

قال في تفسيره الكشّاف [٣: ٤٧ ط. قم]: روي أن النبي ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «يا علي، قل اللّهمّ اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودّة»، فأنزل اللّه هذه الآية.

٥ ـ ابن شهر آشوب:

قال في كتابه مناقب آل أبي طالب [٣: ٩٣ ط. دار الاضواء ـ بيروت]: أخرج أبو روق عن الضحّاك، وشعبة عن الحكم عن عكرمة، والأعمش عن سعيد بن جبير، والعزيزي السّجستاني في غريب القرآن عن أبي عمرو، كلّهم عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ فقال: أنزل في عليّ، لأنه ما من مسلم إلّا ولعليّ في قلبه محبّة.

وأخرج أبو نعيم الاصفهاني، وأبو الفضل الشيباني، وابن بطّة العكبري، بالإسناد عن محمّد بن الحنفية وعن الباقر عليه السلام في خبرٍ، قالا: لا يلق مؤمنٌ إلّا وفي قلبه ودّ لعليّ بن أبي طالب ولأهل بيته عليهم السلام.

وعن زيد بن علي: أن عليّاً أخبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال له رجلٌ: إني أُحبّك في اللّه تعالى، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لعلّك يا عليّ اصطنعت إليه معروفاً؟» قال: «لا واللّه ما اصطنعت له معروفاً»، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الحمد للّه الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك بالمودّة». فنزلت هذه الآية.

وروى الثعلبي، وزيد بن علي، والأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين، وأبو حمزة الثمالي عن الباقر عليه السلام، وعبد الكريم الخزّاز، وحمزة الزيّات عن البراء بن عازب كلّهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعليّ: «قل اللّهمّ اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً»، فقالها عليّ وأمّن رسول اللّه، فنزلت هذه الآية.

٦ ـ الأميني:

وهو الحبر العلم الحجّة المجاهد شيخنا الأكبر، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي مؤلّف أنفس كتابٍ وأجمعها لمهمات دينية واجتماعيّة في عصرنا الحاضر المسمّىٰ بـ «الغدير» وهو كتابٌ دينيٌّ، علمي، فني، تأريخي، أدبي، أخلاقي. وقد قال تغمّده اللّه برحمته في الكتاب المذكور [٢: ٥٥] عند شرحه شعر حسّان بن ثابت في أمير المؤمنين عليه السلام: أخرج أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده عن البراء بن عازب، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ: «اللّهمّ اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودّة» فأنزل اللّه هٰذه الآية.

ثمّ قال: ورواه أبو المظفّر سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص [ص ١٧] وقال: وروىٰ عن ابن عباس: إن هذا الود جعله اللّه لعليّ في قلوب المؤمنين.

وروى الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد [٩: ١٢٥] عن ابن عباس: نزلت في عليّ بن

أبي طالب: ﴿إن الّذينَ آمنُوا وعملوا الصَّالحِاتَ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ قال: محبّة في قلوب المؤمنين.

وأخرج الخوارزمي في مناقبه [ص ١٨٨] حديث ابن عباس وبعده بالإسناد عن عليّ‏عليه‌السلام أنه قال: لقيني رجلٌ فقال: يا أبا الحسن، والله إني أُحبّك في الله، فرجعت إلى رسول اللّه فأخبرته بقول الرّجل، فقال: «لعلّك يا عليّ اصطنعت إليه معروفاً»، قال: فقلت: واللّه ما اصطنعت إليه معروفاً، فقال رسول اللّه‏صلى‌الله‌عليه‌وآله: «الحمد للّه الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك بالمودّة»، فنزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾.

٧ ـ الصبّان:

قال في كتابه «إسعاف الرّاغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطّاهرين» [ص ١١٨] المطبوع بهامش نور الابصار: أخرج السلفي عن محمّد بن الحنفية في قوله عزوجل: ﴿إِنَّ الذينَ آمنُوا وَعَملُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَن وُدّاً﴾ أنه قال‏صلى‌الله‌عليه‌وآله: «لا يبقى مؤمنٌ إلّا وفي قلبه ودّ لعليّ وأهل بيته».

* * *

المبحثُ التَّاسع

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هاد ﴾ [الرَّعد: ٧].

ذكر المفسّرون في تفاسيرهم: أنّ المراد بالهادي في هذهِ الآية الكريمة من قوله عزوجلّ: ﴿ وَلِكلّ قَوْمٍ هادٍ﴾ هو أمير المؤمنين عليعليه السلام واستدلّوا في ذلك بحديثٍ أوردوه عن ابن عباس وغيره. غير أنّ البعض منهم بنوا في استدلالهم بالحديث بلفظٍ مبني للمجهول، كقوله: «وقيل، أو روي» علىٰ أنّ الحديث روي من طريق واضح مسنداً، ولعلّ النابه الفطن يسعه أن يبلغ بنور فطانته إلى ما في وراء ذلك البناء.

وممّن ذكر ذلك في مصنفاتهم:

١ ـ الطّبري:

قال في تفسيره جامع البيان [٧: ٣٤٣ ـ ٣٤٤] بعد أن ذكر أقوالاً: وقال آخرون: هو علي بن أبي طالبعليه السلام. حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفي، حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، حدثنا معاذ بن مسلم، بيّاع الهروي[1]، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لمّا نزلت: ﴿إنّما أنتَ منذرٌ ولِكلّ قومٍ هادٍ﴾ وضعصلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره، فقال: «أنا المنذر، ﴿ولِكلّ قومٍ هادٍ﴾. وأومأ بيده إلى منكب عليّ فقال: أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون بعدي».

٢ ـ النيسابوري:

قال في تفسيره غرائب القرآن المطبوع بهامش جامع البيان [١٣: ٦٨]: وقيل:

---

(١) ذكره السيد الخوئي في معجمه [١٨: ١٨٨ ط. ايران] تحت اسم معاذ بن مسلم الهراء (معاذ بيّاع الاكسية).

المنذر النبيّ، والهادي هو عليّ. وروى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره، فقال: «أنا المنذر، وأومأ إلى منكب عليّ، فقال: وأنت الهادي، يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي».

٣ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: فيه أقوال. ثم ذكر الأقوال إلى القول الرابع، فقال فيه: إن المراد بالهادي كلّ داع إلى الحقّ، وفي روايةٍ اخرىٰ: عن ابن عباس قال: لمّا نزلت الآية قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر وعلي الهادي من بعدي، يا عليّ بك يهتدي المهتدون».

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل [١: ٣٠١ ـ ٣٠٢] بالإسناد عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن حكم بن جبير، عن أبي بردة الأسلمي، قال: دعا رسول الله ﷺ بالطهور وعنده علي بن أبي طالب، فأخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ بعد ما تطهّر فألزمها بصدره، ثمّ قال: ﴿إنما انت منذر﴾ ثمّ ردّها إلى صدر عليّ، ثمّ قال: ﴿ولكلّ قومٍ هاد﴾ ثمّ قال: «إنّك منارة الأنام، وغاية الهدى، وأمير القرىٰ، وأشهد علىٰ ذٰلك إنك كذٰلك»[1].

٤ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٢: ٥٢٠ ط. دار المعرفة] بعد أن أورد عدّة أقوال في معنى الآية: وقال أبو جعفر بن جرير: حدّثني أحمد بن يحيى الصوفي، حدّثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، حدّثنا معاذ بن مسلم بيّاع الهروي عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير عن ابن

(١) راجع: الطبرسي، مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٧٨ تجد بعض الاختلاف اليسير في نقل الرواية عن الحسكاني، وسوف تمرّ عليك بعد صفحات عن الحاكم الحسكاني، فلاحظ.

عباس رضي اللّٰه عنهما، قال: لما نزلت: ﴿إنّما أنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قومٍ هادٍ﴾ وضع رسول اللّٰه ﷺ يده علىٰ صدره، وقال: «أنا المنذر، ولكلّ قوم هاد»، وأومأ بيده إلىٰ منكب عليّ فقال: «وأنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي».

قال ابن كثير: هذا الحديث فيه نكارةٌ شديدة.

أقول: ليس من الغريب طعن ابن كثير في مثل هذا الحديث عند البصير الناقد، العارف بشخصيّته وتعصّبه على بعض الأحاديث، علىٰ أننا لم نجد أية غميزة من المحدّثين في الحديث المذكور إلّا منه.

ثمّ قال: قال ابن أبي حاتم: حدّثنا علي بن الحسين، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا المطلب بن زياد عن السّدي، عن عبد خيرٍ، عن علي، ﴿ولكل قوم هاد﴾: رجلٌ من بني هاشم، قال الجنيد: هو علي بن أبي طالب.

٥ ـ الحاكم النّيسابوري:

قال في كتابه المستدرك [٣: ١٢٩ ـ ١٣٠ ط. دار الكتب ـ لبنان] أخبرنا أبو عمرو عثمان ابن أحمد بن السمّاك، حدّثنا عبد الرحمن بن محمّد بن منصور الحارثي، حدّثنا حسين ابن حسن الأشقر، حدّثنا منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبداللّٰه الأسدي، عن عليّ، ﴿إنّما أنت منذرٌ ولكلّ قومٍ هاد﴾ قال علي: «رسول اللّٰه ﷺ المنذر، وأنا الهادي» حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

تتمة:

قال الذهبي في تلخيصه: بل كذبٌ قبّح الله واضعه.

ولعلّ العلّة في ذلك لمكان الحسين بن حسن الأشقر، فإنه شيعيّ، فان صحّ بأن العلّة في ذلك منه، فلا أحسب أن الأمر يبلغ إلى حد ما قاله[1]، لأن ابن حيان قد ذكره في

(١) تعليل المؤلف في غير محلّه وذلك لأن الذهبي قد وثّقه فراجع المصدر المذكور المطبوع بهامش المستدرك.

الثّقات، كما ذكره الحبيب علوي بن طاهر الحداد في كتابه القول الفصل [٢: ٤٨٤ ط. جاوا] وقال الإمام أحمد: لم يكن عندي ممّن كذب، وقد سئل عنه ابن معين: هل هو صدوق؟ قال: نعم، كتبت عنه. والله أعلم.

٦ ـ الثعلبي:

قال كما في تعليقات الموسوي من مراجعاته [ص ٤٠ من المراجعة ـ ١٢ ـ]: قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: «أنا المنذر، وعليّ الهادي، وبك يا عليّ يهتدي المهتدون».

وعن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله «جعفر الصادق عليه السلام» عن هذه الآية، فقال: «كل إمامٍ هادٍ في زمانه»، وقال الإمام أبو جعفر الباقر في تفسيرها: المنذر رسول الله، والهادي عليّ، ثمّ قال: والله ما زالت فينا إلى الساعة.

٧ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٣: ٧٠ ط. عالم الكتب ـ بيروت] بعد ما أتى بأقوال: أخرج ابن جرير، وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة والدّيلمي، وابن عساكر، وابن النجّار عن ابن عباسٍ، قال: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وضع رسول الله ﷺ يده على صدره، فقال: «أنا المنذر» وأومأ بيده إلى منكب عليّ، فقال: «أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي».

وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي، قال: سمعت رسول الله ﷺ، فذكر نحوه.

وأخرج ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس مرفوعاً نحوه أيضاً.

وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، وابن عساكر عن علي بن أبي طالب في الآية

نحوه أيضاً.

٨ ـ ابن شهر آشوب:

قال في مناقبه [٣: ٨٣ ط. دار الأضواء]: صنف أحمد بن محمّد بن سعيد كتاباً في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ولِكِلّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال ابن عباس والضحاك، والزجاج: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ رسول الله ﴿ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ علي أمير المؤمنين.

وعن عبد اللّه بن عطاء، عن أبي جعفر عليه السلام: «قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنا المنذر وعلي الهادي».

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: «أنا المنذر، وأنت الهادي لكلّ قوم».

وروى الحافظ أبو نعيم [١: ٦٤]بثلاثة طرق عن حذيفة بن اليمان، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن تستخلفوا عليّاً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهديّاً، يحملكم على المحجّة البيضاء».

وعنه أيضاً في كتابه «ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام» بالإسناد عن عطاء ابن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وعن شيرويه في الفردوس، عن ابن عباس، واللفظ لأبي نعيم، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ـ لمّا نزلت هذه الآية، ووضع رسول الله يده على صدره ـ: «أنا المنذر»، وأومأ بيده إلى منكب علي بن أبي طالب، فقال: «أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي».

٩ ـ الحاكم الحسكاني:

قال في كتابه شواهد التنزيل [١: ٣٠١ـ٣٠٢ ط. بيروت]: قال أبو فروة السلمي دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطهور وعنده علي بن أبي طالب، فأخذ رسول الله بيد عليّ ـ بعدما تطهرّ ـ فألزقها بصدره، ثم قال: ﴿إنما انت منذر﴾ ثم ردّها الى صدر علي، ثم قال: ﴿ولكل قوم هاد﴾ ثم قال: إنك منارة الأنام وغاية الهدىٰ وأمير القراء [كذا]، أشهد على ذلك أنك

كذلك.

١٠ ـ الشّبلنجي:

قال في كتابه نور الأبصار [ص: ٨٧] بعد ذكر عدّة آيات نازلة في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا المنذر، وعليّ الهادي، بك يا عليّ يهتدي المهتدون».

* * *

المبحثُ العاشر

في قوله عزّوجلّ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ [هود: ١٧].

للعلماء في معنى قوله: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ أقوال مختلفة، منهم من يقول بأن الشّاهد: لسانه صلى الله عليه وآله وسلم. ومنهم من يقول: هو القرآن. ومنهم من يقول: الشاهد هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه، ومنهم من يقول: هو جبرئيل، وقال آخرون: هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وإليك من قال بذلك:

١ ـ الطَّبري:

قال في تفسيره جامع البيان [٧: ١٧]: حدّثني محمّد بن عمارة الأسدي، حدّثنا رزيق بن مرزوق، قال حدّثنا صباح الفرّاء، عن جابر، عن عبدالله بن نجيّ، قال: قال عليّ عليه السلام: «ما من رجل من قريش إلّا وقد نزلت فيه الآية والآيتان»، فقال له رجلٌ: فأنت أيّ شيء نزل فيك؟ فقال عليّ: «أما تقرأ الآية التي في هود: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾».

٢ ـ النَّيسابُوري:

قال في تفسيره المطبوع بهامش جامع البيان [١٢: ١٥]: وقيل: أفمن كان: محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، والبيّنة: القرآن. ويتلوه شاهدٌ: يقرأه شاهدٌ، هو: جبرئيل. نزل بأمر الله وقرأ القرآن على محمّد صلى الله عليه وآله. أو شاهدٌ من محمّد صلى الله عليه وآله هو: لسانه. أو شاهدٌ هو: بعض محمّد صلى الله عليه وآله. يعني: علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ ـ ابن كثير:

وقد ذكر هو ذلك أيضاً كغيره من المفسّرين في تفسيره [٢: ٤٥٦] غير أنه كما قد علمت من قبل، وإليك لفظه: قيل: هو عليّ وهو ضعيف لا يثبت له قائل. والأوّل والثاني هو الحق.

٤ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٢: ٤٨٩]: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة، عن علي بن أبي طالب، قال: «ما من رجل من قريشٍ إلّا نزل فيه طائفةٌ من القرآن»، فقال له رجلٌ: ما نزل فيك؟ قال: «أما تقرأ سورة هود: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؟ رسول الله ﷺ علىٰ بينةٍ من ربّه، وأنا شاهدٌ منه».

وأخرج ابن عساكر وابن مردويه من وجه آخر عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بيّنة مِنْ رَبِّهِ﴾ أنا ويتلوه شاهد منه عليّ.

٥ ـ ابن شهر آشوب:

قال في مناقبه [٣: ٨٥ ط. دار الأضواء]: أخرج الطبري بإسناده عن جابر بن عبدالله، عن علي عليه السلام، وروى الأصبغ، وزين العابدين، والباقر، والصادق، والرضا عليهم السلام، أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿أفمن كان على بيّنةٍ من ربه ويتلوه شاهد منه﴾. أنا.

وروى الحافظ أبو نعيم بثلاثة طرق، عن عبّاد بن عبدالله الأسدي في خبر، قال: سمعت علياً يقول: ﴿ أفمن كان عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنهُ ﴾ رسول الله ﷺ على بيّنةٍ من ربّه، وأنا الشّاهد. ذكره النطنزي في «الخصائص العلويّة».

وعن حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس: ﴿أفمن كَانَ على بيّنةٍ من ربّه﴾، قال: هو رسول الله ﴿ ويَتْلُوه شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ قال: عليّ بن أبي طالب، كان والله لسان رسول

الله ﷺ.

وفي كتاب «فصيح الخطيب» أنه سأله ابن الكواءِ، فقال: وما أنزل فيك؟ قال عليه السلام: قوله: ﴿ أفمن كَانَ علىٰ بَيّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾. وقد روى زاذان نحواً من ذلك.

وعن الثّعلبي عن الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: ﴿أفمن كان علىٰ بيّنةٍ من رّبهِ ويتلوه شاهِدٌ منه﴾ الشاهد: عليّ.

وقد رواه القاضي أبو عمر، وعثمان بن أحمد، وأبو نصر القشيري في كتابيهما، والفلكي المفسّر، عن مجاهد، وعن عبدالله بن شدّاد.

وفي تفسير الثّعلبي عن حبيب بن يسار، عن زاذان، وعن جابر بن عبدالله كليهما عن عليّ عليه السلام قال: «في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ فرسول الله علىٰ بينة من ربه ويتلوه، وأنا شاهدٌ منه».

وفي الحساب: ﴿ أفمن كَانَ على بيّنَةٍ مِنْ رَبِّه﴾ وزنه: رسول الله سيد الأنبياءِ أحمد الأمين. جملة حروف كل واحدٍ منهما سبعمائة وستّة عشر. وتمام الآية ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ وزنه: علي بن أبي طالبٍ شاهدٌ برّ زكيّ وفيّ، وعدد حروف كلّ واحد منهما: ثلاثمائة واثنان وستّون.

قال ابن حمّاد:

ذا علی التّبيان يتلوه منه ... شاهدٌ ناب عنه كل مناب
ذا نذيرٌ وذاك هادٍ فهل ... يجحد ذا غير جاهلٍ مرتابِ

٦ ـ الأميني:

أورد في غديره [١: ٢٠٧] احتجاج قيس بن سعد علىٰ معاوية بن أبي سفيان بحديث الغدير بما يعرب عمّا نحن بصدده. قال:

قدم معاوية بن أبي سفيان حاجّاً إلى المدينة في أيّام خلافته سنة بعدما توفّي الإمام الحسن السبط عليه السلام فاستقبله أهل المدينة، فجرى بينه وبين قيس بن سعد بن عبادة

الأنصاري الخزرجي الصحابي الكبير حديثٌ. وفيه بعد قول قيس: ولعمري ما لأحدٍ من الأنصار ولا لقريشٍ ولا لأحدٍ من العرب والعجم في الخلافة حق مع عليّ وولده من بعده. ما نصّه:

فغضب معاوية وقال: يابن سعد؟ ممّن أخذت هذا؟ وعمّن رويته؟ وعمّن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته؟ فقال قيسٌ: سمعته وأخذته ممن هو خيرٌ من أبي وأعظم حقّاً من أبي. قال: من؟ قال: عليّ بن أبي طالب. عالم هذه الأمّة وصدّيقها الذي أنزل الله فيه: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] فلم يدع آية نزلت في عليّ عليه السلام إلاّ ذكرها. قال معاوية: فإن صدّيقها أبو بكر، وفاروقها عمر، والذي عنده علمٌ الكتاب عبدالله بن سلام.

قال قيسٌ: أحق هذه الأسماء وأولى بها الذي أنزل الله فيه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ والذي نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خمّ، فقال: «من كنت مولاه أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه»، وفي غزوة تبوك: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[1].

***

(١) أورد الأميني النص المطوّل في غديره ٢: ١٠٦ ـ ١٠٨ فراجع.

المبحث الحادي عشر

في قوله تعالى: ﴿ وإنّي لغفّارٌ لمن تابَ وآمن وعمِلَ صالحاً ثُمّ اهتدىٰ﴾ [طه: ٨٢].

اختلفت أقوال أهل التأويل في معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمّ اهْتَدَىٰ﴾ وأوردوا فيه أحاديث عن رسول الله ﷺ بطرقٍ شتّى، وأخرج بعضهم من بينها ما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وممّن ذكر ذلك:

١ ـ الطَّبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٤: ٣٥ ط. مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت]: وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ثمّ اهتدى» إلى ولايتنا أهل البيت عليهم السلام. فوالله لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الرّكن والمقام، ثمّ مات ولم يجئ بولايتنا إلّا أكبّه الله في النار علىٰ وجهه». ورواه الحاكم الحسكاني بإسناده[1]، وأورده العيّاشي في تفسيره من عدّة طرقٍ.

٢ ـ الطَّبري:

قال في تفسيره جامع البيان [٨: ٤٤٢ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت] بعد ما ذكر أقوالاً: وقال آخرون بما حدّثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا عمر بن شاكر، قال: سمعت ثابت البناني يقول في قوله تعالى: ﴿ وَإِنّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً ثُمّ اهْتَدَى﴾ قال: إلىٰ ولاية أهل بيت النبيّ ﷺ.

---

(١) راجع: الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل ١: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

٣ ـ ابن حجر الهيثمي:

قال في الفصل الأول في الباب الحادي عشر من كتابه الصواعق[1]: **الآية الثامنة:** قوله تعالى: **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وعَمِلَ صَالحاً ثُمَّ اهْتدى﴾ إلى أهل بيته**ﷺ. وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أيضاً.

وروى فيه أحاديث في نجاة من اهتدى إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام، وأشار بما نقله عن الباقر عليه السلام وذلك: أنه قال الباقر عليه السلام للحارث بن يحيىٰ: يا حارث، ألا ترى كيف اشترط الله ولم ينفع انساناً التوبة، ولا الإيمان، ولا العمل الصالح، حتى يهتدي إلىٰ ولايتنا؟ ثمّ روى فيه حديثاً عن الباقر عليه السلام مسنداً عن جدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «والله لو تاب رجلٌ وآمن وعمل صالحاً ولم يهتد الى ولايتنا ومعرفة حقّنا ما أغنى ذلك عنه شيئاً»[2].

وأخرج نحوه أبو نعيم الحافظ عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه عن عليّ عليه السلام. وأخرج الحاكم على ما في تعليقات الموسوي من مراجعاته [ص: ٤١ من المراجعة ـ ١٢ ـ] عن الباقر والصّادق عليهما السلام وثابت البناني، وأنس بن مالك.

* * *

(١) راجع: ابن حجر، الصواعق المحرقة ص: ٩١ ط. الميمنية.

(٢) هذا تعليق السيد شرف الدين في مراجعاته على ما ذكره ابن حجر في صواعقه. راجع: المراجعات: المراجعة ١٢، ص ٤١ ط. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

المبحث الثاني عشر

في قوله تعالى: ﴿ فاسألوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُم لَا تَعْلَمُون ﴾ [النحل: ٤٣،والأنبياء:٧].

إن من بين الأقوال التي ذكرها المفسّرون في تفاسيرهم في معنى ﴿ أهل الذكر ﴾ هم: أهل البيت، وكما أن معنى الذكر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نحن نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لحافِظُون ﴾ هو القرآن، فقد استنبط بعضهم منها في معنى الذّكر الذي في هذه الآية، فأهل الذكر إذن عنده هم أهل القرآن. وليس من المتبادر إلى العقل في معنى أهل القرآن سوى عدله اللذين لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض، وهل هؤلاء إلّا أهل بيت النبوّة، بشاهد حديث الثّقلين؟ واللّه أعلم. وممن ذكر ذلك في تفاسيرهم:

١ ـ الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [٧: ٥٨٧] ـ بعد أن ذكر أقوالاً ـ: وقال آخرون في ذلك ما حدّثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن يمان، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُون ﴾ قال: نحن أهل الذّكر.

حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ قال: الذكر القرآن وقرأ: ﴿ إِنّا نحنُ نزّلنا الذكر وإنّا لهُ لحافظون ﴾ وقرأ: ﴿ إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِالذِكْرِ لمّا جَاءهُمْ ﴾.

٢ ـ الطَّبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٣: ٤٦٨ ط. مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت]: فيه أقوالٌ، ثم

ذكره في القول الثالث. وإليك لفظه: وثالثها: أن المراد بهم: أهل القرآن، لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد. ويقرب منه ما رواه جابر ومحمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: نحن أهل الذّكر، وقد سمّى اللّه رسوله ذكراً في قوله: ﴿ ذكراً رسولاً ﴾ [الطلاق: ١٠] على أحد الوجهين.

٣ ـ الثّعلبي:

قال في تفسيره الكشف والبيان على ما ذكره ابن شهر آشوب في مناقبه [٣: ٩٨ ط. دار الأضواء]: قال علي في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾: نحن أهل الذّكر. وأورد ما أخرجه أبو العباس الفلكي في الإبانة: أنه قال علي: ألا إن الذكر رسول اللّه ونحن أهله، ونحن الراسخون في العلم، ونحن منار الهدى، وأعلام التقى، ولنا ضربت الأمثال.

٤ ـ الشّيرازي:

كما ذكره نور اللّه الحسيني في كتابه إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل [٩: ١٢٥] قال في كتابه المستخرج من التفاسير الاثني عشر كما في كفاية الخصام [ص ٣٢٨ ط. طهران] في قوله تعالى: ﴿ فاسألُوا أهْلَ الذّكرِ إنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُون ﴾: أي: فاسألوا أهل البيت، واللّه ما سمّي المؤمن مومناً إلاّ بسبب حبّ علي بن أبي طالب.

٥ ـ ابن كثير:

لا يخلو تفسير ابن كثير من هذا القول مهما قال فيه ما قال كعادته. قال في تفسيره منكراً: وكذا روي عن مجاهد عن ابن عباس أن المراد بأهل الذكر: أهل الكتاب. وقاله مجاهد والأعمش. وقول عبد الرحمن بن زيد، الذكر: القرآن، واستشهد بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لهُ لَحَافِظُون ﴾ صحيحٌ لكن ليس هو المراد ههنا، إلى ان قال: وكذا قول أبي

جعفر الباقر عليه السلام: «نحن أهل الذّكر»، ومراده أن هذه الأُمّة أهل الذكر صحيح، فإن هذه الأُمّة أعلم من جميع الأمم السالفة، وعلماء أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة من خير العلماء، إذا كانوا على السنّة المستقيمة، كعلي وابن عباس وابني عليّ الحسن والحسين، ومحمّد بن الحنفية، وعلي بن الحسين زين العابدين، وعلي بن عبد الله بن عباس وأبي جعفر الباقر، وهو محمّد بن علي بن الحسين، وجعفر وابنه، وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ممّن هو متمسك بحبل الله المتين، وصراطه المستقيم، إلى أن قال أخيراً: والغرض أن هذهِ الآية الكريمة أخبرت بأن الرسل الماضين قبل محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم كانوا بشراً كما هو بشر[1].

٦ ـ شرفُ الدّين الموسوي:

قال في تعليقاته من كتابه المراجعات [ص ٤٠ من المراجعة ـ ١٢ ـ]: أخرج الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير عن جابر، قال: لمّا نزلت هذه الآية قال عليّ: نحن أهل الذكر، وهذا هو المأثور عن سائر أئمّة الهدى، وقد أخرج العلّامة البحراني في الباب الخامس والثلاثين نيفاً وعشرين حديثاً صحيحاً في هذا المضمون[2].

* * *

(١) راجع ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢: ٥٩١ ـ ٥٩٢.

(٢) راجع: البحراني، غاية المرام ص: ٢٤١ من الباب المذكور اعلاه.

المبحث الثَّالث عشر

في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

كثرت الأقوال في تفسير ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ منهم من قال: إن معناه: كونوا مع أبي بكر وعمر وأصحابهما، وهو قول سعيد بن جبير، ومنهم من قال: إن معناه: كونوا مع الثلاثة المخلّفين، وهو قول نافع، ومنهم من قال: إن معناه: كونوا مع علي بن أبي طالب، وهو قول ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وإليك من ذكر ذلك في كتبهم:

١ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٢: ٤١٤] ـ بعد ما ذكر القولين ـ: وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس، قال: مع علي بن أبي طالب، يعني في قوله عزّوجلّ: **﴿وكونوا مع الصادقين﴾**.

٢ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٣: ١٠٤ ط . مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت] وقيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه، وهو قوله تعالى: **﴿ رجالٌ صدقوا ما عاهدُوا اللَّهَ عليه فَمِنْهُم مَنْ قَضَى نَحْبَه﴾** [الاحزاب: ٢٣] منهم من قضىٰ نحبه يعني: حمزة بن عبدالمطلب، وجعفر بن أبي طالب، ومنهم من ينتظر يعني: علي بن أبي طالب.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: كونوا مع الصادقين مع علي و

أصحابه. وروى جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وكونوا مع الصَّادقين﴾ قال: مع آل محمّد عليهم السلام، ثمّ ذكر أقوالاً غير ذلك.

٣ ـ ابن شهر آشوب:

أورد في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢: ٩٢ ط. دار الأضواء]: ما أخرجه الكلبي وأبو صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين﴾ أي كونوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام. ثمّ قال: وذكره الثعلبي في تفسيره عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، وعن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وذكره إبراهيم الثقفي عن ابن عباس، والسّدّي، وجعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام.

وعن تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان: حدّثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتّقوا اللّه﴾، أمر اللّه الصحابة أن يخافوا اللّه، ثمّ قال: ﴿وكونوا مع الصَّادقين﴾ يعني مع محمّد وأهل بيته.

قال أبو الورد: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا﴾، قال: علي وحمزة وجعفر ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ قال: عهده، وهو: حمزة وجعفر يعني الطيار ﴿ومنهم من ينتظر﴾، قال: علي بن أبي طالب.

وقال المتكلّمون: ومن الدّلالة على إمامة عليّ عليه السلام قوله: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا اتّقوا اللّه وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين﴾ فوجدنا عليّاً بهذه الصفة، لقوله تعالى: ﴿والصَّابِرينَ في البَأسَاءِ والضَّرَّاءِ وحينَ البَأسِ﴾ يعني: الحرب ﴿أُولئكَ الذين صدقوا وأُولَـئكَ هُم المُتَّقُون﴾ فوقع الإجماع بأن عليّاً أولى بالإمامة من غيره؛ لأنّه لم يفر من زحفٍ قط، كما فرّ غيره في غير مواضع.

٤ ـ شرف الدّين الموسوي:

قال في التّعليقات من مراجعاته [ص ٣٩ من المراجعة ـ ١٢ ـ]: على قوله تعالى:

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ الصادقون هنا: رسول الله والأئمّة من عترته الطّاهرة بحكم صحاحنا المتواترة، وهو الذي أخرجه الحافظ أبو نعيم، وموفّق بن أحمد، ونقله ابن حجر في تفسير الآية الخامسة من الباب الحادي عشر من صواعقه [ص ٩٠] عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

وذلك كما ذكره في مراجعته السادسة [ص ٢٣] وإليك لفظه: وكان الإمام أبو محمّد علي بن الحسين زين العابدين، وسيّد الساجدين عليه السلام، إذا تلا قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يدعو الله عزّوجلّ دعاءً طويلاً، ويشتمل علىٰ طلب اللّحوق بدرجة الصادقين والدّرجات العليّة، ويتضمّن وصف المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقة لأئمّة الدين والشجرة النّبويّة.

ثمّ يقول: وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا، واحتجّوا بمتشابه القرآن، فتأوّلوا بآرائهم، واتّهموا مأثور الخبر فينا.

إلى أن قال: فإلى من يفزع خلف هذه الأُمّة؟ وقد درست أعلام هذهِ الملّة، ودانت الأُمة بالفرقة والاختلاف، يكفّر بعضهم بعضاً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ فمن الموثوق به علىٰ إبلاغ الحجّة وتأويل الحكم؟ إلّا أعدال الكتاب وأبناء أئمّة الهدى، ومصابيح الدجىٰ، الذين احتجّ الله بهم علىٰ عباده، ولم يدع الخلق سدى من غير حجّة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلّا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، وبرّأهم من الآفات، وافترض مودّتهم في الكتاب[1].

٥ ـ الأميني:

قال في غديره [٢: ٣٠٥] عند شرحه شعر العبدي في قوله:

الصـادِقون النـاطِقون　　　السابِقون إلى الرغـائِب

(١) ما نقله السيد شرف الدين في مراجعاته فيه اختلاف يسير ببعض الألفاظ عما هو في الصواعق المحرقة.

قال: ﴿الصادقون﴾: إشارة إلى ما روي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ من طريق الحافظ أبي نعيم، وابن مردويه، وابن عساكر، وآخرين كثيرين، عن جابر و ابن عباس، أي: كونوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام. ورواه الكنجي في الكفاية [ص ١١١] والحافظ السيوطي في الدر المنثور [٣: ٢٩٠].

وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته [ص ١٠]: قال علماء السير [يعني في قوله تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾][1] معناه: كونوا مع علي وأهل بيته عليهم السلام، قال ابن عباس: عليّ سيد الصادقين.

* * *

(١) ما بين القوسين من كلام المؤلف وليس من كلام صاحب الغدير.

المبحث الرّابع عشر

في قوله عزّوجلّ: ﴿ والسَّابِقُونَ السَّابِقُون * أُولَئِكَ المقرَّبُون﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١١].

تضاربت أقوال أهل التأويل في تفسير قوله: ﴿السَّابقُونَ السَّابِقُون﴾ ومن الذين يراد بهم. ومن بين تلك الأقوال المختلفة، قول من قالوا بأن المراد بهم ثلاثة نفر منهم أبو الأطهار عليّ عليه السلام، وكان أفضلهم، واستدلّوا فيما قالوه بما ورد عن المشرّع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. وإليك من قال بذلك في تفاسيرهم ومسانيدهم، فنهم:

١ ـ الشَّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٥: ١٥١]: أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿ والسَّابِقُونَ السَّابِقُون﴾ قال: يوشع بن نون سبق إلىٰ موسىٰ، ومؤمن آل يس سبق إلىٰ عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلىٰ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم.

وأخرج ابن مردويه أيضاً في الآية قال صلى الله عليه وآله: نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار الذي [ذكر] في يس. وعلى بن أبي طالب، وكلّ رجل منهم سابق أُمّته، وعليّ أفضلهم سبقاً.

٢ ـ الطَّبرسي:

أخرج في تفسيره مجمع البيان [٥: ٢٧٣ ط. مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت]: حديث أبي جعفر بعد أن أورد عدّة أقوال وذلك قوله: ﴿السابقون﴾ أربعة: ابن آدم المقتول، وسابقٌ في أُمّة موسى عليه السلام وهو مؤمن آل فرعون. وسابقٌ في أُمّة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجّار،

والسابق في اُمّة محمّد ﷺ عليّ بن أبي طالب.

٣ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٤: ٣٠٤] ـ بعد أن أتى بأقوال ـ: قال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ﵁: ﴿ والسَّابقون السَّابقون﴾ قال: يوشع بن نون سبق إلىٰ موسى، ومؤمن آل يس سبق إلىٰ عيسى، وعليّ بن أبي طالب سبق إلى محمّد رسول الله ﷺ. ورواه ابن أبي حاتم عن محمّد بن هارون الفلّاس، عن عبدالله بن إسماعيل المدائني البزّار، عن سفيان ابن الضحاك المدائني، عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح به.

٤ ـ شرف الدّين الموسوي:

قال في التعليقات من مراجعاته [ص ٤٥ من المراجعة ـ ١٢ ـ]: أخرج الدّيلمي كما في الحديث التاسع والعشرين من الفصل الثاني من الباب التاسع من الصواعق لابن حجر عن عائشة، والطبراني، وابن مردويه، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: السبق ثلاثةٌ: فالسابق إلىٰ موسى يوشع بن نون، والسابق إلىٰ عيسى صاحب ياسين، والسابق الىٰ محمّد علي بن أبي طالب.

وأخرجه الموفّق بن أحمد، والفقيه ابن المغازلي بالإسناد إلى ابن عباس.

٥ ـ الأميني:

قال في كتابه الغدير [٢: ٣٠٦] عند شرحه شعر العبدي في قوله:

الصادِقون الناطقون السابِقون إلىٰ الرغائِب

قال: قوله «السابقون إلىٰ الرغائب» إشارة إلىٰ قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون * اُوْلَئِكَ المقرَّبُون﴾، وأنها نزلت في علي ﵇، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أنها نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار الذي ذكر في يس، وعلي

ابن أبي طالب، وكل رجل منهم سابق أمتّه، وعلي أفضلهم.

وفي لفظ ابن أبي حاتم: يوشع بن نون بدل حزقيل. وأخرج الديلمي عن عائشة، والطبراني، وابن الضحاك، والثّعلبي، وابن مردويه، وابن المغازلي عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: السبق ـ وفي لفظ السبّاق ـ ثلاثةٌ: السابق إلى موسى يوشع بن نون، وصاحب ياسين إلىٰ عيسى، والسابق إلى محمّد علي بن أبي طالب. وزاد الثعالبي[1] في لفظه: فهم الصدّيقون، وعليّ أفضلهم. ورواه محب الدّين الطبري في رياضه [١: ١٥٧]. والهيثمي في مجمع الزوائد [٩: ١٠٢].

٦ ـ الكنجي الشّافعي:

وهو الحافظ أبو عبد اللّٰه محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي، المتوفّىٰ سنة (٦٥٨) صاحب «كفاية الطالب» قال الأميني في الغدير [١: ١٢٠]: والكتاب يعرب عن تقدّم مؤلّفه في الحديث وعن علمه الجم، وفضله الكثار، وكثرة اعتنائه بشأن الحديث وفنونه، ينقل عنه ابن الصبّاغ المالكي في فصوله المهمة معبّراً عن المؤلّف بالإمام الحافظ.

أورد في كتابه المذكور كفاية الطالب [ص ٤٦] كما في الغدير [٢: ٣٠٦] بلفظ: سباق الأُمم ثلاثةٌ لم يشركوا باللّٰهِ طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب ياسين، ومؤمن آل فرعون، فهم الصّديقون حبيب النجار مؤمن آل ياسين، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم، ثمّ قال: هذا سندٌ اعتمد عليه الدارقطني واحتجّ به.

ورواه باللفظ الأول الحافظ السيوطي في الدرّ المنثور [٦: ١٥٤] وابن حجر في الصواعق [ص ٧٤] وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص [ص ١١].

* * *

(١) هكذا في الاصل، والظاهر أنه الثعلبي.

المبحث الخامس عشر

في قوله تعالى: ﴿ هذان خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا في ربّهم فالّذين كَفَرُوا قُطّعَتْ لـهـمْ ثِـيَـابٌ مِـن نَـارٍ يُـصَبُّ مِنْ فَـوْقِ رُؤُوسِـهُم الحميم﴾ [الحج: ١٩].

إنّ مما ذكر أهل التأويل والمفسّرون بأن الآية نزلت في علي وعمّه حمزة وابن عمّه عبيدة يوم بدر، حين بارزوا الثلاثة من زعماء المشركين وصناديدهم، وهم: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، وولده الوليد، فهؤلاءِ المعنيّون في قوله: ﴿الَّذين كفروا قُطِّعَتْ لهمْ ثِيَابٌ مِن نَارٍ﴾ الآية، وممن ذكر ذلك:

١ ـ الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٣: ٤٤٣]: وقيل المراد بالخصمين هم الذين برزوا يوم بدر، فمن المؤمنين: حمزة وعلي وعبيدة. ومن الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وقد كان أبوذرّ ﷺ يقسم أن هذه الآية نزلت في هؤلاء المتبارزين. كما ثبت عنه في الصحيح.

وقال بمثل هذا جماعة من الصّحابة، وهم أعرف من غيرهم في أسباب النزول، وقد ثبت في الصحيح أيضاً عن عليّ أنّه قال: فينا نزلت هذه الآية.

وقال أخيراً: ثمّ فصّل سبحانه ما أجمله في قوله: ﴿يفصل بينهم﴾ [الحج: ١٧]، فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِن نَارٍ﴾.

٢ ـ الطّبري:

قال في تفسيره جامع البيان [٩: ١٢٣]: حدّثني يعقوب، قال: حدّثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو هاشم عن أبي مجلن، عن قيس بن سعد بن عبادة، قال: سمعت أبا ذرٍّ يقسم قسماً أن هذه الآية: ﴿هذان خَصْمَانِ اختصمُوا في رَبِّهِم﴾ نزلت في الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة.

قال: وقال عليّ عليه السلام: «إنّي لأول ـ أو من أول ـ من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى».

وقال: حدّثنا علي بن سهل، قال: حدّثنا مؤمّل، قال: حدّثنا سفيان عن أبي هاشم عن أبي مجلن، عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذر يقسم بالله قسماً لنزلت هذه الآية في ستة من قريش: حمزة بن عبدالمطلب، وعليّ بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة ﴿هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِم﴾ إلىٰ آخرِ الآية. ﴿إنَّ اللّهَ يُدْخِلُ الذينَ آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات﴾ إلىٰ آخر الآية.

وقال: حدّثنا ابن بشّار، قال: حدّثنا عبد الرحمٰن، قال: حدّثنا سفيان، عن أبي هاشم، عن أبي مجلن، عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذر يقسم. ثم ذكر نحوه.

وقال: حدثنا ابن بشّار، قال: حدّثنا محمّد بن محبّب، قال: حدّثنا سفيان عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف، قال: نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر ﴿هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا في رَبِّهِم﴾.

قال: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة بن الفضل، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت هؤلاء الآيات: ﴿هٰذانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِم﴾ في الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث، وعتبة ابن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة إلىٰ قوله: ﴿وَهُدُوا إلىٰ صِرَاطِ الحَمِيد﴾.

٣ـ الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٤: ١٠٥] ـ في سبب النزول ـ: قيل: نزلت الآية ﴿هٰذَان خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ في ستّة نفر من المؤمنين والكفّار، تبارزوا يوم بدر، وهم: حمزة بن عبدالمطلب قتل عتبة بن ربيعة، وعلي بن أبي طالب عليه السلام قتل الوليد بن عتبة، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب قتل شيبة بن ربيعة.

عن أبي ذرّ الغفاري وعطاء: وكان أبو ذرٍّ يقسم بالله تعالىٰ أنها نزلت فيهم. ورواه البخاري في الصّحيح[1].

٤ـ ابن شهر آشوب:

قال في مناقبه [٣: ١١٨ ط. دار الأضواء]: عن الصحيحين أنّه نزل قوله تعالى: ﴿هٰذان خَصْمان اختصموا﴾ في ستّة نفر من المؤمنين والكفّار، تبارزوا يوم بدر، وهم: حمزة، وعبيدة، وعليّ، والوليد، وعتبة، وشيبة.

وقال البخاري: وكان أبو ذرّ يقسم بالله أنها نزلت فيهم. وبه قال عطاء، وابن خثيم، وقيس بن عبادة، وسفيان الثوري، والأعمش، وسعيد بن جبير، وابن عباس.

ثم قال: قال ابن عباس: ﴿فالذين كفروا﴾ يعني: عتبة وشيبة والوليد ﴿قطّعت لهُم ثيابٌ من نار﴾ الآيات. وأُنزل في أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة وعبيدة: ﴿إنّ اللّهَ يُدْخِلُ الذِينَ آمنوا وَعَمِلوا الصَّالِحَات جَنَّاتٍ ـ إلىٰ قوله ـ صراط الحَميد﴾.

وفي أسباب النّزول: روى قيس بن سعد بن عبادة عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزينا يوم بدر، إلىٰ قوله تعالى: ﴿عذاب الحريق﴾.

قال ابن شهر آشوب وصاحب الأغاني ومحمّد بن إسحاق: كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ولما التقى الجمعان تقدّم عتبة وشيبة والوليد، وقالوا: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش. فتطاولت الأنصار لمبارزتهم،

(١) راجع: صحيح البخاري ٥: ٧ ط. دار الفكر ـ بيروت، كتاب المغازي من الباب ٨.

فدفعهم النبي ﷺ وأمر عليّاً وحمزة وعبيدة بالمبارزة، فحمل عبيدة علىٰ عتبة فضربه علىٰ رأسه ضربةً فلقت هامته. وضرب عتبة عبيدة علىٰ ساقهِ فأطنّها فسقطا جميعاً، وحمل شيبة علىٰ حمزة فتضاربا بالسيف حتّى انثلما، وحمل عليّ علىٰ الوليد فضربه علىٰ حبل عاتقه. وخرج السيف من ابطه.

وفي ابانة الفلكي: أنّ الوليد كان إذا رفع ذراعه ستر وجهه من عظمها وغلظها، ثمّ اعتنق حمزة وشيبة. فقال المسلمون: يا عليّ أما ترىٰ هذا الكلب يهرّ عمك؟ فحمل عليّ عليه. ثم قال: يا عمّ طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره. فضربه عليّ فطرح نصفه، ثمّ جاء إلىٰ عتبة وبه رمقٌ فأجهز عليه.

وفي مجمع البيان للطبرسي: أنه عليه السلام قتل سبعة وعشرين مبارزاً.

وفي الإرشاد: أنه قتل خمسة وثلاثين، وقال زيد بن وهب: قال أمير المؤمنين: وقتلنا من المشركين سبعين وأسرنا سبعين. وفي رواية محمّد بن إسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعليّ عليه السلام.

وفي الفائق للزّمخشري: قال سعد بن أبي وقّاص: رأيت عليّاً يحمحم فرسه وهو يقول:

بازل عامين حديث سنّي ... سنحنح الليل كأنّي جنّي
لمثل هذا ولدتني أمّي

٥ ـ الإمام شرف الدّين الموسوي:

قال في مراجعاته [ص ٤٧ من المراجعة ـ ١٢ ـ] من تعليقاته: وقال اللّٰه تعالىٰ فيهم [يعني في أهل بيت النبوّة]: ﴿هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾.

أخرج البخاري في تفسير سورة الحجّ من صحيحه [٣: ٦ ـ ٧ ط. دار الفكر ـ بيروت] بالإسناد إلىٰ عليّ قال: أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال

البخاري: قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. قال: هم الذين تبارزوا يوم بدرٍ: حمزة وعلي، وعبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

وأخرج في الصفحة المذكورة عن أبي ذر أنه كان يقسم فيها أن هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نزلت في عليّ وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر.

* * *

المبحث السَّادس عشر

في قوله تعالى: ﴿ أجَعَلتم سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعمارَةَ المَسْجد الْحَرَام كَمَنْ آمَنَ بِـاللّٰهِ وَاليَـومِ الآخِرِ وَجَاهَدَ في سَبيلِ اللّٰـهِ لا يَسْـتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ﴾ [التوبة: ١٩].

هذه الآية من الآيات النّازلة في أمير المؤمنين، الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام كما نصّ علىٰ ذلك جمعٌ من المفسّرين في تفاسيرهم، وأساطين المحدّثين في زبرهم وتآليفهم، وممن قال بذلك:

١ ـ الطّبري:

قال في تفسيره جامع البيان [٦: ٣٣٧]: حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال أُخبرت عن أبي صخر، قال: سمعت محمّد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شيبة من بني عبدالدار، وعبّاس بن عبدالمطّلب، وعليّ بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، لو أشاء بتّ فيه. وقال عباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، لو أشاء بتّ في المسجد. وقال عليّ: ما أدري ما تقولان، لقد صلّيت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل اللّٰه: ﴿أجعلتم سقايةَ الحاجّ وعمارة المسجد الحرام﴾ الآية.

وقال: حدّثني محمّد بن الحسين، قال: حدّثني أحمد بن الفضل، قال: حدّثنا أسباط، عن السّدّي: ﴿أجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجِّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ واليَومِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبيلِ اللّٰهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْد اللّٰهِ﴾ قال: افتخر عليّ والعباس وشيبة بن عثمان

فقال العباس : أنا أفضلكم، أنا أسقي حجاج بيت اللّٰه. وقال شيبة : أنا أعمر مسجد اللّٰه، وقال عليّ: أنا هاجرت مع رسول اللّٰه ﷺ وأجاهد معه في سبيل اللّٰه، فأنزل اللّٰه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَروا وَجَاهَدُوا فِي سَبيلِ اللّٰهِ ـ إلى ـ نَعِيم مُقِيم﴾.

٢ ـ الطّبرسي:

قال في سبب النزول من تفسيره مجمع البيان [٣: ٢٢]: قيل إنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والعباس بن عبدالمطلب، وطلحة بن شيبة، وذلك أنّهم افتخروا، فقال طلحة : أنا صاحب البيت وبيدي مفتاحه، ولو أشاء بتّ فيه، وقال العباس : أنا صاحب السّقاية والقائم عليها. وقال عليّ: «ما أدري ما تقولان، لقد صلّيت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد».

وعن الحسن والشعبي، ومحمّد بن كعب القرظي : وقيل إن علياً عليه السلام قال للعباس : يا عمّ ألا تهاجر؟ وألا تلحق برسول اللّٰه ﷺ ؟ فقال : ألست في أفضل من الهجرة ؟ أعمر المسجد الحرام، وأسقي حاجّ بيت اللّٰه. فنزلت: ﴿أجعلتم سِقَايَةَ الحاجّ﴾ الآية.

٣ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٢: ٣٥٥]: قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة، عن إسماعيل، عن الشعبي، قال : نزلت في عليّ والعباس رضي اللّٰهُ عنهما بما تكلّما في ذلك.

وقال ابن جرير: حدّثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة، عن أبي صخر، قال : سمعت محمّد بن كعب القرظي يقول : افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدّار، وعباس بن عبدالمطلب وعليّ بن أبي طالب، فقال طلحة : أنا صاحب البيت معي مفتاحه، ولو أشاء بتّ فيه. وقال العباس : أنا صاحب السّقاية والقائم عليها، ولو أشاء بتّ في المسجد، فقال عليّ عليه السلام : ما أدري ما تقولان، لقد صلّيت إلى القبلة ستّة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فأنزل اللّٰه عزّوجلّ: ﴿أجعلتُم سقاية الحاجّ﴾ الآية.

٤ ـ الحاكم الحسكاني:

عن أبي بريدة[١] عن أبيه قال: بينما شيبة والعباس يتفاخران إذ مرّ بهما علي بن أبي طالب فقال: فيماذا تفاخران؟ فقال العباس: يا عليّ لقد أوتينا من الفضل ما لم يؤت أحد. فقال: وما أوتيت يا عباس؟ قال: أوتيت سقاية الحاج. فقال: ما تقول أنت يا شيبة؟ قال: قد أعطيت عمارة المسجد الحرام فقال لهما عليّ: استحييت لكما يا شيخان فقد أوتيت على صغري ما لم تؤتيا [ه]. فقالا: وما أوتيت يا عليّ؟ قال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله [فقام] العباس مغضباً [يجرّ ذيله] حتى دخل على رسول الله ﷺ فقال له النبي: ما وراءك يا عباس؟ فقال: [أما ترىٰ الى ما] استقبلني به هذا؟ قال: ومن ذاك؟ فقال: علي بن أبي طالب. فقال: ادعوا لي علياً. فدعي فقال له: يا عليّ ما الذي حملك على ما استقبلت به عمّك؟ فقال: يا رسول الله صدمته بالحق أن غلظت له أنفاً فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض إذ نزل جبرئيل فقال: يا محمد إن ربك يقرأك السلام ويقول: أُتل عليهم هذه الآية: ﴿**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله**﴾، فقال العباس: إنّا رضينا ثلاث مرات.

لفت نظر

إنّ الحديث الذي أخرجه الإمام الطّبري تحت هذه الآية، ونقله عنه المفسّرون وغيرهم من رجال التصانيف لما يعارض حديث أسبقيّته ﷺ إلى الإسلام والصّلاة، كما أخرجه المؤرّخون من أهل الأخبار والسير وحفّاظ السنن في تراجمهم و مسانيدهم وتواريخهم، كحديث عفيف الكندي، وحديث صلاته قبل الناس بخمس سنين. وفي

---

(١) كذا في النسخة، وقال في تفسير الآية الكريمة من مجمع البيان: وروىٰ الحاكم أبو القاسم الحسكاني باسناده عن ابن بريدة عن ابيه قال: بينما شيبة والعباس يتفاخران .. وهو الظاهر، ورواه عن المجمع في البرهان: ٢ / ١١٠، والباب ٦٣ من كتاب غاية المرام ص ٣٦٣.

رواية بتسع سنين. وفي أُخرىٰ وهي في أغلب الرّوايات بسبع سنين.

علىٰ أنّ حديث الطّبري السّالف ذكره قريباً، أنّه ﷺ صلّى قبل النّاس بستّة أشهر، وهذا خلاف ما ذكره أُولئك الأعلام، وما سجّلوه في زبرهم وتآليفهم، كمسند الإمام أحمد، ومستدرك الحاكم النيسابوري، وإصابة ابن حجر العسقلاني، واستيعاب ابن عبدالبرّ حافظ المغرب، وخصائص النّسائي، ورياض المحب الطّبري، وكامل ابن الأثير، وسيرة الحلبي، ومواهب القسطلاني، وشرح ابن أبي الحديد، وتأريخ ابن كثير، وغيرهم من أعيان الحفّاظ الأعاظم، وقادة السّنن الشّريفة الأكارم، وكما هو مسجّلٌ في مقتطفاتنا من المجلّد الأوّل نقلاً عنهم. والله أعلم بالصّواب.

٥ ـ شرف الدين الموسوي:

قال في التّعليقات من المراجعة ١٢ من كتابه المراجعات [ص ٤٨ ط. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام]: نزلت هذه الآية في عليّ وعمّه العباس وطلحة بن شيبة، وذلك أنّهم افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه، وإليّ ثيابه. وقال العبّاس: أنا صاحب السّقاية والقائم عليها. وقال عليّ: «ما أدري ما تقولان، لقد صلّيت ستّة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد»، فأنزل الله تعالى هذه الآية. هذا ما نقله الإمام الواحدي في معنىٰ الآية من كتاب أسباب النزول، عن كلّ من الحسن البصري والشعبي والقرظي، ونقل عن ابن سيرين، ومرة الهمداني: أن عليّاً قال للعبّاس: ألا تهاجر؟ ألا تلحق بالنّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ فقال: ألست في أفضل من الهجرة؟ ألست أسقي حاج بيت الله؟ وأعمر المسجد الحرام؟ فنزلت الآية.

٦ ـ الأميني:

قال في غديره [٢: ٥٣ ـ ٥٤]: أخرج الطبري في تفسيره [١٠: ٥٩] بإسناده عن أنس أنّه قال: قعد العبّاس وشيبة بن عثمان صاحب البيت يفتخران، فقال له العبّاس: أنا أشرف

منك، أنا عمّ رسول اللّٰه ﷺ ووصيّ أبيه، وساقي الحجيج، فقال شيبة: أنا أشرف منك، أنا أمين اللّٰه على بيته وخازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمنني، فهما على ذلك يتشاجران حتّى أشرف عليهما عليّ، فقال له العبّاس: إنّ شيبة فاخرني فزعم أنّه أشرف منّي، فقال: فما قلت له يا عمّاه؟ قال: قلت: أنا عمّ رسول اللّٰه ووصيّ أبيه وساقي الحجيج، أنا أشرف منك، فقال عليه السلام لشيبة: ما قلت أنت يا شيبة؟ قال: قلت: أنا اشرف منك، أنا أمين اللّٰه على بيته وخازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمنني، قال: فقال لهما عليه السلام: «إجعلاني معكما فخراً». قالا: نعم. قال: فأنا أشرف منكما، أنا أوّل من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأمّة وهاجر وجاهد، فانطلقوا ثلاثتهم إلى النبيّ ﷺ فأخبر كلّ واحد منهم بمفخره، فما أجابهم النبي بشيء فانصرفوا عنه، فنزل جبرئيل عليه السلام بالوحي بعد أيّام فيهم، فأرسل النبيّ إليهم ثلاثتهم حتّى أتوه، فقرأ عليهم: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجِّ وَعِمَارَةَ المسجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1].

وحديث هذه المفاخرة ونزول الآية فيها أخرجه كثيرٌ من الحفّاظ والعلماء مجملاً ومفصّلاً منهم: الواحدي في أسباب النّزول [ص ١٨٢] نقلاً عن الحسن والشعبي والقرظي. والقرطبي في تفسيره [٨: ٩١] عن السّدي، والرّازي في تفسيره [٤: ٤٢٢] والخازن في تفسيره [٢: ٢٢١] قال: وقال الشّعبي ومحمّد بن كعب القرظي: نزلت في علي بن أبي طالب، والعباس بن عبدالمطلب، وطلحة بن أبي شيبة إلى آخر الحديث.

ومنهم: أبو البركات النّسفي في تفسيره [٢: ٢٢١] والحمّوئي في الفرائد في الباب الواحد والأربعين بإسناده عن أنس. وابن الصّبّاغ المالكي في الفصول المهمّة [ص ١٢٣] من طريق الواحدي عن الحسن والشعبي والقرظي وجمال الدين محمد بن يوسف. والزّرندي في نظم درر السّمطين، والكنجي الشّافعي في الكفاية [ص ١١٣] من طريق ابن جرير، وابن عساكر عن أنس بلفظه المذكور. وابن كثير الشامي في تفسيره [٢: ٣٤١] عن الحافظ عبد

(١) الرواية المذكورة في كتاب الغدير لم تكن بعينها كما في تفسير الطبري، ولعلّ المؤلف اعتمد على نسخة أُخرى، راجع: تفسير الطبري ٦: ٣٣٥ ـ ٣٣٧.

الرّزّاق بإسناده عن الشّعبي، والسّيوطي في الدّر المنثور [٣: ٢١٨] من طريق ابن مردويه عن ابن عبّاس.

٧ ـ الصّفُوري:

روى في كتابه نزهة المجالس [٢: ٢٤٢، وفي طبعة أُخرىٰ ٢٠٩] نقلاً عن كتاب شوارد الملح وموارد المنح: أنّ العباس وحمزة رضي اللّٰه عنهما تفاخرا، فقال حمزة: أنا خيرٌ منك لأنّي على عمارة الكعبة، وقال العباس: أنا خيرٌ منك لأنّي على سقاية الحاجّ، فقالا: نخرج إلى الأبطح ونتحاكم إلىٰ أوّل رجل نلقاه. فوجدا عليّاً عليه السلام، فتحاكما علىٰ يديه، فقال عليّ: «أنا خيرٌ منكما، لأنّي سبقتكما إلى الإسلام»، فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فضاق صدره لافتخاره على عمّيه، فأنزل اللّٰه تصديقاً لكلام عليّ وبياناً لفضله، ﴿أجعلتم سقاية الحاجّ﴾ الآية. راجع الغدير [٢: ٥٥].

* * *

المبحث السّابع عشر

في قوله عزّوجل: ﴿ سلامٌ على آلِ ياسين﴾ [الصّافّات: ١٣٠].

تعدّدت الأقوال في تفسير معنى ﴿ آل ياسين﴾ في التفاسير، فمنهم من يقول المعنيّ به، هو إلياس النبيّ، وهي في لغة بني أسد. ولكن القائل بهذا لم يبيّن ما وجه الحكمة في التحوّل إلى لغة بني أسد في هذه الآية دون غيرها، علىٰ أن القرآن نزل علىٰ لسان قريش، ومنهم من يقول: هو جمع إلياس ويراد بذلك أصحابه، إلى غير ذلك من الأقوال. ومن خلال تلك الأقوال المختلفة قول من قال: المراد بآل ياسين هم آل محمّد ﷺ، وإليك ممّن ذكر ذلك في تفاسيرهم:

١ ـ الطّبري:

قال في تفسيره جامع البيان [١٠: ٥٢٤] بعد أن ذكر مختلف الأقوال والقراءات: وقرأ ذلك عامّة قرّاءِ المدينة: سلامٌ علىٰ آل ياسين، بقطع آل من ياسين، فكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى: سلامٌ على آل محمّد.

٢ ـ النّيسابوري:

قال في تفسيره غرائب القرآن المطبوع بهامش الطّبري [٢٣: ٧٢] بعد ما فسّر معنى الآيات الّتي قبلها: وباقي القصّة ظاهرٌ إلّا قول ﴿آلِ ياسين﴾، وذكر أقوالاً ثلاثة، أحدها: آل محمّد ﷺ.

٣ ـ الطّبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٤: ٥٨٩] في قوله تعالىٰ: ﴿ سَلَامٌ علىٰ آل ياسِين﴾ : قال ابن عبّاس : آل ياسين آل محمد ﷺ، وياسين من أسمائه، ثمّ قال : ومن قرأ: إلياسين أراد إلياس ومن تبعه.

لعلّ من قال بذلك لهم قاعدةٌ خاصّة لجمع علم أعجمي بالياء والنون في محلّ الخفض كجمع مذكّر سالِمٍ.

ثمّ قال : وقيل يٰسٓ اسم سورة، فكأنّه قال : سلامٌ علىٰ من آمن بكتاب اللّٰه تعالى والقرآن الذي هو : يٰس.

٤ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٤: ٤٠٩]: قرأ نافع، وابن عامر، والأعرج وشيبة. ﴿على آل ياسين﴾، بإضافة آل بمعنى آل ياسين، وقرأ الباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين، إلّا الحسن، فإنه قرأ «إلياسين» بإدخال آلة التعريف على ياسين، قيل المراد على هذه القراءات كلّها: إلياس، وعليه وقع التسليم، ولكنه اسم أعجمي، والعرب تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية ويكثر تغييرهم لها.

قال ابن جنّي: العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعباً؛ فياسين، وإلياس، وإلياسين شيء واحد. وقال الكلبي: المراد بآل ياسين آل محمد ﷺ.

ولعلّ البعض من الناس من يقدّس اللّٰه عن أن يتتابع بما تتلاعب به العرب في أقوالهم حتى ينزّل قوله العظيم المقدّس به تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً.

ثمّ قال أخيراً من تفسير هذه الآية : قال الكلبي : المراد بآل ياسين آل محمد ﷺ.

٥ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٤: ٢٠ ـ ٢٢] في تفسير معنى هذه الآية: سلام على إلياسين كما يقال إسماعيل إسماعين، وهي لغة بني أسد.

ويا ليت القائل بهذا القول علىٰ فرض صحّته يبيّن بما في وراء هذا التّناقل من الحكمة، حتّى نقلت الآية من لغة قريش الى لغة بني أسد، إلى أن قال في الأخير من تفسير هذه الآية: وآخرون أي يقرأون قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ يعني: آل محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٦ ـ الموسوي:

قال في التّعليقات من كتابه المراجعات [ص ٤٩ من المراجعة ـ ١٢ ـ]: هذه الآية الثالثة من الآيات التي أوردها ابن حجر في كتابه الصّواعق في الباب «١١» من الفصل الأوّل، الآية الثالثة [ص: ٨٨ ـ ٨٩] ونقل عنه جماعة من المفسّرين عن ابن عبّاس القول: بأنّ المراد بها، السّلام علىٰ آل محمّد صلّى الله عليه وآله. قال ابن حجر: وكذا قال الكلبي، إلى أن قال: وذكر الفخر الرازي ـ أي في تفسيره ـ: أن أهل بيته يساوونه في خمسة أشياء: في السّلام، قال: السّلام عليك أيّها النبيّ، وقال: ﴿سلامٌ على آل ياسين﴾. وفي الصّلاة عليه وعليهم في التّشهد. وفي الطهارة، قال الله تعالى: ﴿طَهٰ﴾ أي: يا طاهر، وقال: ﴿ويطهّركُم تَطْهِيراً﴾. وفي تحريم الصّدقة. وفي المحبّة، قال تعالى: ﴿فاتّبعوني يحببكم اللّه﴾ وقال: ﴿قُلْ لا أسْالكُمْ عليه أجراً الّا المودّة في القربىٰ﴾. انتهى.

وقد اتّفقت جماعة من أعلام القوم علىٰ ذكر هذا المعنى عند تفسيرهم هذه الآية الكريمة. كما ذكرهم العلّامة نور اللّه الحسيني في كتابه إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل [٩: ١٢٧] منهم:

١ ـ ابن المغازلي، وهو العلّامة الفقيه المحدّث الحافظ أبو بكر بن أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المتوفّى سنة (٤٨٣) في كتابه «المناقب» علىٰ ما في مناقب الشّيخ عبدالله

الشّافعي.

٢ ـ الزّرندي، وهو العلّامة جمال الدّين محمّد بن يوسف، المتوفّى سنة (٧٥٠) في كتابه «نظم درر السّمطين» [ص ٩٤ مطبعة القضاء].

٣ ـ الحلّي، وهو العلّامة حميد بن أحمد الحلّي في كتابه «الحدائق الورديّة».

٤ ـ النويري، وهو العلّامة أحمد بن عبد الوهّاب في كتابه «نهاية الأدب».

٥ ـ السّيّد محمّد صدّيق حسن خان، وهو ملك «بهوبال» في كتابه «فتح البيان» [٨: ٧٨ ط. بولاق بمصر].

٦ ـ الحافظ ابن مردويه على ما في «مفتاح النجا» [ص ١٦].

٧ ـ الرّازي في تفسيره [٢٦: ١٦٢ ط. مصر].

٨ ـ القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» [١٥: ١١٩ ط. القاهرة].

٩ ـ أبو حيّان في تفسيره «البحر المحيط» [٧: ٣٧٣ ط. السّعادة بمصر].

١٠ ـ ابن كثير في تفسيره [٤: ٢٠ ط. مصر].

١١ ـ السّيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [٥: ٢٨٦ ط. مصر].

١٢ ـ الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» [٢٣: ١٢٩].

١٣ ـ الكشفي في كتابه «المناقب المرتضويّة» [ص ٢٥ ط. بمبي].

١٤ ـ العسقلاني في كتابه «لسان الميزان» [٦: ١٢٥ ط. حيدر آباد].

١٥ ـ الهيثمي في كتابه «مجمع الزوائد» [٦: ١٧٤ ط. القدسي بالقاهرة].

١٦ ـ القندوزي في كتابه «ينابيع المودّة» [ص ٧ ط. اسلامبول].

١٧ ـ الحبيب أبو بكر بن شهاب الدّين في كتابه «رشفة الصّادي» [ص ٢٤ ط. مصر].

* * *

المبحث الثّامن عشر

في قوله تعالى: ﴿إن تَتُوبَا إلى اللّه فَقَد صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإنْ تَظَاهَرا عَلَيْهِ فَإنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤمِنِين﴾ [التحريم: ٤].

ذكر في كتب التفسير من بين أقوال المتأوّلين والمفسّرين، بأن المراد بصالح المؤمنين في هذه الآية الشريفة هو أميرهم ويعسوبهم، أعني الإمام عليّاًعليه السلام، كما دلّت على ذلك أكثر الأخبار والآثار. وأمّا سبب نزولها فأصحّ الروايات ما أثبته أهل التأويل والتّفسير علىٰ أنّها أُنزلت مع ثلاث آيات قبلها، من أوّل سورة التحريم في أُمّي المؤمنين وهما: حفصة وعائشة، كما نأتي بالرّوايات في ذلك فيما يلي قريباً بعد ذكر ما نحن بصدده. وذلك فيمن يراد به من قوله: ﴿صالح المؤمنين﴾. وممّن ذكره من المفسّرين في تفاسيرهم وتآليفهم:

١ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [٥: ٤٠١ ط. مؤسسة التأريخ العربي بيروت]: ووردت الرواية من طرق الخاصّ والعامّ أن المراد بصالح المؤمنين أمير المؤمنين عليعليه السلام وهو قول مجاهد، وفي كتاب «شواهد التّنزيل»[1] بالإسناد عن سدير الصّيرفي عن أبي جعفرعليه السلام قال: لقد عرّف رسول اللّهصلى الله عليه وآله عليّاًعليه السلام أصحابه مرّتين. أمّا مرّة فحيث قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه. وأمّا الثّانية فحيث نزلت هذه الآية: ﴿فَإنَّ اللّهَ هو مولاهُ وجبريلُ وصالحُ المؤمنين﴾ الآية، أخذ رسول اللّهصلى الله عليه وآله بيد عليعليه السلام فقال: «أيها النّاس، هذا صالح

---

(١) راجع: الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل ٢: ٢٥٤ ـ ٢٦٣.

المؤمنين»، وقالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها: سمعت أنّ النبيّ ﷺ يقول: «وصالح المؤمنين علي بن أبي طالب».

سببُ النُّزول:

وأمّا سبب نزول هذه الآية والّتي قبلها من الآيات الثلاثة وهنّ: ﴿يا أيُّها النبيُّ لِمَ تُحرّمُ ما أحلّ اللّهُ لكَ تبتغي مرضات أزواجِك وَاللّهُ غَفُورٌ رَحيم * قَدْ فَرَض اللّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ واللّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيم * وَإِذْ أَسَرَّ النبيُّ إلىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فلمّا نبّأها بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذا قَالَ نَبَّأَنِي العَلِيمُ الخَبِيرِ﴾، فقد قال الطّبرسي كما في المصدر نفسه [ص ٢٩٨]: اختلفت أقوال المفسّرين في سبب نزول الآيات، فقيل: إن رسول اللّه ﷺ كان إذا صلّىٰ الغداة يدخل علىٰ أزواجه امرأة امرأة، وكان قد أهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكّة من عسل، فكانت إذا دخل عليها رسول اللّه ﷺ حبسته وسقته منها، وإنّ عائشة أنكرت احتباسه عندها، فقالت لجويرية حبشيّة عندها: إذا دخل رسول اللّه ﷺ علىٰ حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا تصنع، فأخبرتها الخبر وشأن العسل، فغارت عائشة وأرسلت إلى صواحبها وأخبرتهن وقالت: إذا دخل عليكنّ رسول اللّه ﷺ فقلن: إنّا نجد منك ريح المغافير. [وهو صمغ العرفط كريه الرائحة].

وكان رسول اللّه ﷺ يكره ويشقّ عليه أن يوجد منه ريحٌ غير طيّبة لأنه يأتيه الملك. قال: فدخل رسول اللّه علىٰ سودة، قالت: فما أردت أن أقول ذلك لرسول اللّه ﷺ، ثمّ إنّي فرقت من عائشة فقلت: يا رسول اللّه، ما هذا الرّيح التي أجدها منك؟ أكلت المغافير؟ فقال: «لا، ولكنّ حفصة سقتني عسلاً»، ثمّ دخل علىٰ أزواجه امرأةً امرأةً وهن يقلن له ذلك. فدخل علىٰ عائشة فأخذت بأنفها، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أجد ريح المغافير، أكلتها يا رسول اللّه؟ قال: «لا، بل سقتني حفصة عسلاً»، فقالت: جرست إذن نحلها العرفط، فقال ﷺ: «واللّه لا أطعمه أبداً»، فحرّمه علىٰ نفسه.

وقيل: إنّ التي كانت تسقي رسول اللّٰه ﷺ العسل ام سلمة، عن عطاء بن أبي مسلم، وقيل: بل كانت زينب بنت جحش. قالت عائشة: إن رسول اللّٰه ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً. فتواطأت أنا وحفصة، أيّتنا دخل عليها النبيّ ﷺ فلتقل: إنّي أجد منك ريح المغافير، أكلت المغافير؟ فدخل علىٰ إحداهما فقالت له ذلك، فقال ﷺ: «لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود إليه». فنزلت الآيات.

وقيل: إن رسول اللّٰه ﷺ قسّم الأيّام بين نسائه، فلمّا كان يوم حفصة قالت: يا رسول اللّٰه إن لي إلىٰ أبي حاجة فأذن لي أزوره، فأذن لها، فلمّا خرجت أرسل رسول اللّٰه ﷺ إلى جاريته مارية القبطيّة، وكان قد أهداها له المقوقس فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب، وخرج رسول اللّٰه ﷺ ووجهه يقطر عرقاً، فقالت حفصة: إنّما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمتك بيتي ثمّ وقعت عليها في يومي وعلىٰ فراشي، أما ما رأيت لي حرمة وحقّاً، فقال ﷺ: «أليس هي جاريتي؟ قد أحلّ اللّٰه ذلك لي، اسكتي فهو حرامٌ عليّ ألتمس ذلك رضاك، فلا تخبري بهذا امرأة منهن، وهو عندك أمانة».

فلمّا خرج رسول اللّٰه ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة، فقالت: ألا أبشّرك؟ إن رسول اللّٰه قد حرّم عليه أمته مارية، وقد أراحنا اللّٰه منها، وأخبرت عائشة بما رأت، وكانتا متصافيتين متظاهرتين علىٰ سائر أزواجه، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ فطلّق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً، وقعد في مشربة امّ إبراهيم مارية، حتّى نزلت آية التخيير. عن قتادة والشعبي ومسروق.

وقيل: إنّ النبيّ ﷺ خلا في يوم لعائشة مع جاريته أُمّ إبراهيم مارية القبطيّة، فوقفت حفصة علىٰ ذلك، فقال لها رسول اللّٰه ﷺ: لا تعلمي عائشة ذلك، وحرّم مارية علىٰ نفسه، فأعلمت حفصة عائشة الخبر، واستكتمتها إيّاه، فأطلع اللّٰه نبيّه ﷺ علىٰ ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾ يعني: حفصة.

٢ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره «فتح القدير» [٥: ٢٥٢ ـ ٢٥٣] في قوله: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: وأخرج ابن أبي حاتم، قال السّيوطي بسند ضعيف، عن عليّ مرفوعاً، قال: هو عليّ بن أبي طالب، وأخرج ابن مردويه عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول اللّـهِ ﷺ يقول: «وصالح المؤمنين علي بن أبي طالب».

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال هو: علي بن أبي طالب.

ثمّ ذكر الشّوكاني في [ص ٢٥٢] السبب في نزول الآيات من الرّوايات المختلفة ما سجّلها المفسّرون في تفاسيرهم «إلىٰ أن قال»: وأما ما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن ابن عبّاس سأل عمر بن الخطّاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا علىٰ رسول اللّـه ﷺ فأخبره أنّهما عائشة وحفصة. ثمّ ذكر مختلفات الأقوال في الموضوع فقال أخيراً: ويؤيّد هذا ما قدّمنا عن ابن عبّاس أنّه قال لعمر: من المرأتان اللّتان تظاهرتا علىٰ رسول اللّه؟ فأخبره بأنهما عائشة وحفصة، وبيّن له أنّ السّبب قصّة مارية. هذا ما تيسّر من تلخيص سبب نزول الآية، ودفع الاختلاف في شأنه، فاشدد عليه يديك لتنجو به من الخبط والخلط الذي وقع للمفسّرين.

ثمّ قال: وأخرج ابن عدي، وأبو نعيم في الصحابة والعشاري في «فضائل الصديق» وابن مردويه وابن عساكر من طرق، عن عليّ وابن عبّاس. قال: واللّه إن إمارة أبي بكر وعمر لفي الكتاب، وذلك: ﴿وإذ أسرّ النّبيُّ إلىٰ بعض أزواجه حديثاً﴾ قال ﷺ لحفصة: «أبوك وأبو عائشة واليا الناس بعدي، فإياك أن تخبري أحداً بهٰذا».

قلت: وهٰذا ليس فيه أنّه سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيُّها النبيُّ لِمَ تُحرّمُ مَا أحَلّ اللّهُ لَك﴾.

٣ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٤: ٣٨٩] بعد ما ذكر قول سعيد بن جبير، وعكرمة، ومقاتل، وابن حيّان، والضحاك وغيرهم: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر، ثمّ قال: وزاد الحسن البصري وعثمان. قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: عليّ ابن أبي طالب، وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا علي بن الحسين، حدّثنا محمّد بن أبي عمر، حدّثنا محمّد بن جعفر بن محمّد بن الحسين، قال: أخبرني رجلٌ ثقة يرفعه إلىٰ عليّ قال: قال رسول اللّه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «هو عليّ بن أبي طالب». وأمّا سبب النزول فقد ذكر الروايات اللاتي أسلفنا ذكرهن فيما مرّ قريباً.

ثمّ قال: وممّا يدل على أنّ عائشة وحفصة هما المتظاهرتان، الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدّثنا عبدالرّزاق، حدّثنا معمّر عن الزهري عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن أبي ثور، عن ابن عبّاس، قال: لم أزل حريصاً علىٰ أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبيّ ﷺ اللّتين قال اللّه تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتّى حجّ عمر وحججت معه، فلمّا كنا ببعض الطّريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة، فتبرّز ثمّ أتاني، فسكبت علىٰ يديه فتوضّأ، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبيّ ﷺ اللّتان قال اللّه تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عمر: وا عجباً لك يابن عبّاس قال الزهري: كره واللّه ما سأله عنه، ولم يكتمه عنه قال: هي عائشة وحفصة[1].

وأورد في [ص ٣٨٩] ما أخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: مكثت سنة أُريد أن أسأل عمر بن الخطّاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتّى خرج حاجّاً فخرجت معه، فلمّا رجعنا وكنّا ببعض

(١) مسند الإمام أحمد [١: ٣٣].

الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له، قال: فوقفت له حتّى فرغ، ثمّ سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من اللّتان تظاهرتا على النبيّ ﷺ؟ «هذا لفظ البخاري»[١] وفي لفظ مسلم: من المرأتان اللّتان قال اللّه تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾؟ قال: عائشة وحفصة[٢].

٤ ـ القاسمي:

قال الشّيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره «محاسن التأويل» [١٦: ٥٨٦٢ ط. دار إحياء الكتب العربية مطبعة عيسى الحلبي] في تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ أسرّ النبيُّ﴾ يعني: محمّد ﷺ ﴿إلىٰ بعض أزواجه﴾ هي حفصة، في قول الرّواة: ابن عبّاس، وقتادة، وزيد ابن أسلم، وابنه عبدالرحمن، والشّعبي، والضّحّاك، كما نقله ابن جرير، «حديثاً» وهو تحريم فتاته في قولهم، قال ابن جرير: أو ما حرّم ﷺ علىٰ نفسه ممّا كان اللّه جلّ ثناؤه قد أحلّه له، وقوله: لا تذكري ذلك لأحد، ﴿فلمّا نبّأت به﴾ أي أخبرت بالسرّ صاحبتها، أي عائشة. ﴿وَأَظهَرَهُ اللّهُ عَليهِ﴾ أي أطلعه علىٰ تحديثها به، ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ أي عرّفها بعض ما أفشته معاتباً ﴿وأعْرَضَ عن بَعْضٍ﴾ أي: بعض الحديث تكرّماً ﴿فلمّا نبّأها به قالت من أنبأك هذا قال نبّأني اللّطيفُ الخبير﴾ أي الذي لا تخفى عليه خافية.

ثمّ قال القاسمي: وحكى الزّمخشري عن سفيان قال: ما زال التغافل من فعل الكرام. ثم أشار تعالىٰ إلىٰ غضبهِ لنبيّهِ صلوات اللّهِ عليه، ممّا أتت به من إفشاء السّرّ إلىٰ صاحبتها، ومن مظاهرتهما على ما يقلق راحته، وأن ذلك ذنبٌ تجب التّوبة منه، «أي علىٰ عائشة وحفصة» بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إنْ تتوبا إلىٰ اللّهِ فقد صغتْ قُلُوبُكُمَا﴾ إلىٰ آخر الآية [التحريم: ٤][٣].

---

(١) صحيح البخاري، [٦: ٦٩]، باب تبتغي مرضاة أزواجك.

(٢) راجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم [٤: ٤١٤ ـ ٤١٥].

(٣) راجع: الكشاف للزمخشري ٤: [٥٦٥ ـ ٥٦٦].

٥ ـ ابن شهر آشوب:

قال في مناقبه [٣: ٧٥ ـ ٧٧] عن تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان النّسوي، والكلبي، ومجاهد، وأبي صالح، والمغربي، عن ابن عبّاس: إنّه رأت حفصة النبيّ في حجرة عائشة مع مارية القبطيّة، قال ﷺ: «أتكتمين عليٰ حديثي؟» قالت: نعم، قال: «فإنها عليّ حرامٌ»، ليطيّب قلبها، فأخبرت عائشة وبشّرتها من تحريم مارية، فكلّمت عائشة النبيّ ﷺ في ذلك، فنزل: ﴿ وإذ أسرّ النّبيُّ إلىٰ بعض أزواجِهِ حديثاً﴾ إلىٰ قوله تعالى: ﴿ هُوَ مَوْلَاه وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤمِنِينَ﴾ قال ابن عبّاس: واللّهِ عليّ، واللّه حسبه والملائكة بعد ذلك ظهير.

وأخرج البخاري وأبو يعلى الموصلي قال ابن عبّاس: سألت عمر بن الخطّاب عن المتظاهرتين، قال: حفصة وعائشة.

وعن السّري عن أبي مالك عن ابن عبّاس وأبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر ﷺ والثعلبي بالإسناد عن موسى بن جعفر ﷺ وعن أسماء بنت عميس عن النّبيّ ﷺ قال: وصالح المؤمنين: علي بن أبي طالب. رواه أبو نعيم الأصفهاني بالإسناد عن أسماء بنت عميس، وابن عبّاس عن النبيّ ﷺ قال: «إن علياً باب الهدى بعدي، والدّاعي إلىٰ ربّي، وهو صالح المؤمنين، ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى اللّه وعمل صالحاً».

وقال أمير المؤمنين على المنبر: أنا أخو المصطفىٰ خير البشر، من هاشم سنامه الأكبر، ونبأ عظيمٌ جرى به القدر، وصالح المؤمنين مضت به الآيات والسور.

قال ابن شهرآشوب، وإذا ثبت أنّه صالح المؤمنين، فينبغي كونه أصلح من جميعهم بدلالة العرف والاستعمال، كقولهم: فلانٌ عالم قومه، وشجاع قبيلته.

قال الناشي:

إذ أسرّ النبيّ فيه حديثاً ... عند بعض الأزواج ممّن يليه
نبّأتها به وأظهره اللّه ... عليه وجاء من قبل فيه

يسأل المصطفى فيعرف بعضاً ... بعد إبطان بعضه يستحيه
وغدا يعتب اللّتين بقصد ... أبديا سرّه إلىٰ حاسديه
فأبى اللّه أن يتوبا إلىٰ الله ... فقد صاغ قلب من يتّقيه
أو تحيا تظاهراً فهو مولاه ... وجبريل ناصرٌ في ذويه
ثم خير الورى أخوه عليّ ... ناصر المؤمنين من ناصريه

٦ ـ الحاكمُ النّيسابوري:

قال في كتابه المستدرك [٢: ٤٩٣]: حدّثني أبو عبد اللّه محمّد بن أحمد بن بطّة الأصبهاني، حدّثنا عبداللّه بن محمّد بن زكريّا الأصبهاني، حدّثنا محمّد بن بكير الحضرمي، حدّثنا سليمان بن المغيرة، حدّثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كانت له أمةٌ يطأها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتّى جعلها علىٰ نفسه حراماً، فأنزل اللّه هذه الآية: ﴿ يا أَيُّها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَك تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْواجِك﴾، «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

* * *

المبحث التّاسع عشر

في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ [الشورىٰ: ٢٣].

إنّ ممّا ذكره الأعلام من المفسّرين والمحدّثين في تفاسيرهم ومصنّفاتهم أنّ معنى الحسنة في هذه الآية الشّريفة هي: المودّة لآل محمّدﷺ وممّن ذكر ذلك في كتبهم:

١ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٥: ٣٩ط. مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت]: وذكر أبو حمزة الثّمالي عن السّدّي قال: إنّ اقتراف الحسنة المودّة لآل محمّدﷺ. وصحّ عن الحسن بن عليّ عليه السلام أنّه خطب النّاس فقال في خطبته: «أنا من أهل البيت الذي افترض اللّه مودّتهم علىٰ كلّ مسلم، فقال: ﴿قل لا أسألكُمْ عليه أجراً إلّا المودّة في القُربىٰ ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً﴾، فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت».

٢ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٤: ٥٢٤ ط. الحلبي وأولاده] بعد أن يفسّر لفظ ﴿ يقترف﴾ والمعنى: من يكتسب حسنة نزد هذه الحسنة حسناً بمضاعفة ثوابها. قال مقاتل: المعنى من يكتسب حسنةً واحدة نزد له فيها حسناً، نضاعفها بالواحدة عشراً فصاعداً، وقيل: المراد بهذه الحسنة هي: المودّة في القربى، والحمل على العموم أولىٰ، ويدخل تحته المودّة في القربىٰ دخولاً أوّليّاً.

٣ ـ الزّمخشري:

قال في تفسيره الكشّاف [٤: ٢٢١]: ﴿ومن يقترف حسنةً﴾ عن السّدي أنّها المودّة في آل رسول اللّه ﷺ نزلت في أبي بكر الصّديق ومودّته فيهم. والظّاهر: العموم في أيّ حسنة كانت إلّا أنّها لمّا ذكرت عقيب ذكر المودّة في القربى: دلّ ذلك على أنّها تناولت المودّة تناولاً أوّلياً، كأن سائر الحسنات لها توابع.

٤ ـ العلّامة نور اللّه الحسيني:

قد ذكر في كتابه المسمّى إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل [٩: ١٣٠] من ذكر هذا المعنى من رجال التّصانيف والمفسّرين، منهم:

١ ـ السّيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [٤: ٧ ط. مصر].

٢ ـ المحلّي في كتابه «الحدائق الورديّة».

٣ ـ الثّعلبي في تفسيره «الكشف والبيان».

٤ ـ ابن المغازلي الشافعي في «المناقب» وهو أبو الحسن علي بن محمّد الجلابي المتوفّى سنة (٤٨٣).

٥ ـ الزرندي الحنفي في كتابه «نظم درر السّمطين» [ص ٨٦ مطبعة القضاء].

٦ ـ العلّامة الشيخ عبد اللّه بن طلحة الشّافعي في «المناقب».

٧ ـ الشّيخ العلّامة كمال الدّين حسن بن معين الدّين اليزدي الميبدي في كتابه «شرح ديوان أمير المؤمنين».

٨ ـ ابن الصّبّاغ المالكي وهو العلّامة المحدّث الشّيخ علي بن محمّد المكّي في «الفصول المهمّة» [ص ١١ ط. النجف].

٩ ـ البدخشي وهو العلّامة ميرزا محمّد بن معتمد خان في «مفتاح النجا في مناقب آل العبا».

١٠ ـ الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» [٢٥: ٣١ ط. مصر].

١١ ـ العلّامة الشّيخ سليمان بن الشّيخ إبراهيم الحسيني البلخي القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة [ص ١١٨ ط. اسلامبول].

٥ ـ الحبيب العلّامة علوي بن طاهر الحدّاد:

قال في كتابه القول الفصل [١: ٤٨٦ ط. جاوا]: قال السّمهودي: وقد يستشهد له بما أخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق السّدّي عن أبي مالك عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: ﴿ومن يقترف حسنة نزدْ لهُ فيها حُسْناً﴾، قال: هي المودّة لآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

٦ ـ النّبهاني:

قال في كتابه «الشرف المؤبّد لآل محمّد» [ص ١٧٤ طبعة ٢ مطبعة الحلبي وأولاده بمصر]: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**ومن يقترف حسنة**﴾ قال: المودّة لآل محمّد، وعنه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «أحبّوا الله لما يغذوكم به، وأحبّوني بحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي بحبّي».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: حبّ آل محمّد يوماً خيرٌ من عبادة سنة. وعن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خيركم خيركم لأهلي من بعدي».

وأخرج ابن النجّار في تأريخه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لكلّ شيءٍ أساس، وأساس الإسلام حبّ أصحاب رسول الله وحبّ أهل بيته».

وأخرج الطبراني عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله فيم أنفقه ومن أين اكتسبه وعن حبّنا أهل البيت»، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الموضوع.

وقد ذكرها بهذا المعنى ابن شهاب الدّين في كتابه رشفة الصّادي [ص ٢٣ ط. القاهرة].

٧ـابن شهر آشوب:

قال في مناقبه [٣: ١٩٧ ط. دار الاضواء ـ بيروت] عن الثعلبي، والسّدّي عن أبي مالك عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لهُ فِيها حُسناً﴾ قال: المودّة لآل محمّد عليهم السلام. وعن الحسن بن علي عليهما السلام قال: «الحسنة حبّ أهل البيت».

وروى أبو تراب في «الحدائق» والخوارزمي في «الأربعين» بإسنادهما عن أنس والديلمي في «الفردوس» عن معاذ وجماعة عن ابن عمر قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «حبّ عليّ بن أبي طالب حسنةٌ لا تضرّ معه سيّئة، وبغضه سيّئةٌ لا تنفع معها حسنة».

قال الشّاعر:

وقد أتت الرّواية في حديث ... صحيح عن ثقات محدّثينا

بأنّ محبّة الهادي عليٍّ ... أجل تجارةٍ للتّاجرينا

وليس تضرّ سيّئةٌ بخلقٍ ... يكون بها من المتخلّقينا

وروى ابن مردويه بالإسناد عن زيد بن عليّ عن أبيه عن جدّه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا عليّ لو أنّ عبداً عبد اللّٰه مثل ما دام نوحٌ في قومه، وكان له مثل جبل اُحد ذهباً فأنفقه في سبيل اللّٰه، ومدّ في عمره حتى حجّ الف عام علىٰ قدميه، ثمّ قتل بين الصّفا والمروة مظلوماً، ثمّ لم يوالك يا عليّ، لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها».

وفي تأريخ النّسائي و شرف المصطفىٰ واللفظ له، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن عبداً عَبَدَ اللّٰه بين الركن والمقام ألف عام، ثمّ ألف عام ولم يكن يحبّنا أهل البيت لأكبّه اللّٰه على منخره في النّار».

وعن حذيفة بن اليمان عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خبر: إن اللّٰه فرض على الخلق خمسة فأخذوا أربعة وتركوا واحداً، فسئل عن ذلك. قال: الصّلاة، والصّوم، والزّكاة، والحج. وقالوا: فما الواحد الذي تركوا؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب: قالوا: هي واجبة من اللّٰه؟ قال: نعم.

وفي «فردوس الأخبار» للدّيلمي قال أبو صالح: لمّا حضرت عبد اللّٰه بن عبّاس الوفاة قال: اللّٰهمّ إنيّ أتقرب إليك بولاية علي بن أبي طالب.

وفي الإبانة لابن بطّة: روى أبو صالح عن أبي هريرة قال: رأيت معاذاً يديم النظر إلى وجه عليّ، فقلت له: إنّك تديم النّظر إليه كأنّك لم تره، فقال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: النظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب عبادة، وهو أكثر في الرّوايات.

وفي رواية عمّار ومعاذ وعائشة عن النّبيّ ﷺ: «النّظر إلى عليّ بن أبي طالب عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمانٌ إلّا بولايته، والبراءة من أعدائه».

وفي «الفردوس» للدّيلمي قالت عائشة: قال النبيّ ﷺ: «ذكر علي عبادةٌ».

وفي «شرف النبيّ» للخركوشي: أنّه كان النّاس يصلّون وأبوذرّ ينظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقيل له في ذلك، فقال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: «النّظر إلىٰ علي بن أبي طالب عبادة، والنّظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر في المصحف عبادة، والنظر إلىٰ الكعبة عبادة».

* * *

المبحث العشرون

في قوله تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الاسراء: ٢٦].

ذكر المفسّرون في تفاسيرهم ما ورد من الخبر والأثر المعربة عن معناها المراد به عند تفسيرهم هذه الآية الشريفة، من بعد ذكرهم معناها اللّغوي باستنباطهم المحض. وممّن ذكر ذلك:

١ ـ الطّبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [٣: ٥٣١ ط. مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت] ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ معناه: وأعط القرابات حقوقهم التي أوجبها اللّٰه لهم في أموالكم، عن ابن عبّاس والحسن. وقيل: إن المراد قرابة الرّسول، عن السّدّي.

وقال: إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام قال لرجل من أهل الشّام حين بعث به عليه السلام عبيد اللّٰه ابن زياد إلى يزيد بن معاوية: «أقرأت القرآن؟» قال: نعم، قال عليه السلام: «أما قرأت: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾» قال: وإنّكم ذو القربىٰ الّذي أمر اللّٰه أن يؤتى حقه؟ قال: «نعم». انتهىٰ.

قال الطّبرسي: وهو الّذي رواه أصحابنا عن الصّادقين عليهما السلام.

وأخبرنا السّيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قراءة، قال: حدّثنا أبو القاسم عبيد اللّٰه بن عبداللّٰه الحسكاني، قال: حدّثنا الحاكم الواحد أبو محمّد، قال: حدّثنا عبداللّٰه ابن عمر بن أحمد بن عثمان ببغداد شفاهاً، قال أخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك، قال: حدّثنا جعفر بن محمّد الأحمسي، قال: حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا أبو معمّر سعيد بن خثيم وعلي بن القاسم الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهر، عن فضيل بن

مرزوق عن عطيّة العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: لمّا نزل قوله تـعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّه﴾ أعطى رسول اللّٰه فاطمة فدكاً. وقال عبد الرحمٰن بن صالح: كتب المأمون إلىٰ عبداللّٰه بن موسى يسأله عن قصّة فدك، فكتب عبداللّٰه بهذا الحديث. رواه فضيل عن عطيّة. فردّ المأمون فدكاً إلىٰ ولد فاطمة عليها السلام.

٢ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٣: ٣٦]: وقال الحافظ أبو بكر البزّار، حدّثنا عبّاد بن يـعقوب، حدّثنا أبو يحيى التّيمي، حدّثنا فضيل بن مرزوق، عن عطيّة، عن أبي سعيد الخـدري، قال: لمّا نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّه﴾ دعا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة فأعطاها فدكاً، ثمّ قال: لا نعلم حدّث به عن فضيل بن مرزوق إلّا أبو يحيىٰ التيمي وحميد بن حمّـاد بـن الخوّار. وهذا الحديث مشكلٌ لو صحّ إسناده؛ لأن الآية مكيّة، وفدك إنّما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة، فكيف يلتئم هذا مع هذا؟ فهو إذاً حديثٌ منكرٌ، والأشبه أنّه من وضع الرّافضة. واللّٰه أعلم[١].

أقول: ألا ترى هذا الرّجل كيف قال ما قال؟ كأنّه غفل أو تغافل عمّا هناك من رجال كانوا يقولون بأنّ السورة مكيّة إلّا خمس آيات، ومنهم من قال: إلّا ثمان آيات، كالحسن وقتادة والمعدّل عن ابن عبّاس. كما ذكره الإمام الطّبرسي في «مجمع البـيان» وهنّ: ﴿ولا تقْتُلُوا النّفْسَ﴾ الآية. ﴿ولَا تَقربُوا الزّنا﴾ الآية. ﴿أُولَئِكَ الَّذينَ يَدْعُونَ﴾ الآية، ﴿أقم الصّـلاة﴾ ومـنها التي نحـن بـصددها، وهـي ﴿وَآت ذَا الْـقُرْبَىٰ﴾ فـهذه الخمس آيات، ومع قوله تعالى: ﴿وَإنْ كادُوا ليَفْتنُونَكَ ـ إلىٰ قولِه ـ وَقُـلْ ربِّ أدْخِـلْني مدْخَلَ صدْقٍ﴾ [الاسراء: ٨٠] تكون ثمان آيات.

وأمّا قوله: لا نعلم حدّث به عن فضيل بن مرزوق إلّا أبو يحيى التّيمي، وحميد بن حمّاد. فكما قد علمنا قريباً أنّه قد روى عن فضيل بن مرزوق: أبو معمّر سعيد بن خثيم،

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣: ٣٩.

وعلي بن القاسم الكندي، ويحيى بن يعلى، وعلي بن مسهر كما في رواية الطّبرسي، بخلاف ما لو أنّ الرّجل كان ممّن صمّم بزعمه أنّ الآية كلّها مكيّة، كما قال ذلك بعضهم.

ولو لم يكن الأمر كذلك، فلا اعتبار إذن بقوله: وهذا الحديث مشكلٌ أو منكرٌ أو أشبه أنّه من وضع الرّافضة.

٣ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره «فتح القدير» [٣: ٢٢٤]: أخرج ابن جرير عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال لرجل من أهل الشّام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في بني إسرائيل ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾؟ قال: وإنّكم للقرابة الّتي أمر اللّه أن يؤتىٰ حقّهم؟ قال: نعم. ثمّ قال: وأخرج البزّار، وأبو يعلي، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حقّهُ﴾ دعا رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة فأعطاها فدكاً.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ أقطع رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة فدكاً.

٤ ـ الزّمخشري:

قال في تفسيره الكشّاف [٢: ٦٦١] بعد ما فسّر الآية بما ارتأى له: وقيل: أراد بذي القربىٰ أقرباء رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٥ ـ الطّبري:

قال في تفسيره جامع البيان [٨: ٦٧]: بعد ما أورد أقوال أهل التأويل المختلفة في تفاسيرهم، قوله تعالى: ﴿وآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾: وقال آخرون: بل عنى به قرابة رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ذكر من قال ذلك: حدّثني محمّد بن عمارة الأسدي، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان قال: حدثنا الصباح بن يحيى المزني، عن السدّي عن أبي الديلم، قال: قال عليّ بن

الحسين عليه السلام لرجل من أهل الشام: «أقرأت القرآن؟» قال: نعم، قال: «أفما قرأت في بني إسرائيل ﴿وَآتِ ذا الْقُربى حَقَّهُ﴾»؟ قال: وإنّكم للقرابة التي أمر الله جلّ ثناؤه أن يؤتى حقّه؟ قال: نعم.

* * *

المبحث الحادي والعشرون

في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١].

ذكر بعض أهل التأويل في تفاسيرهم والحفّاظ في مسانيدهم بأنّ هذه السورة قد نزلت في أهل بيت الوحي، وهم: أبو العترة الطاهرة الإمام عليّ، والسيّدة الزّهراء أُم الأطهار، والحسنان الشهيدان سيّدا شباب أهل الجنّة عليهم السلام.

وقال بعض: لا السورة كاملةً ولكن جزء منها، ومنهم من قال غير ذلك، وممّن ذكر نزول السورة فيهم ومن قال ببعضها:

١ ـ النّيسابوري:

قال في تفسيره غرائب القرآن [٢٩: ١١٢] المطبوع بهامش «جامع البيان»: ذكر الواحدي في «البسيط» والزّمخشري في «الكشّاف» وكذا الإماميّة أطبقوا على أنّ السّورة نزلت في أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا سيّما في هذه الآية. يعني ﴿يوفون بالنّذر﴾ وما يليها من الآيات.

ويروىٰ عن ابن عبّاس أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا الحسن لو نذرت علىٰ ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضّة جاريةٌ لهما إن أبرأهما الله أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهما شيءٌ، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة منها صاعاً واختبزت خمسة أقراص علىٰ عددهم، فوضعوا أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائلٌ فقال: السّلام عليكم يا أهل محمّد، مسكينٌ من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله

من موائد الجنّة، فآثروه وباتوا ولم يذوقوا إلّا الماء، وأصبحوا صياماً. فلمّا أمسوا ووضعوا الطّعام بين أيديهم وقف عليهم يتيمٌ فآثروه، ووقف عليهم الثالثة أسيرٌ، ففعلوا مثل ذلك، فلمّا أصبحوا أخذ عليّ بيد الحسن والحسين إلىٰ رسول اللّٰه ﷺ فلمّا أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، قال ﷺ: ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام وانطلق معهم. فرأى فاطمة في محرابها قد لصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل وقال: خذها يا محمّد، هنّاك اللّٰه في أهل بيتك، فأقرأه السورة.

٢ ـ الطّبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٥: ٥١٦ ط. مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت] في سبب النّزول: قد روى الخاص والعام أنّ الآيات من هذه السورة وهي قوله: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾ نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. وجارية تسمّى فضّة، وهو المرويّ عن ابن عبّاس ومجاهد وأبي صالح.

والقصّة طويلةٌ، وجملتها أنّهم قالوا: مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جدّهما ﷺ إلى آخر القصّة المذكورة.

وفي رواية عطاء عن ابن عبّاس أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام آجر نفسه ليستقي نخلاً بشيءٍ من شعير ليلةً حتّى أصبح، فلمّا أصبح وقبض الشعير، طحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له «الحريرة» فلما تمّ إنضاجه أتىٰ مسكينٌ فأخرجوا إليه الطّعام، ثمّ عمل الثّلث الثاني، فلمّا تمّ إنضاجه أتى يتيمٌ فسأل فأطعموه. ثمّ عمل الثّلث الثّالث، فلمّا تمّ إنضاجه أتى أسيرٌ من المشركين فسأل فأطعموه، وطووا يومهم ذلك. ذكره الواحدي في تفسيره.

وذكر عليّ بن ابراهيم أنّ أباه حدّثه عن عبد اللّٰه بن ميمون عن أبي عبداللّٰه عليه السلام قال: كان عند فاطمة شعيرٌ فجعلوه عصيدة، فلمّا أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكينٌ فقال المسكين: رحمكم اللّٰه، فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها، فلم يلبث أن جاء يتيمٌ

فقال اليتيم: رحمكم اللّٰه، فقام علي فأعطاه الثلث، ثمّ جاء أسير فقال الأسير: رحمكم اللّٰه، فأعطاه علي عليه‌السلام الثلث الباقي وما ذاقوها فأنزل اللّٰه سبحانه الآيات فيهم.

ثم ذكر الشيخ المؤلّف ترتيب نزول سور القرآن ما ورد عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله لمّا سأله علي عليه‌السلام إلى أن قال أخيراً:

أقول: قد اتّسع نطاق الكلام في هذا الباب حتّى كاد يخرج عن أسلوب الكتاب، وربّما نسبنا به إلى الإطناب، ولكنّ الغرض فيه أنّ بعض أهل العصبيّة قد طعن في هذهِ القصّة، بأنّ قال: هذه السّورة مكيّة، فكيف يتعلّق بها ما كان بالمدينة. وقد استدلّ بذلك علىٰ أنّها مخترعةٌ جراءةً علىٰ اللّٰه سبحانه، وعداوةً لأهل بيت رسوله، فأحببت إيضاح الحقّ في ذلك وإيراد البرهان في معناه، وكشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه، علىٰ أنه كما ترى يحتوي علىٰ السّر المخزون، والدّرّ المكنون من هذا العلم الذي يستضاء بنوره، ويتلألأ بزهوره، وهو معرفة ترتيب السّور في التنزيل، وحصر عددها في الجملة والتّفصيل. اللّهم أمددنا بتأييدك، وأيدّنا بتوفيقك، فأنت الرّجاء والأمل، وعلىٰ فضلك المعوّل والمتّكل.

٣ ـ الزّمخشري:

قال في تفسيره الكشّاف [٤: ٦٧٠ ط. قم منشورات البلاغة]: عن ابن عبّاس رضي‌الله‌عنه: أنّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول اللّٰه صلى‌الله‌عليه‌وآله في ناس معه. إلى آخر القصّة الّتي رواها النّيسابوري في تفسيره.

٤ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٥: ٣٤٨ ـ ٣٤٩] عند تفسيره ﴿ **ويطعمون الطّعام على حُبّهِ** ﴾: وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله.

٥ ـ ابن شهرآشوب:

قال في كتابه مناقب آل أبي طالب [٣: ١٠٣ ط . دار الأضواء ـ بيروت و ٢: ٢٩٨ مطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف]: جاء في تفسير أهل البيت عليهم السلام أن قوله: **﴿هل أتى علىٰ الإنسان حينٌ مِن الدّهْرِ﴾**، يعني به عليّاً، وتقدير الكلام: ما أتى علىٰ الانسان زمانٌ من الدّهر إلّا وكان فيه عليه السلام شيئاً مذكوراً، وكيف لم يكن مذكوراً، وأنّ اسمه مكتوبٌ علىٰ ساق العرش وعلىٰ باب الجنّة، والدّليل علىٰ هذا القول قوله: **﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفةٍ﴾**، ومعلومٌ أنّ آدم لم يخلق من النطفة.

وأورد في [ص ١٠٤] قول أبي فراس:

اقرأوا عن القرآن ما في فضله ... وتأمّلوه واعرفوا فحواه
لو لم ينزّل فيه إلّا هل أتىٰ ... من دون كلّ منزّلٍ لكفاه
من كان أوّل من حوى القرآن من ... نطق النبيّ ولفظه وحكاه
من بات فوق فراشه متنكّراً ... لمّا أظلّ فراشه أعداه
من ذا أراد إلهنا بمقاله ... الصّادقون والقانتون سواه
من خصّه جبريل من ربّ العلىٰ ... بتحيّةٍ من جنّةٍ وحباه
أنسيتم يوم الكساء وأنّه ... ممّن حواه مع النبيّ كساه
إذ قال جبريل بهم متشرّفاً ... أنا منكم قال النبيّ كذاه

٦ ـ الموسوي:

قال في التعليقات من مراجعته الثانية عشرة [ص ٣٨ ط. المجمع العالمي لأهل البيت «ع»]:

هل أتىٰ هل أتىٰ بمدح سواهم ... لا ومولىٰ بذكرهم جلاها

ثمّ علّق بقوله: ـ هذه ـ إشارةٌ إلى نزول سورة الدّهر فيهم وفي أعدائهم، ومن أراد الوقوف علىٰ جليّة الأمر في كلّ آية من آية التّطهير وآية المباهلة وآية المودّة في القربىٰ

وسورة الدّهر فعليه «بكلمتنا الغرّاء» فإنّها الشفاء من كلّ داء، وبها ردّ جماح الأعداء، وزجر غراب الجهلاء والحمد للّٰه ربّ العالمين.

٧ـ ابن عبد ربّه المالكي:

ذكر في كتابه العقد الفريد حديث احتجاج المأمون العبّاسي على أربعين فقيهاً وفيه، قال: يا إسحاق هل تقرأ القرآن؟ قلت: نعم. وقال المأمون: إقرأ عليّ: ﴿**هلْ أتىٰ على الإنسان حينٌ من الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾، فقرأت منها حتّى بلغت: ﴿**يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً**﴾، إلىٰ قوله: ﴿**ويطعمون الطّعام علىٰ حبّهِ مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾، قال المأمون: علىٰ رسلك، فيمن أنزلت هذه الآيات؟ قلت: في عليّ. قال: فهل بلغك أنّ عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير، قال: إنّما نطعمكم لوجه اللّٰه؟ وهل سمعت اللّٰه وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به عليّاً؟ قلت: لا. قال: صدقت لأنّ اللّٰه جلّ ثناؤه عرف سيرته، يا إسحاق، ألست تشهد أن العشرة في الجنّة؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: أرأيت لو أنّ رجلاً قال: واللّٰه ما أدري هذا الحديث صحيحٌ أم لا؟ ولا أدري إن كان رسول اللّٰه قاله أم لم يقله، أكان عندك كافراً؟ قلت: أعوذ باللّٰه، قال: أرأيت لو أنّه قال: ما أدري هذه السّورة من كتاب اللّٰه أم لا، كان كافراً؟ قلت: نعم، قال: يا إسحاق أرى بينهما فرقاً[١].

٨ـ سبط ابن الجوزي:

قد روى قصة سبب نزول هل أتى في كتابه تذكرة خواص الأُمة [ص٣١٦ط. طهران] من طريق البغوي والثعلبي. ثمّ قال بعد تنزيه سنده ردّاً علىٰ جدّه ابن الجوزي في إخراجه في الموضوعات: والعجب من قول جدّي وإنكاره، وقد قال في كتابه «المنتخب»: يا علماء الشرع، أعلمتم لم آثرا «علي وفاطمة» وتركا الطفلين «الحسنين» عليهما أثر الجوع؟

---

(١) راجع: العقد الفريد ٥ : ٣٢١ ط. دار الفكر.

أتراهما خفي عنهما سر: «ابدأ بمن تعول»؟ ما ذاك إلّا لأنهما علما قوة صبر الطفلين وأنهما غصنان من شجرة أظلّ عند ربّي، وبعضٌ من جملة: «فاطمة بضعةٌ منّي». وفرخ البطّ سابح.

٩ ـ الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشّافعي:

قال في كتابه كفاية الطّالب [ص ٣٤٨ ط. طهران] بعد ذكر الحديث في سبب نزول السّورة الكريمة: هكذا رواه الحافظ أبو عبدالله الحميدي في «فوائده» ورواه ابن جرير الطبري أطول من هذا في سبب نزول هل أتى. وقد سمعت الحافظ العلّامة أبا عمرو عثمان ابن عبد الرحمن المعروف بابن الصّلاح في درس التّفسير في سورة هل أتى وذكر الحديث وقال فيه: إنّ السؤّال كانوا ملائكة من عند رب العالمين، وكان ذلك امتحاناً من اللّه عزّوجل لأهل بيت الرسول ﷺ. وسمعت بمكّة حرسها اللّه تعالىٰ من شيخ الحرم بشير التبريزي في درس التفسير: أنّ السّائل الأوّل كان جبرئيل، والثّاني ميكائيل، والثّالث كان إسرافيل عليهم السلام.

١٠ ـ الخازن:

وهو علاء الدّين عليّ بن محمّد الخازن البغدادي، المتوفّىٰ سنة (٧٤١) قال في تفسيره [٤: ٣٥٨]: بأنّ نزولها في عليّ عليه السلام ثمّ قال: وقيل: إنّ الآية عامّة في كلّ من أطعم.

١١ ـ أبو جعفر الاسكافي:

قال في رسالته الّتي ردّ بها على الجاحظ: لسنا كالإماميّة الّذين يحملهم الهوى على جحد الأمور المعلومة، ولكنّنا ننكر تفضيل أحد من الصّحابة علىٰ علي بن أبي طالب، ولسنا ننكر غير ذلك «إلى أن قال»: وأما إنفاقه فقد كان علىٰ حسب حاله وفقره، وهو الّذي أطعم الطّعام علىٰ حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وأُنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورةٌ

كاملةٌ من القرآن.

١٢ ـ الأميني:

قال في كتابه الغدير [٣: ١٠٦] ردّاً علىٰ ابن حزم في افتراءاته على الشيعة الإماميّة في قوله: «ولسنا من كذبهم ـ الرّافضة ـ في تأويلهم: ويطعمون الطّعام علىٰ حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وأنّ المراد بذلك علي ﷺ، بل هذا لا يصحّ، بل الآية علىٰ عمومها وظاهرها لكلّ من فعل ذلك»[١] وإليك لفظه:

إنّ الواقف علىٰ هذه الأُضحوكة يعرف موقع الرّجل من التّدجيل لحسبانه أنّ في مجرّد عزو هذا التأويل إلىٰ الرافضة فحسب، وقذفهم بالكذب، واتباع ذلك بعدم الصّحّة حطّاً في كرامة الحديث الوارد في الآية الشريفة، وهو يعلم أنّ أُمّة كبيرةً من أئـمّة التفسير والحديث يروون ذلك ويثبتونه مسنداً في مدوّناتهم، وإن كان لا يدري فتلك مصيبة.

وهذا الحافظ أبو محمّد العاصمي أفرد في ذلك كتاباً في مجلّدين أسماه «زين الفتى في تفسير سورة هل أتى» وهو كتابٌ ضخمٌ فخم ممتع ينم عن فضل مؤلّفه وسعة إحاطته بالحديث، وتعالي مقدرته في الكلام والتنقيب، مع أنّ في غضونه سقطات تلائم مذهبه وخطّة قومه، ثمّ يذكر في كتابه المذكور جمعاً من رواة الحديث في هذا المقام بلغ عددهم إلىٰ أربعةٍ وثلاثين راوياً، ومنهم أبو سالم محمّد بن طلحة الشّافعي القائل:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها ... مناقبهم جاءت بوحي وإنزال
مناقب في الشورى وسورة هل أتىٰ ... وفي سورة الأحزاب يعرفها التّالي
وهم أهل بيت المصطفى فودادهم ... على النّاس مفروضٌ بحكمٍ وإسجال

* * *

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ١٤٦ ط. دار المعرفة ـ بيروت.

المبحث الثّاني والعشرون

في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [الاعراف: ٤٦].

انّ لأهل التّاويل والمفسّرين في تفاسيرهم عن «أصحاب الأعراف» أقوالاً مختلفة المعاني، لتباين نظرهم وآرائهم في المراد بالرّجال من هذه الآية الشريفة، ولعلّ أقربها إلىٰ مدارك الفهم من بين تلك الأقوال المتضاربة، قول من قال: إنّ المراد بالرّجال هم: حمزة، والعبّاس، وعلي، وجعفر الطّيار. واللّه أعلم. فمّن ذكر ذلك في تفاسيرهم ومدوّناتهم:

١ ـ الطّبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [٤: ٤٢٣ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت]: وقيل: إنّ الأعراف موضعٌ عالٍ على الصّراط، عليه حمزة، والعبّاس، وعليّ، وجعفر، يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه. عن الضّحّاك عن ابن عبّاس، ورواه الثّعلبي بالإسناد في تفسيره.

ثمّ أورد أقوالاً غير ذلك، إلىٰ أن قال فيه: وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: هم آل محمّد عليهم السلام، لا يدخل الجنّة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه. وقال أبو عبداللّه جعفر بن محمّد عليه السلام: الأعراف كثبان بين الجنّة والنّار، فيقف عليها كل نبيٍّ وخليفة نبيٍّ، مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده، وقد سيق المحسنون إلى الجنّة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا إلىٰ إخوانكم المحسنين قد سيقوا إلى الجنّة، فيسلّم المذنبون عليهم، وذلك قوله: ﴿ونادوا أصحاب الجنّة أن سلامٌ عليكُم﴾.

ثمّ أخبر سبحانه أنّهم ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾، يعني: هؤلاء المذنبين، لم يدخلوا الجنّة وهم يطمعون أن يدخلهم اللّه إياها بشفاعة النبيّ والإمام، وينظر هؤلاء المذنبون إلىٰ أهل النار فيقولون: ﴿ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾. ثمّ ينادي أصحاب الأعراف، وهم الأنبياء والخلفاء أهل النار مقرعين لهم: ﴿ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم﴾[1] يعني: أهؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقّرونهم وتستطيلون بدنياكم عليهم؟ ثمّ يقولون: «أي الأنبياء والخلفاء» لهؤلاء المستضعفين عن أمر من اللّه لهم بذلك: ﴿ادخلوا الجنّة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾.

ويؤيّده ما رواه عمر بن شيبة وغيره: أنّ عليّاً عليه السلام قسيم النار والجنّة. ورواه أيضاً بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «يا عليّ كأنّي بك يوم القيامة وبيدك عصا عوسج، تسوق قوماً إلى الجنّة. وآخرين إلى النار».

وروى أبو القاسم الحسكاني بإسناده، رفعه إلى الأصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند عليّ عليه السلام فأتاه ابن الكوّا فسأله عن هذه الآية، فقال عليه السلام: ويحك يابن الكوّا نحن نقف يوم القيامة بين الجنّة والنار، فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار.

وقوله: ﴿يعرفون كلاًّ بسيماهم﴾ يعني: هؤلاء الرجال الذين هم على الأعراف، يعرفون جميع الخلق بسيماهم، يعرفون أهل الجنّة بسيماء المطيعين، وأهل النار بسيماء العصاة.

٢ ـ الشوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٢: ٢٠٨ ط. الحلبي وأولاده بمصر] بعد أن ذكر أقوالاً، وقيل: هم: العبّاس، وحمزة، وعليّ، وجعفر الطيّار، يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسوادها، حكي ذلك عن ابن عبّاس.

(١) الاعراف: الآيات ٤٧ ـ ٤٩.

ثمّ ذكر أقوالاً غير ذلك. إلىٰ أن قال في تفسيره: وجملة ﴿يعرفون كلّاً بسيماهم﴾ صفة لرجال. والسيما: العلامة، أي يعرفون كلّاً من أهل الجنّة والنار بعلاماتهم، كبياض الوجوه وسوادها، أو مواضع الوضوء من المؤمنين، أو علامة يجعلها اللّٰه لكلّ فرق في ذلك الموقف، يعرف رجال الأعراف بها السعداء من الأشقياء.

٣ ـ شرف الدين الموسوي:

قال في المراجعة الثانية عشرة من مراجعاته [ص ٩٣ ط. بيروت]: وهم رجال الأعراف الذين قال: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كُلّاً بسيماهم﴾.

أخرج الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره عن ابن عبّاس قال: الأعراف موضع عالٍ من الصراط، عليه العبّاس وحمزة وعليّ وجعفر ذوالجناحين، يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه. انتهىٰ.

وأخرج الحاكم بسنده إلىٰ عليّ قال: نقف يوم القيامة بين الجنّة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه.

وعن سلمان الفارسي: سمعت رسول اللّٰه يقول: «يا عليّ إنّك والأوصياء من ولدك على الأعراف». «الحديث»

ويؤيّده حديثٌ أخرجه الدّارقطني كما في أواخر الفصل الثّاني من الباب التّاسع من الصّواعق [ص ١٩٥: ط. دار الكتب ـ بيروت]: أنّ عليّاً قال للستّة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً ومن جملته: أنشدكم باللّٰه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّٰه: «يا عليّ أنت قسيم الجنّة والنّار يوم القيامة غيري»؟ قالوا: اللّهم لا. قال ابن حجر معناه: ما رواه عنترة عن علي الرضا أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: «يا عليّ أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنّار: هٰذا لي وهٰذا لك». قال ابن حجر: وروى ابن السّماك أنّ أبا بكر قال لعليّ عليه السلام: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحدٌ الصّراط إلّا من كتب له عليّ الجواز».

٤ ـ ابن شهر آشوب:

روى في كتابه مناقب آل أبي طالب [٣: ٢٣٣ ط. دار الأضواء]: عن الأصبغ بن نباتة وزيد بن عليّ أنّه سئل أمير المؤمنينعليه السلام عن قوله: ﴿وعلى الأعراف رجالٌ﴾ وسئل الصّادقعليه السلام واللّفظ له، فقال: نحن أُولئك الرّجال على الصراط ما بين الجنّة والنار، فمن عرفنا وعرّفناه دخل الجنّة، ومن لم يعرفنا ولم نعرفه ادخل النار.

إبانة العكبري وكشف الثعلبي وتفسير الفلكي، بالاسناد عن أبي اسحاق عاصم ابن سليمان المفسّر، عن جويبر بن سعيد، عن الضحّاك عن ابن عباس قال: الأعراف موضع عالٍ من الصراط عليه: العبّاس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين، يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه.

وروينا عن رسول اللّهصلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لعليّعليه السلام: «أنت يا علي والأوصياء من ولدك أعراف اللّه بين الجنّة والنّار، لا يدخل الجنّة إلّا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النّار إلّا من أنكركم وأنكرتموه».

وسأل سفيان بن مصعب الصّادقعليه السلام عنها، فقالعليه السلام: «هم الأوصياء من آل محمّد الإثنا عشر، لا يعرف اللّه إلّا من عرفهم»، قال: فما الأعراف؟ جعلت فداك. قالعليه السلام: «كتائب من مسكٍ عليها رسول اللّه والأوصياء، يعرفون كلّاً بسيماهم».

فأنشأ سفيان يقول:

وأنتم ولاة الحشر والنّشر والجزا ... وأنتم ليوم المفزع الهول مفزع

وأنتم علىٰ الأعراف وهي كتائب ... من المسك ريّاها بكم يتضوّع

ثمانيةٌ بالعرش إذ يحملونه ... ومن بعدهم في الأرض هادون أربع

وأمّا قول العامّة: إنّ أصحاب الأعراف من لا يستحق الجنّة ولا النّار محال، وما جعل اللّه في الآخرة غير منزلتين، امّا للثواب وإمّا للعقاب، فكيف يكون أصحاب الأعراف بهذه الحالة؟ وقد أخبر اللّه أنّهم يعرفون النّاس يومئذ بسيماهم، وأنّهم يوقفون

أهل النّار علىٰ ذنوبهم ويقولون: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ الآية. وينادون أهل الجنة ﴿أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الآية.

قال ابن حمّاد:

وإنّك صادق الأعراف تدعو ... رجالاً فائزين وهالكينا
فتقسم منهم قسمين بعضاً ... شمالاً ثمّ بعضهم يمينا

٥ ـ الأميني:

روى في غديره [٢: ٣٢٥]: ما أخرجه الحاكم الحسكاني بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند عليٍّ فأتاه ابن الكوّا فسأله عن قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ الآية. فقال عليه السلام: «ويحك يابن الكوّا، نحن نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنّار فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار».

وأخرج أبو إسحاق الثّعلبي في «الكشف والبيان» في الآية الشّريفة عن ابن عبّاس أنّه قال: الأعراف موضعٌ عالٍ من الصّراط، عليه العبّاس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين، يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه.

ورواه ابن طلحة الشّافعي في «مطالب السّؤول» [ص ١٧] وابن حجر في «الصّواعق» [ص ١٠١] والشّوكاني في «فتح القدير» [٢: ١٩٨].

وإلى ذلك أومأ العبدي بشعره:

لأنتم على الأعراف أعرف عارفٍ ... بسيما الّذي يهواكم والّذي يشنا
أئمّتنا أنتم سندعى بكم غداً ... إذا ما إلىٰ ربّ العباد معاً قمنا
بجدّكم خير الورى وأبيكم ... هدينا إلىٰ سبل النّجاة وأنقذنا
ولولاكم لم يخلق اللّه خلقه ... ولا لقّب الدّنيا الغرور ولا كنّا
ومن أجلكم أنشا الإله لخلقه ... سماءً وأرضاً وابتلى الإنس والجنّا
تجلّون عن شبهٍ من النّاس كلّهم ... فشأنكم أعلى وقدركم أسنا

إذا مسّـــــنا ضرّ دعـــونا إلهـــنا   بمـــوضعكم مـــنه فـــيكشفه عـنّا
وإن دهمـــــتنا غـــمّةٌ أو مـــلمّةٌ   جلعناكم منها ومن غبرنا[1] حصنا
وإن ضـــامنا دهـــرٌ فـعذنا بـعزكم   فيبعد عـنّا الضّـيم لمّـا بكـم عـذنا
وإن عـارضتنا خـفيةٌ مـن ذنـوبنا   بـــراةٌ لنـــا عـنها شـفاعتكم أمـنا

* * *

(١) هكذا في الغدير، والصحيح انها غيرها.

المبحث الثّالث والعشرون

في قوله تعالى: ﴿ بَراءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١].

إنّ من أظهر ما خصّ اللّه سبحانه وتعالىٰ أبا الحسنين من الفضل دون غيره من الأمّة، أخذه هذه السّورة الشّريفة من يد أبي بكر، بعد ما سار بها ليؤذّن في النّاس من أهل مكة، فلحقه علي بأمر من رسول اللّه ﷺ عن جبرئيل عن اللّه عزّوجلّ، كما روى ذلك جمعٌ كثيرون من أعلام الأمّة، منهم:

١ ـ الزّمخشري:

قال في تفسيره الكشّاف [٢: ٢٤٣ ط. منشورات البلاغة ـ قم]: وكان نزولها سنة تسع من الهجرة، وفتح مكّة سنة ثمان، وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد. فأمر رسول اللّه ﷺ أبا بكر علىٰ الموسم سنة تسع. ثمّ أتبعه عليّاً ﵇ راكب العضباء ليقرأها علىٰ أهل الموسم، فقيل له ﷺ: لو بعثت بها إلىٰ أبي بكر فقال ﷺ: «لا يؤدّي عنّي إلّا رجلٌ منّي». فلمّا دنا عليّ، سمع أبو بكر الرّغاء فوقف وقال: «هذا رغاء ناقة رسول اللّه ﷺ». فلمّا لحقه قال: أمير أو مأمور؟ قال: «مأمورٌ».

وروي أنّ أبا بكر لمّا كان ببعض الطريق هبط جبرئيل ﵇ فقال: «يا محمّد، لا يبلّغن رسالتك إلّا رجل منك». فأرسل ﷺ عليّاً، فرجع أبو بكر إلىٰ رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه أشيءٌ نزل من السّماء؟ قال: نعم، فسر وأنت علىٰ الموسم وعلي ينادي بالآي. فلمّا كان قبل التّروية خطب أبو بكر وحدّثهم عن مناسكهم. وقام علي ﵇ يوم

النّحر عند جمرة العقبة فقال: «يا أيّها النّاس إنّي رسول رسول اللّٰه إليكم»، فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية. وعن مجاهد ثلاث عشرة آية ثمّ قال: «أمرت بأربع: أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلّا نفسٌ مؤمنة، وأن يتمّ إلى كلّ ذي عهدٍ عهده». فقالوا عند ذلك: يا عليّ أبلغ ابن عمّك إنّا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا، وأن ليس بيننا وبينه عهدٌ إلّا طعنٌ بالرماح وضربٌ بالسيوف.

٢ ـ الطبري:

قال في تفسيره جامع البيان [٦: ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت]: حدّثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدّثنا أبو احمد، قال: حدّثنا إسرائيل عن أبي اسحاق، عن زيد بن يثيع، قال: نزلت براءة فبعث بها رسول اللّٰه ﷺ أبا بكر، ثمّ أرسل عليّاً فأخذها منه، فلمّا رجع أبو بكر قال: هل نزل فيّ شيءٌ؟ قال: ﷺ «لا، ولكنّي أُمرت أن أبلّغها أنا أو رجلٌ من أهل بيتي.».

وقال: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حنيف، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن حسين بن علي، قال: لمّا نزلت براءةٌ علىٰ رسول اللّٰه ﷺ وقد كان بعث أبا بكر الصدّيق ليقيم الحجّ للنّاس، قيل: يا رسول اللّٰه لو بعثت إلى أبي بكر؟ فقال: «لا يؤدّي عنّي إلّا رجلٌ من أهل بيتي»، ثمّ دعا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: «أخرج بهذه القصّة من صدر براءة، وأذّن في النّاس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنّه لا يدخل الجنّة كافرٌ، ولا يحجّ بعد العام مشركٌ، ولا يطف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول اللّٰه عهدٌ فهو إلىٰ مدّته»، فخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام علىٰ ناقة رسول اللّٰه ﷺ العضباء، حتّى أدرك أبا بكر الصدّيق بالطّريق، فلمّا رآه أبو بكر قال: أميرٌ أو مأمور؟ قال عليه السلام: «مأمورٌ». الخ.

وقال: حدّثني الحسين، قال حدّثنا أحمد بن المفضّل، قال: حدّثنا أسباط، عن

السدّي، قال: لمّا نزلت هذه الآيات إلىٰ رأس أربعين آية، بعث بهن رسول الله ﷺ مع أبي بكر وأمّره على الحج، فلمّا سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعليٍّ فأخذها منه. فرجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي، أنزل في شأني شيءٌ؟ قال ﷺ: «لا، ولكن لا يبلّغ عنّي غيري أو رجلٌ منّي». الخ.

٣ـ النّيسابوري:

قال في تفسيره غرائب القرآن [١٠: ٣٦] المطبوع بهامش «جامع البيان»: ونزلت هذه السّورة سنة تسع، وكان قد أمر فيها أبا بكر على الموسم، فلمّا نزلت السّورة أتبعه عليّاً راكب العضباء ليقرأها علىٰ أهل الموسم. فقيل له: لو بعثت بها إلىٰ أبي بكر؟ فقال ﷺ: «لا يؤدّي عنّي إلّا رجلٌ منّي»، فلمّا دنا عليّ سمع أبو بكر الرّغاء، فوقف وقال: هذا رغاء ناقة رسول الله ﷺ فلمّا لحقه قال: أميرٌ أو مأمور؟ قال عليه السلام: «مأمورٌ».

وروي أنّ أبا بكر لمّا كان ببعض الطّريق هبط جبرئيل عليه السلام وقال: «يا محمّد لا يبلّغنّ رسالتك إلّا رجلٌ منك»، فأرسل عليّاً فرجع أبو بكر إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أشيءٌ نزل من السّماء؟ قال: «نعم، فسر أنت على الموسم وعليّ ينادي بالآي»، فلمّا كان قبل التّروية، خطب أبو بكر وحدّثهم عن مناسكهم، وقام عليّ يوم النّحر عند جمرة العقبة فقال: «أيها النّاس إنّي رسول رسول الله إليكم» الخ.

٤ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٢: ٣٣٣]: وقد اختلف العلماء في تعيين هذا اليوم المذكور في الآية، فذهب جمعٌ منهم: عليّ بن ابي طالب، وابن مسعود، وابن أبي أوفى، والمغيرة بن شعبة، ومجاهد، أنّه يوم النّحر. ورجّحه ابن جرير. وذهب آخرون منهم: عمر، وابن عبّاس، وطاووس أنّه يوم عرفة، والأوّل أرجح، لأنّ النبي ﷺ أمر من بعثه لابلاغ هذا إلى المشركين أن يبلّغهم يوم النحر.

ثم قال في [ص ٣٣٤]: وأخرج عبدالله بن أحمد بن حنبل في «زوائد المسند» وأبو الشّيخ، وابن مردويه عن علي قال: لمّا نزلت عشر آيات من براءة عن[1] النبيّ ﷺ دعا أبا بكر ليقرأها علىٰ أهل مكّة، ثمّ دعاني فقال لي: أدرك أبابكر، فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه فاقرأه على أهل مكة، فلحقته فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر وقال: يا رسول الله، نزل فيّ شيءٌ؟ قال: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال ﷺ: لن يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجلٌ منك.

وأخرج: ابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي وحسّنه، وأبو الشّيخ، وابن مردويه من حديث أنس نحوه.

٥ ـ الطّبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٥: ٣ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت]: أجمع المفسّرون ونقلة الأخبار أنّه لمّا نزلت براءةٌ دفعها رسول الله ﷺ إلى أبي بكر. ثم أخذها منه ودفعها إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام واختلفوا في تفصيل ذلك، فقيل: إنّه بعثه وأمره أن يقرأ عشر آيات من أوّل هذه السّورة، وأن ينبذ إلىٰ كلّ ذي عهده، ثمّ بعث عليّاً خلفه ليأخذها ويقرأها على النّاس، فخرج علىٰ ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتّى أدرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذها منه، وقيل: أنّ أبا بكر رجع فقال: هل نزل فيّ شيء؟ فقال ﷺ: «لا، إلّا خيراً، ولكن لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجلٌ منّي». وقيل: إنه قرأ علي براءة على الناس، وكان أبو بكر أميراً على الموسم، عن الحسن وقتادة وقيل: إنّه ﷺ أخذها من أبي بكر قبل الخروج ودفعها إلىٰ عليٍّ عليه السلام وقال ﷺ: «لا يبلّغ عنّي إلّا أنا أو رجلٌ منّي».

ثمّ قال: وروى أصحابنا أنّ النبيّ ﷺ ولّاه أيضاً الموسم، وأنّه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر.

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن سمّاك بن حرب عن أنس بن

---

(١) هكذا في الأصل، والظاهر انها «على».

مالك: أنّ رسول اللّه ﷺ بعث ببراءة مع أبي بكر إلىٰ أهل مكّة، فلمّا بلغ ذا الحليفة بعث إليه فردّه، وقال ﷺ: «لا يذهب بهذا إلّا رجل من أهل بيتي»، فبعث عليّاً عليه السلام.

٦ ـ شرف الدّين الموسوي:

قال في التّعليقات من مراجعاته: [ص ١٦٧ ط. المجمع العالمي لأهل البيت (ع)] في هامش الكتاب على حديث: «عليّ منّي وأنا من علي، لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو عليّ» أخرجه ابن ماجة في «فضائل الصّحابة» [ص ٩٢] من الجزء الأوّل من سننه، والتّرمذي، والنّسائي في صحيحيهما، وهو الحديث ٢٥٣١ في [ص ١٥٣] من الجزء السّادس من الكنز، وقد أخرجه الإمام أحمد في [ص ١٦٤] من الجزء الرّابع من مسنده من حديث حبشي بن جنادة بطرقٍ متعدّدة كلّها صحيحة، وحسبك أنّه رواه عن يحيىٰ بن آدم عن إسرائيل بن يونس، عن جدّه أبي إسحاق السّبيعي عن حبشي، وكل هؤلاء حججٌ عند الشيخين، وقد احتجّا بهم في الصّحيحين، ومن راجع هذا الحديث في مسند أحمد، علم أنّ صدوره إنّما كان في حجّة الوداع الّتي لم يلبث النبيّ ﷺ بعدها في هذه الدّار الفانية إلّا قليلاً، وكان ﷺ قبل ذلك أرسل أبا بكر في عشر آيات من سورة براءة، ليقرأها علىٰ أهل مكّة، ثمّ دعا عليّاً فيما أخرجه الإمام أحمد في [١: ١٥١] من مسنده، فقال له: «أدرك أبا بكر، فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه، فاذهب أنت به إلىٰ أهل مكّة فاقرأ عليهم». فلحقه في الجحفة فأخذ الكتاب منه. قال: ورجع أبو بكر إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول اللّه نزل فيّ شيءٌ؟ قال ﷺ: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال: «لن يؤدّي عنك إلاّ أنت أو رجلٌ منك». ا. هـ.

وفي حديث آخر أخرجه أحمد في [١: ١٥٠] من المسند عن عليٍّ: أنّ النبيّ حين بعثه ببراءة قال ﷺ له: «لا بدّ أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت»، قال علي: فإن كان ولا بدّ فسأذهب أنا، قال ﷺ: «فانطلق فإنّ اللّه يثبّت لسانك ويهدي قلبك».

* * *

المبحث الرّابع والعشرون

في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]

اختلفت الأقوال وتضاربت الآراء في تأويل معنى القربى من هذه الآية الكريمة، ولا غرو أنّهم لا يزالون مختلفين ماداموا يزعمون بأنّ الاختلاف رحمة لا نقمة، ومن أعجب ما بلغ بهم الاختلاف فيه إنكار بعضهم كما ذكر الغدير [١: ١٧١] علىٰ من رأىٰ بأنّ المعنيّ بالقربى هم آل بيت رسول الله ﷺ أهل الكساء المطهّرون: علي وفاطمة والحسنان. علىٰ أنّ جمعاً كثيرين من أعلام الأمّة قد ذكروا ذلك من بين مشتبكات الأقوال المختلفة في تآليفهم وتفاسيرهم ومصنّفاتهم منهم:

١ ـ الزّمخشري:

قال في تفسيره الكشّاف [٤: ٢١٩ ـ ٢٢٠ ط. منشورات البلاغة قم] بعد بسط القول في معنى القربى: وروي أنّها لمّا نزلت قيل: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال ﷺ: «علي وفاطمة وابناهما»، ويدلّ عليه ما روي عن عليّ عليه السلام: شكوت إلىٰ رسول الله ﷺ حسد الناس لي فقال ﷺ: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرّيتنا خلف أزواجنا»، وعن النبيّ ﷺ: «حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعةً إلى أحد من ولد عبد المطّلب ولم يجازه عليها فأنا اجازيه عليها غداً، إذا لقيني يوم القيامة».

وروي أنّ الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا، كأنّهم افتخروا، فقال عبّاس أو ابن عبّاس رضي الله عنه : لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال: «يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أذلّة فأعزّكم اللّه بي»؟ قالوا: بلىٰ يا رسول اللّه، قال: «ألم تكونوا ضلّالاً فهداكم اللّه بي»؟ قالوا: بلىٰ يا رسول اللّه، قال: «أفلا تجيبونني»؟ قالوا: ما نقول يا رسول اللّه؟ قال: «ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فآويناك؟ أو لم يكذّبوك فصدّقناك؟ أو لم يخذلوك فنصرناك»؟ قال: فما زال يقول حتّىٰ جثوا على الرّكب. وقالوا: أموالنا وما في أيدينا للّه ولرسوله، فنزلت الآية.

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم : «من مات علىٰ حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات علىٰ حبّ آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات علىٰ حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات علىٰ حبّ آل محمّدٍ بشرّه ملك الموت بالجنّة ثمّ منكرٌ ونكيرٌ، ألا ومن مات علىٰ حبّ آل محمّد يزفّ إلىٰ الجنّة كما تزفّ العروس إلىٰ بيت زوجها، الا ومن مات علىٰ حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلىٰ الجنة، ألا ومن مات على حبّ محمد وآل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات علىٰ حبّ آل محمّد مات علىٰ السنّة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوبٌ بين عينيه آيسٌ من رحمة اللّه، ألا ومن مات علىٰ بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات علىٰ بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنة».

٢ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره فتح القدير [٤: ٥٣٤]: ثمّ لمّا ذكر سبحانه ما أخبر به نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأحكام الشّريفة الّتي اشتمل عليها كتابه، أمره بأن يخبرهم بأنّه لا يطلب منهم بسبب هذا التبليغ ثواباً منهم، فقال: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ أي قل يا محمّد: لا أطلب منكم علىٰ تبليغ الرسالة جعلاً ولا نفعاً، ﴿ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. هذا الاستثناء

يجوز أن يكون متّصلاً: أي إلّا أن تودّوني لقرابتي بينكم، أو تودّوا أهل قرابتي.

ثمّ أورد حديثاً في سبب النزول ما أخرجه ابن جرير، وابن ابي حاتم، وابن مردويه، من طريق مقسم عن ابن عبّاس، قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، وكأنّهم فخروا. إلىٰ آخر الحديث السّالف ذكره[1].

٣ ـ الطّبرسي:

قال في تفسيره مجمع البيان [٩: ٢٨ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت] في القول الثّالث: إنّ معناه إلّا أن تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم عليهم السلام. عن عليّ بن الحسين عليه السلام وسعيد بن جبير، وعمرو بن شعيب وجماعة، وهو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبد اللّه عليهما السلام.

وأخبرنا السّيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال: أخبرنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال: حدّثني القاضي أبو بكر الحميري قال: أخبرنا أبو العبّاس الضبعي قال: أخبرنا الحسن بن عليّ بن زياد السّري قال: أخبرنا يحيىٰ بن عبد الحميد الحماني قال: حدّثنا حسين الأشتر قال: أخبرنا قيسٌ عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت: ﴿ قُلْ لَا اَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْراً﴾ الآية قالوا: يا رسول اللّه من هؤلاء الذين أمرنا اللّه بمودّتهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «علي وفاطمة وولدهما».

وأخبرنا السّيد أبو الحمد قال: أخبرنا الحاكم أبو القاسم بالإسناد المذكور في كتاب «شواهد التّنزيل لقواعد التفضيل» مرفوعاً إلىٰ أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن اللّه خلق الأنبياء من أشجارٍ شتى، وخلقت أنا وعلي من شجرةٍ واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها[2]، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبداً عبداللّه بين

---

(١) فتح القدير ٤: ٥٣٦.

(٢) هكذا في الأصل، ولعلّ الصواب: وعلي لقاحها، وفاطمة فرعها.

الصفا والمروة ألف عامٍ، ثم ألف عامٍ، ثم ألف عامٍ، حتّى يصير كالشن البالي، ثمّ لم يدرك محبتنا كبّه اللّٰه علىٰ منخريه في النّار، ـ ثمّ تلا ـ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾».

وروى زاذان عن عليّ عليه السلام قال: فينا في آل حمٓ آية، لا يحفظ مودّتنا إلّا كلّ مؤمن. ثمّ قرأ هذه الآية. وإلىٰ هذا أشار الكميت في قوله:

وجدنا لكم في آل حمٓ آيـةً تأوّلهـا منّا تـقي ومـعرب

وذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره: حدّثني عثمان بن عمير، عن سعيد بن جبير عن عبداللّٰه بن عبّاس: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة واستحكم الاسلام، قالت الأنصار فيما بينها: نأتي رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم فنقول له: إن تعروك أمورٌ فهذه أموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محظور عليك. فأتوه في ذلك، فنزلت: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عليهِ أجراً إلّا المودّة في القُربىٰ﴾ فقرأها عليهم، وقال: تودّون قرابتي من بعدي، فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله: فقال المنافقون: إن هذا لشيء افتراه في مجلسه، أراد بذلك أن يذلّلنا لقرابته من بعده، فنزلت: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ [الشورىٰ: ٢٤] فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم. فأنزل اللّٰه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورىٰ: ٢٥].

٤ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٤: ١٢١]: وقول ثالثٌ وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير ما معناه: أنّه قال معنى ذلك: أن تودّوني في قرابتي، أي تحسنوا إليهم وتبرّوهم. وقال السّدّي عن أبي الدّيلم قال: لمّا جيء بعلي بن الحسين عليه السلام أسيراً، فأُقيم علىٰ درج دمشق، قام رجلٌ من أهل الشام فقال: الحمد للّٰه الّذي قتلكم واستاصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «أقرأت القرآن؟» قال: نعم. قال: «أقرأت ال حمٓ؟» قال: قرأت القرآن ولم أقرأ ال حمٓ. قال: «ما قرأت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أجراً إلَّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبِىٰ﴾ ؟ » قال : وإنكم لأنتم هم ؟ قال : « نعم ».

وقال أبو اسحاق السّبيعي : سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لَا أسألكم عليه أجراً إلَّا المودّة في القُربىٰ﴾ فقال : قربى النبيّ ﷺ.

ثمّ أورد الحديث الّذي جرى بين الأنصار وابن عبّاس أو العبّاس ما أسلفنا ذكره، ثمّ قال : وذكر نزولها في المدينة، فيه نظر لأنّ السّورة مكيّة وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السّياق مناسبة، واللّٰه أعلم. وسيأتي الكلام بالتفصيل علىٰ قوله بأنّ الآية مكيّةٌ. ثمّ قال كما في [ص ١١٣]: ولاننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنّهم من ذرّية طاهرة من أشرف بيتٍ وجد علىٰ وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيّما إذا كانوا متّبعين للسّنّة النّبويّة الصحيحة الواضحة الجليّة، كما كان عليه سلفهم، كالعبّاس وبنيه، وعليٍّ وأهل بيته وذرّيته رضي اللّٰه عنهم أجمعين.

وقد ثبت في الصّحيح أنّ رسول اللّٰه ﷺ قال في خطبته بغدير خمٍّ: «إنّي تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب اللّٰه وعترتي، وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

ثمّ أورد ما أخرجه الإمام أحمد مسنداً عن العبّاس بن عبد المطّلب قال: قلت يا رسول اللّٰه: إنّ قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوهٍ لا نعرفها، قال : فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً وقال : « والّذي نفسي بيده، لا يدخل قلب الرّجل الايمان حتّى يحبكم للّٰه ولرسوله » ثمّ قال أحمد: حدّثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد، عن عبداللّٰه بن الحارث، عن عبدالمطّلب بن ربيعة قال: دخل العبّاس ﷺ علىٰ رسول اللّٰه ﷺ فقال : إنّا لنخرج فنرى قريشاً تحدّث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول اللّٰه ﷺ ودرّ عرقٌ بين عينيه ثمّ قال : « واللّٰه لا يدخل قلب امرىءٍ مسلمٍ إيمانٌ حتى يحبكم للّٰه ولقرابتي ».

ثمّ أورد فيه أيضاً حديثاً عن أحمد بن حنبل مسنداً إلىٰ يزيد بن حيّان، قال : انطلقت أنا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ﷺ فلمّا جلسنا إليه، قال حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول اللّٰه ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه

وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللّه ﷺ فقال زيد: يابن أخي قد كبر سنّي وقدم عهدي، ونسيت بعض الّذي كنت أعي من رسول اللّه ﷺ فما حدّثتكم فاقبلوه، وما لا فلا تكلّفوني، ثمّ قال: قام رسول اللّه ﷺ يوماً خطيباً فينا بماءٍ يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد اللّه تعالى وأثنى عليه وذكّر ووعظ، ثمّ قال ﷺ: «أمّا بعد، أيّها النّاس إنّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب، وإنّي تاركٌ فيكم الثّقلين: أولها كتاب اللّه تعالىٰ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه واستمسكوا به». فحثّ علىٰ كتاب اللّه ورغّب فيه، وقال ﷺ: «وأهل بيتي أذكّركم اللّه في أهل بيتي، أذكّركم اللّه في أهل بيتي»، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إنّ نساءه لسن من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم عليه الصّدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل عليٍّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العبّاس رضي الله عنهم، قال: أكلّ هؤلاء حرّم عليهم الصّدقة؟ قال: نعم. وهكذا رواه مسلم والنّسائي من طريق يزيد بن حبّان.

٥ ـ الحبيب علوي بن طاهر الحدّاد:

قال في كتابه «القول الفصل» [١: ٤٧٤ ط. جاوا] ردّاً علىٰ من قال إن هذه الآية منسوخة، وإنّما نزلت بمكّة «الخ»: وهذا قولٌ غير مرضيٍّ، لأن مودّة النّبي ﷺ وكفّ الأذى عنه ومودّة أقاربه ومودّة التّقرّب الىٰ اللّه بالطاعة والعمل الصّالح من فرائض الدّين، وهذه أقاويل السّلف في معنى الآية، ولا يجوز المصير إلىٰ نسخ شيء من هذه الأشياء، وقوله: ﴿إلّا المودّة في القربى﴾ ليس باستثناءٍ متّصل بالأوّل، حتّى يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرّسالة، بل هو منقطعٌ. ومعناه: ولكنّي أذكّركم المودّة في القربىٰ، وأذكّركم قرابتي منكم، كما روينا في حديث زيد بن أرقم: «اذكّركمُ اللّه في أهل بيتي».

ثمّ قال: قال السّمهودي، وذكر الثّعلبي نحوه وزاد: «وكفى قبحاً بقول من زعم أنّ التّقرّب إلىٰ اللّه بطاعته ومودّة نبيّه وأهل بيته عليه وعليهم السّلام منسوخ».

ثمّ قال: قد أخرج السّيوطي في الاتقان خبرين ذكر فيهما ترتيب نزول سور القرآن، وفيهما ذكر تأخّر نزول سورة الشورىٰ التي فيها: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجراً إلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ عن سورة صٓ والفرقان اللّتين فيهما الآيتان النّاسختان بزعمهم: وهما: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلّا من شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً﴾. والثّانية: ﴿قُل ما أسالكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلّفين﴾.

ثمّ أورد في [ص ٤٨٠] حديث ما جرى بين العبّاس أو ابنه و بين الأنصار كما أسلفنا ذكره. وذكر في [ص ٤٨٢] ما أخرجه الطّبراني في «الأوسط» و «الكبير» والبزّار بنحوه وقال: وبعض طرقها حسانٌ. عن أبي الطّفيل قال: خطبنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فحمد اللّه وأثنىٰ عليه، إلىٰ أن قال: «من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد صلى الله عليه وآله وسلم» ثمّ تلا هذه الآية: ﴿واتّبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾، ثمّ أخذ في كتاب اللّه ثمّ قال: «أنا ابن البشير النّذير، أنا ابن النبي، أنا ابن الدّاعي إلىٰ اللّه بإذنه، وأنا ابن السّراج المنير، وأنا ابن الّذي أُرسل رحمةً للعالمين، وأنا من أهل البيت الّذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الّذي افترض اللّه مودّتهم وولايتهم، فقال فيما أنزل علىٰ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجراً إلّا المَوَدَّةَ في الْقُرْبَىٰ﴾.

ورواه الحافظ جمال الدّين الزّرندي عن أبي الطّفيل، وجعفر بن حبّان، فذكره بنحوه. إلّا أنّه قال: وأنا من أهل البيت الّذي كان جبرئيل ينزل فينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الّذي افترض اللّه مودّتهم علىٰ كلّ مسلم، وأنزل اللّه فيهم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إلّا المَوَدّة فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَة نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾.

٦ ـ الطّبري:

قال في تفسيره جامع البيان [١١: ١٤٤ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت] بعد أن ذكر أقوالاً: وقال آخرون: بل معنى ذلك: قل لمن تبعك من المؤمنين: لا أسالكم علىٰ ما جئتكم

به أجراً إلّا أن تودّوا قرابتي.

ثمّ أخرج بإسناده رواية زين العابدين، كما ذكرها بنحو ما رواه ابن كثير، ورواية ما جرى بين العبّاس أو ابنه وبين الأنصار، كما تقدّم في رواية الزّمخشري.

ثمّ قال: حدّثني يعقوب، قال حدثنا: مروان عن يحيىٰ بن كثير، عن أبي العالية، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿قل لا أسْالكُمْ عَلَيْهِ أجراً إلَّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾ قال: هي قربى رسول اللّه ﷺ.

وقال: حدّثني محمّد بن عمارة الأسدي ومحمّد بن خلف، قالا: حدّثنا عبيد اللّه، قال: أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال: سألت عمرو بن شعيب عن قول اللّه عزّوجل: ﴿قُلْ لَا أسْأَلكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلَّا المَوَدَّةَ في الْقُرْبَىٰ﴾ قال: قربىٰ النبيّ ﷺ.

٧ـ النيسابوري:

قال في تفسيره المطبوع بهامش جامع البيان [٢٤: ٣٥]: القول الرّابع: عن سعيد بن جبير لمّا نزلت هٰذه الآية، قالوا: يا رسول اللّه، من هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم لقرابتك؟ فقال ﷺ: «عليّ وفاطمة وابناهما». ولا ريب أنّ هذا فخرٌ عظيم، وشرفٌ تام. ويؤيّده ما روي أنّ عليّاً عليه السلام شكا إلىٰ رسول اللّه ﷺ حسد النّاس فيه، فقال ﷺ: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرّياتنا خلف أزواجنا». وعنه ﷺ: «حرّمت الجنةُ علىٰ من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلىٰ أحد من ولد عبد المطّلب ولم يُجازه عليها، فأنا أُجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة». وكان ﷺ يقول: «فاطمة بضعةٌ منّي يؤذيني ما يُؤذيها». وثبت بالنّقل المتواتر أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين، وإذا كان ذلك وجب علينا محبّتهم لقوله ﴿فاتّبعوه﴾[1]، وكفى شرفاً لآل رسول اللّه ﷺ وفخراً ختم التّشهد بذكرهم والصّلاة عليهم في كلّ صلاة، قال بعض المذكّرين: إنّ

(١) الانعام: ١٥٣.

النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق».

٨ ـ الأميني:

قال في غديره [٢: ٣٠٦] عند شرحه شعر العبدي من قوله:

فولاهم فرضٌ من الرّحـ ـمان في القرآن واجب

أشار به الى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجراً إلّا المَوَدّة في الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لهُ فيهَا حُسْناً﴾ توجد في الكتب والمعاجم أحاديث وكلماتٌ ضافيةٌ حول الآية الشريفة، لا يسعنا بسط المقال فيها، غير أنّا نقتصر بجملة منها:

١ ـ أخرج أحمد في المناقب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطّبراني، وابن مردويه، والواحدي، والثّعلبي، وأبو نعيم، والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول اللّه، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلّى الله عليه وآله: «علي وفاطمة وابناهما».

ورواه محبّ الدّين الطّبري في الذخائر [ص ٢٥] والزّمخشري في «الكشّاف» [٢: ٣٢٩]، والحمّوئي في «الفرايد» والنيسابوري في تفسيره [١: ١٦٥] هامش تفسير الرازي وابن طلحة الشافعي في «مطالب السؤول» [ص ٨] وصحّحه، والرازي في تفسيره، وأبو السعود في تفسيره، هامش تفسير الرازي [٧: ٦٦٥] وأبو حيّان في تفسيره [٧: ٥١٦]، والنّسفي في تفسيره هامش تفسير الخازن [٤: ٩٩] والحافظ الهيثمي في «المجمع» [٩: ١٦٨] وابن الصّباغ المالكي في «الفصول المهمّة» [ص ١٢] والحافظ الكنجي في «الكفاية» [ص ٣١] والقسطلاني في «المواهب» وقال: ألزم اللّه مودّة قرباه كافّة بريّته، وفرض محبّة جملة أهل بيته المعظّم وذرّيّته، فقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾.

ورواه الزّرقاني في «شرح المواهب» [٧: ٣ و ٢١] وابن حجر في «الصّواعق» [ص ١٠١ و ١٣٥] والسّيوطي في «إحياء الميت» هامش الاتحاف [ص ٢٣٩]، والشّبلنجي في

«نور الأبصار» [ص ١١٢] والصّبّان في «الإسعاف» هامش نور الأبصار [ص ١٠٥].

٢ ـ أخرج الحافظ أبو عبدالله الملّا في سيرته: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل أجري عليكم المودّة في أهل بيتي، وإنيّ سائلكم غداً عنهم»، ورواه محبّ الدين الطّبري في «الذخائر» [ص ٢٥] وابن حجر في «الصواعق» [ص ١٠٢ و ١٣٦] والسّمهودي في «جواهر العقدين».

عن جابر بن عبدالله: جاء أعرابي إلى النبيّ ﷺ وقال: يا محمّد اعرض عليّ الإسلام، فقال ﷺ: تشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله، قال: تسألني عليه أجراً؟ قال ﷺ: «لا إلّا المودّة في القربىٰ»، قال: قرابتي أو قرابتك؟ قال ﷺ: «قرابتي»، قال: هات أُبايعك، فعلىٰ من لا يحبّك ولا يحبُّ قرابتك لعنة الله، فقال النبيّ ﷺ: «آمين». أخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية [ص ٣١] من طريق الحافظ أبي نعيم عن محمد بن أحمد بن مخلّد عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده.

وقال في [ص ٣١٠]: وقال المناوي: قال الحافظ الزّرندي: لم يكن أحد من العلماء المجتهدين والأئمّة المهتدين إلّا وله في ولاية أهل البيت الحظ الوافر، والفخر الزّاهر، كما أمر الله بقوله: ﴿قُلْ لا أسْألكُمْ عليه أجراً إلّا المودّة في القُرْبَىٰ﴾.

وقال الفخر الرازي في تفسيره [٧: ٣٩٠]: وأنا أقول: آل محمّد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل. ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشدّ التّعلقات، وهذا كالمعلول بالنّقل المتواتر، وجب أن يكونوا هم الآل.

وقال ابن حجر في «الصّواعق» [ص ٨٩]: أخرج الدّيلمي عن أبي سعيد الخدري أنّ النّبي ﷺ قال: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ عن ولاية علي، وكأن هٰذا هو مراد الواحدي بقوله: روي في قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ عن ولاية عليٍّ وأهل البيت، لأن الله أمر نبيه أن يعرّف الخلق أنّه لا يسألهم عن تبليغ الرسالة أجراً الّا المودّة في القربىٰ، والمعنى أنّهم يسألون: هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبي ﷺ أم

أضاعوها وأهملوها، فتكون عليهم المطالبة والتّبعة ؟

وذكر في الصواعق [ص ١٠١] للشّيخ شمس الدّين بن العربي قوله :

رأيت ولائي آل طـــهٰ فـــريضة   علىٰ رغم أهل البـعد يـورثني القـربا
فما طلب المبعوث أجـراً عـلى الهـدى   بـــتبليغه إلّا المـــودّة في القـــربى

وذكر ابن الصّباغ المالكي في فصوله [ص ١٣] لقائل :

هـــم العـــروة الوثـــقى لمـعتصم بهـا   مـــناقبهم جـــاءت بـــوحي وإنـــزال
مناقب في شـورىٰ وسـورة هـل أتىٰ   وفي سورة الأحـزاب يـعرفها التّـالي
وهـم آل بـيت المـصطفى فـودادهـم   علىٰ النّاس معروض بحكمٍ وإسـجال

وذكر لآخر :

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصاً   تمسّك في أُخراه بـالسّبب الأقـوىٰ
هم القـوم فـاقوا العـالمين مـناقباً   محاسنهم تجـلىٰ وآثـارهم تـروىٰ
موالاتهم فـرضٌ وحـبّهم هـدى   وطـاعتهم ودّ وودّهـم تـقوى

وذكر الشّبلنجي في نور الأبصار [ص ١٣] لأبي الحسن بن جبير :

أحب النبيّ المـصطفى وابـن عـمّه   عـليّاً وسـبطيه وفـاطمة الزّهـرا
هم أهل بيتٍ أذهب الرجس عنهم   وأطلعهم أُفق الهـدى أنجـماً زُهـرا
موالاتهم فرضٌ علىٰ كـل مسـلمٍ   وحبّهم أسنى الذّخـائر للأُخـرى
وما أنا للـصّحب الكـرام بمـبغض   فإنّي أرى البغضاء في حقّهم كـفرا

٩ ـ النّبهاني:

قال في كتابه «الشّرف المؤبّد لآل محمّد» [ص ١٤٦ الطّبعة الثّانية بمطبعة الحلبي وأولاده] في المقصد الثّالث: قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُربىٰ﴾ : القربىٰ: مصدرٌ بمعنى القرابة، وهو علىٰ تقدير مضافٍ، أي ذوي القربىٰ، يعني الأقرباء، وعبّر بفي ولم يعبرّ باللاّم، لأن الظّرفيّة أبلغ وآكد للمودّة.

نقل الإمام السّيوطي في «الدرّ المنثور» وكثيرٌ من المفسّرين عند تفسير هذه الآية عن ابن عبّاس ﷺ قالوا: يا رسول اللّٰه من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «علي وفاطمة وولدهما».

وفيه عن ابن عبّاس قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، وكأنّهم فخروا، فقال العبّاس: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول اللّٰه ﷺ فأتاهم في مجالسهم فقال: «يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أذلةً فأعزّكم اللّٰه بي؟» قالوا: بلى يا رسول اللّٰه، قال: «أفلا تجيبوني؟» قالوا: ما نقول يا رسول اللّٰه؟ قال: «ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك؟ أو لم يكذّبوك فصدّقناك؟ أو لم يخذلوك فنصرناك؟» فما زال يقول حتى جثوا على الرّكب. وقالوا أموالنا وما في أيدينا للّٰه ولرسوله. فنزلت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. وعن طاووس قال: سئل عنها ابن عبّاس فقال: هي قربى آل محمّد.

وقال المقريزي: قال جماعة من المفسّرين في تفسير الآية: قل لمن اتّبعك من المؤمنين لا أسألكم علىٰ ما جئتكم به أجراً الّا أن تودّوا قرابتي.

وعن أبي العالية عن سعيد بن جبير ﴿إلّا المودّة في القُرْبىٰ﴾ قال: هي قربىٰ رسول اللّٰه ﷺ.

وعن أبي إسحاق قال: سألت عمرو بن شعيب عن قول اللّٰه تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إلّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال: قربى النبي ﷺ.

وأورد في [ص ١٥٠] من نفس المصدر عن السدّي عن أبي الديلم قال: لمّا جيء بعليّ بن الحسين أسيراً وأُقيم علىٰ درج دمشق، قام رجلٌ من أهلها فقال: الحمد للّٰه الّذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة. فقال له علي: «أقرأت القرآن؟» قال: نعم، قال: «قرأت ال حمٓ؟» قال: قرأت ولم أقرأ ال حمٓ. قال: «ما قرأت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجراً إلّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾؟»، قال: فإنّكم لإيّاهم؟ قال: «نعم».

قلت: ما أحسب أنّ هذا الرّجل كان مؤمناً، بلى كان مؤمناً بالجبت والطّاغوت. فإنّ هذا الهذيان لا يصدر عن لسان مؤمنٍ باللّٰه ورسوله، وكيف يستقرّ الإيمان في قلب

رجل يحمد اللّٰه على قتل آل المصطفى ﷺ واستئصالهم. وما أظنّ أنّ أبا جهل كان للّٰه ولرسوله أعدىٰ من هذا الملحد. ولعلّنا لا نعدم في زماننا هذا من هو على شاكلته في الضّلال بكراهيّة أهل بيت النّبوّة، ومعدن الرّسالة.

فقد رأينا من إذا سمع بذكر مزيّةٍ امتازوا بها، أو منقبةٍ اُسندت إليهم، ووصفوا بها من اللّٰه أو رسوله ﷺ أو السّلف الصّالح، أو علماء الأمّة وأوليائها، يقطّب وجهه ويتغيّر خلقه، ويودّ بلسان حاله أنّ تلك المزيّة لم تكن لهم.

وقد يتكلّف الأقاويل الواهية، والأخبار الموضوعة، والآثار المصنوعة ليطفئ بها نور اللّٰه، واللّٰه متمّ نوره ولو كره الكافرون.

وقال في [ص ١٨١]: قال المناوي: قال الحافظ الزّرندي: لم يكن أحدٌ من العلماء المجتهدين والائمّة المهتدين، إلّا وله في ولاية أهل البيت الحظ الوافر، والفخر الزّاهر، كما أمر اللّٰه بقوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ﴾.

قلت: وإنّما قيّد الحافظ بالعلماء المجتهدين، والأئمة المهتدين، لأنّهم قدوة الأمّة. فإذا كانت هذه صفتهم فلا ينبغي لمؤمنٍ أن يتخلّف عنهم. فإنّ وصف الإيمان كان لوجوب محبّة أهل البيت رضي اللّٰه عنهم وبقدر زيادته تكون زيادتها، ومن هنا كان للعلماء المجتهدين، والأئمّة المهتدين في موالاتهم الحظّ الوافر، والفخر الزّاهر.

ثمّ أورد في [ص ٢٥٧] عبارة القطب العارف الشّعراني، وذلك: أخذ علينا العهود أنّ لا نسبّ الرّوافض الّذين يقدّمون عليّاً في المحبّة علىٰ أبي بكرٍ وعمر رضي اللّٰه عنهما. لا الّذين يسبّونهما، لا سيّما إن كانوا أشرافاً من أولاد فاطمة رضي اللّٰه عنها، أو من أهل القرآن.

فإيّاك يا أخي من قولك: فلانٌ رافضي كلبٌ، فإنّ ذلك لا ينبغي، والّذي نعتقده أنّ المغالاة في محبّة عليّ والحسن والحسين وذرّيتهما مطلوبٌ بنصّ القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجراً إلَّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾ والودّ: ثبات المحبّة ودوامها، فنسكت عن سبّ من قدّم جدّه في المحبّة علىٰ غيره ما لم يعارض النصوص، وذلك لأن تعصّب الانسان

لأجداده الّذين حصل له بهم الشّرف أمرٌ واقعٌ في كثير من العلماء، فضلاً عن آحاد النّاس من الشّرفاء. ولذلك قالوا: من النّوادر شريفٌ سنّيٌّ يقدّم أبا بكر وعمر علىٰ جدّه عليٍّ.

وكان الإمام الشّافعي ينشد:

إن كان رفضاً حب آل محمّدٍ فليشهد الثّقلان أنّي رافضي

فأعذر يا أخي كلّ من قامت له شبهةٌ ما لم تهدم شيئاً من أصول الدّين الصّريحة، كإنكار صحبة أبي بكر لرسول اللّه ﷺ أو براءة عائشة، واترك الرّوافض إلى اللّه يفصل بينهم يوم القيامة. وهو كلام عارف كبير منصف خبير. رضي اللّه عنه ونفعنا به.

وحاصل العبارة أنّ الشّريف السنّيّ الموصوف بتقديم أبي بكر وعمر علىٰ جدّه عليٍّ من النّوادر. وأكثرهم سنيّون لا يقولون بالتّقديم، مع حبّ الشيخين والصّحابة جميعاً، والاعتراف بفضلهم، وهذا لا يضرّهم في دينهم شيئاً.

١٠ ـ الثّعلبي:

أخرج في تفسيره «الكشف والبيان» على ما في «إحقاق الحقّ وازهاق الباطل» [٩: ٩٢] لنور اللّه الحسيني عن ابن عبّاسٍ ﷺ أنّه قال: لمّا نزلت: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلّا المَوَدَّةَ فِي الْقُربىٰ﴾ قالوا: يا رسول اللّه، من قرابتك هؤلاء .... الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما».

وذكر في نفس المصدر جمعاً يروون هذا الخبر لا يستهان بعدّتهم، منهم:

الحافظ الطّبراني في «المعجم الكبير» [ص ١٣١].

وأبو نعيم في كتابه «نزول القرآن».

والخوارزمي في كتابه «مقتل الحسين» [ص ٥٧ ط. النّجف].

ومحب الدّين الطّبري في «ذخائر العقبىٰ» [ص ٢٥ ط. مصر].

والتفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر الشّافعي في «شرح المقاصد» [٢: ٢١٩ ط. الاستانة].

والقسطلاني الشّافعي في «المواهب اللّدنية» [٧: ٣ ط. الأزهريّة بمصر].

وابن حجر العسقلاني في «الكاف الشّاف» [ص ١٤٥ ط . مصر].

والسّيوطي في «إحياء الميت» [ص ١١٠ ط . مصر]، وفي «الإكليل» [ص ١٩٠ ط. مصر].

والشّبراوي في «الاتحاف» [ص ١٣ و ٥ ط . مصر].

والحافظ البدخشي في «مفتاح النجا» [ص ١٢ مخطوط].

والرّازي في تفسيره [٢٧: ١٦٦ ط . مصر].

والبيضاوي في تفسيره [٤: ١٢٣ ط . مصر].

والنّسفي في تفسيره بهامش الخازن [ص ٩٥].

وأبو حيّان في تفسيره «البحر المحيط» [٧: ٥١٦ ط. مصر].

والسّيوطي في «الدّرّ المنثور» [٦: ٧ ط . مصر].

وابن حجر الهيثمي في «الصّواعق المحرقة» [ص ١٠١ ط . مصر].

وابن أبي حاتم في تفسيره على ما في «الينابيع» و «فلك النجاة». «صاحب كتاب الجرح والتّعديل» المتوفّى سنة (٣٢٧).

والعلّامة السيد أبو بكر العلوي الحضرمي الشافعي في «رشفة الصّادي» [ص ٢٢ ط. القاهرة].

وغيرهم ممّن يطول بذكرهم.

«عودٌ إلى قول ابن كثير حول الآية»

قال فيما مضى من تفسيره حول هذه الآية بأنّ السّورة مكيّةٌ. وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السّياق مناسبةٌ. والله اعلم.

أقول: إنّ لقوله هذا رنّةً تيمية، فليس من العجب إذا كان التّلميذ مقتفياً آثار شيخه ومتعصّباً لخطته. فإنّ ابن تيميّة كان يطعن طعناً عنيفاً فيمن قال إنّ الآية نزلت في

أهل بيت النّبوة. كما أنبأنا بذلك الأميني في غديره [٣: ١٧١] في ذكر ردّ ابن تيمية على العلّامة الحلّي في قوله: أما قوله (يعني العلّامة): وأنزل الله فيهم: ﴿قل لا أسالكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ﴾ فهذا كذبٌ، فإنّ هذه الآية في سورة الشّورى وهي مكيّةٌ بلا ريب. نزلت قبل أن يتزوج علي بفاطمة، وقبل أن يولد له الحسن والحسين. «إلى أن قال»: وقد ذكر طائفةٌ من المصنّفين من أهل السنّة والجماعة والشيعة من أصحاب أحمد وغيرهم حديثاً عن النبيّ ﷺ أنّ هذه الآية لمّا نزلت قالوا: يا رسول اللّه من هؤلاء؟ قال ﷺ: «علي وفاطمة وابناهما»، وهذا كذبٌ باتفاق أهل المعرفة بالحديث. وممّا يبيّن ذلك أنّ هذه نزلت بمكة باتفاق أهل العلم، فإنّ سورة الشّورىٰ جميعها مكيّةٌ بل جميع ال حم كلّهن مكيّات.

قال الأميني تغمّده اللّه برحمته ردّاً على كلماته القارصة الخشنة بقوله كما في غديره [٣: ١٧١]: لو لم يكن في كتاب الرّجل إلّا ما في هذه الجمل من التّدجيل والتّمويه علىٰ أجر صاحب الرسالة، والقول المزوّر، والفرية الشّائنة، والكذب الصّريح، لكفى عليه عاراً وشناراً.

لم يصرح أحدٌ بأنّ الآية مكيّةٌ فضلاً عن الاتفاق المكذوب على أهل العلم، وإنّما حسب الرّجل ذلك من إطلاق قولهم: إنّ السّورة مكيّةٌ. «إلىٰ أن قال»: ودعوى كون جميع سورة الشورىٰ مكيّة تكذّبها استثناؤهم قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَىٰ اللّهِ كَذِباً﴾، إلىٰ قوله: ﴿خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

وهي أربع آياتٍ. واستثناء بعضهم قوله تعالى: ﴿والّذين إذا أصابهم البغي﴾، إلى قوله: ﴿مِنْ سَبِيل﴾، وهي عدّة آياتٍ فضلاً عن آية المودّة.

ونصّ القرطبي في تفسيره [١٦: ١]: والنّيسابوري في تفسيره والخازن في تفسيره [٤: ٤٩]: والشّوكاني في «فتح القدير» [٤: ٥١٠] وغيرهم عن ابن عبّاس، وقتادة علىٰ أنّها مكيّة إلّا أربع آياتٍ أوّلها: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾.

وأمّا حديث أنّ الآية نزلت في عليٍّ وفاطمة وابناهما[1]، وإيجاب مودّتهم بها، فليس مختصّاً بآية الله العلّامة الحلّي ولا بأمته من الشّيعة، بل أصفق المسلمون علىٰ ذلك، إلّا شذاذٌ من حملة الرّوح الأمويّة، نظراء ابن تيميّة وابن كثير. ولم يقف القارئ ولن يقف علىٰ شيءٍ من الاتّفاق المكذوب علىٰ أهل المعرفة بالحديث. ليت الرّجل دلّنا على بعضٍ من أُولئك المجمعين أو علىٰ شيءٍ من تآليفهم، أو علىٰ نورٍ من كلماتهم.

«راجع الغدير» [٣: ١٧٢] تجد هناك امّة كثيرين من رواة هذا الحديث.

* * *

(١) هكذا في الأصل، والصحيح وابنيهما.

المبحث الخامس والعشرون

في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢].

إنّ في ضمن هذه الآية الشّريفة لأمراً من أوامر الله عزّوجلّ كما يعرفه التّالي، ولكن ليس لأحدٍ من العالمين نصيبٌ بامتثاله، غير أفضل السّابقين، وصالح المؤمنين، وأميرهم ويعسوبهم عليّ بن أبي طالب ذو الحظّ العظيم. ولقد تفرّد عليه السلام ظاهراً في ربى هذا الفضل وحيداً لا يشاركه فيه جميع المؤمنين والمسلمين، وسائر الأمّة من الأوّلين والآخرين. كما نصّ على ذلك قادة الأمّة وأصفقت عليه عظماء الأئمّة. منهم:

١ ـ الشوكاني:

قال في تفسيره المذكور [٥: ١٩١ ط. الحلبي بمصر]: وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي وحسّنه. وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، والنّحّاس، وابن مردويه، عن عليّ بن أبي طالب قال: لمّا نزلت: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّموا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ قال لي النبي صلى الله عليه وآله: «ما ترى، دينار؟» قلت: لا يطيقونه، قال: «فنصف دينار؟» قلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: شعيرة. قال: «إنّك لزهيدٌ»، قال: فنزلت: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُم صَدَقَاتٍ﴾ الآية. فبي خفّف الله عن هذه الأمّة. والمراد بالشّعير: وزن شعيرةٍ من ذهب. وليس المراد واحدة من حبّ الشّعير.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله: ﴿ إذا ناجيتم الرّسول﴾ الآية. قال: إنّ المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى

شقّوا عليه، فأراد اللّه أن يخفّف علىٰ نبيّه. فلمّا قال ذلك ظنّ[1] كثيرٌ من النّاس وكفّوا عن المسألة، فأنزل اللّه بعد هذا: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ ﴾ الآية.

وأخرج عبد الرّزاق وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه عليه السلام قال: ما عمل بها أحدٌ غيري حتّى نسخت.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن راهوية، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه عنه عليه السلام أيضاً قال: إن في كتاب اللّه لآية، ما عمل بها أحدٌ قبلي. ولا يعمل به أحدٌ بعدي. آية النّجوىٰ: ﴿ يا أَيُّهَا الذين آمنوا إذا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ كان عندي دينارٌ فبعته بعشرة دراهم، فكنت كلّما ناجيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قدّمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحدٌ، فنزلت: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ الآية.

٢ ـ الزمخشري:

قال في تفسيره المذكور [٤: ٤٩٣ط. منشورات البلاغة ـ قم]: روي أنّ النّاس أكثروا في مناجاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بما يريدون حتّى أملّوه وأبرموه. فأُريد أن يكفّوا عن ذلك. فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدّم قبل مناجاته صدقة، قال علي عليه السلام: لمّا نزلت دعاني رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما تقول في دينار؟» قلت: لا يطيقونه. قال: «كم؟» قلت: حبّة أو شعيرة، قال: «إنّك لزهيد». فلمّا رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفّوا. أمّا الفقير فلعسرته، وأمّا الغني فلشحّه، وقيل: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ.

وعن عليٍّ عليه السلام: «إن في كتاب اللّه لآيةً ما عمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي. كان لي دينارٌ فصرّفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهمٍ»، قال الكلبي: تصدّق به في عشر كلماتٍ سألهنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن ابن عمر: كان لعليٍّ ثلاثٌ. لو كانت، لي واحدةٌ منها كانت أحب إليّ من حمر

(١) هكذا في الأصل، ويبدو انها «ضن» بمعنىٰ بخل.

النعم: تزوجيه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

٣ـ الطّبرسي:

قال في تفسيره المذكور [٩: ٢٥٣ ط. بيروت مؤسسة التاريخ العربي]، وأمّا قوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمنوا إذَا ناجيتم الرَّسُول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ فإنّها نزلت في الأغنياء. وذلك أنّهم كانوا يأتون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيكثرون مناجاته، فأمر اللّه سبحانه بالصّدقة عند المناجاة، فلمّا رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته.

وقال أمير المؤمنين صلوات الرّحمن عليه: «إنّ في كتاب اللّه لآيةً، ما عمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي: ﴿ يا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا إذَا نَاجَيْتُم الرّسُول﴾ الآية، كان لي دينارٌ فبعته بعشرة دراهم، فكلّما أردت أن أناجي رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قدّمت درهماً، فنسختها الآية الاخرى: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية. فقال صلوات اللّه عليه: بي خفّف اللّه عن هذه الأمّة. ولم ينزل في أحدٍ قبلي، ولم ينزل في أحدٍ بعدي.

وقال ابن عمر: وكان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ثلاثٌ، لو كانت لي واحدةٌ منهنّ لكانت أحبّ إليّ من حمر النّعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الرّاية يوم خيبر، وآية النّجوى.

وقال مجاهد وقتادة: لمّا نهوا عن مناجاته صلوات الرّحمن عليه حتّى يتصدّقوا، لم يناجه إلّا علي بن أبي طالب عليه أفضل الصّلوات، قدّم ديناراً فتصدّق به، ثمّ نزلت الرخصة.

٤ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٤: ٣٤٩ ط. دار المعرفة ـ بيروت] في قوله تعالى: ﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إذَا نَاجَيْتُمُ الرّسُول فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي نَجْوَاكُمْ صَدَقَة﴾: يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين: إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أي يسارّه فيما بينه وبينه، أن يقدّم بين يدي ذلك صدقة. ﴿ إلىٰ أنْ قالَ﴾: وقد قيل: إنّه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي

طالب عليه السلام.

قال ابن أبي نجيح: عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتّى يتصدّقوا، فلم يناجه إلّا علي بن أبي طالب، قدّم ديناراً صدقةً تصدّق به، ثم ناجى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن عشر خصال. ثم نزلت الرخصة.

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال علي عليه السلام: آية في كتاب الله عزوجل لم يعمل بها أحدٌ قبلي، و لا يعمل بها أحدٌ بعدي. كان عندي دينارٌ فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا ناجيت رسول الله تصدّقت بدرهم. فنسخت ولم يعمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحدٌ بعدي. ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية.

وروى الترمذي عن سفيان بن وكيع، عن يحيىٰ بن آدم، عن عبيدالله الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة الثّقفي، عن سالم بن أبي الجعد، عن عليٍّ بن علقمة الأنماري، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لمّا نزلت: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُو إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ إلىٰ آخرها، قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما ترىٰ، دينارٌ؟ قال عليه السلام: لا يطيقونه، وذكر بتمامه مثله.

وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عبّاسٍ، قوله: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ وذلك أنّ المسلمين أكثروا المسائل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى شقّوا عليه. فأراد الله أن يخفّف عن نبيّه صلى الله عليه وآله، فلمّا قال ذلك جبن كبيرٌ من المسلمين، وكفّوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

٥ ـ الطّبري:

قال في تفسيره «جامع البيان» [٢٨: ١٤]: حدّثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسىٰ، وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا الحسن، قال: حدّثنا ورقاء جميعاً

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾، قال: نهوا عن مناجاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى يتصدّقوا، فلم يناجه إلّا علي بن أبي طالب عليه السلام قدّم ديناراً فتصدّق به، ثم أنزلت الرّخصة في ذلك.

حدّثنا محمد بن عبيد بن محمّد المحاربي: قال حدّثنا المطّلب بن زياد، عن ليث، عن مجاهد قال: قال علي عليه السلام: إن في كتاب اللّٰه عزّوجلّ لآية ما عمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ قال: فُرضت ثمّ نُسخت.

حدّثنا أبو كريب. قال: حدّثنا ابن أدريس، قال: سمعت ليثاً، عن مجاهد قال: قال علي عليه السلام: آيةٌ من كتاب اللّٰه لم يعمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل أحدٌ بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا جئت إلى النبي تصدّقت بدرهمٍ، فنسخت فلم يعمل بها أحدٌ قبلي ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة﴾.

حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران عن سفيان. عن عثمان بن أبي المغيرة عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي قال: قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما ترى، دينار؟ قال: لا يطيقون، قال: نصف دينارٍ؟ قال: لا يطيقون، قال: ما ترى؟ قال: شعيرة، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إنك لزهيدٌ» قال: قال علي عليه السلام: فبي خفّف اللّٰه عن هذه الأمّة.

٦ ـ النّيسابوري:

قال في تفسيره «غرائب القرآن» [٢٨: ٢٣] بهامش «جامع البيان»: عن ابن عبّاس: كان المسلمون أكثروا المسائل علىٰ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم حتّى شقّوا عليه، وأراد اللّٰه أن يخفّف عن نبيّه، فلمّا نزلت آية النّجوىٰ شحّ كثيرٌ من النّاس فكفّوا عن المسألة.

وقال مقاتل بن حيّان: إنّ الأغنياء غلبوا الفقراء في مجلس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأكثروا مناجاته، فأمر اللّٰه بالصّدقة عند المناجاة، فازدادت درجة الفقراء، وانحطّت رتبة الأغنياء، وتميّز محب الآخرة عن محب الدنيا، واختلفوا في مقدار التّأخر.

فعن الكلبيّ: ما بقي ذلك التكليف إلّا ساعة من نهار. وعن مقاتل: بقي عشرة أيّامٍ. وعن عليٍّ عليه السلام: لما نزلت الآية دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما تقول في دينار؟ قلت: لا يطيقونه. قال: كم؟ قلت: حبةً أو شعيرة. قال صلى الله عليه وآله: «إنك لزهيدٌ»، أي: إنك لقليل المال، فقدّرت علىٰ حسب مالك. وعنه عليه السلام: «إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحدٌ بعدي. كان لي دينارٌ فاشتريت به عشرة دراهم، فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهمٍ». قال الكلبي: تصدّق به في عشر كلماتٍ سألهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال القاضي: هذا لا يدلّ علىٰ فضله علىٰ أكابر الصّحابة، لأن الوقت لعلّه لا يتّسع للعمل بهذا الفرض. فأجابه النّيسابوري بقوله: قلت: هذا الكلام لا يخلو عن تعصّبٍ ما. ومن أين يلزمنا أن نثبت مفضوليّة عليٍّ عليه السلام في كلّ خصلة؟ ولم لا يجوز أن يحصل له فضيلة لم توجد لغيره من أكابر الصّحابة؟ فقد روي عن ابن عمر أنّه قال: كان لعليٍّ ثلاثٌ، لو كانت لي واحدةٌ منهنّ كانت أحبّ إليّ من حمر النّعم، تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الرّاية يوم خيبر، وآية النّجوى. وهل يقول منصفٌ إنّ مناجاة النبيّ صلى الله عليه وآله نقيصةٌ؟ علىٰ أنّه لم يرد في الآية نهيٌ عن المناجاة، وإنّما ورد تقديم الصّدقة علىٰ المناجاة، فمن عمل بالآية حصل له الفضيلة من جهتين، سدّ خلّة بعض الفقراء، ومن جهةٍ نجوى الرّسول صلى الله عليه وآله ففيها القرب منه. الخ.

٧ـ الحاكم النّيسابوري:

قال في كتابه «المستدرك» [٢: ٤٨١ ـ ٤٨٢ ط. دار المعرفة ـ بيروت]: أخبرني عبدالله بن محمّد الصّيدلاني، حدثنا محمّد بن أيوب، أنبأنا يحيىٰ بن المغيرة السّعدي، حدّثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن عبدالرّحمن بن أبي ليلى قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله[1]: «إن في كتاب الله لآيةً ما عمل بها أحدٌ، ولا يعمل بها أحد بعدي»،

(١) الظاهر، إن هذا اشتباه وقع فيه الحاكم، إذ إن هذا الحديث لعلي عليه السلام وليس لرسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله.

آية النّجوىٰ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا نَاجَيْتُم الرّسُول فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَة﴾ الآية.

قال: كان عندي دينارٌ فبعته بعشرَةِ دراهم، فناجيت النبيّ ﷺ فكنت كلّما ناجيت النبي ﷺ قدّمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحدٌ. فنزلت: ﴿أأَشْفَقْتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدقات﴾ الآية: هذا حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط الشّيخين ولم يخرجاه.

* * *

المبحث السّادسُ والعشرون

في قوله عزّوجلّ: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٢].

لقد ذكر أكثر المفسّرين في تفاسيرهم، بأنّ الأُذن الواعية الحافظة المذكورة في هذه الآية الشّريفة هي أُذن علي بن أبي طالب عليه السلام. واستدلّوا في ذلك بحديثٍ ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وممّن ذكروا ذلك المعنى في تفاسيرهم وتآليفهم:

١ ـ الطّبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [٩ـ ١٠: ٣٤٥ـ٣٤٦ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت] في قوله تعالى: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ أي وتحفظها أُذن حافظةٌ لما جاء من عند اللّه، وقال الفرّاء: لتحفظها كلّ أُذنٍ فتكون عظةً لمن يأتي بعد. وروى الطّبريّ بإسناده عن مكحول أنّه لمّا نزلت هذه الآية قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم اجعلها أُذن علي»، ثم قال علي: «فما سمعت شيئاً من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فنسيتُهُ».

وروى بإسناده عن عكرمة عن بريدة الأسلمي أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليٍّ عليه السلام: «يا علي إن اللّه أمرني أن أُدنيك ولا أُقصيك، وأن أُعلمك وتعي، وحقٌّ على اللّه أن تعي»، فنزل ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾.

ثم قال الطّبرسي: أخبرني فيما كتب بخطّه إليّ المفيد أبو الوفاء عبد الجبّار بن عبداللّه بن عليّ الرّازي، قال: حدّثني الشيخ السّعيد أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطّوسي، والرّئيس أبو الجوائز الحسن عليّ بن محمّد الكاتب، والشّيخ أبو عبداللّه حسن ابن أحمد بن حبيب الفارسي، قالوا: حدّثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمّد المفيد

الجرجاني، قال: سمعت أبا عمرو عثمان بن خطّاب المعمر المعروف بأبي الدّنيا الأشج، قال: سمعت عليّ ابن أبي طالب عليه السلام يقول: لما نزلت: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سألت الله عزّوجلّ أن يجعلها أذنك ياعلي».

٢ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٤: ٤١٣] بعد أن أتى بأقوال من فسّر معنىٰ ﴿وَاعِيَةٌ﴾: وقد قال ابن أبي حاتم: حدّثنا ابو زرعة الدّمشقي، حدّثنا العبّاس بن الوليد بن صبيح الدّمشقي، حدّثنا زيد بن يحيىٰ، حدّثنا علي بن حوشب: سمعت مكحولاً يقول: لما نزل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وتعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم: «سألت ربّي أن يجعلها أذن علي»، قال مكحول: فكان علي يقول: «ما سمعت من رسول الله شيئاً قط فنسيته».

ثمّ روى من طرقٍ أُخرىٰ نحوه.

٣ ـ الزّمخشري:

قال في تفسيره «الكشّاف» [٤: ٦٠٠ ط. قم منشورات البلاغة] في قوله تعالى: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾: من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به. ولا تضيّعه بترك العمل، وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته. ثم قال: وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لعليّ عليه السلام عند نزول هذه الآية: «سألت الله أن يجعلها أُذنك يا عليّ»، قال علي عليه السلام: «فما نسيت شيئاً بعد، وما كان لي أن أنسىٰ».

٤ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره «فتح القدير» [٥: ٢٨٢]: وأخرج سعيد بن منصور، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية من طريق مكحولٍ عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿وتعيها أُذُنٌ وَاعيَةٌ﴾ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سألت الله أن يجعلها أذنك ياعليّ»، فقال علي:

« ما سمعت من رسول اللّٰه ﷺ شيئاً فنسيته ».

ثم ذكر ما قاله ابن كثير في الحديث كعادته ممّا لا يلتفت إليه ولا يعتبر لسكوت غيره من المفسّرين والحفّاظ وعدم غمزهم في الحديث المذكور كما علمنا فيما مرّ من تفاسيرهم وممّا سيلي.

٥ ـ النّيسابوري:

قال في تفسيره «غرائب القرآن» بهامش «جامع البيان» [٢٩: ٣١] بعد أن فسّر قوله تعالى: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ : عن النّبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام عند نزول هذه الآية: « سألت اللّٰه أن يجعلها أذنك يا عليّ »، قال علي عليه السلام : « فما نسيت شيئاً بعد ذٰلك، وما كان لي أن انسىٰ ».

٦ ـ الطبري:

قال في تفسيره «جامع البيان» [١٢: ١٢٣ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت] بعد أن ذكر أقوال أهل التّأويل في قوله تعالى: ﴿ وتعيها أُذُنٌ واعيَة ﴾: حدّثنا علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب. قال سمعت مكحولاً يقول: قرأ رسول اللّٰه ﷺ: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾، ثمّ التفت إلىٰ عليٍّ فقال: «سألت اللّٰه أن يجعلها أذنك»، قال علي عليه السلام : « فما سمعت شيئاً من رسول اللّٰه ﷺ فنسيته ».

حدّثني محمد بن خلف، قال: ثني بشر بن آدم، قال: ثنا عبداللّٰه بن الزّبير، قال: ثني عبد اللّٰه بن رستم، قال: سمعت بريدة يقول: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول لعليٍّ: « يا علي إن اللّٰه أمرني أن أُدنيك ولا أُقصيك، وأن أُعلّمك وأن تعي، وحق علىٰ اللّٰه أن تعي، قال: فنزلت ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾.

حدّثني محمد بن خلف، قال: ثنا الحسن بن حماد، قال: ثنا اسماعيل بن ابراهيم أبو يحيىٰ التيمي، عن فضيل بن عبد اللّٰه، عن أبي داود، عن بريدة الأسلمي قال: سمعت

رسول اللّه ﷺ يقول لعليٍّ: «إن اللّه أمرني أن أُعـلّمك وأن أُدنـيك، ولا أجـفوك ولا أقصيك»، ثمّ ذكر مثله.

٧ـ الأميني:

قد أورد رحمه اللّه في غديره [٣: ٣٩٤] قصيدةً طويلة للزّاهي، وهو أبو القاسم عليّ بن إسحاق بن خلف القطّان البغدادي الشّهير بالزّاهي نسبةً الىٰ «زاه» (قرية من قـرى نيسابور)، وما قاله معرباً عمّا نحن بصدده:

والأُذن الواعية الصّماء عـن　　　كلّ خنا يغلط فيه من غلط

قال الأميني: قوله: ﴿الْأُذُنُ الْوَاعِيَةُ﴾ إشارة الىٰ ما أخرجه الحافظ أبو نـعيم في «حلية الأولياء» [١: ٦٢] عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «يا علي إنّ اللّه عزّوجلّ أمرني أن أُدنيك وأُعلّمك لتعي، وأُنزلت هذه الآية: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَة﴾ فأنت أُذنٌ واعيةٌ لعلمي».

وأخرجه جمعٌ من الحفّاظ، وقال القاضي الأيجي في «المواقـف» [٣: ٢٧٦] أكـثر المفسّرون في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةْ﴾ أنّه علي.

* * *

المبحث السّابع والعشرون

في قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥].

للمفسّرين في تأويل معنى العطاء في هذه الآية الكريمة الذي وعده اللّه عزّوجلّ حبيبه المصطفى يوم القيامة فيرضى به، أقوالٌ: أحدها أنّه إنّما يرضى عليه الصّلاةُ والسّلامُ بأن لا يدخل أحدٌ من أهل بيته النّار، وفي روايةٍ: أحدٌ من أُمّته، وممّن ذكر ذلك في تفاسيرهم:

١ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [٩ ـ ١٠: ٥٠٥ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت]: معناه وسيعطيك ربك في الآخرة من الشّفاعة والحوض وسائر أنواع الكرامة فيك وفي أُمّتك ما ترضى به.

وروى حرث بن شريح عن محمد بن علي «ابن الحنفيّة» أنّه قال: يا أهل العراق تزعمون أنّ أرجى آية في كتاب اللّه عزّوجل: ﴿ يا عِبَادِيَ الذِينَ اَسْرَفوا عَلَى اَنْفُسِهِمْ﴾ الآية. وإنّا أهل البيت نقول أرجى آيةٍ في كتاب اللّه: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطَيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وهي واللّه الشّفاعة، ليعطيها في أهل لا إله إلّا اللّه، حتى يقول ﷺ: «ربّ رضيت».

وعن الصّادق عليه السلام قال: «دخل رسول اللّه ﷺ على فاطمة عليها السلام وعليها كساءٌ من ثلّة الابل، وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول اللّه لما أبصرها، فقال: يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل اللّه عليّ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطَيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ». وقال زيد بن عليّ: إن من رضا رسول اللّه ﷺ أن يدخل أهل

بيته الجنة. وقال الصّادق ﷺ: «رضا جدّي أن لا يبق في النار موحدٌ».

٢ ـ الطّبري:

قال في تفسيره «جامع البيان» [٣: ١٤٩]: وقد اختلف أهل العلم في الّذي وعده من العطاء، فقال بعضهم: هو ما حدّثني بن موسىٰ به سهل الرّملي قال: ثنا عمرو بن هاشم. قال سمعت الأوزاعي يحدّث عن إسماعيل بن عبيد اللّٰه بن أبي المهاجر المخزومي عن عليّ بن عبد اللّٰه بن عبّاس عن أبيه قال: عرض علىٰ رسول اللّٰه ﷺ ما هو مفتوح علىٰ أمته من بعده كفراً كفراً فسرّ بذلك فأنزل اللّٰه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ فأعطاه في الجنة ألف قصرٍ، في كلّ قصر ما ينبغي من الأزواج والخدم.

وقال آخرون في ذلك ما حدّثني به عبّاد بن يعقوب، قال: ثنا الحكم بن ظهير عن السدّي عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ قال: من رضا محمد ﷺ أن لا يدخل أحدٌ من أهل بيته النّار.

٣ ـ النّيسابوري:

قال في تفسيره «غرائب القرآن» بهامش «جامع البيان» [٣٠: ١٠٩] في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾: فلعلّه حين بيّن أنّ الآخرة خيرٌ له، عقّبة ببيان تلك الخيريّة وهي رتبة الشّفاعة.

يروى عن عليّ ﷺ أنّه قال ﷺ: «إذن لا أرضى وواحدٌ من أُمتي في النار».

وعن جعفر الصّادق ﷺ أنّه قال: «رضا جدّي ﷺ أن لا يدخل النار موحّدٌ».

ثم فسّر المؤلف في اللاّم الّتي هي للتّأكيد بقوله: واللاّم في «ولسوف» خالصةٌ للتّأكيد دون الحال. كأنّه قيل: الموعود كائنٌ لا محالة وإن تأخّر زمانه بحسب المصلحة.

٤ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره «فتح القدير» [٥: ٤٥٩]: أخرج البيهقي في الشّعب عن ابن عبّاس في قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ قال: رضاه أن يدخل اُمّته كلّهم الجنّة. وأخرج ابن جرير عنه أيضاً في الآية قال: من رضا محمّد أن لا يدخل أحدٌ من أهل بيته النّار.

وأخرج الخطيب في التّلخيص من وجهٍ آخر عنه أيضاً في الآية. قال: لا يرضى محمّدٌ وأحدٌ من اُمّته في النّار، ويدلّ على هذا ما أخرجه مسلمٌ عن ابن عمرو: «أنّ النبي ﷺ تلا قول الله في ابراهيم: ﴿ فَمَنْ تبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنّي﴾ [ابراهيم: ٣٦] وقول عيسى: ﴿ إِنْ تَعَذِّبْهُمْ فإِنَّهُمْ عِبَادُك﴾ الآية ، فرفع ﷺ يديه وقال: «اللّهم اُمّتي اُمّتي» وبكىٰ، فقال اللّٰه: يا جبرئيل إذهب إلىٰ محمّد فقل له: ﴿ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي اُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوؤُكَ﴾. و أخرج ابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، من طريق حربٍ بن شريحٍ قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ﷺ: أرأيت هذه الشّفاعة الّتي يتحدث بها أهل العراق أحقٌ هي؟ قال: «إي واللّٰه»، حدّثني محمد بن الحنفيّة بن علي أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «أشفع لأُمّتي حتى يناديني ربّي أرضيت يا محمّد؟ فأقول: نعم يا ربّ رضيت. ثمّ أقبل عليّ فقال: إنكم تقولون يا معشر أهل العراق: إنّ أرجى آية في كتاب اللّٰه: ﴿ يَا عِبَادِيَ الّذِيْنَ اَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰه إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ اَلذُنُوبَ جَمِيعاً﴾، قلت: إنّا لنقول ذلك، قال: فكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آيةٍ في كتاب اللّٰه: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، وهي الشّفاعة.

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: إنا أهل البيت اختار لنا اللّٰه الآخرة علىٰ الدنيا، ولسوف يعطيك ربّك فترضى. وأخرج العسكري في المواعظ، وابن مردويه، وابن النّجّار، عن جابر بن عبداللّٰه قال: دخل رسول اللّٰه ﷺ على فاطمة وهي تطحن بالرحىٰ، وعليها كساءٌ من جلد الابل، فلمّا نظر اليها قال: «يا

فاطمة تعجّلي مرارة الدنيا بنعيم الآخرة»، فأنزل اللّه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾.

٥ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [٤: ٥٥] بعد ما ذكر أقوالاً: وقال السّدّي عن ابن عبّاس: من رضاء محمّد ﷺ أن لا يدخل أحدٌ من أهل بيته النّار. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم. وقال الحسن: يعني بذلك الشّفاعة. وهكذا قال أبو جعفر الباقر.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا معاوية بن هشام، عن عليٍّ بن صالح، عن يزيد ابن أبي زياد، عن إبراهيم عن علقمة عن عبداللّه قال: قال رسول اللّه ﷺ: إنّا أهل بيتٍ اختار اللّه لنا الآخرة علىٰ الدّنيا، ولسوف يعطيك ربّك فترضىٰ.

٦ ـ النّبهاني:

قال في كتابه «الشّرف المؤبّد لآل محمّد» [ص ٤٤ ط. الحلبيّ وأولاده]: في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾: نقل القرطبي عن ابن عبّاس في تفسيره هذه الآية أنّه قال: رضا محمّدٍ ﷺ أن لا يدخل من أهل بيته النّار. وأدلّة ذلك من السنّة كبيرةٌ، قال رسول اللّه ﷺ: «إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها اللّه وذرّيتها علىٰ النار»، قال الحاكم: حديثٌ صحيحٌ(١).

وعن عمران بن الحصين ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «سألت ربّي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطانيها».

وقال في [ص ٧٩] من كتابه المذكور: وقال ﷺ: «أوّل من أشفع له يوم القيامة من أُمّتي أهل بيتي، ثمّ الأقرب فالأقرب من قريش، ثمّ الأنصار، ثمّ من آمن بي واتّبعني من اليمن ثم سائر العرب، ثمّ الأعاجم، ومن أشفع له أوّلاً أفضل». أخرجه الطبراني،

---

(١) الحاكم ٣: ١٥٢ ط. دار المعرفة ـ بيروت.

والدّارقطني مرفوعاً.

فهذه أحاديث صحيحةٌ ونصوصٌ صريحة، تدلّ على أنّ أهل البيت أفضل النّاس حسباً ونسباً، ويتفرّع على هذا أنّهم لا يكافئهم في النّكاح أحدٌ من النّاس، وبه صرّح غير واحدٍ من الأئمة. قال الجلال السّيوطي في «الخصائص»: ومن خصائصه ﷺ أنّ آله لا يكافئهم في النّكاح أحدٌ من الخلق.

* * *

المبحث الثّامن والعشرون

في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعل لَعْنَةَ اللّهِ عَلىٰ الكَاذِبِين﴾ [آل عمران:٦١].

اتّفق أهل التّفسير علىٰ نزول هذه الآية في وفد نصارى نجران، وأصفقوا علىٰ أنّ المعنيّ به في لفظة «أنفسنا» هو الإمام علي بن أبي طالب. كما صرّح لنا به أهل العلم بهذا المضمون، ما دلّت بوضوح على أنّ نفس عليّ عليه السلام هي نفس رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

وإليك عباراتهم المبنيّة في هذا المعنى:

١ ـ الشّوكاني:

قال في تفسيره «فتح القدير» [١: ٣٤٧]: وأخرج الحاكم وصحّحه، وابن مردويه، وأبو نعيم في الدّلائل، عن جابر قال: قدم علىٰ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم العاقب والسّيّد، فدعاهما إلى الاسلام، فقالا: أسلمنا يا محمد، فقال: «كذبتما، ان شئتما أخبرتكما ما يمنعكما من الاسلام»، قالا: فهات. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «حبّ الصّليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير». قال جابر: فدعاهما إلى الملاعنة، فواعداه علىٰ الغد. فغدا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين، ثمّ أرسل إليهما فأبيا أن يجيباه وأقرّا له. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «والّذي بعثني بالحقّ، لو فعلا لأمطر الوادي عليهما ناراً». قال جابر، فنزلت ﴿تعالوا ندعُ أبْنَاءَنَا﴾ الآية.

قال جابر: ﴿أنفسنا وأنفسكم﴾ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام ﴿وأبناءنا﴾: الحسن

والحسين، ﴿ونساءنا﴾ : فاطمة عليها السلام.

ورواه أيضاً الحاكم من وجهٍ آخر عن جابر وصحّحه. وفيه أنّهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : هل لك أن نلاعنك ؟

وأخرج مسلمٌ، والترّمذي، وابن المنذر، والبيهقي، عن سعد بن أبي وقّاص قال : لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ تَعَالَوا﴾ دعا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللّهمّ هؤلاء أهلي.

٢ ـ ابن كثير:

قال في تفسيره [١: ٣٧٦]: ثمّ قال تعالىٰ آمراً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يباهل من عاند الحقّ في أمر عيسى بعد ظهور البيان: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ أي نحضرهم في حال المباهلة ﴿ثمّ نبتهل﴾ أي : نلتعن. ﴿ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ أي : منّا ومنكم.

وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أوّل السّورة إلىٰ هنا في وفد نجران : أنّ النّصارى لما قدموا فجعلوا يحاجّون في عيسى، ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوّة والإلهيّة، فأنزل اللّه صدر في[1] هذه السّورة ردّاً عليهم. كما ذكره الإمام محمّد ابن إسحاق ابن يسار وغيره.

قال ابن إسحاق في سيرته المشهورة[2] وغيره : وقدم علىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وفد نجران ستّون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم يؤول أمرهم إليهم، وهم : العاقب واسمه عبد المسيح، والسيّد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأُويس ابن الحارث وزيد، وقيس. ويزيد وابناه ، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبداللّٰه، ومحسن. وأمر هؤلاء يؤول إلىٰ ثلاثةٍ منهم، وهم : العاقب. وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب

---

(١) هكذا في الأصل، والصواب أنه: صدرَ هذه السورة. (٢) سيرة ابن هشام ١: ٥٧٤.

مشورتهم، والذي لا يصدرون إلّا عن رأيه، والسّيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وصاحب مدارستهم، وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل ولكنّه تنصّر، فعظّمته الرّوم وملوكها وشرّفوه، وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمون من صلابته في دينهم. وقد كان يعرف أمر رسول اللّه ﷺ وصفته وشأنه ممّا علمه من الكتب المتقدّمة، ولكن حمله ذلك على الاستمرار في النّصرانيّة لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها.

قال ابن اسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير قال: قدموا علىٰ رسول اللّه ﷺ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلّىٰ العصر، عليهم ثياب الحبرات جببٌ وأرديةٌ. في جمال رجال بني الحرث بن كعب. قال: يقول من رآهم من أصحاب النبيّ ﷺ: ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول اللّه ﷺ. فقال رسول اللّه ﷺ: دعوهم. فصلّوا إلىٰ المشرق، قال: فكلّم رسول اللّه ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والسيّدالأيهم، وهم من النّصرانيّة علىٰ دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون: هو اللّه، ويقولون: هو ولد اللّه، ويقولون: هو ثالث ثلاثة. تعالىٰ اللّه عن قولهم علوّاً كبيراً. وكذلك النّصرانيّة. فهم يحتجّون في قولهم هو اللّه، بأنّه كان يحيي الموتىٰ. ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطّير فينفخ فيه فيكون طيراً. وذلك كلّه بأمر اللّه وليجعله آيةً للناس. ويحتجّون في قولهم بأنّه ابن اللّه، ويقولون: لم يكن له أبٌ يعلم. وقد تكلّم في المهد بشيء لم يكن أحدٌ من بني آدم قبله. ويحتجّون علىٰ قولهم بأنّه ثالث ثلاثة، بقول اللّه تعالى: فعلنا وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون لو كان واحداً ما قال إلّا: فعلت وأمرت وخلقت وقضيت. ولكنّه هو وعيسى ومريم. تعالى اللّه وتقدّس وتنزّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً، وفي كل ذلك من قولهم: قد نزل القرآن.

فلمّا كلّمة الحبران قال لهما رسول اللّه ﷺ: أسلما، قالا: قد أسلمنا، قال ﷺ:

إنّكما لم تسلما فأسلما. قالا: بلى قد أسلمنا قبلك. قال ﷺ: كذبتما، يمنعكما من الاسلام ادّعاؤكما للّه ولداً، وعبادتكما الصّليب، وأكلكما الخنزير. قالا: فمن أبوه يا محمد؟ «يعني عيسى» فصمت رسول اللّه ﷺ عنهما فلم يجبهما. فأنزل اللّه في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلىٰ بضع وثمانين آية منها.

ثمّ تكلّم ابن اسحاق على تفسيرها، إلىٰ أن قال: فلمّا أتى رسول اللّه ﷺ الخبر من اللّه والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردّوا ذلك عليه، دعاهم إلىٰ ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه فانصرفوا عنه. ثمّ خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: واللّه يا معشر النّصارى، لقد عرفتم أنّ محمّداً لنبي مرسلٌ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لاعن قومٌ نبيّاً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنّه للاستئصال منكم إن فعلتم. فإن كنتم قد أبيتم إلّا إلف دينكم والاقامة علىٰ ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرّجل ثم انصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبيّ ﷺ فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك، وأن نتركك علىٰ دينك ونرجع على ديننا. ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنكم عندنا رضاً. قال محمد بن جعفر: فقال رسول اللّه ﷺ: إئتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين، قال: فكان عمر بن الخطّاب يقول: ما أحببت الإمارة قط حبّي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت الى الظهر مهجراً، فلما صلّىٰ بنا رسول اللّه ﷺ الظهر سلّم. ثم نظر عن يمينه وعن يساره فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره حتّى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال: اُخرج معهم فاقض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة رضي الله عنه.

ثمّ ذكر ابن كثير ما رواه البخاري في هذا الموضوع. وما رواه البيهقي في «دلائل النّبوّة» [٥: ٣٨٥ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت] وقال: فإنّ فيه فوائد كثيرةً وفيه، غرابةٌ وفيه

مناسبةٌ لهذا المقام، قال: قال البيهقي: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، وأبو سعيد محمد بن موسىٰ بن الفضل. قالا: حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدّثنا أحمد بن عبدالجبّار، حدّثنا يونس بن بكير، عن سلمة بن عبد يشوع، عن أبيه، عن جدّه، قال يونس، وكان نصرانياً فأسلم: إنّ رسول الله ﷺ كتب إلىٰ أهل نجران قبل أن تنزل عليه طّس سليمان: «باسم إله إبراهيم، وإسحاق ويعقوب، من محمّد النبي رسول الله ﷺ إلىٰ أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم فإنّي أحمد إليكم الله إله ابراهيم وإسحاق ويعقوب. أمّا بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد. وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد. فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحربٍ والسّلام». فلمّا أتى الاسقف الكتاب وقرأه فظع به وذعره ذعراً شديداً. «إلى أن بعثوا وفوداً إلىٰ المدينة» وهي روايةٌ طويلةٌ جداً.

ثمّ ذكر أيضاً رواية ابن مردويه فقال: وقال أبو بكر بن مردويه: حدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا أحمد بن داود المكّي، حدّثنا بشر بن مهران، حدّثنا محمّد بن دينار، عن داود ابن أبي هندٍ، عن الشّعبي عن جابر قال: قدم علىٰ النبي ﷺ العاقب والطيّب فدعاهما إلىٰ الملاعنة. فواعداه علىٰ أن يلاعناه الغداة. قال: فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيبا وأقرّا له بالخراج، فقال رسول الله ﷺ: «والّذي بعثني بالحقّ لو قالا: لا، لأمطر عليهم الوادي ناراً». قال جابر: وفيهم نزلت: ﴿ندعُ أبناءنا وَأبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ﴾، قال جابر: أنفسنا وأنفسكم: رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب، وأبناءنا وأبناءكم: الحسن والحسين. ونساءنا: فاطمة.

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه، عن علي بن عيسىٰ، عن أحمد بن محمّد الأزهري، عن علي بن حجر، عن عليّ بن مسهر، عن داود بن أبي هند، به بمعناه. ثم قال: صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه. هكذا.

٣ـ الزّمخشري:

قال في تفسيره «الكشّاف» [١: ٢٦٨ ط. قم ـ البلاغة] مفسّراً قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ من النّصارى ﴿فيه﴾ في عيسى. ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾ أي من البيّنات الموجبة للعلم. ﴿فقل تَعَالَوا﴾ هلمّوا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعالَ نفكّر في هذه المسألة. ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ أي يدع كلّ منّي ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلىٰ المباهلة. إلىٰ أن قال: وروي أنّهم لما دعاهم إلىٰ المباهلة، قالوا: حتّى نرجع وننظر، فلمّا تخالوا قالوا للعاقب، وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح، ما ترى؟ فقال: واللّٰه لقد عرفتم يا معشر النصارىٰ أنّ محمداً نبي مرسلٌ، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، واللّٰه ما باهل قومٌ نبيّاً قطّ فعاش كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، ولئن قد فعلتم لتهلكنّ، فإن أبيتم إلّا إلف دينكم والإقامة علىٰ ما أنتم عليه فوادعوا الرّجل وانصرفوا إلىٰ بلادكم. فأتىٰ رسول اللّٰه وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، وهو ﷺ يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا»، فقال أسقف نجران: يا معشر النّصارىٰ إنّي لأرىٰ وجوهاً لو شاء اللّٰه أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض نصراني إلىٰ يوم القيامة. فقالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك علىٰ دينك ونثبت علىٰ ديننا. قال ﷺ: «فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم»، فأبوا. قال ﷺ: «فإنّي أناجزكم». فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقةٌ. ولكن نصالحك علىٰ أن لا تغزونا ولا تخيفنا، ولا تردنا عن ديننا، علىٰ أن نؤدّي إليك كلّ عام ألفي حلّة: ألفٌ في صفر وألفٌ في رجب. وثلاثين درعاً عاديةً من حديد، فصالحهم علىٰ ذلك، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، أنّ الهلاك قد تدلّى علىٰ أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردةً وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً. ولاستأصل اللّٰه نجران وأهله حتّى الطّير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النّصارىٰ حتّى يهلكوا».

٤ ـ الطّبري:

قال في تفسيره [٣: ٢٩٧ ـ ٢٩٩ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت] عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هٰذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]: إنّ الذي قلنا في عيسى هو الحق ﴿وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ الآية. فلما فصل جلّ ثناؤه بين نبيّه محمّد ﷺ وبين الوفد من نصارى نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل، وأمره إن هم تولّوا عمّا دعاهم إليه من الإقرار بوحدانيّة الله، وأنّه لا ولد له ولا صاحبة. وأنّ عيسى عبده ورسوله. وأبوا إلّا الجدل والخصومة، أن يدعوهم الى الملاعنة، ففعل ذلك رسول الله ﷺ فلمّا فعل ذلك رسول الله ﷺ انخزلوا وامتنعوا من الملاعنة، ودعوا إلى المصالحة. كالّذي حدّثنا ابن حميد. قال: حدّثنا جرير، عن مغيرة، عن عامر قال: فأمر ـ يعني النبيّ ﷺ ـ بملاعنتهم ـ يعني بملاعنة أهل نجران ـ بقوله: ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم﴾ الآية. فتواعدوا أن يلاعنوه، وواعدوه الغد. فأنطلقوا إلىٰ السيد والعاقب وكانا أعقلهم، فتابعاهم فانطلوا إلىٰ رجل منهم عاقل. فذكروا له ما فارقوا عليه رسول الله ﷺ فقال: ما صنعتم؟ وندّمهم وقال لهم: إن كان نبيّاً ثمّ دعا عليكم لا يغضبه الله فيكم أبداً. ولئن كان ملكاً فظهر عليكم لا يستبقيكم أبداً، قالوا: فكيف لنا وقد واعدنا؟ فقال لهم: إذا غدوتم إليه فعرض عليكم الّذي فارقتموه عليه فقولوا: نعوذ بالله، فإن دعاكم أيضاً فقولوا له: نعوذ بالله. ولعلّه أن يعفيكم من ذٰلك، فلما غدوا، غدا النبي ﷺ محتضناً حسناً آخذاً بيد الحسين، وفاطمة تمشي خلفه. فدعاهم إلىٰ الّذي فارقوه عليه بالأمس، فقالوا: نعوذ بالله، ثم دعاهم، فقالوا: نعوذ بالله مراراً. قال ﷺ: فإن أبيتم فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما علىٰ المسلمين، كما قال الله عزّوجلّ: فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون.

قال: قالوا: ما لنا طاقةٌ بحرب العرب، ولكن نؤدّي الجزية. قال: فجعل عليهم في

كلّ سنةٍ ألفي حلّة. ألفاً في رجب وألفاً في صفر، فقال النبي ﷺ: «قد أتاني البشير بهلكة أهل نجران، حتّى الطّير علىٰ الشجر ـ أو العصافير علىٰ الشّجر ـ لو تمّوا علىٰ الملاعنة».

وقال: حدّثنا ابن حميد. قال حدّثنا عيسى بن فرقد عن أبي الجارود، عن زيد بن عليّ في قوله تعالى: ﴿تَعَالوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ الآية. قال: كان النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

وقال حدّثنا محمد بن الحسين: قال حدّثنا أحمد بن المفضّل، قال حدّثنا أسباط عن السدّي: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فيه مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلم﴾ الآية. فأخذ يعني النبيّ ﷺ بيد الحسن والحسين وفاطمة. وقال لعليٍّ: «اتبعنا»، فخرج معهم، فلم يخرج يومئذ النّصارى، وقالوا: إنّا نخاف أن يكون هذا هو النبي ﷺ وليس دعوة النبيّ كغيرها، فتخلّفوا عنه يومئذٍ، فقال النبي ﷺ لو خرجوا لاحترقوا. فصالحوه علىٰ صلحٍ، علىٰ أن له عليهم ثمانين ألفاً. فما عجزت الدراهم ففي العروض، الحلّة بأربعين. وعلىٰ أن له عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً، وثلاثاً وثلاثين بعيراً، وأربعة وثلاثين فرساً غازية، كلّ سنة. وأن رسول اللّه ﷺ ضامنٌ لها حتى نؤدّيها إليهم.

وقال: حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدّثنا ابن زيدٍ قال: قيل لرسول اللّه ﷺ: لو لاعنت القوم، بمن كنت تأتي حين قلت: أبناءنا وأبناءكم؟ قال: «حسن وحسين». وقال: حدّثني محمد بن سنان. قال: حدّثنا أبو بكر الحنفي، قال: حدّثنا المنذر بن ثعلبة، قال: حدّثنا علباء بن أحمر اليشكري، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تعالوا ندعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنا ونِسَاءَكُم﴾ الآية، أرسل رسول اللّه ﷺ إلىٰ عليٍّ وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين، ودعا اليهود ليلاعنهم. فقال شابٌ من اليهود: ويحكم أليس عهدكم بالأمس إخوانكم الّذين مسخوا قردة وخنازير؟ لا تلاعنوا، فانتهوا.

٥ ـ العلّامة السّيّد محمّد بن محمّد الموسوي الحائري البحراني:

قال في كتابه «خلفاء الرّسول» [ص ١٠٧] في قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فنجعل لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ وذلك لظهور الولاية المسندة إلىٰ الله سبحانه في الولاية العامّة المطلقة، وظهور تساوي المتعاطفات في المعنى والحكم.

وجه الدّلالة: اتّفق المسلمون أجمعون علىٰ أنّ هذه الآية الكريمة نـزلت في وفـد نصارى نجران. وأجمعوا أيضاً علىٰ أنّ المراد من لفظة ﴿ **أَنْفُسَنَا**﴾ غير الرّسول ﷺ وذلك لأن الانسان لا يدعو نفسه حقيقةً، كما لا يكلّف نفسه حقيقة، فلا بد من تعدّد الدّاعي والمدعو وعدم اتحادهما. وتسالموا أيضاً علىٰ أنّ ذلك الغير هو: علي بن أبي طالبٍ ليس غير، فتكون الآية دالّة بوضوحٍ علىٰ أن نفس عليٍّ هي نفس رسول الله ﷺ، ولا يجوز علىٰ هذا التقرير أن تكون نفس عليٍّ عين نفس الرّسول لبداهة بطلانه. بل المراد نفس عليٍّ مثل نفس الرّسول ونظيره، وما لهذا المعنى من ألفاظ، وذلك يقتضي تساويهما في جميع الصفات علىٰ وجه العموم ليصح التّماثل. نترك الأخذ بهذا العموم في وصف النبّوة، لأن محمّداً ﷺ كان نبيّاً، وعلي ليس بنبيّ علىٰ الإجماع والضّرورة من الدّين، وكذلك نترك الأخذ به في حقّ الفضل، لقيام الضّرورة علىٰ أنّ النبيّ أفضل من عليٍّ. فيبقى الباقي تحت العموم، فهما مثلان في ما عدا هذين الأمرين بلا امتراء. فمن ذلك ما ثبت بإجماع المسلمين أنّ النبيّ محمّداً ﷺ أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين بلا استثناءٍ، فـيجب أن يكـون نفس عليٍّ عليه السلام مثله.

* * *

المبحث التاسع والعشرون

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الاحزاب: ٣٣].

لقد اتّفق جمعٌ من أصحاب رسول اللّه ﷺ وانقاد إلىٰ قولهم أناسٌ من التّابعين، والعلماء المهتدين، علىٰ أنّ هذه الآية الشّريفة نزلت في الخمسة الطّاهرة، والعترة المحمّدية المطّهرة، ما عدا عكرمة ومن لفّ لفّه ونحا نحوه، فإنّه قال: بأنّها نزلت في أزواج النبيّ ﷺ خاصّة دون غيرهنّ من النّاس، وطاف بذلك صائحاً في الأسواق. ولعلّ السّبب الدّافع إلى أن يفعل ذلك ليس بغريب لمن علم شخصيّة الرّجل بما قاله فيه أصحاب التّراجم.

ولا يخفىٰ علىٰ الباحث النّاقد بأحوال الرّجل ونفسيته إذا تحقّق بما صرّح فيه أهل الجرح والتّعديل كما سيلي ذكره فيما بعد. ولنتّجه أوّلاً إلىٰ الشّطر الذّي نحن تجاهه، وذلك ذكر من نصّ علىٰ اختصاص الآية بأهل بيت الوحي عليهم السلام من المفسّرين في تفاسيرهم. والمؤلفين في تآليفهم. منهم:

١ ـ الطّبري:

قال في تفسيره «جامع البيان»[1]: اختلف أهل التّاويل في الّذين عنوا بقوله: ﴿أهل البَيْت﴾ فقال بعضهم: عني به رسول اللّه ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان اللّهِ عليهم. وذكر من قال ذلك: حدّثني محمد بن المثنّى. قال: ثنا بكر بن يحيىٰ بن

---

(١) جامع البيان ١٠: ٢٩٦ ط. دار المعرفة ـ بيروت.

زبان العنزي. قال: ثنا مندل عن الأعمش عن عطيّة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّهﷺ: «نزلت هذه الآية في خمسةٍ: فيّ وفي عليٍّ ﵁ وحسن ﵁ وحسين ﵁ وفاطمة رضي اللّهُ عنها **﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**.

وقال: حدّثنا ابن وكيع، قال: حدّثنا محمد بن بشر. عن زكريّا، عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج النبيّﷺ ذات غداة وعليه مرطٌ مرجّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله معه[1]، ثم قال: **﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**.

وقال: حدّثنا ابن وكيعٍ قال: حدّثنا محمد بن بكر، عن حمّاد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن أنس أنّ النبيّﷺ كان يمرّ ببيت فاطمة ستّة أشهر، كلّما خرج إلىٰ الصّلاة فيقول: الصّلاة أهل البيت. **﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**.

وقال: حدّثني موسىٰ بن عبدالرّحمن المسروقي، قال: حدّثنا يحيىٰ بن ابراهيم بن سويد النّخعي، عن هلال «يعني ابن مقلاص» عن زبيد عن شهر بن حوشب. عن أم سلمة قالت: كان النبيﷺ عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا وغطّى عليهم عباءةً أو قطيفة، ثم قال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً».

وقال: حدّثنا ابن وكيع. قال: حدّثنا أبو نعيم، قال: حدّثنا يونس بن أبي إسحاق قال: أخبرني أبو داود، عن أبي الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر علىٰ عهد النبيّﷺ. قال: رأيت النبيﷺ إذا طلع الفجر جاء إلىٰ باب عليٍّ وفاطمة فقال: **الصّلاة الصّلاة، ﴿إنما يريد اللّهليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**.

---

(١) هكذا في الأصل، ولعلّ في الحديث نقصاً، هو مجيء بقية أصحاب الكساء ودخولهم مع النبيﷺ.

وقال: حدّثني عبد الأعلى بن واصل. قال: حدثنا الفضل بن دكين. قال: حدّثنا عبد السّلام بن حربٍ، عن كلثوم المحاربي، عن أبي عمّار قال: إنّي جالسٌ عند واثلة بن الأسقع، إذ ذكروا عليّاً عليه السلام فشتموه، فلمّا قاموا قال: إجلس حتّى اُخبرك عن هذا الذي شتموا: إنّي عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه علي وفاطمة وحسنٌ وحسينٌ، فألقىٰ عليهم كساءً له ثم قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي، اللّهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً». قلت:يا رسول اللّه! وأنا، قال: وأنت، فواللّه إنّها لأوثق عملي عندي.

وقال: حدّثني عبدالكريم بن أبي عمير، قال: حدّثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا أبو عمرو قال: ثني شدّاد أبو عمّار، قال: سمعت واثلة بن الأسقع يحدّث، قال: سألت عن عليٍّ بن أبي طالب في منزله، فقالت فاطمة. قد ذهب يأتي برسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاء، فدخل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ودخلت. فجلس رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ الفراش، وأجلس فاطمة عن يمينه، وعليّاً عن يساره وحسناً وحسيناً بين يديه، فلفع عليهم بثوبه وقال: ﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾، اللّهم هؤلآء أهلي، اللّهم أهلي أحق». قال واثلة: فقلت من ناحية البيت: وأنا يا رسول اللّه من أهلك؟ قال: وأنت من أهلي. قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرتجي.

وقال: حدّثني أبو كريب. قال: حدّثنا وكيع، عن عبدالحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب عن فضيل بن مرزوق، عن عطيّة، عن أبي سعيد الخدري، عن أمّ سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ دعا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فجلّل عليهم كساءً خيبريّاً فقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي، اللّهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً». قالت أم سلمة: ألست منهم؟ قال: «أنت إلىٰ خير».

وقال: حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا مصعب بن المقدام، قال: حدّثنا سعيد بن زربي، عن محمّد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن أمّ سلمة قالت: جاءت فاطمة إلىٰ رسول

اللّه ﷺ ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدةً تحلّها علىٰ طبقٍ فوضعته بين يديه، فقال: أين ابن عمّك وابناك ؟ فقالت: في البيت. فقال: ادعيهم، فجاءت إلىٰ علي فقالت: أجب النبيّ ﷺ أنت وابناك. قالت أُمّ سلمة: فلما رآهم مقبلين مدّ يده إلىٰ كساء كان علىٰ المنامة، فمدّه وبسطه وأجلسهم عليه. ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله، فضمّه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلىٰ ربّه، فقال: «هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

وقال: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا عبداللّٰه بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن حكيم بن سعد قال: ذكرنا علي بن أبي طالب عليه السلام عند أُمّ سلمة قالت: فيه نزلت: ﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾. قالت أُمّ سلمة: جاء النبي ﷺ إلى بيتي فقال: لا تأذني لأحدٍ، فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه وأُمّه، وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا حول النبيّ ﷺ علىٰ بساطٍ، فجلّلهم نبي اللّه بكساء كان عليه، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً». فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا علىٰ البساط. قالت: فقلت: يا رسول اللّه وأنا؟ قالت: فواللّه ما أنعم. وقال: «إنّك إلىٰ خير».

وقد أخرج أحاديث في هذا الموضوع بطرقٍ شتّى غير ما ذكرناها، ثم أخرج حديثاً عن عكرمة بقوله:

وقال آخرون: بل عنى بذلك أزواج الرّسول ﷺ. ذكر من قال ذلك، حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيىٰ بن واضح، قال: ثنا الأصبغ عن علقمة قال: كان عكرمة ينادي في السّوق ﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾. قال: نزلت في نساء النبيّ ﷺ خاصة.

لقد رأينا ويرى كل قارئ كيف يخالف رأي الرّجل ما قد بيّنه بنو هذه الأُمّة في

تفسير هذه الآية الشّريفة وهو ﷺ في قيد الحياة ظاهرٌ بين ظهرانيهم، لماذا؟ وما باله لم يرض بتفسير الرّسول ﷺ وبيانه؟ وما هو الدّافع الّذي اندفع به حتّى غدا غائصاً في السوق صائحاً بأنّ الآية نزلت في نساء النبي خاصّة؟ بلى، من عرفه فقد عرفه، ومن لم يعرفه فهو مما لا يُشك فيه، بأنّه كما قد نصّ عليه وصرّح بسلوكه أعلام علماء الأُمة في كتبهم ومصنفاتهم، كالعسقلاني في مقدمة كتابه «فتح الباري» وابن خلّكان في «الوفيات» وياقوت الحموي في «معجم الأدباء». والشّهرستاني في «الملل والنّحل». والسيّد شرف الدّين الموسوي في «الفصول المهمّة» [ص ٢٠٩ ط. النّعماني ـ النجف] حيث قال فيه:

هو الذي صرف آية التّطهير عن أهلها، وتثبّت في ذلك بسياقٍ. فقال: إنّها خاصّةٌ بنساء النبي ﷺ وبالغ فيها حتّى نادى في الأسواق، كما ذكره جماعةٌ كثيرون منهم: الواحدي في تفسيره «أسباب النّزول»، وابن حجر في كتابه «الصّواعق». فلا عجب فإنّه أحد الموالي الدعاة إلىٰ عداوة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام وأحد السّعاة، الّذي يسعى في تضليل النّاس.

ويشهد علىٰ ذلك:

١ ـ قال يحيىٰ بن بكيرٍ: قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب، فالخوارج الّذين هم في المغرب عنه أخذوا.

٢ ـ نقل القاضي العجابي في كتاب «الموالي»: أن عكرمة دخل في رأي الحروري من الخوارج، فخرج يدعو إليهم في المغرب.

٣ ـ عن أبي علي الأهوازي في كتاب «معجم ياقوت الحموي» في ترجمة عكرمة: أنّه يرى رأي الخوارج ويميل إلىٰ الغناء. قال: وقيل إنّه كان يكذب علىٰ مولاه «يعني ابن عبّاسٍ».

٤ ـ عن خالد بن عمران: كنّا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم. فقال:

وددت أن بيدي حربة فاعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً. «لبنائه علىٰ كفر من عدا الخوارج من أهل القبلة».

٥ ـ عن يعقوب الحضرمي عن جدّه قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلّا كافرٌ. ثم قال يعقوب: وكان يرىٰ عكرمة رأي الأباضيّة «وهم من غلاة الخوارج».

٦ ـ عن مصعب بن الزّبير: كان عكرمة يرى رأي الخوارج.

٧ ـ عن عطاء: كان عكرمة أباضيّاً.

٨ ـ عن أحمد بن حنبل: أنّ عكرمة كان يرىٰ رأي الصفريّة. «وهم من غلاة الخوارج».

٩ ـ عن أبي شعيب قال: سألت محمّد بن سيرين عن عكرمة. فقال: ما يسوءني أن يكون من أهل الجنّة، ولكنّه كذّاب.

١٠ ـ عن وهيب قال: شهدت يحيىٰ بن سعيد الأنصاري وأيوب فذكرا عكرمة، فقال يحيىٰ: إنّه كذاب:

١١ ـ عن عبدالله بن الحارث قال: دخلت على عليّ بن عبدالله بن العبّاس، فإذا عكرمة في وثاقٍ. فقلت: ألا تتّقي الله؟ فقال: إن هذا الخبيث يكذب علىٰ أبي ـ «راجع ميزان الاعتدال». وفي كتاب «المعجم» لياقوت الحموي، عن علي بن عبد الله بن عبّاس كذلك. ونقل أيضاً عن ياقوت في آخر ترجمته «عكرمة» من معجمه عن يزيد بن زناد قال: دخلت علىٰ علي بن عبدالله بن عباس وعكرمة مقيّدٌ علىٰ باب الحشّ فقلت: ما هٰذا كذا؟ قال: إنّه يكذب علىٰ أبي.

١٢ ـ عن سعيد بن المسيب: أنّه كذّاب، وعنه أيضاً أنّه قال لمولىٰ له اسمه «برد»: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة علىٰ ابن عبّاسٍ. وكذا كان ابن عمر قال لمولاه.

١٣ ـ عن مطرّف بن عبدالله قال: سمعت مالكاً يكره أن يذكر عكرمة، ولا يرىٰ

أن يروي عنه، إلّا في مسألة واحدة.

١٤ ـ عن الرّياشي عن الأصمعي عن نافع المدني كما في «معجم ياقوت»: أن الناس تركوا جنازته لمّا مات، وأقبلوا على جنازةٍ كثيرةٍ غيره. «إلىٰ غير ذلك ممّا يدل على أن الرّجل ساقط» والله اعلم.

٢ ـ النّيسابوري:

قال في تفسيره [٢٢: ١٠] عند تفسيره معنى أهل البيت بقوله: وأهل البيت: نصب علىٰ النّداء أو علىٰ المدح، وقد مرّ في آية المباهلة أنهم أهل العباء: النبي ﷺ لأنه أصلٌ، وفاطمة رضي اللهُ عنها. والحسن والحسين رضي الله عنهما بالاتفاق. والصّحيح أنّ عليّاً عليه السلام منهم لمعاشرته بنت النبي ﷺ وملازمته إيّاه.

٣ ـ ابن كثير:

أورد في تفسيره [٣: ٤٩١] حديثاً مسنداً إلىٰ عكرمة القائل بأنّ نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في حقّ أزواج النبيّ ﷺ وهنّ المعنيّات بالأهل دون غيرهنّ، حتّى قال مؤكداً فيما ارتأى له: من شاء باهلته إنّما نزلت في شأن نساء النبيّ ﷺ.

قال ابن كثير: فإن كان المراد أنّهن كنّ سبب النّزول دون غيرهنّ فصحيحٌ، وإن أريد أنّهن المراد فقط دون غيرهنّ ففي هذا نظرٌ. فإنّه قد وردت أحاديث تدلّ علىٰ أنّ المراد أعم من ذلك. فأخرج أحاديث كثيرةً. فلنقتصر علىٰ ما لم نذكره فيما مرّ.

قال في [ص ٤٩٣] طريقٌ أُخرى: قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي، حدّثنا شريحٌ بن يونس أبو الحارث، حدّثنا محمد بن يزيد، عن العوّام يعني ابن حوشب عن ابن عمٍّ، قال: دخلت مع أبي على عائشة فسألتها عن علي عليه السلام فقالت: تسألني عن رجل كان من أحب

النّاس إلىٰ رسول اللّه ﷺ وكانت تحته ابنته وأحب النّاس إليه: لقد رأيت رسول اللّه ﷺ دعا عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي اللّهُ عنهم. فألقىٰ عليهم ثوباً فقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً». قالت: فدنوت منهم فقلت: يا رسول اللّه، وأنا من أهل بيتك؟ فقال ﷺ: «تنحّي فإنك علىٰ خير».

قال زهيرٌ: حدّثنا اسماعيل بن ابراهيم، حدّثني أبو حيّان، حدّثني يزيد بن حبّان[1] قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلمة إلىٰ زيد بن أرقم رضي الله عنه فلمّا جلسنا إليه قال له حصينٌ: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً. رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللّه ﷺ؟ قال: يابن أخي واللّه لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الّذي كنت أعي من رسول اللّه ﷺ فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفوا فيه. ثمّ قال: قام فينا رسول اللّه ﷺ يوماً خطيباً بماء يدعىٰ خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد اللّه وأثنى عليه ووعظ وذكر. ثم قال: «أمّا بعد ألا أيّها النّاس. فإنّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب اللّه تعالى، فيه الهدى والنور، فخذو بكتاب اللّه واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب اللّه عزّوجلّ ورغّب فيه. ثم قال ﷺ: وأهل بيتي. أذكّركم اللّه في أهل بيتي. أذكّركم اللّه في أهل بيتي «ثلاثاً». فقال له حصينٌ: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته[2]، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل عليٍّ. وآل عقيل. وآل جعفر. وآل عبّاسٍ قال: كلّ هؤلاء حرم الصّدقة بعده؟ قال: نعم.

ثم رواه عن محمّد بن ريّان، عن حسّان بن إبراهيم، عن سعيد بن مسروق، عن يزيد بن حيّان، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه فذكر الحديث بنحو ما تقدّم، وفيه: فقلت له: من

(١) هكذا في الأصل، والصواب «حيّان».
(٢) هكذا في الأصل، ويبدو أن في الرواية سقطاً هو كلمة «لسن» حتى يكون آخر الرواية منسجماً مع اولها، و تكون العبارة «نساؤه لسن من أهل بيته». وقد ذكر هذا النص في تفسيره ٤: ١٢٢ ط. دار المعرفة بيروت. فراجع.

أهل بيته نساؤه؟ قال: لا، وأيم اللّه، إن المرأة تكون مع الرّجل العصر من الدّهر. ثم يطلقها فترجع الىٰ أبيها وقومها؛ أهل بيته: أهله وعصبته الذين حرّموا الصّدقة بعده.

قال ابن كثير: هكذا وقع في هذه الرّواية. والأُولىٰ أولى والأخذ بها أحرى. وهذه الثّانية تحتمل أنّه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الّذي رواه إنّما المراد بهم آله الذين حرموا الصّدقة، أو أنّه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع آله، وهذا الاحتمال أرجح، جمعاً بينها وبين الرّواية الّتي قبلها، وجمعاً أيضاً بين القرآن وبين الأحاديث المتقدّمة إن صحّت. فإنّ في بعض أسانيدها نظراً واللّه أعلم.

٤ ـ الطّبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [٧ ـ ٨: ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت]

وقد اتّفقت الأُمّة بأجمعها على أنّ المراد بأهل البيت في الآية: أهل بيت نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم. ثمّ اختلفوا، فقال عكرمة: أراد أزواج النبيّ. لأنّ أوّل الآية متوجّهٌ إليهنّ. وقال أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك، وواثلة بن الاسقع، وعائشة، وام سلمة: إنّ الآية مختصّةٌ برسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ثم قال: ذكر أبو حمزة الثّمالي في تفسيره: حدّثني شهر بن حوشب، عن أُمّ سلمة قالت: جاءت فاطمة عليها السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تحمل حريرةً لها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ادعي زوجك وابنيك»، فجاءت بهم فطعموا، ثم ألقى عليهم كساءً له خيبريّاً. فقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي». الحديث.

ثم أورد الطّبرسي ما رواه الثّعلبي في تفسيره بالإسناد عن أُمّ سلمة أيضاً، كما أسلفنا ذكره. ثم أورد ما رواه الثّعلبي بإسناده عن مجمع قال: دخلت مع أُمّي على عائشة، فسألتها أُمّي: أرأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت [عائشة]: إنّه كان قدراً من اللّه، فسألتها عن عليٍّ فقالت: تسأليني عن أحب الناس كان إلىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وزوج

أحب الناس كان إلى رسول اللهﷺ لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناًﷺ وجمع رسول اللهﷺ بثوبٍ عليهم، ثم قال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وحامّتي، فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً»، قالت: فقلت: يا رسول اللّه أنا من أهلك؟ قال: «تنحّي فإنك إلىٰ خير».

وروى عن الثعلبي أيضا بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبيّﷺ قال: نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمةﷺ.

وقال: وأخبرنا السيّد أبو الحمد، قال: حدّثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني، قال: حدّثونا عن أبي بكر السّبيعي، قال حدّثنا أبو عروة الحراني، قال حدثنا ابن مصغي، قال حدّثنا عبدالرّحيم بن واقد، عن أيّوب بن سيّار، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر، قالت [عائشة]: نزلت هذه الآية علىٰ النبيّﷺ وليست في البيت إلّا فاطمة والحسن والحسين وعلي: ﴿إنّما يريدُ اللّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾ فقال النبيﷺ: «اللّهمّ هؤلاء أهلي».

ثمّ قال: والرّوايات في هذا كثيرة من طريق العامّة والخاصة، لو قصدنا إلىٰ ايرادها لطال الكتاب: وفيما أوردناه كفايةٌ.

ثم قال: واستدلّت الشّيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسةﷺ. بأن قالوا: إن لفظة «إنّما» محقّقةٌ لما اُثبت بعدها، نافيةٌ لما لم يثبت. فإن قول القائل: إنّما لك عندي درهمٌ، وإنّما في الدّار زيدٌ، يقتضي أنّه ليس عنده سوى الدّرهم، وليس في الدار سوى زيد، وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الارادة المحضة، أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرّجس، ولا يجوز الوجه الأوّل، لأنّ اللّه تعالى قد أراد من كلّ مكلّف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأنّ هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة، ولا مدح في الإرادة المجرّدة، فثبت الوجه الثّاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيّين بالآية من جميع القبائح، وقد علمنا أنّ من عدا من

ذكرناه من أهل البيت غير مقطوعٍ علىٰ عصمته، فثبت أنّ الآية مختصّة بهم لبطلان تعلّقها بغيرهم.

ومتى قيل إنّ صدر الآية وما بعدها في الأزواج، فالقول فيه: إنّ هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنّهم يذهبون من خطابٍ إلىٰ غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوءٌ، وكذلك كلام العرب وأشعارهم، ثم عاد سبحانه وتعالى إلىٰ ذكر الأزواج فقال: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

٥ ـ الشوكاني:

قال في تفسيره [٤: ٢٨٠] بعد أن أورد أحاديث مضى ذكرها فيما مرّ قريباً من هذا الكتاب، وعرفنا منها سبب اختلاف أهل العلم في معنى «أهل البيت» في هذه الآية الشّريفة. ومن بين من قال بأنّها مختصّة بالخمسة الطاهرة، وقائل بأنّها مختصّة بأزواج الرّسول ﷺ. وأخرج الحكيم التّرمذي، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدّلائل» عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن اللّه قسم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، فذلك قوله تعالى: ﴿ وأصحابُ اليمين﴾ ﴿ وأصحَابُ الشِمال﴾ فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً، فذلك قوله: ﴿وأصحاب الميمنة﴾، ﴿وأصحاب المشأمة﴾، ﴿والسّابقون السّابقون﴾. فأنا من السّابقين، وأنا خير السّابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم﴾، وأنا أتقىٰ ولد آدم وأكرمهم علىٰ اللّه ولا فخر. ثم جعل القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله تعالى: ﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾. فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذّنوب.

ثم قال: وقد توسّطت طائفةٌ ثالثةٌ بين الطّائفتين ـ أي بين الّذين قالوا إنّها مختصّة

بالخمسة والقائلين إنّها مختصّةٌ بنساء النبيّ ﷺ ـ فجعلت هذه الآية شاملة للزّوجات ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

أمّا الزّوجات فلكونهنّ المرادات في سياق هذه الآيات كما قدّمنا، ولكونهنّ السّاكنات في بيوته ﷺ النّازلات في منازله. ويعضد ذلك ما تقدّم عن ابن عبّاس، وغيره. وأمّا دخول عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين. فلكونهم قرابته وأهل بيته في النّسب، ويؤيّد ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المصرّحة بأنّهم سبب النّزول.

فمن جعل الآية خاصّة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله، وأهمل ما لا يجوز إهماله، وقد رجّح هذا القول جماعةٌ من المحقّقين، منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما.

وقال جماعة: هم بنو هاشم، واستدلّوا بما تقدّم من حديث ابن عبّاس، ويقول زيد ابن أرقم: ولكن آله من حرّم الصّدقة بعده: آل عليٍّ، وآل عقيلٍ، وآل جعفر وآل عبّاس، فهؤلاء ذهبوا إلىٰ أنّ المراد بالبيت بيت النّسب.

٦ ـ العلّامة السّيد محمّد علي بن محمّد طاهر الموسوي الحائري البحراني:

قال في كتابه «خلفاء الرّسول» [ص ١٧٨]: من هم أهل البيت؟

قد بان لنا وظهر ممّا تقدّم ـ يعني حديث الثّقلين ـ أنّ الرّسول الأعظم ﷺ قد نصب علماً علىٰ أُمّته من بعده خليفتين عظيمتين باقيتين إلىٰ الأبد، تعصمان الأمة عن الضّلال ما تمسّكت بهما، وعرفنا أنّ أحدهما: كتاب اللّه، هو مجموعُ ما بين الدفّتين، الذي اعترف بقرآنيّته المسلمون أجمعون. بيد أنّ الأمر كلّه في أنّه من المقصود من أهل البيت؟ لأن النّاس عمداً أو خطأً اختلفوا في ذلك، فبين ذاهب إلىٰ أنّ أهل البيت نساؤه والهاشميّون عامّة، وبين من يزعم أنّهم بنو هاشم خاصّة دون نسائه ﷺ.

وهناك من يرى أنّهم رهط خاص من بني هاشم. وهم الّذين جلّلهم النبي ﷺ بكسائه. وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي»، وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

اللّٰهُ ليَذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وهم: علي. وفاطمة، وبنوهما عليهم السلام. وهذا الخلاف جارٍ في كلّ آيةٍ أو روايةٍ فيها ذكر أهل البيت.

فنقول: لا شكّ أنّ النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أراد بقوله: «إني تاركٌ فيكم الثّقلين الخ» أن ينصب عالماً قائماً لإرشاد الأمّة وهدايتها، وعالماً يدلّها علىٰ تأويل الكتاب حسب نزوله. وإماماً يجمعها على الخير والهدى أو يصدّها عن الشرّ والرّدى.

وأين نساؤه وعامّة الهاشميّين من هذه الملكات العليّة، والصّفات القدسيّة الّتي لا تكون إلّا للأنبياء والمرسلين وأوصيائهم عليهم السلام؟

وها نحن نرىٰ ونشاهد بأمّ أعيننا كثيراً من الهاشميّين محتاجين إلىٰ التّعليم والإرشاد، فيكف يكون المحتاج إلىٰ التعليم والإرشاد قريناً للقرآن الّذي اشتمل علىٰ تبيان كل شيءٍ؟ فلابد أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أراد من أهل البيت رهطاً خاصّاً، لهم الكفاءة والقدرة علىٰ النّهوض بذلك العبء الثّقيل، عبء الخلافة والزّعامة الكبرىٰ، ولابدّ أنّ النّاس كانوا يعرفونهم في عهد الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ولابدّ أن يكون الحديث نفسه دالاًّ عليهم في عهده صلى الله عليه وآله وسلم دلالةً واضحة. ومرشداً إليهم إرشاداً بيّناً لا لبس فيه. وإلّا لما صلح من المصلح الأكبر حجّةٌ علىٰ الأُمّة تقطع عنهم العذر، بل تكون للامّة حجّة عليه صلى الله عليه وآله وسلم إذ لم يعرّفهم بهم.

والحديث الشّريف نفسه يدلّنا، حين عبّر عن أهل البيت بالثّقل وقرنهم بالكتاب، علىٰ أنّ هذا القرين والخليفة الثّاني رفيع الشّان، ثقيل الميزان، عليمٌ بما في القرآن، راسخ العلم، لا يعتري علمه شك ولا ارتيابٌ. «إلىٰ أن قال»: فأهل البيت إذن فى عهد الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم هم: علي وابناه الحسن والحسين عليهم السلام. هذا ما عرفه المسلمون الأوّلون، ونحن نعرفه اليوم من أهل البيت. لأنّ هؤلاء الثّلاثة هم وحدهم يسوغ لهم من بين الهاشميّين قاطبةً أن يتقمّصوا بقميص رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ويأخذوا بزمام الحكم، ويسوقوا العباد إلىٰ الرّشاد. وهؤلاء مع فاطمة فحسب، هم الّذين جلّلهم الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم بالكساء وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً». كما رواه الثّقات

عن أم المؤمنين أُم سلمة رضي اللّٰه عنها.

ثم أورد أحاديث من طرقٍ شتّى. منها ما أخرجه الشّيخ سليمان القندوزي في كتابه «ينابيع المودّة» [ص ٢٢٨ ط. اسلامبول] عن الدّولابي عن أُمّ سلمة قالت: إنّ النبيّ ﷺ قال لفاطمة: إئتيني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم فألقى عليهم كساءً فدكيّاً، ثمّ وضع يده عليهم وقال: «اللّهمّ إنّ هؤلاء آل محمّدٍ فاجعل صلواتك وبركاتك على محمدٍ وآل محمّد إنّك حميدٌ مجيد»، قالت أُم سلمة: رفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه ﷺ وقال: «فنى مكانك، إنّك على خيرٍ». انتهىٰ.

أمعن النّظر في جذبه ﷺ الكساء من يد أُمّ سلمة، وقوله: «فنى مكانك إنّك علىٰ خيرٍ». وحينما قالت مستفهمة: وأنا معهم؟ كما في رواية التّرمذي، فقال ﷺ: «أنت على مكانك، وأنت إلى خير». تجده يُنبئ بوضوحٍ بانحصار مصداق أهل البيت في عصر صاحب الرّسالة، بالّذين جلّلّهم الكساء ليس غير. إذ لو كان المقصود من أهل البيت ما يعمّ نساءه ﷺ لم يخرج أُمّ سلمة ولم يخاطبها بقولته تلك.

وخروج نساء النبيّ ﷺ عن مصداق أهل بيته كان أمراً مسلّماً لدى الصّحابة. يرشدك إلىٰ ذلك قول الصّحابي الكبير زيد بن أرقم في جواب من سأله: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا وأيم اللّٰه إن المرأة تكون مع الرّجل العصر من الدّهر، ثمّ يطلّقها فترجع إلىٰ أبيها وقومها. وأمّا بعد هؤلاء، فمن هم أهل البيت؟ لأن النبيّ ﷺ أخبر ببقائهم مع القرآن حتّى يردا عليه الحوض. والهاشميون بعد السبطين كثيرون، ولا سيّما من كان من ذريّتهما، فهل أراد ﷺ جميع بني هاشم؟ أم خصوص العلويّين منهم؟ أم فئةً خاصّةً من العلويين؟ ولا شكّ أنّ كثيراً من الهاشميّين والعلويّين محتاجون إلىٰ الصّلاح والهداية، وفيهم من لا يتحاشى المنكر، فكيف يكونون قرناء الكتاب؟ الكتاب الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الكتاب الّذي يبقى معجزة مدى الدّهر، فقرين الكتاب لابدّ أن يكون علىٰ شاكلته، وعارفاً به حقّ معرفته، فعليه، لابدّ أنّه ﷺ قصد فئة خاصّة

من أهله، عندهم علم الكتاب، دون الكلّ منهم.

فإذا كان النّبي ﷺ يقصد من أهل البيت رهطاً خاصاً، فهل من الممكن أن يقصد أناساً تجهل الأمّة أعيانهم ولا تهتدي إلى أشخاصهم؟ ويا هل ترى إن اللّه سبحانه ورسوله يكلّفان الامّة شططاً، ويحملانها علىٰ معرفة من تهتدي إليه؟ كلّا ثم كلّا. فلابدّ إذن أن يكون ﷺ أراد رهطاً خاصاً من قومه، معروفة أسماؤهم، معلومة خصالهم وصفاتهم، لا ينكرهم النّاس بعد التّعريف، ولا يخفىٰ عليهم بعد الإشارة والتّوصيف.

٧ ـ الحاكم:

قال في كتابه «المستدرك» [٣: ١٤٦ ط. دار المعرفة ـ بيروت] حدّثنا أبوبكر أحمد بن سلمان الفقيه، وأبو العبّاس محمّد بن يعقوب، قالا: حدّثنا الحسن بن مكرم البزّار، حدّثنا عثمان بن عمر، حدّثنا عبدالرّحمن بن عبداللّه بن دينار، عن شريك بن أبي نمر، عن عطاء ابن يسار، عن أُمّ سلمة قالت: في بيتي نزلت: ﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت﴾، قالت: فأرسل رسول اللّه ﷺ إلىٰ عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: «هؤلاء أهل بيتي». هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وقال: حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن يعقوب، حدّثنا الرّبيع بن سليمان المرادي، وبحر ابن نصر الخولاني، قالا: حدّثنا بشر بن بكر، وحدّثنا الأوزاعي، حدّثني أبو عمّار، حدّثني واثلة بن الأسقع قال: أتيت عليّاً فلم أجده، فقالت لي فاطمة: انطلق إلىٰ رسول اللّه ﷺ يدعوه. فجاء مع رسول اللّه ﷺ فدخلا ودخلت معهما. فدعا رسول اللّه ﷺ الحسن والحسين فأقعد كلّ واحد منهما علىٰ فخذيه، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها. ثمّ لفّ عليهم ثوباً وقال: ﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي، اللّهمّ أهل بيتي أحق».

وأخرج من طريق أبي العبّاس محمّد بن يعقوب أيضاً بإسناده إلىٰ عائشة رضي

الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مرطٌ مرجّلٌ من شعرٍ أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلها معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معها، ثم جاء علي فأدخله معهم، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾. هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيّخين ولم يخرجاه.

وقال: كتب إليّ أبو إسماعيل محمّد ابن النّحوي يذكر أنّ الحسن بن عرفة حدّثهم، قال: حدّثني علي بن ثابت الجزري، ثنا بكير بن مسمار مولى عامر بن سعد. سمعت عامر بن سعد يقول: قال سعد: نزل على رسول الله ﷺ الوحي فأدخل عليّاً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال: «اللّهم هؤلاء أهلي وأهل بيتي».

وقال: حدّثني أبو الحسن إسماعيل بن محمّد بن الفضل بن محمّد الشّعراني، ثنا جدّي، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي، ثنا محمّد بن إسماعيل بن أبي فديك، حدّثني عبدالرحمن بن أبي بكر المليكي، عن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال: لمّا نظر رسول الله ﷺ إلى الرّحمة هابطة قال: «ادعوا لي ادعوا لي»، فقالت صفيّة: من يا رسول الله؟ قال: «أهل بيتي: عليّاً وفاطمة والحسن والحسين»، فجيء بهم فألقى عليهم النبي ﷺ كساءه ثمّ رفع يديه، ثم قال: «اللّهم هؤلاء آلي، فصلّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمد»، وأنزل الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تطهيراً﴾ هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقد صحّت الرّواية على شرط الشيّخين أنّه ﷺ علّمهم الصّلاة علىٰ أهل بيته كما علّمهم الصّلاة علىٰ آله.

ثمّ ساق الحديث عن عبدالله بن عيسى بن عبدالرّحمن بن أبي ليلى، أنّه سمع عبد الرّحمن بن أبي ليلى يقول: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هديّة سمعتها من النبي ﷺ؟ قلت: بلى. قال: فاهدها إلي، قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله كيف الصّلاة عليكم أهل البيت؟ قال ﷺ: «قولوا اللّهم صلّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمد، كما صلّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللّهم بارك علىٰ محمدٍ

وعلىٰ آل محمّد، كما باركت على إبراهيم وعلىٰ آل ابراهيم إنك حميدٌ مجيد». وقد روى الحديث بإسناده وألفاظه حرفاً بعد حرف الامام محمّد بن إسماعيل البخاري عن موسى ابن إسماعيل في الجامع الصّحيح، وإنما خرّجته ليعلم المستفيد أن أهل البيت والآل جميعاً هم.

٨ ـ سيّدي العلّامة علوي بن طاهر الحدّاد:

قال في كتابه «القول الفصل» [٢: ٢٨٦ ط . جاوا] بعد أن أورد روايات في هذا المضمون بلغ عددها إلىٰ أربع وعشرين رواية: من هم أهل البيت في الآية؟ «يعني: آية التّطهير» ثم قال: هذا فصلٌ نقلته عن بعض محقّقي أصحابنا لاشتماله علىٰ فوائد جليلةٍ مع حذف قليل، وسنستدركه ببعض ما فاته. قال بعد إيراده بعض روايات الحديث وتصحيح ابن تيميّة له:

قلت: لهذا الحديث طرقٌ جمّة، وصحّته وثبوته ممّا لا شك فيه ولا مرية، وهو نص صريحٌ على انحصار الخصوصيّة العظمى في جميع ما جاء في أهل بيته ﷺ في هؤلاء وأبنائهم فقط، فهم فقط حامّة النبي ﷺ وخاصّته وورّاثه وخلفاؤه وأهل الحقّ وقرناء الكتاب. ولا يشاركهم في شيءٍ من هذا ولا ما يقاربه أحدٌ، لا آل عبّاس ولا آل جعفر فضلاً عن غيرهم. ولا بنو عليٍّ من غير فاطمة. ولهذا قال البيهقي: وكأنّه جعله في حكم الأهل تشبيهاً لا تحقيقاً. انتهىٰ.

وسيظهر معنى قول البيهقي ومغزاه فيما يلي:

ونقل عن المحب الطّبري أن إدخال النبيّ ﷺ لهؤلاء الخمسة تكرّر في بيت أم سلمة وفاطمة وغيرهما، وهو الصّواب وسيأتي الكلام فيه.

ثم نقل الحفظي عن العلاّمة السيّد عليّ السّمهودي قوله رحمه اللّٰه تعالى:

إعلم إنّي تأمّلت هذه الآية مع ما ورد من الأخبار في شأنها وما صنعه النّبي ﷺ

بعد نزولها، فظهر لي أنّها منبع فضائل أهل البيت النّبويّ لاشتمالها علىٰ أمور عظيمةٍ لم أر من تعرّض لها.

أحدها: اعتناء الباري بهم وإشادته بعلي قدرهم حيث أنزلها في حقهم.

ثانيها: تصديرها بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا﴾ الّتي هي أداة حصرٍ لإفادة أن إرادته تعالىٰ في أمرهم مقصورةٌ علىٰ ذلك الّذي هو منبع الخيرات لا يتجاوزه إلىٰ غيره.

ثالثها: تأكيده لتطهيرهم بالمصدر ليلعم أنّه في أعلىٰ مراتب التّطهير.

رابعها: تنكيره تعالى لذلك المصدر حيث قال: ﴿تَطْهِيراً﴾ للإشارة إلىٰ كون تطهيره إياهم نوعاً عجيباً غريباً ليس ممّا يعهده الخلق ولا يحيطون بدرك نهايته.

خامسها: شدّة اعتنائه ﷺ وإظهاره واهتمامه بذلك، وحرصه علىٰ ذلك مع إفادة الآية لحصوله، فهو إذن لتحصيل المزيد من ذلك، حيث تكرّر طلبه ذلك من مولاه عزّوجل، مع استعطافه بقوله: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي». أي: وقد جعلت إرادتك في أهل بيتي مقصورةً علىٰ إذهاب الرّجس، فأذهبه عنهم وطهّرهم تطهيراً، بأن تجدّد لهم من مزيد تعلّق الإرادة بذلك ما يليق بعطائك.

سادسها: دخوله ﷺ معهم في ذلك، لما ورد عن أبي سعيد الخدري ﵁: نزلت في خمسةٍ «الخ» وقد تقدّم، بل جاء في رواية أُمّ سلمة رضي اللّه عنها: نزلت هذه الآية في بيتي، ﴿إنما يريد اللّهُ﴾ الآية، في سبعةٍ: جبرئيل وميكائيل، ورسول اللّه، وعلي وفاطمة، والحسن والحسين. وفيه مزيد كرامتهم وإبانة تطهيرهم، وإبعادهم عن الرّجس الذي هو الإثم والشّك فيما يجب الإيمان به ما لا يخفىٰ موقعه عند أولي الألباب.

سابعها: دعاؤه ﷺ بما تضمّنت الآية وبأن يجعل اللّه صلواته ورحمته وبركاته ومغفرته ورضوانه عليهم. لأن من كانت إرادة اللّه في أمره مقصورة على ذهاب الرجّس عنهم والتّطهير لهم، كان حقيقاً بهذه الأُمور.

ثامنها: في طلب ذلك له ولهم من تعظيم قدرهم، وإنافة منزلتهم، حيث ساوى بين

نفسه وبينهم في ذلك ما لا يخفىٰ.

تاسعها: إنّه ﷺ سلك في طلب ذلك من مولاه عزّوجلّ أعظم أسلوب وأبلغه. فقدّم على الطّلب مناجاته تعالى بما تضمّنه قوله: «اللّهم قد جعلت صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علىٰ إبراهيم» فأتىٰ بهذه الجملة الخبريّة المقرونة «بقد» التحقيقية. المفيد لتحقيق ذلك من مولاه. ثمّ أتبعه بالمناجاة بقوله ﷺ: «اللّهم إنهم منّي وأنا منهم» وذلك من قبيل الإخبار، ثمّ فرّع علىٰ الجملة الطّلبيّة حيث قال: «فاجعل صلواتك» لسرٍّ لطيفٍ ظهر لي بوجهين:

الأوّل: تمام المناسبة في الأُبوّة الإبراهيميّة التي أُعطيها ﷺ فإنّها تقتضي استجابة هذا الدّعاء، وأن يعطىٰ ما طلبه لنفسه ولأهل بيته كما أُعطي أبوه إبراهيم.

الثّاني: أنّه ﷺ من جملة آل ابراهيم، قال ابن عبّاسٍ في تفسير قوله تعالى: ﴿إن اللّه اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾: محمّدٌ من آل إبراهيم، وآله قد أُعطوا تلك الأنوار، فقد ثبت إعطاء الأنوار له فيما مضى وآله منه وهو منهم. فتوصّل لاستيجاب إنعامه بذكر أنعامه.

عاشرها: أنّ دعاءه ﷺ مقبولٌ سيّما في أمر الصّلاة عليه. فقد دعا مولاه أن يختصّه وآله بالصّلاة عليه وعليهم، فتكون الصّلاة عليه وعليهم من ربّه عزّوجلّ كذلك.

حادي عشرها: أنّ جمعهم معه ﷺ في هذا التّطهير الكامل وما نشأ عنه وعنهم مقتضٍ لإلحاقهم بنفسه الشّريفة. كما يشير إليه بقوله: «اللّهم إنهم منّي وأنا منهم» وقوله: «أنا حربٌ لمن حاربهم، وسلمٌ لمن سالمهم» وقوله: «ألا من آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ اللّه» فأقامهم في ذلك مقام نفسه. وكذا في المحبّة، في قوله: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبدٌ حتى يحبّني، ولا يحبني حتىٰ يحب ذويّ» وقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين» وكذا ألحقوا به في قصّة المباهلة المشار اليها بقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ الآية. فغدا رسول اللّه ﷺ محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن، وفاطمة

تمشي وعلي خلفها. والأمر الّداعي إلى المباهلة إظهار الكاذب في تلك الخصومة، وهو أمرٌ مختصٌ به ﷺ ومن يكاذبه. فألحق تعالى أهل الكساء به، ولأنه آكد في الدّلالة علىٰ ثقته واستيقان صدقه. حيث اجترأ علىٰ تعريض أعزّته وأفلاذ أكباده وأحب الناس إليه لذلك، ولم يقتصر علىٰ تعريض نفسه. وعلىٰ ثقته بكذب خصمه حتّىٰ يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك استئصالٍ إن تمّت المباهلة.. وخصّ الأبناء والنساء لأنّهم أعزّ الأهل، وقدّمهم في الذكر لنبيّه على إنافة قدرهم، وإيذاناً لأنهم مقدّمون علىٰ النّفس مفدّون بها. قال الزمخشري: ولا دليل أقوى من هذا علىٰ فضل أصحاب الكساء.

ثاني عشرها: إن قصر الإرادة الإلهيّة في أمرهم علىٰ إذهاب الرّجس والتّطهير، يشير إلىٰ ما سيأتي من تحريمهم في الآخرة علىٰ النّار. فمن قارف منهم شيئاً من الأوزار يرجى أن يتداركه بالتّطهير، بإلهام الإنابات، وأسباب المثوبات، وأنواع المصائب المؤلمات، ونحو ذلك من المكدّرات، وعدم إنالتهم ما لغيرهم من الحظوظ الدنيويّات، وكذا بما يقع من الشّفاعات النّبويّات.

ثالث عشرها: حثّهم بذلك علىٰ كمال البعد عن دنس الذّنوب والمخالفات، وتمام الحرص علىٰ امتثال المأمورات، بدلالة ما سبق من قوله ﷺ عند تذكيرهم بالصّلوات: «الصّلاة يرحمكم اللّه، **﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾**».

رابع عشرها: إنّ قوله ﷺ: «فجعلني في خيرهم بيتاً، فذلك قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**» دالّ على أنّهم استحقوا بذلك أن يكونوا خير الخلق، وقد أُعطي إبراهيم أنبياء من أهل بيته. بل لم يكن نبي من بعده إلّا من ذرّيته، وإكرام نبيّنا ﷺ بكونه خاتم النّبيّين اقتضىٰ انتفاء ذلك، فعوّض من ذلك كمال طهارة أهل بيته. فنال منهم درجة الوراثة والولاية خلقٌ لا يُحصىٰ عددهم. وللّه در القائل:

للّـه ممّـن قـد بـرا صـفوةً ... وصفوة الخلق بنو هـاشم
وصفوة الصّفوة من بـينهم ... محـمّد النّـور أبـو القـاسم
وبـيته أكـرم بـيتٍ سما ... كم عاملٍ فيهم وكم عـالم
وناطق في حكمة اسـندت ... عن ناثر منهم وعن نـاظم

خامس عشرها: إنّ الآية أفادت أنّ طهارتهم ومساواتهم نشأ من ذلك إلحاقهم به في المنع من الصّدقة، الّتي هي أوساخ أموال النّاس. وعوّضوا عن ذلك خمسٌ من الفيء والغنيمة. ولذلك قال ﷺ: «إن في خمس الخمس ما يكفيكم». «انتهى كلام السمهودي»

ثمّ قال في [ص ٢٩٠] من كتابه المذكور:

وقد زعم بعض حسّاد أهل البيت وعداتهم أنّ الآية مخصوصةٌ بأمّهات المؤمنين لوقوعها في سياق آياتٍ متعلّقةٍ بهنّ. وتكلّفوا في تأويل تذكير الضّمير من المذكورين في هذه الآية خاصّة دون ما قبلها و ما بعدها، وهي بضعة عشر ضميراً، واحتجّوا بما افتخره عكرمة الصّفري الخارجي . ممّا رواه عنه جماعةٌ، حتى صرّح بعضهم أنّه كان ينادي في السّوق بأنّ الآية نزلت في نساء النبي ﷺ ويقول ليس بالّذي يذهبون إليه، وصنيع هذا الكذّاب إنّما حمله عليه شدّة بغضه لأهل الكساء. ولكن عند من عقل وأنصف، إنما يفيد ضدّ ما أراده، فلولا شهرة كون هذه الآية خاصّة بأهل الكساء يعرفها حتّى أهل السّوق، وأنّ القول بذلك فاشٍ بين عوام المسلمين فضلاً عن خاصّتهم، لما احتاج ذلك الدّجّال للنّداء في السّوق. ومن المشهور تردّد ذلك الخبيث الىٰ الأمراء، يستعطيهم ويستطعمهم. فغير بعيدٍ أن ينال منهم أجراً وتشجيعاً علىٰ هذا الافتراء، إذ النّصب قد كان فاشياً إذ ذاك. والتّأجير علىٰ ذمّ أهل البيت قد اشتهر. «سيأتي نزر يسير من ذلك عند كلامه على حديث الثقلين».

وقال في [ص ٢٩٢] من نفس المصدر:

فالآية في أهل الكساء خاصّة، وهم أيضاً أهل المباهلة، لم يدخل فيهم أحدٌ آخر.

فاختصّ اسم النساء هناك في قوله: ﴿ونساءنا ونساءكم﴾ بفاطمة وحدها، دون أمّهات المؤمنين. لأنّهن كنّ حينئذٍ من نساء النّبيّ ﷺ، فمن الممكن المعتاد أن يعددن من نساء قومهن. وقد أخرجهن الدّليل، والعام يخصّ بأقلّ من هذا. وما صحّ من تفسير النبيّ ﷺ للقرآن هو الواجب الاعتقاد، وقد تقدّم به النّقل الكافي، وتركنا كثيراً منه لئلّا يطول الكتاب. فتفسير من فسّر الآية هنا بغير أهل البيت مردودٌ مبتدعٌ، ويشهد لصحّة ما قاله الجمهور، ويوضح فساد قول الشّذّاذ ما صحّ من ردّه ﷺ لعائشة وأم سلمة، وعدم إدخاله لهما.

والقول بأن الآية خاصّةٌ بأهل الكساء فقط قد صحّ عن عدد من الصّحابة وجماعاتٍ من محققي العلماء نصّاً شبه الإجماع.

ثم قال: قال المحدّث حسن الزّمان ناقلاً عن تفسير الشّهاب السّهروردي: وقال الآخرون أي جميع الصّحابة، غير ابن عبّاس: هذا خاص في رسول اللّه ﷺ وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين. فهذا هو الأكثر والأكثر أرجح. ثم قال ما معناه: الحاصل أن لفظ أهل البيت يجيء بمعانٍ، لكن بتصريح المصطفى ﷺ سقط سائرها عن هذه الآية. وكانت خاصّة في حقّ هؤلاء الخمسة. انتهى بحروفه.

قلت: قوله: غير ابن عبّاسٍ يعني: في رواية عكرمة الصّفري الّذي قيّده عليّ بن عبد اللّه بن عبّاس لكذبه على أبيه، ولصحّة الرّواية عن ابن عبّاس بما قاله الأكثر. قال بعض العلماء: قد رجع ابن عبّاس عن ذلك القول الشّاذ، وأكبر اصحاب ابن عبّاس الآخذين التفسير عنه قتادة. كما قال العلماء حتّى ابن تيميّة، وقتادة مصرّحٌ بما ثبت من نزول الآية في الخمسة.

وقال في [ص ٣٠٨]: وأمّا ما ذكره السّمهودي وأقرّه المحقّق من أنّ الإرادة في آية التّطهير إرادة كونيّة، فإنه ميدانٌ فيه للعلماء سبحٌ طويلٌ، واستيفاء ذكر القائل والمقول، وما في المسألة من نقول، يكثر ويطول، ولا محلّ للإطالة، ولكنّا نذكر شيئاً من ذلك يحيط

معه المطالع بحقيقة أقوالهم، فنقول:

إنّ الأشعريّة قاطبة وأتباع الأشعري، وهم معظم أهل المذاهب الأربعة، والصّوفيّة أجمع يثبتون للّه إرادةً واحدةً كونيّةً، يجب وقوع ما تعلّقت به، وعلىٰ هذا المذهب مشى السّمهودي فيما قاله، وقد قال بمثل قوله كثيرون غيره. وللعلّامة الشّيخ أحمد بن محمّد الحفظي منظومةٌ سمّاها «رد الوعوعة» استوفىٰ فيها هذا المعنىٰ. وأجاب عما يلزمه فقال:

قد صحّ قطعاً عند أهل السنه ... بأن مولانا عظيم المنّه
صفاته كذاته في القدم ... وفي الدّوام وانتفاء العدم
وإن منها صفة الإراده ... وهي لتخصيص الّذي أراده
وأنّه قد علّق التّطهيرا ... بها لآل المصطفى تعزيرا
فلا يجوز أبداً تحويله ... ولا انتقال ذاك أو تبديله
لأنّه يستلزم الحدوثا ... للذّات والصّفات والنّكوثا
وكل هذا مستحيلٌ قطعا ... نقلاً وعقلاً مفرداً وجمعا
إذا عرفت هذه المقدّمه ... فإن كل مسلم ومسلمه
فرضٌ عليهم لازمٌ أن يشهدوا ... بما سمعت وله يعتقدوا
ولا يجوز الخلف والتبديل ... بذلك الحكم ولا التحويل
وربّنا يشهد في الآزالِ ... بأنّه مطهّرٌ للآل
مع أنّهم لم يسلموا من ذنب ... فليس معصوماً سوى مَن نُبّي
وعلمه بكلّ هذا قد سبق ... ثمّ تراه شاهدا بما اتّفق
لو لم يكن سبحانه تجاوزا ... عنهم ولم يقسّم الجوائزا
بتوبةٍ قبل الممات مثمره ... تبديل كلّ سيّءٍ أو مغفره
لم يشهدنّ لهم بما نزل ... في سورة الأحزاب في ماضي الأزل
والأخذ بالعصيان للشّريف ... مصادمٌ شهادة اللّطيف

وذاك نصٌّ في الذي قد أفهما ... أقوى دليلٍ الّذي قد أُلهما
ونقله يريد أن يخفّفا ... يريد أن يتوب عمّن قد هفا
لكم يريد اليسر قد أطالا ... بعضُهمُ وأكثر المقالا
وقال لا تفيد للتّلازم ... بين الوقوع ومراد العالم
وآية التّطهير من هذا النّمط ... تفيد للحصر على قطع فقط
(فإنّما) الأوّل ثم الثّاني ... (تأكيده) باللام للمباني
(مؤكّدٌ) بالمطلق المفعول ... (منكّراً) في الحكم والنّزول
جعله في سبب الإنزال ... لآية التّطهير في السّؤال
اسم إشارةٍ لما قد أسندا ... اليه في دعائه وما اعتدا
وعند أرباب البيان نكت ... غير الذي تسمعه قد أثبتوا
إن قلت إن الآية المعظّمه ... قد أُنزلت في خمسة مكرّمه
فما الدّليل في دخول عترته ... تحت الكسا حكماً وتحت دعوته
فعندنا دلائلٌ تواترت ... دلّت علىٰ القطع وقد تضافرت
منها خصوص السّبب المهم ... لم يمتنع منه عموم الحكم
لم يخلقوا إذ ذاك والبطون ... في عالم الظّهور قد يكون
وقال ألحقنا بهم سبحانه ... ذرّيةً فردّدن قرآنه
وأهل بيت المصطفى ذرّيته ... حقيقةً وهم بنوه عترته
مقارنين للكتاب أبدا ... إلىٰ ورود الحوض فيما وردا
وواحدٌ من ثقلين قد ترك ... من بعده فينا تنوّر الحلك
وأمر الأمة بالتّمسك ... بهم فيا للّه من مستمسك
فهذه دلائل الدخول ... في آية التّطهير والشّمول
وأنّهم قد أُلحقوا بنفسه ... وكلّ فرعٍ لاحقٌ بغرسه

طـــهّرهم ربّهـــم وأذهـبا　　　لكـــلّ رجسٍ عـنهم وطـيّبا
فكـــل فـــردٍ مـنهم مـطهّر　　　مـن ذلك اليـوم إلىٰ أن يحشروا
وصـيغة الفـعل لهـا التّـجديد　　　عـلىٰ الدّوام ولهـا التّرديـد

ثمّ أفاض في رد ما يرد علىٰ هذا القول وما يؤيدّه. وذكره يطول، ومجمله.

إن أهل بيته ﷺ مكلّفون بالشّرائع الإسلاميّة، مقيّدون بالأمر والنّهي غير مطلقين. وما جرى منهم من الذّنوب فمغفرته متحققة، لتعلّق الإرادة الأزلية بإذهاب الرّجس عنهم، وطهارتهم عنه متوقعة الحصول غير مختلفة، لأن الحكم علىٰ الشّخص إنّما ينبني علىٰ ما يستقر عليه حاله آخر عمره، وما يؤول إليه في صيور أمره.

فذنبهم ممحو لا محالة، إمّا بتوبةٍ أو محض مغفرةٍ. وأمّا الرّدّة والشّرك فهو مستحيلٌ في حقّهم. فلم يبق إلّا الذنوب، وهي تنقسم إلى قسمين: صغيرةٌ وكبيرةٌ.

أمّا الصّغيرة فلها أسبابٌ كثيرةٌ تمحوها من المكفّرات للصّغائر، كالجماعات والجمعات والصّلوات، والحسنات يذهبن السّيئات. فوفّقهم اللّٰه لما يكفّر صغائرهم.

وأمّا الكبيرة. فهي تحت قضاء المشيئة الإلهيّة، وهذا يظهر في حقّ عامّة النّاس في يوم القيامة. أمّا في حقّ أهل البيت فقد ظهر حكم المشيئة من اليوم. فكبائرهم مغفورة لا محالة. ومع ذلك فمن أتى منهم حدّاً حددناه، أو جاء بما يقتضي العقوبة عاقبناه. واستدلّ على ذلك بقوله ﷺ في عثمان رضي الله عنه لمّا جهّز جيش العسرة: «ما ضرّ عثمان ما عمل بعدها». وبقوله ﷺ في أهل بدر: «لعلّ اللّٰه اطّلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وما أشبه ذلك، قال: ولم يردّ أحدٌ مضمون هذين الحديثين وما شابههما ويؤوّلهما أو يقيّدهما. فكذلك القول فيما دلّت عليه آية التّطهير، وأمّا ما كان من مظالم العباد فيعوّض اللّٰه عنها أهلها. هذا مجمل كلامه.

وقال في [ص ٤٠٧]: ومن المعلوم أنّ أهل بيته ﷺ وعترته الّذين هم أصله وعصبته هم غير نسائه قطعاً لا يشك فيه أحد، ونساؤه ﷺ إنّما لحقن بهم لمكانهنّ

منه ﷺ. ولو طلّقت إحداهنّ لخرجت بذلك عن أن تعدّ من زوجاته، فضلاً عن أن تلحق بأهل بيته. لأنها إنّما اتّصلت بهذا البيت لمكان عقد الزّوجيّة، فإذا انحل العقد انحلّ ذلك الاتصال جملة.

والسّؤال هو: عن أهل البيت من هم؟ وعن الزّوجات هل هنّ من أهل بيته؟ يجاب بنعم. مع استدراك ما يوهمه الإطلاق من أصالتهنّ وانحصار الأهليّة فيهنّ، ولذلك أورد زيد بن أرقم رضي الله عنه ذلك علىٰ صيغة الاستدراك فقال: إن نساءه من أهل بيته. ولكنّ أهل بينه من حرم عليه الصّدقة.

وقال في [ص ٣٠٢]: إنّها لو كانت نزلت في الزّوجات الطّاهرات، لبقي الخطاب معهنّ كما في الآيات السّابقة. ولكن تذكير الضّمائر دلّ على صرف الخطاب عنهنّ، ووضع الآية أثناء الآيات المخاطبات بهنّ يشعر بالحكمة في الأوامر الّتي أمرن بها. وهذا القدر كاف للمناسبة بين الآيات، وهو مسقطٌ لقول من استدلّ علىٰ أنّها نزلت فيهنّ بورودها في سياق الآيات المذكورة.

ثمّ ذكر قول الطّحاوي نقلاً عن «مشكل الآثار» بعد أن جزم بأنّ الآية نزلت في أهل البيت، ما لفظه: وحديث سعدٍ وما ذكرناه معه من الأحاديث في الباب الأوّل معقولٌ بها من أهل الآية المتلوّة. لأنّا قد أحطنا علماً أن رسول اللّه ﷺ لمّا دعا من دعا من أهله عند نزولها لم يبق من أهلها المرادين فيها أحدٌ سواهم. وإذا كان ذلك كذلك استحال أن يدخل معهم فيما أُريد به سواهم.

وقال في [ص ٢٩٨]: أنّه قد صحّ الحديث بنزول: ﴿إنَّما يريدُ اللّه لِيذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ في أهل البيت. وأنّهم هم المعنيون بها، عمّن أُنزلت عليه ﷺ وقبول بيانه ﷺ وتفسيره واجبٌ لمسلمٍ عنه، ولا قيمة لبيانٍ مع بيانه، ولا لقول مع قوله، وكل من خالف الثّابت عنه مردودٌ على قائله، مضروبٌ به وجه صاحبه.

دَعوا كل قولٍ غير قول محمّدٍ ... فعند طلوع الشّمس ينطمس النّجمُ

وقال في [ص ٢٩٨]: ونحمد الله علىٰ أنّ القائلين بأنّها نزلت في أهل البيت هم الجمهور. ولعل النّزاع في ذلك من آثار سياسة الملوك، التي سعى في تنفيذها كثيرٌ من علمائهم. فإنّه لمّا اقتضت سياستهم سفك دماء أهل البيت وجد من العلماء من يضع لهم الحيل ويعتذر عنهم فيما فعلوه. أو يحسّن فعلهم كما حسّنوا منهم تسميم الحسن السّبط، وسعد بن أبي وقاص، ونحو ذلك اغتيال محمّد بن مسلمة، وساعدوهم في كتم فضائلهم، أو المنازعة فيها. وكم من الأحاديث المستفيضة بل المتواترة لم يجرؤ أحدٌ من نقّاد المحدّثين البريئين من نزعة النّصب، أن ينكره أو يضعّفه. وغاية ما بلغ النّصب باتّباع النّواصب منهم أن أنكروا بعض ألفاظ رواياته، لظنّهم فيها أنّها تصادم مذاهبهم، ومنهم من أعرض عن روايتها كراهية أن يتّخذها الغلاة من الشيعة مدرجة إلىٰ الطّعن في الأكابر. ولهم في كتم ما كان كذلك مذهبٌ معروفٌ، كما صرّح بذلك الحافظ ابن حجرٍ في الفتح. ونُسب إلىٰ أحمد بن حنبل كراهية التحديث بالأحاديث التي يفهم منها جواز الخروج علىٰ الملوك. وقد ترجم البخاري فقال: «باب من خصّ بالعلم دون قومٍ مخافة أن لا يفهموا. وقال علي: حدّثوا النّاس بما يعرفون، أتحبّون أن يكذّب الله ورسوله»؟ وأخرج في الباب حديث معاذٍ، فراجعه. وينبغي أن يحمل ما زعمه بعضهم من سكوت أحمد بن حنبل عن حديث عمّار تقتله الفئة الباغية، على هذا المعنى لتواتر الحديث، وإخراجه له في مسنده كما أخرجه أهل الصّحاح. وقد روى الحافظ الثّقة ابن أبي شيبة عن الإمام أحمد أنّه قال: هو حديثٌ صحيحٌ عن رسول الله ﷺ. وكذلك ما زعمه ابن تيميّة عنه في حديث «وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» فإنّه قد روي بأسانيد صحيحةٍ، ورواه أحمد في مسنده كما رواه غيره. وينبغي لك أن تعرف أنّ بعض أصحاب أحمد ينقل عنه من أمثال هذا ما ينكره أكثر العلماء، وينزّهونه عنه، فكن منهم على حذر.

وقد كان في القديم لعلماء النّواصب صولةٌ عظيمةٌ، واستيلاء على العامّة والهمج. وقد أنكروا علىٰ أحمد تربيعه بعليٍّ عليه السلام في الخلافة، وقد يتعصّب بعض هؤلاء علىٰ حديثٍ

صحيحٍ فيردّه أو يطعن فيه لأنه رآى الشّيعة يستدلّون به، ولا يتفطّن لوجه الجمع بين قبوله وتأويله. فإذا سمع المتعالمون والعوام ما يقوله في ذلك الحديث اتخذوه حجّة، ونقلوه إلىٰ كلّ قطر ومصرٍ، وجلعوه أصلاً بينهم. فإذا سئل عنه مثل الإمام أحمد كان في مبادهتهم بغير ما عندهم إثارة فتنةٍ صمّـاء عمياء، فكان قصاراه السكوت، أو اللّياذ بالمعاريض من القول، فيفهمون منها ما مرّنوا ومرّدوا عليه، ويكون قد دفع بها عن نفسه، وقد كان الأمر الملجئ للإمام أحمد وأشباهه إلىٰ ذلك عظيمٌ. وحسبك بتألّب الخاصّة الذين هـم علماء الملوك وأتباعهم من العامّة. إلىٰ أن قال في [ص٣٧٨]: وقد كان مـلوك النـواصب يضربون بالسياط، من لم يلعن عليّاًعليه السلام، ولمْ يبرأ منه، وكثيراً ما قتلوهم، فكيف بمن تجرّأ فروى فضائله وفضائل آله. فكيف بمن روى نقائص أولئك الجبابرة وما ورد فيهم، ولو أردنا تحديد من ضُرب أو جُلد أو قُتل أو هُدم بيته في ذلك السّبيل لذكرنا ما يملأ عدّة صحائف، ومنهم أُناسٌ مشهورون، كالإمام يحيىٰ بن أبي كثيرٍ، وعبدالرّحمن بن أبي ليلى، وغيرهم.

والقصد ممّا ذكرناه: بسط العذر لمن لم يخـرج بـعض الأحـاديث الصّحيحة أو المتواترة الواردة في فضائل أهل البيت، أو في فضائل عليٍّعليه السلام. فإن الخوف كان شديداً، والاستبداد والتّغلب في عنفوانه وعظم قوّته وانتشار سطوته.

وإنّا لنرى في زماننا هذا كيف يتسابق العـلماء والقـضاة والمـفتون إلىٰ إرضـاء السّلاطين، ولا يسألونهم فتوى بما يخالف الدّين ويؤيد الطّواغيت والقوانين، إلّا بادروا إليه فرادى ووحداناً، وعمدوا إلىٰ آيات اللّٰه يحرّفونها، وإلىٰ سنّة رسوله يطعنون فيها أو يردّونها. هذا علىٰ أنّهم آمنون علىٰ أنفسهم وأموالهم، ولكنّهم يخافون العزل من الوظائف أو يطمعون في الحصول عليها، فيكف يلام بعد هذا من لم يخرّج حديثاً صحيحاً؟ وقد كان يخاف علىٰ عهده أن تضرب عنقه، أو تستصفى أمواله، أو يصبّ عليه الماء البارد، أو تحلق لحيته ويطاف به في الأسواق، أو يسق شربةً من عسلٍ، فعليك رحمك اللّٰه ببسط العذر لهم

والاستمساك بحسن الظّن.

أقول: وأمّا في عصرنا الحاضر فلعلّ البعض منهم من غرّهم عظيم الجاه، فألجأهم إلىٰ استمالة قلوب الأتباع خوفاً من أن ينفروا منه، ومنهم من غلبهم حب العلوّ والاستعلاء فأوّل الأحاديث بالتّأويلات الباردة، رغبة في المساواة بأهل بيت المصطفىٰ ﷺ إن لم نقل حسداً من عند أنفسهم، لما رأوا من عظيم توقير الأمّة لبقايا العترة الطّاهرة وبما آتاهم اللّٰه من فضله. والله أعلم.

٩ ـ النّبهاني:

قال في كتابه «الشرّف المؤبّد لآل محمّد» [ص ١٧ ط ٢. مطبعة الحلبي وأولاده]: اختلفت الأقوال في أهل البيت، والأولى أن يقال هم: أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم، وعلي منهم لأنّه كان من أهل بيته، بسبب معاشرته بنت النبيّ ﷺ وملازمته له. انتهىٰ.

لعلّ البعض من ذي مسكةٍ من العلم يتوقّف في أن يكون أولى الأقوال أن يقال بما ارتآه الشّيخ ﵀، لاستحالة وجود أيّ قدرٍ للأقوال في جانب قول الرّسول ﷺ. وليس ممّا يستراب في أنّ كلّ منصفٍ مستقيم في غنىً عن التأويلات الباردة. ولا أن يلتبس عليهم وجه الحقّ من المحامل البعيدة. بعد أن صرّح الرّسول بالمرادين في هذه الآية تصريحاً جليّاً لاغبار فيه وعيّن باسم الإشارة في قوله: هؤلاء أهل بيتي، وبعد أن جلّلهم بردائه ومنعه ﷺ زوجتيه عائشة وأُمّ سلمة من الدّخول تحتها معهم، فكيف يحتمل أن تكون الزّوجات من المعدودات في معنى الأهل من هذه الآية؟ فضلاً عن أن يكون أحدٌ غيرهنّ. كما رآه البقاعي ومن نزع إلىٰ رأيه. وعلىٰ أنّه رحمه اللّٰه قد ذكر في كتابه المذكور خمس عشرة روايةً بأسانيد مختلفة ما أخرجه الطّبري في تفسيره دالّة علىٰ أنّ المعنيّ بأهل البيت في هذه الآية الشّريفة هم: النبيّ ﷺ وعلي وفاطمة وحسنٌ وحسينٌ. ثم قال: ورأيت الإمام الجليل خاتمة الحفّاظ جلال الدّين السّيوطي في تفسيره «الدّر المنثور» قد

صدّر الكلام عند تفسير هذه الآية بثلاث روايات في أنّ أهل البيت فيها هم أزواجه ﷺ وأعقبها بعشرين رواية من طرقٍ مختلفةٍ في أنّ المراد منهم: النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، منها ما أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطّبراني وابن مردويه، عن أُمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ.

وقال في [ص ٢٣] من المصدر نفسه: وقال شيخ الصّوفيّة، وإمام العارفين الشّيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي ﵁ في الباب التّاسع والعشرين من «الفتوحات المكيّة» [١: ١٩٦ ط. بيروت ـ دار احياء التراط العربي]: ولما كان رسول اللّه ﷺ عبداً محضاً قد طهّره اللّه وأهل بيته تطهيراً، وأذهب عنهم الرّجس، وهو كل ما يشينهم، فإنّ الرّجس هو القذر عند الرّبّ، هكذا حكى الفرّاء. قال اللّه تعالى: ﴿إنّما يريدُ اللّهُ لِيذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فلا يضاف إليهم إلّا مطهّرٌ ولابدّ، فإنّ المضاف إليهم هو الّذي يشبههم. فما يضيفون لأنفسهم إلّا من له حكم الطّهارة والتّقديس، فهذه شهادةٌ من النبيّ ﷺ لسلمان الفارسي بالطّهارة، والحفظ الإلهيّ والعصمة حيث قال فيه: «سلمان منّا أهل البيت» وشهد اللّه لهم بالتّطهير وذهاب الرّجس عنهم. وإذا كان لا يضاف إليهم إلّا مطهّرٌ مقدّسٌ، وحصلت له العناية الرّبّانيّة الإلهية بمجرّد الإضافة، فما ظنّك بأهل البيت في نفوسهم؟ فهم المطهّرون، بل هم عين الطّهارة، فهذه الآية تدلّ علىٰ أنّ اللّه قد شرك مع رسول اللّه ﷺ في قوله: ﴿ليَغْفِرَ لَكَ اللّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1].

وأي وسخٍ أقذر من الذنوب وأوسخ؟ فطهّر اللّه سبحانه نبيّه ﷺ بالمغفرة، ممّا هو ذنبٌ بالنسبة إلينا، ولو وقع منه ﷺ لكان ذنباً في الصورة لا في المعنى.

إلىٰ أن قال: فدخل الشّرفاء أولاد فاطمة كلّهم رضي اللّهُ عنهم ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي ﵁ إلىٰ يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران. فهم

(١) الفتح: ٢.

المطهّرون اختصاصاً من اللّه وعنايةً بهم لشرف محمّدﷺ وعناية اللّه به. ولا يظهر حكم هذا الشّرف لأهل البيت إلاّ في الدّار الآخرة، فإنّهم يحشرون مغفوراً لهم. وأمّا في الدّنيا فمن أتى منهم حدّاً أقيم عليه، كالتّائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقّق المغفرة كما عزّروا أمثاله، ولا يجوز ذمّه.

وينبغي لكلّ مسلم يؤمن باللّه وما أنزله أن يصدّق اللّه تعالى في قوله: ﴿لِيذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فيعتقد في جميع ما يصدر عن أهل البيت أنّ اللّه تعالى قد عفا عنهم، فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم وما يشنأ أعراض من قد شهد اللّه بتطهيرهم، وذهاب الرّجس عنهم، لا بعمل عملوه ولا بخير قدّموه، بل بسابق عنايةٍ من اللّه بهم. ﴿ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1].

وإذا صحّ الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدّرجة، فإنّه لو كان سلمان على أمر يشنأه ظاهر الشّرع وتلحق المذمّة، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أُضيف إليهم وهم المطهّرون بالنّص. انتهى كلام الشّيخ الأكبر.

ثم قال الشّيخ المؤلّف: فقد صرّح كما نرى وهو إمام الصّوفيّة، وكفى به حجّة بدخول الشّرفاء أولاد فاطمة كلّهم رضي اللّه عنهم ومواليهم كسلمان الفارسيﷺ إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران، فهم المطهّرون اختصاصاً من اللّه وعنايةً بهم لشّرف محمّدٍﷺ وعناية اللّه به. انتهى.

أمّا ما قاله الشّيخ الأكبرﷺ فيما يعرب عن فضل أهل البيت فممّا لا يجحده كل ذي عقل فهيم وقلب صافٍ مستقيم. وأمّا دخول الزّوجات في معنى الأهل فقد مضى فيما مضى من بيان أهل العلم في الموضوع، وسيأتي مزيدٌ من ذلك فيما يلي.

وأمّا قولهﷺ: «سلمان منّا أهل البيت» فليس لأحدٍ من النّاس في إنكار ما يحوي الحديث من الفضل لسلمانﷺ من سبيل، ولا ممّن قال به أو احتجّ في فضله من

---

(١) الحديد: ٢١.

تأويل. ولكن أفليس من الممكن أن نقول: لعلّ المتبادر إلى العقل في فهم معنى ذلك الحديث النّبوي كمثل ما يفتهم من قول البيهقي في قولهﷺ لواثلة بن الأسقع: «أنت من أهلي»؟ حيث قال فيه كما مر قريباً من هذا الكتاب: كأنّه جعل في حكم الأهل تشبيهاً لا تحقيقاً، فصار معناه متفقاً مع ما قاله جمهور العلماء، كما قد صرّح بذلك سيّدي الحبيب علوي بن طاهر الحدّاد في «القول الفصل» [٢: ١٩٢] ما لفظه: فتفسير من فسّر الآية هنا بغير أهل الكساء مردودٌ مبتدعٌ. ويشهد لصحّة الجمهور وفساد قول الشّذّاذ ما صحّ من ردّهﷺ لعائشة وأُمّ سلمة وعدم إدخاله لهما. «الخ».

وقال أيضاً في [ص ٢٩٣] من كتابه المذكور مصرّحاً: ولهذا كثر ردّ المحققين على من خالف هذا التّفسير، ويشهد لما قاله الجمهور ما جاء في أحاديث الاصطفاء والاختيار، وهي كثيرة ولها طرق عديدة، وأسانيدها صحيحةٌ عند قولهﷺ: «فجعلني في خيرها بيتاً»، فذلك قوله تعالى: ﴿إنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أهل البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فهذا صحيحٌ في إرادة بيت النّسب، ومن تأمّل أُسلوب الآيات، وتأنيث الضمائر فيهنّ، ثمّ صرف ذلك وتغييره وتذكيره في تلك الآية وحدها، وإيراد لفظ «أهل البيت» منادياً لهم مخصّصاً مع تكرار النّداء فيما سوى ذلك بلفظ ﴿يا نساء النّبيّ﴾ وعرف أنّ الإضافة إلى البيت لما كانت خيراً من الإضافة إلىٰ النبيّ. وكيف أفرد لفظ البيت مع أنّ لأمّهات المؤمنين بيوتاً متعدّدة للسكنىٰ؟ «إلى أن قال»: ومن تأمّل هذا لم يبق عنده غبار ريب في أنّ القول قول الجمهور، وغيره تضليلٌ.

وقد صحّ خبر سعدٍ في قصّة المباهلة وفيه: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي» فلذلك قال الزّمخشري في «الكشّاف»: لا دليل أقوى من هذا على فضل أهل البيت.

وهذا القول قد اختاره جمهور المحدّثين لوروده عن أربعة عشر صحابياً، وهم: علي، وحسن، وحسين، وعبدالله بن جعفر، وابن عبّاس، وعائشة، وأُم سلمة، وابنها، وواثلة، وأنس، وسعد، وأبو الحمراء، ومعقل، فهو من المتواتر معنى. انتهىٰ.

علىٰ أنّ الشّيخ النّبهاني نفسه قال: في [ص ٣٢]: والّذي يدلّ دلالةً واضحةً علىٰ أنّ المراد من الآية أهل العباء مع الزّوجات، إن لم نقل وحدهم للرّواية الّتي أخرجها عن أُمّ سلمة: ابن جرير، وابن المنذر، وابن ابي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وقد تقدّمت الرّواية عن «الدر المنثور» للحافظ السّيوطي، وهي أن رسول اللّه ﷺ كان في بيتها علىٰ مقامةٍ له عليه كساءٌ خيبري، فجاءت فاطمة ببرمةٍ فيها خزيرة، فقال رسول اللّه ﷺ: ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً، فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت علىٰ النبي ﷺ: ﴿إنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾ فأخذ النبي ﷺ بفضلةٍ فنشّاهم إيّاها، ثمّ أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السّماء ثمّ قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي» وفي رواية: «وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» قالها ثلاث مرّاتٍ. قالت أُم سلمة: فأدخلت رأسي في السّتر فقلت: يا رسول اللّه وأنا معكم؟ فقال: «إنّك الى خيرٍ» مرّتين. انتهىٰ.

وقال أيضاً في [ص ٣٣]: فأنت ترى هذه الرّواية صريحة في تخصيص الآية في أهل الكساء. ثمّ ذكر في [ص ٣٤] ما نقله ابن حجر في «الصّواعق» [ص ٢٢٢ ط. بيروت دار الكتب العلمية]: عن الثّعلبي من أنّها في بني هاشمٍ، علىٰ أنّ البيت يراد به بيت النّسب. فيكون العبّاس وبنو أعمامهم منهم. قال الخازن: وهو قول زيد بن أرقم. وذكر أيضاً أنّ قول أبي سعيد الخدريّ وجماعةٍ من التّابعين منهم مجاهد: إنّ أهل البيت هم أهل العباء خاصّة.

١٠ ـ ابن حجر الهيثمي:

قال في كتابه «الصّواعق» [ص ١٤١] في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر في الآية الأُولىٰ ما لفظه: أكثر المفسّرين علىٰ أنّها نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، ثم ذكر الأحاديث الدّالة علىٰ نزولها في خمسةٍ: النبيّ ﷺ، وعليٍّ، وفاطمة، والحسن والحسين. وقال: وصحّ أنّه ﷺ جعل علىٰ هؤلاء كساء وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي

وحامّتي ـ أي خاصّتي ـ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً». فقالت أمّ سلمة: وأنا معهم؟ قال: «إنك على خيرٍ». وفي روايةٍ بزيادة: «أنا حربٌ لمن حاربهم، وسلمٌ لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم».

١١ ـ السّيد أمير محمّد الكاظمي القزويني:

قال في مناقشته مع النّشاشيبي في كتابه «الاسلام الصّحيح» [ص ٤٥] حول آية التّطهير ما ملخّصه: إنّ قوله «يعني النّشاشيبي» بأنّ أهل البيت في كتاب اللّٰه تعالىٰ هم نساء النبيّ ﷺ غير صحيح، لأنّه ناشئ مع عدم ممارسته للأُسلوب القرآني. والآية ما عنت نساء النبيّ ﷺ وإنّما في خصوص عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وعليه إجماع المسلمين أجمعين.

وإنّ محلّ أهل بيته ﷺ عند اللّٰه تعالىٰ لا يتّفق مع محلّ زوجاته، لعصمة أهل بيته ﷺ وعدم عصمتهنّ بصريح الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ وقوله تعالى في اثنتين منهنّ: ﴿إِنْ تَتُوبَا فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ومنهنّ من خالفت أمر اللهِ بخروجها من بيتها محاربة نفس رسول الله ﷺ مع أنّه تعالى قال لهنّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

ثم إن إطلاق أهل البيت علىٰ الأزواج ليس علىٰ أصل وضع اللّغة. وإنّما هو إطلاقٌ مجازي لا يصار إليه إلّا مع القرينة، ولا قرينة في الآية علىٰ أنّها تريد الأزواج سوى السّياق.

ثم أتىٰ السّيّد بالأدلة المنطقية المقنعة، والبراهين العقلية السّاطعة القاطعة، ما يمتلئ بذكرها وجوه الصّفحات. إنّه لو أراد الأزواج لكان الخطاب في الآية بما يصلح للإناث، بقوله: ﴿عَنْكُنَّ﴾ و ﴿يُطَهِّرَكُنَّ﴾ لأن هذا هو المناسب كما في غيرها من آيات خطابهنّ،

فتذكير ضمير الخطاب فيها خاصّةً دون غيرها من آيات خطاب النّساء أوضح دليلٍ علىٰ عدم إرادتهنّ. أترى أنّ في الله عيّاً عن إتيانه كذلك لو أرادهنّ؟

وأمّا مجيء ذلك في سياق آيات خطاب النّساء، فأمره لا يخفىٰ على البلغاء العارفين بأساليب البلاغة، من أنّ كلام البليغ قد يدخله الاعتراض والاستطراد بإيراد جملة أجنبيّة بين الكلام المتناسق. كما في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ وقد استطرد قوله: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ بين كلاميه، ومثل هذا كثيرٌ في الكتاب والسّنة وكلام العرب العرباء ممّا يضيق المقام عن تعداده، فآية التّطهير من هذا القبيل جاءت معترضةً بين آياتها لبيان شدّة عناية الله بأهل البيت. انتهىٰ.

ثمّ ساق الأحاديث الواردة في هذا الموضوع ما دلّت علىٰ عدم دخل الأزواج في معنىٰ أهل البيت من هذه الآية، ما قد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب بطرقٍ متعدّدة.

وقال في [ص ٥٢]: فكل هذه الأحاديث المرفوعة وأضعاف أمثالها تنادي بصراحة علىٰ اختصاص آية التّطهير بخصوص من ذكرنا «يعني الخمسة الطّاهرة» وأنّه لم يدخل معهم في ذلك القول زوجة من أزواجه ﷺ خصوصاً إذا لاحظنا ما تقدّم من آيات الكتاب وحصره ﷺ لهم تحت الكساء، وجذبه الكساء من يد أُم سلمة، ومنعها من الدخول تحتها، مع جلالة شأنها وعظيم قدرها، وهي إذ ذاك من أهل اللّسان والفصاحة والبيان. فلو كانت من أهل البيت لما سألته الدّخول معهم في الكساء. وقوله ﷺ: «إنّك على خيرٍ ـ أو ـ إلىٰ خير» لمن أوضح دليلٍ على عدم كونها من أهل البيت في الآية.

فياهل ترى لذلك وجهاً غير ما ذكرنا من اختصاص الآية بهم عليهم السلام، وعدم دخول نسائه ﷺ معهم؟ فأيّ مؤمن عاقل يتجرّأ علىٰ نبذ هذه الصّحاح الثّابتة بالقطع من دين النبيّ ﷺ ويخاصم رسول الله، ويكون حرباً لله ويتّبع غير سبيل المؤمنين. ويزعم أنّ

اللّٰه تعالىٰ عنى بكلامه غير عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين؟ ثم إن الإرادة في الآية، لا تخلو من أن تكون تشريعيّة أو تكوينيّةً، فإن كانت الأُولىٰ لم يصحّ حصرها في الآية بأهل البيت وقصرها عليهم، لأنّها تعني إرادة اجتناب المعاصي وفعل الفرائض، وهي متعلقةٌ بفعل المكلّفين أجمعين، وغير محصورةٍ في فئةٍ منهم إطلاقاً. فإذا بطل هذا ثبت أنّ الإرادة فيها تكوينيّة، وهي محصورة في أهل البيتعليهم السلام. لم يدخل معهم في ذلك داخل ولا داخلةٌ كما يقتضي الحصر.

ثم قال في [ص ٥٨]: لا حجّة في رواية نزول الآية في نساء النبيصلى الله عليه وآله وسلم ولا تصلح روايةٌ من الرّوايات أن تكون دليلاً لإثبات ما يدّعون، لاشتمالها علىٰ الضّعاف، وصحّة ما ورد في نزولها في الخمسة، بل وفيه ما هو بأقصى مراتب الصحّة عند حفّاظ أهل السّنّة. والضّعيف لا يصادم الصّحيح فيطرح لأجله.

ثم إن جميع ما ورد من الرّوايات ـ كما تراها ـ موقوفةٌ علىٰ ابن عبّاس وعكرمة، وقد عرفت حالَ الرّجل الأخير، وأنّه ناصبي كذّابٌ عند علماء أهل السنّة في علم الرّجال. ولا قيمة للرّوايات الموقوفة في قبال الأحاديث المرفوعة، خاصّة مع وجود الكذّابة والمتّهمين في سلسلة سندها.

ثم إنّه لو كانت آية التّطهير تريد نساءهصلى الله عليه وآله وسلم لكان مناقضاً لقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مبيّنةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ لأنّه دليلٌ على جواز الفاحشة عليهن، وأين هذا من التّطهير من كل الذّنوب، كما هو صريح الآية؟ فإنّ معنىٰ الرّجس بالكسر: القذر، وكل ما استقذر من العمل، والعمل المؤدّي إلىٰ العذاب والشّك. وفي المنجد: الرّجس: العمل القبيح، وبهذا صرّح غيره من أهل اللّغة.

ثم إنّه إن أراد الأزواج منها ينافي قوله في سورة التحريم: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ [آية: ٥] فإنّه أوضح دليل علىٰ أنّ اللّٰه تعالى قد أباح لنبيّهصلى الله عليه وآله وسلم طلاقهنّ. ولا يمكن أن يكون إلّا من حيث أساء بعضهنّ إليهصلى الله عليه وآله وسلم إساءة متناهيةً في القباحة، إذ ليس من

المعقول أن يعزم النبي ﷺ علىٰ مفارقة نسائه بالطّلاق، ولم يصدر منهنّ ما يوجب غضبه وتنفّره منهن. فذلك ممّا لا يمكن ولا يتفق مع ما وصفه اللّه تعالىٰ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

* * *

المبحث الثلاثون

في قوله عزّوجلّ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١].

اختلفت الأقاويل، وتلوّنت أفهام أهل التّأويل، في معنى الكوثر، ومن المعنيّ بالأبتر. ولا غرو إذا كان الاختلاف جارٍ مع كلّ آيةٍ أو روايةٍ فيها ذكر فضل أهل البيت وذمّ أعدائهم. إذ الظّروف الحالية ألجأتهم إلى ذلك كما علمنا قريباً فيما مضى من هذه السطور. وإن لم يكن من ذلك فليس إلّا من علّةٍ باطنةٍ في نفس صاحبها، ما لا يخفىٰ علىٰ الفاطن اللّبيب، والعاقل الأريب، علىٰ أنّ المعاني المشتركة في لفظة «كوثر» كالنّبوة والقرآن والحوض وغيرها، لمن تكن صالحةً وملائمةً لجواب من رمى الرّسول الأعظم بالأبتر، ولا مطابقاً لردّ من قال بأنّهﷺ أبتر. فيحتمل إذن أن يكون معنى الكوثر هو الذّريّة الكثيرة الطّيبة. وشاهد ذلك قولهﷺ في دعائه لحبيبته الزّهراء وكفئها الوحيد: «بارك اللّٰه لكما وعليكما وأسعد جدّكما، وأخرج منكما الكثير الطّيب». قال أنس: واللّٰه لقد أخرج منهما الكثير الطيب. وقد ظهر لي ممّن ذهب الى هذا المعنى أو مال إليه من بين تلك المرادفات بعض المفسّرين منهم:

١ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [٩ ـ ١٠: ٥٤٩ ـ ٥٥٠ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت]:
بعد أن ذكر أقوالاً: وقيل: هو كثرة النّسل والذّرية، وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمةعليها السلام حتّى لا يحصى عددهم واتصل إلىٰ يوم القيامة مددهم.

ثم قال في تفسير معنى ﴿ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾: معناه أنّ مبغضك هو المنقطع عن

الخير، وهو العاص بن وائل. وقيل معناه: أنّه الأقل الأذلّ المنقطع عن كلّ خير. وقيل معناه: أنّه لا ولد له على الحقيقة. وأنّ من ينسب إليه ليس بولدٍ له. قال مجاهد: الأبتر الّذي لا عقب له. وهو جوابٌ لقول قريشٍ: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله لا عقب له، يموت فنستريح منه ويدرس دينه. إذ لا يقوم مقامه من يدعو إليه، فينقطع أمره. انتهىٰ.

ثم قال: وفي هذه السّورة دلالات علىٰ صدق نبيّنا صلى الله عليه وآله وصحّة نبوّته: أحدها: أنّه أخبر عمّا في نفوس أعدائه وما جرى علىٰ ألسنتهم ولم يكن بلغه ذلك فكان علىٰ ما أخبر، وثانيها: أنّه قال: ﴿أعطيناك الكوثر﴾. فانظر كيف انتشر دينه، وعلا أمره، وكثرت ذرّيته حتّى صار نسبه أكثر من كلّ نسبٍ، ولم يكن شيءٌ من ذلك في تلك الحال. الخ.

٢ ـ الشّوكاني:

أورد في تفسيره «فتح القدير» [٥: ٥٠٤ ط. عالم الكتب ـ بيروت] أحاديث دلّت على معنىٰ الكوثر بأنه الحوض. ثمّ قال في الأخير: وأخرج الطّبراني وابن مردويه عن أبي أيوب قال: لمّا مات إبراهيم ابن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله مشى المشركون بعضهم إلىٰ بعضٍ فقالوا: إنّ هذا الصابئ قد بتر اللّيلة، فأنزل اللّٰه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ إلى آخر السّورة.

وأخرج ابن سعدٍ وابن عساكر من طريق الكلبي، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ قال: كان أكبر ولد رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله القاسم، ثم زينب، ثم عبداللّٰه، ثم أُمّ كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقيّة، فمات القاسم وهو أوّل ميّتٍ من أهله وولده بمكّة، ثم، مات عبداللّٰه، فقال العاص ابن وائل السّهمي: قد انقطع نسله فهو أبتر، فأنزل اللّٰه: ﴿إنّ شانئَك هو الابترُ﴾.

٣ ـ النّيسابوري:

قال في تفسيره «غرائب القرآن» [٣: ١٧٥ بهامش جامع البيان]: القول الثّالث: إنّ الكوثر أولاده، لأنّ هذه السّورة نزلت علىٰ من زعم أنّه صلى الله عليه وآله الأبتر، والمعنى: أنّه يعطيه بفاطمة نسلاً يبقون علىٰ مرّ الزّمان، فانظر كم قتل من أهل البيت ثمّ العالم مملوءٌ منهم، ولم

يبق من بني أُميّة أحدٌ يُعبأ به، والعلماء الأكابر لا حدّ ولا حصر لهم. منهم الباقر، والصّادق، والكاظم، والرّضا، والتّقي، والنّقي، والزّكي.

وقال في [ص ١٨٠] في تفسيره معنى الأبتر: قال عامّة أهل التفسير كابن عبّاس، ومقاتل والكلبي: إنّ العاص بن وائل وجمعاً من صناديد قريشٍ يقولون أنّ محمداً أبتر، لا ابن له يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره واسترحنا منه، وكان قد مات ابنه عبدالله من خديجة، فأنزل اللّه تعالىٰ هذه السّورة كما مرّ.

والشنءُ البغض، والشانئ: المبغض، والبتر في اللغة: استئصال القطع. الأبتر: المقطوع الذنب، فاستعير للّذي لا عقب له ولمن انقطع خبره وذكره.

فبيّن اللّه تعالى بهذه الصّيغة المفيدة للحصر أنّ أُولٰئك الكفرة هم الّذين ينقطع نسلهم وذكرهم، وأنّ نسل محمدٍ ﷺ ثابت باقٍ إلىٰ يوم القيامة، كما أخبر بقوله ﷺ: كل حسبٍ ونسبٍ ينقطع، إلّا حسبي ونسبي. وإنّ دين اللّه لا يزال يعلو ويزيد، والكفر يُعلى ويقهر، إلىٰ أن يبلغ الدّين مشارق الأرض ومغاربها.

قال بعض أهل العلم: إن الكفّار لمّا شتموه بأنّه ﷺ أبتر، أجاب اللّه عنه بغير واسطةٍ فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ وهذا سنّة الأحباب إذا سمعوا من يشتم حبيبهم تولّوا بأنفسهم جوابه.

٤ ـ الشّبلنجي:

قال في كتابه «نور الأبصار» [ص ٥٢ ط. دار الفكر]: نقل الشّيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن سنان مرفوعاً الى أنس بن مالك قال: كنت عند رسول اللّه ﷺ فغشيه الوحي، فلمّا أفاق قال لي: «يا أنس أتدري ما جاءني به جبريل من صاحب العرش عز وعلا؟» قلت بأبي أنت وأمّي ما جاءك به جبريل؟ قال ﷺ: «قال لي: إن اللّه تبارك وتعالى يأمرك أن تزوج فاطمة من عليٍّ»، فانطلق وادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزّبير وبعدّتهم من الأنصار، قال فانطلقت فدعوتهم، فلمّا أن أخذوا

مجالسهم قال رسول اللّٰه ﷺ : « الحمد للّٰه المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع سلطانه. المهروب إليه من عذابه، النافذ أمّره في أرضه وسمائه، الّذي خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمدٍ ﷺ إن اللّٰه عزّوجلّ جعل المصاهرة نسباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً، وحكماً عادلاً، وخيراً جامعاً، وشج به الأرحام، وألزمها الأنام، فقال عزّوجلّ : ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربّك قديراً﴾، وأمر اللّٰه تعالىٰ يجري إلىٰ قضائه، وقضاؤه يجري إلىٰ قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب ﴿يمحو اللّهُ ما يشاء ويثبتُ وعنده أُمّ الكتاب﴾ ثم إن اللّه تعالىٰ أمرني أنّ أزوّج فاطمة من عليٍّ، وأشهدكم أنّي زوّجت فاطمة من علي علىٰ أربعمائة مثقالٍ فضةً إن رضي بذٰلك، علىٰ السنّة القائمة، والفريضة الواجبة. فجمع اللّٰه شملهما، وبارك لهما، وأطاب نسلهما. وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة، وأمن الاُمّة، أقول قولي هٰذا واستغفر اللّٰه لي ولكم »، قال: وكان عليٌّ عليه السلام غائباً في حاجةٍ لرسول اللّٰه ﷺ قد بعثه فيها، ثم أمر لنا رسول اللّٰه ﷺ بطبقٍ فيه تمرٌ. فوضع بين أيدينا فقال: « انتهبوا »، فبينما نحن كذلك إذ أقبل عليٌّ عليه السلام فتبسّم إليه رسول اللّٰه ﷺ وقال: « يا علي إن اللّٰه أمرني أن أزوّجك فاطمة، وإني قد زوّجتكما علىٰ أربعمائة مثقالٍ فضّة »، فقال عليٌّ عليه السلام : « رضيت يا رسول اللّٰه »، ثم إن عليّاً خرّ ساجداً شكراً للّٰه. فلما رفع رأسه قال له رسول اللّٰه ﷺ : « بارك اللّٰه لكما وعليكما وأسعد جدّكما. وأخرج منكما الكثير الطيب ».

قال أنس : واللّٰه لقد أخرج منهما الكثير الطيّب.

٥ ـ ابن شهر آشوب :

وفي رواية ابن مردويه كما في «مناقب ابن شهر آشوب» [٣: ٣٥١]: قال النبي ﷺ لعلي: « زوّجتك ابنتي فاطمة على ما زوّجك الرحمٰن، وقد رضيت بما رضي اللّٰه لها، فدونك أهلك، فإنّك أحق بها مني » وفي خبر: فنعم الأخ أنت، ونعم الختن أنت، ونعم الصّاحب أنت. وكفاك برضا اللّٰه رضاً، فخرّ عليٌّ ساجداً شكراً للّٰه تعالىٰ وهو يقول:

﴿رَبِّ أَوزِعْني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ الآية، فقال النبيﷺ: آمين. فلمّا رفع رأسه قال النبي: «بارك عليكما، وأسعد جدّكما، وجمع بينكما، وأخرج منكما الكثير الطيّب». ثم أمر النبيﷺ: بطبق بسر وأمر بنهبه، ودخل حجرة النساء وأمر بضرب الدفّ.

وفيه [ص ٣٥٤] نقلاً عن تأريخ الخطيب البغدادي، وكتاب ابن مردويه. وابن المؤذّن، وابن شيرويه الدّيلمي. بأسانيدهم عن علي بن الجعد، عن ابن بسطامٍ، عن شعبة ابن الحجّاج، وعن علوان، عن شعبة، عن ابن حمزة الضّبعي، عن ابن عبّاسٍ وجابر أنّه: لما كانت اللّيلة الّتي زفّت فاطمة إلىٰ عليٍّ كان النبيﷺ أمامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملكٍ من خلفها، يسبّحون اللّه ويقدسونه حتّى طلع الفجر.

وفيه [ص ٣٥٥] أيضاً عن كتاب مردويه [فضائل أمير المؤمنين]: أنّ النبيﷺ سأل ماءً فأخذ منه جرعةً فتمضمض بها، ثم مجّها في القعب ثم صبّها على رأسها، ثم قال: «أقبلي»، فلمّا أقبلت نضح بين ثدييها ثم قال: «أدبري»، فلمّا أدبرت نضح بين كتفيها، ثم دعا لهما، بقولهﷺ: «اللّهم إنهما أحب خلقك إلي، فأحبّهما وبارك في ذرّيتهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وإنّي أُعيذهما بك وذرّيتهما من الشّيطان الرجيم».

وروي أنّهﷺ قال: مرحباً ببحرين يلتقيان، ونجمين يقترنان، ثمّ خرج إلىٰ الباب يقول: «طهركما وطهر نسلكما، أنا سلمٌ لمن سالمكما، وحربٌ لمن حاربكما، أستودعكما اللّه واستخلفه عليكما». وباتت عندها أسماء بنت عميسٍ أُسبوعاً بوصية خديجة إليها، فدعا لها النبيﷺ في دنياها وآخرتها، ثم أتاهماﷺ في صبيحتها وقال: «السلام عليكم. أدخل رحمكم اللّه؟» ففتحت أسماء الباب، وكانا نائمين تحت كساءٍ فقالﷺ: «على حالكما: فأدخل رجليه بين أرجلهما، فأخبر الله عن أورادهما ﴿تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع﴾ الآية فسأل عليّاً: «كيف وجدت أهلك»؟ قال: «نعم العون علىٰ طاعة اللّه، وسأل فاطمة فقالت: «خير بعلٍ»، فقالﷺ: «اللّهم اجمع شملهما

وألّف بين قلوبهما، وأجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وأرزقهما ذريةً طاهرةً طيبةً مباركة، وأجعل في ذريتهما البركة، وأجعلهم أئمةً يهدون بأمرك إلىٰ طاعتك، ويأمرون بما يرضيك»، ثم أمر بخروج أسماء وقال: «جزاك اللّٰه خيراً».

وروي أنّه كان بين تزويج أمير المؤمنين وفاطمة في السّماء إلىٰ تزويجها في الأرض أربعون يوماً، وزوّجها رسول اللّٰه ﷺ من عليّ أوّل يومٍ من ذي الحجّة، وروي أنّه كان يوم السّادس منه، وقيل غير ذلك.

* * *

المبحث الحادي والثّلاثون

في قوله تعالىٰ: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩ـ ٢٠].

اختلفت أقوال المفسّرين، وتباينت آراء المتأوّلين، في تفسير معنى البحرين في هذه الآية. فنهم من قال: بأنّ المراد بالبحرين هما بحر السّماء وبحر الأرض، ومنهم من قال: هما بحر الروم والفرس. وقائل منهم بأنّهما بحر العذب والملح، ومن بينهم من قال: بأنهما بحر النبوّة والخلافة لورود الخبر في ذلك عن سلمان الفارسي وغيره رضي اللّٰه عنهم، كما ذكره بعض المفسّرين والمصنفين في كتبهم منهم:

١ ـ الطبرسي:

قال في تفسيره «مجمع البيان» [٩ـ ١٠: ٢٠١ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت] بعد أن ذكر الأقاويل، وكلمات أهل التأويل: وقد روي عن سلمان الفارسي، وسعيد بن جبير، وسفيان الثوري أن البحرين: عليّ وفاطمة عليهما السلام، بينهما برزخ: محمّد صلى الله عليه وآله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين عليهما السلام، ولا غرو أن يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما. فإن البحر إنما يسمّىٰ بحراً لسعته، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله لفرس ركبه وأجراه فأحمده: «وجدته بحراً» أي كثير المعاني الحميدة.

٢ ـ ابن شهر آشوب:

قال في كتابه «مناقب آل أبي طالب» [٣: ٣١٨ ط. دار الأضواء ـ بيروت]: ذكر

الخركوشي [أحمد بن عبدالملك المتوفى سنة ٤٠٧] في كتابيه «اللوامع» و «شرف المصطفى» بإسناده عن سلمان.

وأبو بكر الشيرازي في كتابه عن أبي صالح وأبو إسحاق الثعلبي، وعليّ بن أحمد الطائي، وأبو محمّد بن الحسن بن علوية القطّان في تفاسيرهم عن سعيد بن جبير، وسفيان الثوري.

وأبو نعيم الأصفهاني في [نزول القرآن] باب «ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام» عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس و عن أبي مالك عن ابن عبّاس.

والقاضي النطنزي عن سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق عليه السلام، واللفظ له. في قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ قال: عليّ وفاطمة بحران عميقان، لا يبغي أحدهما على صاحبه. وفي رواية: بينهما برزخ: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج منهما ﴿اللؤلؤ والمرجان﴾: الحسن والحسين عليهما السلام.

[وأخرج] أبو معاوية الضرير [المتوفى (سنة ١٩٥)] عن الأعمش، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس: إن فاطمة بكت للجوع والعري، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «اقنعي يا فاطمة بزوجك، فوالله إنّه سيّد في الدنيا سيّد في الآخرة»، وأصلح بينهما، فأنزل الله: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ يقول عزّوجلّ: «أنا الله أرسلت البحرين: عليّ بن أبي طالب بحر العلم، وفاطمة بحر النبوّة يلتقيان: يتصلان. أنا الله أوقعت الوصلة بينهما». ثم قال: ﴿بينهما برزخ﴾ [أي] مانع، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمنع عليّ بن أبي طالب أن يحزن لأجل الدنيا، ويمنع فاطمة أن تخاصم بعلها لأجل الدنيا. ﴿فبأي آلاءِ ربكُما﴾ يا معشر الجن والأنس ﴿تكذّبان﴾ بولاية أمير المؤمنين وحب فاطمة.

﴿اللؤلؤ﴾ الحسن. ﴿والمرجان﴾ الحسين. لأن اللؤلؤ الكبار، والمرجان الصغار، ولا غرو أن يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما، فإن البحر سمّي بحراً لسعته، وأجرى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فرساً فقال: «وجدته بحراً».

وفي ذلك قال محمّد بن منصور السرخسي شعراً:

وأراد رب العرش أن يـلـق بهـا	شجر كـريم العـرق والأغـصان
فـقضى فـزوّجها عـليّاً أنـه	كـان الكـفيّ لهـا بـلا نـقصان
وقـضى الإله بـإن تـولّد مـنها	ولدان كـالقمرين يـلتقيان
سـبطا محـمّد الرسـول وفـلذتا	كـبد البـتول كـذاك يـعتلقان
فبنى الإمامة والخلافة والهـدى	بـعد الرسـالة ذانك الولدان

٣ ـ نور الله الحسيني:

قد أورد الرواية المذكورة في الجزء التاسع من كتاب «إحـقاق الحـق وإزهـاق الباطل» [٩: ١٠٧ منشورات مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي]: وذكر فيه أيضاً جمعاً كثيرين من رجال العلم والتصانيف المعتمدة، وأرباب التآليف النفيسة الرشيدة. يروونها في مصنّفاتهم ومؤلفاتهم ومنهم:

١ ـ الثعلبي روى عن سفيان الثوري في قوله: ﴿ مَرَجَ البَحرَين يَلتقَيان بِينَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغَيان﴾، قال: فاطمة وعليّ ﴿ يخرج منها اللؤلؤ والمرجان﴾ قال: الحسن والحسين.

٢ ـ العلّامة الجليل سبط ابن الجوزي أبو المظفر يوسف الواعظ ابن عبدالله المتوفى (سنة ٦٥٤ هـ) روى في كتابه «تذكرة خواص الأُمة» [ص ٥٤ ط. الغري].

٣ ـ الحافظ العلّامة أبو المؤيد الموفق بن أحمد خوارزم الخوارزمي المتوفي (سنة ٥٦٨ هـ).

٤ ـ العلّامة الشيخ عبدالله بن طلحة الشافعي. روى في مناقبه [ص ٢١٢].

٥ ـ الصفوري وهو العلّامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالسّلام الشافعي البغدادي، المتوفىٰ (سنة ٨٨٤) روى في كتابه «نزهة المجالس» [٢: ٢٢٩ ط. القاهرة].

٦ ـ الميبذي اليزدي كمال الدين حسين بن معين الدين المتوفىٰ (سنة ٨٧٠) روى في كتابه «شرح ديوان أمير المؤمنين».

٧ ـ البدخشي ميرزا محمّد بن معتمد خان، روى في كتابه «مفتاح النجا في مناقب

آل العبا» [ص ١٣].

٨ ـ القندوزي وهو الشيخ سليمان بن الشيخ إبراهيم الحسيني الحنفي المتوفىٰ (سنة ١٢٩٣) بالقسطنطينية. روى في كتابه «ينابيع المودة» [ص ٤٠٨ و ص ١١٨ ط. اسلامبول].

٩ ـ الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين المصري السيوطي الشافعي المتوفىٰ (سنة ٩١١) روى في تفسيره «الدر المنثور» [٦: ١٤٢ ط. مصر].

١٠ ـ العلّامة الأمرتسري روى في كتابه «أرجح المطالب» [ص ٧٠ و ٣٠٩ ط. لاهور].

١١ ـ الكشفي الحنفي وهو العلّامة المولى صالح الحسيني المتوفىٰ (سنة ١٠٢٥) روى في كتابه «المناقب المرتضوية».

١٢ ـ الآلوسي، وهو علّامة القوم في عصره السيد شهاب محمود الرضوي، المتوفىٰ (سنة ١٢٧٠) روى في تفسيره «روح المعاني» [٢٧: ص ٩٢ ط. مصر].

* * *

المبحث الثاني والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿ وإِذ يَرفعُ إبراهيم القَواعدَ مِن البيتِ وإسماعيل ربّنا تقبل منا إنّك أنت السميع العليم * ربّنا واجعَلنا مسلمَين لَك ومن ذريّتنا أمّة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنّك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨].

فقد أبدى العياشي في تفسيره ـ في ما ذكره الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [١: ٢٩٩] في الآية ١٢٥ من سورة البقرة ـ ما خفي علىٰ كثير من المفسّرين من جواهر معاني هذه الآية الكريمة لبعد غورها وترامي مراميها ومغزاها. فلا شك لكل ذي إنصاف في أن ذلك مما يعرب عن علوّ مكانته في العلم، وإتساع مراتبه في استخراج ماصانته ظاهر الآيات من جواهرها المكنونة، ما قصر عن بلوغها ونيلها كل ذي باع طويل، وفضل في العلم جزيل، فلا غرو أن ذلك غاية أمل الباحث المتحقق الأريب، ومنية المهتدي المتبصر الأديب، ونورٌ ظاهرٌ يستضيء به ذوو التحقيق، للاهتداء إلىٰ سبل السلام وسواء الطريق، والله أعلم فهو ولي الهداية والتوفيق.

وذلك أنه لمّا شاءت الأقدار أن تظهر ما بطن من الحكمة المكنونة، ما تفضل بها الله المولى الكريم علىٰ هذه الأمّة. سئل أبو عبدالله سليل صاحب الرسالة الخاتمة عن اُمة محمّد التي هي خير اُمّة. فأجاب عليه السلام بقوله: «أمّة محمّد صلى الله عليه وآله هم بنو هاشم خاصّة»، فقال السائل: فما الحجّة في أمّة محمّد أنهم أهل بيته الّذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: قول الله فقرأ عليه السلام الآية المذكورة إلىٰ آخرها ثم قال: «فلما أجاب الله دعوة إبراهيم وإسماعيل وجعل من ذريتهما أمّة مسلمة، وبعث فيها رسولاً منهم، يعني من تلك الأمّة، يتلو عليهم

آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وردف [في] دعوته الأوّلىٰ دعوته الأُخرىٰ فسأل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة الأصنام ليصحّ أمره فيهم ولا يتبعوا غيرهم»، فقال: ﴿واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام * ربّ إنّهن أضللن كثيراً من النّاس فمن تبعني فإنّه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾. ففي هذا دلالة علىٰ أنّه لا يكون الأئمة والأُمّة المسلمة الّتي بعث فيها محمّد إلّا من ذرية إبراهيم، لقوله: ﴿اجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام﴾ انتهىٰ.

وجاء صاحب الميزان مبيّناً في هذا المقام ببيان شاف وقول واف بقوله: استدلاله عليه السلام في غاية الظهور، فإن إبراهيم عليه السلام إنما سأل أُمّة مسلمة من ذريّته خاصّة، ومن المعلوم من ذيل دعوته ﴿ربّنا وابعث فيهم رسولاً﴾ الخ، أن هذه الأُمّة المسلمة هي أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لكن لا أُمّة محمّد بمعنى الذين بعث اليهم، ولا أُمّة محمّد بمعنى من آمن بنبوّته، فإن هذه الأُمّة أعم من ذرية إبراهيم وإسماعيل، بل أُمّة مسلمة هي من ذرّية إبراهيم عليه السلام ثم سأل ربّه أن يجنب ويبعد ذرّيتّه وبنيّه من الشرك والضلال وهي العصمة.

ومن المعلوم أن ذرية إبراهيم وإسماعيل وهم «عرب مضر وقريش خاصة» فيهم ضالّ ومشرك، فمراده من بنيه في قوله تعالىٰ: ﴿واجنبني وبنيّ أن نعبد الاصنام﴾ أهل العصمة من ذرّيته خاصة، وهم النبيّ وعترته الطاهرة «أي الذين لم يسجدوا لصنم قط» فهؤلاء هم أُمّة محمّد في دعوة إبراهيم عليه السلام ولعل هذه النكتة هي الموجبة للعدول عن لفظ الذّريّة إلىٰ لفظ البنين.

ويؤيده قوله تعالىٰ: ﴿فمن تبعني فإنّه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ الآية. حيث أتى بفاء التفريع وأثبت من تبعه جزءاً من نفسه، وسكت عن غيرهم كأنّه ينكرهم ولا يعرفهم.

ثم أردف المؤلف:

فإن قلت: لو كان المراد بالأُمّة في هذه الآيات ونظائرها كقوله تعالى: ﴿كنتم خير أُمّة أخرجت للنّاس﴾ [آل عمران: ١١] عدّةً معدودة من الأُمة دون الباقين كان لازمه المجاز

في الكلام من غير موجب يصحّح ذلك، ولا مجوّز لنسبة ذلك إلىٰ كلامه تعالىٰ، على أن كون خطابات القرآن متوجّهة إلىٰ جميع الأمّة ممّن آمن بالنبيّ ضروري لا يحتاج إلىٰ إقامة حجّة.

قلت: إطلاق اُمة محمّد وإرادة جميع من آمن بدعوته من الاستعمالات المستحدثة بعد نزول القرآن وانتشار الدّعوة الاسلاميّة، وإلّا فالأمّة بمعنى القوم، كما قال تعالى: ﴿على اُمم ممّن معك﴾ [هود: ٤٨] وربما اُطلق علىٰ الواحد كقوله تعالى: ﴿إنّ إبراهيم كان اُمّةً قانتاً للّه﴾، [النحل: ١٢٠] وعلىٰ هذا فمعناها من حيث السعة والضيق يتبع موردها الّذي استعمل فيه لفظها، أو اُريد فيه معناها.

فقوله تعالى: ﴿ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيّتنا اُمّة مسلمة لك﴾ الآية. والمقام مقام الدعاء بالبيان الذي تقدّم، لا يراد به إلّا عدّة معدودة ممن آمن بالنبي ﷺ وكذا قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمّة اُخرجت للنّاس﴾ وهو في مقام الامتنان وتعظيم القدر وترفيع الشأن، لا يشمل جميع الأُمّة، وكيف يشمل فراعنة هذه الأُمة ودجاجاتها الّذين لم يجدوا للّدين أثراً إلّا عفوه ومحوه، ولا لأوليائه عظماً إلّا كسروه.

وسيجيء، تمام البيان في الآية إن شاء اللّه، فهو من قبيل قوله تعالىٰ لبني إسرائيل: ﴿وأني فضلتكم علىٰ العالمين﴾ [البقرة: ٤٧] فإنّ منهم قارون ولا تشمله الآية قطعاً، كما أن قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذه القرآن مهجورا﴾ [الفرقان: ٣٠] لا يعمّ جميع هذه الأُمّة. وفيهم أولياء القرآن، ورجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه تعالى.

* * *

المبحث الثالث والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿ وكذلك جَعلناكُم أُمةً وَسَطاً لتكُونُوا شُهداء عَلىٰ النّاسِ وَيكُون الرسولُ عَليكُم شهيداً﴾ [البقرة: ١٤٣].

إن اللّه جعل هذه الأُمة شهداء علىٰ النّاس، وهذا جلائل من الكرامات والإكرام الّتي تكرّم بها اللّه عزّوجلّ عليها، ولكن الّذي يهمنا معرفته من هذا، هل هذه الكرامة عامة بأفراد هذه الأمة بحيث يكون كل شخص منها شهيداً علىٰ النّاس؟ أم مختصّة ببعضها؟ فيفهم من مضمون العبارة: «بنسب وصف البعض إلىٰ الكل، لكون البعض فيه ومنه»[1]

وثبت ما أقرّه العقل من بين مختلفات الآراء والنظريات في البحث عما تضمّنته هذه الآية الكريمة في هذا المقام الهامّ، وما تكنّه هذه العبارة من المراد التامّ. ما شرحه صاحب تفسير «الميزان» [١: ٣٢٤]:

ومن ذلك قولهﷺ فالمراد بكون الأُمة شهيدةً، أن الشهادة فيهم. كما أنّ المراد بكون بني إسرائيل فضّلوا علىٰ العالمين أن هذه الفضيلة فيهم، من غير أن يتّصف كل واحد منهم، بل نسب وصف البعض إلى الكل لكون البعض فيه ومنه، فكون الأُمة شهيدة هو أنّ فيهم من يشهد علىٰ النّاس ويشهد الرسول عليهم.

وأورد السيد الطباطبائي أيضاً في بحثه الرّوائي من تفسيره هذه الآية من طريق أهل السنّة والجماعة في شهادة الأُمة علىٰ النّاس وشهادة النبيّ عليهم: أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبيّنة على أنهم قد بلّغوا «هو أعلم»

---

(١) هذه العبارة للسيد الطباطبائي.

فيؤتىٰ بأمّة محمّد فيشهدون، فتقول الأُمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: عرفنا ذلك بإخبار اللّٰه تعالىٰ في كتابه الناطق علىٰ لسان نبيّه الصّادق. فيؤتىٰ بمحمّد ويسأل عن حال أُمّته، فيزكّيهم ويشهد بعدالتهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا مِن كلّ أُمّةٍ بشهيدٍ وجئنَا بك علىٰ هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١]. ثم ذكر المؤلف أيضاً مصرّحاً بأنّ هناك أخباراً تؤيّد الخبر المذكور قد نقلها السيوطي وغيره، من تزكية رسول اللّٰه لأُمّته وتعديله إيّاهم.

فقال بأثره: لعلّه يراد به تعديله لبعضهم دون جميعهم، وإلّا فهو مدفوع بالضرورة الثابتة من الكتاب والسنّة، وكيف تصحّح أو تصوّب هذه الفجائع الّتي لا تكاد توجد، ولا أُنموذجة منها واحدة من الأُمم الماضية؟ وكيف يزكّي ويعدّد فراعنة هذه الأُمّة وطواغيتها؟ فهل ذلك إلّا طعن في الدين الحنيف؟ ولعب بحقائق هذه الملّة البيضاء.

ثم أورد ما في المناقب في هذه المعنىٰ عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «ولا يكون شهداء علىٰ النّاس إلّا الأئمّة والرسل، وأما الأُمة فغير جائز أن يستشهدها اللّٰه، وفيهم من لا تجوز شهادته علىٰ حزمة بقل».

ونقل عن تفسير العياشي أيضاً عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لتكونوا شهداء علىٰ النّاس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ الآية. فإن ظننت أن اللّٰه عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين، أفترى أنّ من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب اللّٰه شهادته يوم القيامة، ويقبلها منه بحضرة جميع الأُمم الماضية؟ كلّا، لم يعن اللّٰه مثل هذا من خلقه. «ولكن» يعني الأُمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم «في قوله تعالى:» ﴿كُنتم خيرَ أُمّةٍ أخرِجَت للنّاس﴾ وهم الأُمة الوسطىٰ، وهم خير أُمّة أُخرجت للناس.

* * *

المبحث الرابع والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿ثمَّ أَورثنَا الكتابَ الّذينَ اصطفينا من عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

اختلفت آراء العلماء وتباينت أفهامهم في معرفة المصطفين من العباد الذين يرثون الكتاب، فأتىٰ كل واحد منهم بما ارتآه، كما هو المعلوم في كتب التفاسير.

قال الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [٤: ٥٢٦ ط. مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت] بعد سرده الأقاويل المتضاربة، روي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنهما قالا: «هي لنا خاصّة وإيانا عنىٰ»، وهذا أقرب الأقوال لأنهم أحق النّاس بوصف الاصطفاء والاجتباء وإيراث علم الأنبياء، إذ هم المتعبّدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه، والعارفون بجلائله ودقائقه. انتهىٰ.

وقد اتفق هذا القول مع أقوال بعض أعيان المؤرّخين ومشاهير المفسّرين البارعين منهم:

محمّد جواد مغنية في كتابه «الشيعة في الميزان» [ص ٢٥٨ ط. دار التعارف ـ بيروت] فإنه قد ذكر رواية الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في محضر العلماء علىٰ اختلاف مذاهبهم وفرقهم الذين جمعهم المأمون العباسي ليتدارسوا ويتناقشوا في الفقه والحديث والفلسفة وغيرها، وحين ذاك ألقىٰ المأمون عليهم السؤال: من هم المصطفون المعنيّون بقوله تعالى: ﴿ثُم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾؟

قال العلماء غير الإمام: إنهم أُمة محمّد بكاملها.

قال المأمون للامام الرضا عليه السلام: ما تقول أنت يا أبا الحسن؟

قال الإمام: إنه أراد العترة الطاهرة دون غيرهم.

قال المأمون: وما الدليل علىٰ ذلك؟

قال الإمام: لو أراد اللّٰه عزّوجلّ بهذه الآية الكريمة جميع المسلمين كما قال العلماء لحرّمت النار علىٰ كل مسلمٍ وإن فعل ما فعل، لأنه تعالىٰ لا يعذب أحداً اصطفاه، والثابت بضرورة الدين خلاف ذلك. و إنّ من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، وإن من يعمل مثقال ذرة شراً يره، هذا إلىٰ أن آيات القرآن الكريم يفسّر بعضها بعضاً، كما أن الأحاديث النبويّة هي تفسيرٌ وبيان لكتاب اللّٰه، وفي الكتاب والحديث دلائل وشواهد علىٰ أن المراد بقوله تعالى: ﴿ ثّم أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا مِن عِبَادِنَا﴾، هم العترة الطاهرة منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ إنما يريد اللّٰه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٢]. فقد دلّت الآية علىٰ أن أهل البيت هم المطهّرون من الرجس، وبديهة أن المصطفين مطهّرون، فأهل البيت إذن هم المصطفون دون غيرهم.

٢ ـ قول الرسول الأعظم: «إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب اللّٰه وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، وما دام الكتاب ملازماً للعترة ولم يفترق عنها بحال، إذن هي الّتي ترثه، وهي الّتي خصّها اللّٰه بالقرب والاصطفاء.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ فمن حَاجَّك فيه من بعدِ ما جاءَكَ مِن العِلم فَقُل تَعالَوا نَدعُ أبناءَنا وأبناءكم ونساءَنا ونساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسكُم ثُمَّ نبتَهل فنجعل لعنة اللّٰه علىٰ الكاذبين﴾ [آل عمران: ٦١] فالّذين اختارهم اللّٰه هنا في هذه الآية واصطفاهم للمباهلة هم بالذات الّذين اصطفاهم وعناهم في آية ﴿ ثمّ أورثنا الكتاب﴾ ولا يختلف اثنان، أن المراد بأنفسنا: علي، وأبناءنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة، وهذه خاصة لا يتقدمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم به بشر. وشرف لا يسبقهم إليه مخلوق.

٤ ـ أن النبيّ ﷺ سدّ أبواب الصّحابة جميعاً الّتي كانت علىٰ مسجده إلّا باب عليّ، حتى تكلّموا واحتجّوا، وقالوا فيما قالوا: يا رسول اللّٰه أبقيت علياً وأخرجتنا؟. فقال: «ما أنا أبقيته وأخرجتكم، ولكن اللّٰه سبحانه هو الّذي أبقاه وأخرجكم». فكما أخرج اللّٰه النّاس هناك وأبقى علياً، كذلك أخرجهم من آية: ﴿ ثمّ أورثنا الكتاب﴾ وأبقى العترة الطاهرة.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿ وآتِ ذا القُربى حَقَّهُ﴾ [الأسراء: ٢٦]، فقد نص صراحة علىٰ أن

لأهل البيت حقاً خاصاً بهم، لايشاركهم فيه أحد، وما ذاك إلّا لأن اللّٰـه سبحانه قد أصطفاهم علىٰ الأمة جمعاء.

٦ ـ أن اللّٰه عزّوجلّ لم يبعث نبياً إلّا أوحى أن لا يسأل قومه أجراً علىٰ تبليغ رسالته، لأن اللّٰه سبحانه هو الّذي يوفّيه أجر الأنبياء، إلّا محمّداً فإن اللّٰه أمره أن يجعل أجره مودّة قرابته، بطاعتهم ومعرفة فضلهم. فقد حكىٰ عن نوح أنه قال: ﴿ ويا قوم لا أسألكُم عليه مالاً إن أجري إلّا علىٰ اللّٰه﴾ وحكى عن هود أنه قال لقومه: ﴿ قل لا أسألكم عليّه أجراً إن أجري إلّا علىٰ الّذي فطرني﴾.

أما محمّد فقد قال بأمر ربّه: ﴿ قُل لّاأَسألكُم عَلَيه أَجراً إلّا المَوَدَّةَ في القُربىٰ﴾ [الشورى: ٢٠]. وإذا كان وجوب المودّة ميزة خاصة بآل الرسول دون غيرهم من آل الأنبياء، فكذلك إرث الكتاب والاصطفاء ميزة خاصة بهم دون غيرهم.

٧ ـ قوله تعالىٰ: ﴿ واعلموا أنّمَا غنمتم من شيء فأَن للّٰه خُمسهُ وللرسول ولذي القُربىٰ﴾ [الانفال: ٤١] فقد جعل اللّٰه سبحانه الآل في حيّز، والنّاس في حيّز دونهم، ورضي لهم ما رضي لنفسه، واصطفاهم علىٰ الخلق، فبدأ بنفسه ثم ثنّىٰ برسوله ثم بذي القربى في كل ما كان من الفيء والغنيمة وغير ذلك، وهذا فضل للآل دون الأُمّة.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كُنتم لا تعلَمُون﴾ [النحل: ٤٣]. وأهل البيت هم أهل الذكر، لأنهم عدل القرآن بنص حديث الثقلين.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ [طه: ١٣٢]. قال الإمام الرضا عليه السلام: إن اللّٰه تبارك وتعالىٰ قد أمرنا مع النّاس بإقامة الصلاة في قوله: ﴿ أقيموا الصلاة﴾ ثم خصنا من دونهم بهذه الآية الكريمة، فكان رسول اللّٰه بعد نزولها يأتي إلى باب عليّ وفاطمة عند حضور كلّ صلاة خمس مرات. ويقول: «الصلاة يرحمكم اللّٰه». ولم يكرم أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة الّتي أكرمنا بها.

١٠ ـ إن اللّٰه سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿ سلامٌ علىٰ نوح في العالمين﴾ [الصافات: ٧٩]، وقال: ﴿ سلامٌ علىٰ إبراهيم﴾ [الصافات: ١٠٩]وقال: ﴿ سلامٌ علىٰ موسى وهارون﴾ [الصافات: ١٢٠]، ولم يقل سلامٌ علىٰ آل نوح، ولا سلام علىٰ آل ابراهيم، ولا سلام على آل

موسىٰ ولكنه قال عز من قائل: ﴿سلام علىٰ آل يس﴾ ويس هو محمّد بـالاتفاق، وإذا خصّهم الله بالسلام فقد خصهم أيضاً بإرث الكتاب والاصطفاء. وجاء في الحديث أن المسلمين سألوا محمّداًﷺ كيف نصلّي عليك يا رسول الله؟ قال: «تقولون: اللّهمّ صلِّ علىٰ محمّد وآل محمّد».

وبعد أن انتهى الإمام من حديثه الطويل، قال العلماء والمأمون للإمام: جزاكم الله خيراً أهل البيت عن أُمّة جدّكم. فإنا لا نجد بيان ما اشتبه علينامن الحق إلّا عندكم.

وقال صاحب تفسير «الميزان» [١٧: ٤٥] في تفسير الآية الكريمة:

واختلفوا في هؤلاء المصطفين من عباده من هم. فقيل: هم الأنبياء، وقيل هم بنو إسرائيل الداخلون في قوله تعالى: ﴿إن الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران علىٰ العالمين﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقيل هم: أمّة محمّد أُورثوا القرآن من نبيّهم، إليه يرجعون، وبه ينتفعون، علماؤهم بلا واسطة، وغيرهم بواسطة. وقيل هم: العلماء من الأُمّة المحمّدية.

وقيل، وهو المأثور عن الصّادقينﻋﻠﻴﻬﻤﺎ السلام، في روايات كثيرة مستفيضة: إن المراد بهم ذريّة النبيﷺ، من أولاد فاطمةﻋﻠﻴﻬﺎ السلام وهم الداخلون في آل ابراهيم في قوله تعالى: ﴿إن الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل ابراهيم﴾، وقد نصّ النبيﷺ علىٰ علمهم بالقرآن وإصابة نظرهم فيه، وملازمتهم إيّاه، بقوله في الحديث المتواتر المتفق عليه. «إنّي تـارك فـيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يـردا عـليّ الحـوض». وأورد في [ص ٤٩] من نفس المصدر عن الكافي بإسناده عن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن الرضاﻋﻠﻴﻪ السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿ثُمّ أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا﴾ قال: ولد فاطمةﻋﻠﻴﻬﺎ السلام، والسابق بالخيرات الإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والظـالم لنـفسه الّذي لا يعرف الإمام.

❊ ❊ ❊

المبحث الخامس والثلاثون

في قوله تعالىٰ: ﴿ يَا أيّها الَّذينَ آمَنوُا مَن يَرتدَّ مِنكُمْ عن دِينهِ فَسوفَ يأتي اللهُ بقومٍ يُحبُّهُمْ ويحبّونَهُ أذلَّةٍ عَلىٰ المؤمِنينَ أَعزَّةٍ عَلىٰ الكافرينِ يُجاهدون في سبيل الله وَلا يخافون لومَة لائم ﴾ [المائدة: ٥٤]:

كثرت الأقاويل وتباينت التآويل، في مورد نزول هذه الآية الشريفة. الّتي تتضمن الأوصاف الحميدة، والخصال الجيدة، الّتي قلّ من يتصف بها من كبار الصحابة فضلاً عن غيرهم من المؤمنين، ما عدا المهدي المنتظر، كما في قول بعضهم، نظراً إلىٰ حرف الاستقبال وهي «سوف».

فمنهم من زعم أنها نزلت في أبي بكر، ومنهم من قال بنزولها في الأنصار، ومنهم من رآىٰ أنها نزلت في أبي موسىٰ الأشعري وقومه، ومنهم من ذهب إلىٰ أنها نزلت في الفرس، ومنهم من رأىٰ أنها نزلت في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ثم إنه لمّا اختلفت آراؤهم وأقوالهم فبطبيعة الحال تضاربت حججهم أيضاً.

وأما من قال إن الآية نزلت في أبي بكر، فحجّتهم بأنّه هو الّذي حارب المرتدّين، ولكن تلك الحجّة غير ناهضة أمام مخالفيهم، لما يرون أنه من يوم نزول تلك الآية إلى أن استولى علىٰ الخلافة لم يكن يحارب المرتدّين، فلهذا استشكل عظيم المفسّرين الإمام الرازي إرادة أبي بكر في هذه الآية، كما قال الإمام المظفر الشيخ محمّد حسن في كتابه «دلائل الصدق» [٢: ١٩٤].

وأما القول بإصدار أبي بكر جيشاً تحت قيادة خالد بن الوليد إلىٰ بني يربوع الذين

كان في طليعتهم مالك بن نويرة لكونهم مرتدّين، فليس من الممكن القطع بالحكم على ردّتهم بمقتضىٰ الشرع. ومن باب أولى، إذا كان القول بكفرهم مراعاة أو دفاعاً عن أن تمسّ كرامة أحد من النّاس، على أن هنالك محلاً للنظر، قد عرف من له أقل إلمام بواقعة يوم البطاح وتبصّر، فإنهم لا يزالون مقيمين للصلاة جماعة مع أولئك القوم الّذين يبيّتون لهم، أليس معنى الردة الخروج عن الاسلام والرجوع إلىٰ الكفر؟

وأما من حيث إمساكهم زكاة أموالهم فللعالم المتثبت مجالٌ للاحتمال علىٰ أن يستبعد من أن يكونوا بوجوبها من الجاحدين، فليس من المحال أن يحتمل أنهم اجتهدوا وتأوّلوا في تفسير قوله تعالى: ﴿خُذ مِن أَموالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وتُزَكيهم بها﴾(١) فرأوا أن المأمور بأخذ الزكاة واستلامها هو الرسول ﷺ وقد توفّاه الله، ولم يتحقق ويتعين عندهم الأولى الّذي استحق الولاية من بعده ﷺ حتىٰ تسلّم إليّه.

ومن الغريب البعيد عن مدار الحقيقة والتحقيق أن يقال بأن قاتلي مالك قد اتصفوا بالأوصاف القيمة، المذكورة في الآية الكريمة، فإن هذه المزعمة مما لا يشك في أن أساسها محض الجهل أو جهل في كذب، أو الكذب المبني على العصبية الممنوعة في الشريعة المحمّدية، لما لا يخفىٰ على الباحث المتبصّر المستقيم، ما وقع بين خالد وبين مالك وزوجته ما يتكدر من ذكره صفاء كل قلب منصف سليم، فحسبك نزرٌ يسيرٌ ليكون ذلك منك علىٰ بال، منه قولة لعمر بن الخطاب التي وجهها إلىٰ خالد مقسماً: والله لأرجمنّك، وقوله أيضاً لأبي بكر: إن خالداً قد زنىٰ فارجمه، وقد حلف أبو قتادة الأنصاري ـ وكان وقتذاك مع خالد ـ أن لا يكون أبداً تحت لواء عليه خالد.

وقد كفىٰ للعاقل اللبيب بما جرىٰ بين خالد وبين عمر وأبي قتادة أن يتخذه مقياساً وميزاناً للاعتبار، فليستوح من عقله ليتبين له المصيب من المخطئ ثم ليقض ما هو قاض.

وعلى ذلك كلّه، أعني فيما تقدم ذكره، فأن لخالد واقعة أُخرى في أيام حياة الرسول ﷺ وذلك حين بعثه إلى بني جذيمة، داعياً لا محارباً. وكانت جذيمة قد قتلت

---

(١) التوبة: ١٠٣.

الفاكه بن المغيرة «عم خالد» في الجاهلية، فلما ورد عليهم قال لهم:

ضعوا سلاحكم فإن النّاس قد أسلموا، فوضعوا أسلحتهم، فأمر بهم فكتّفوا ثم عرضهم علىٰ السيف، فقتل منهم مقتلة عظيمة، فلما انتهىٰ الخبر إلىٰ النبيّ ﷺ رفع يده إلى السماء وقال: اللهم إنّي أبرأ اليك مما صنع خالد «مرّتين»(١).

وفي «الفصول المهمة» [هامش ١٤ ص: ٥٨] عن ابن الأثير في كامله(٢): ثم أرسل علياً، ومعه مال وأمر أن ينظر في أمرهم فودىٰ لهم الدماء والأموال، حتىٰ إنّه ودىٰ ميلغة الكلب، وبقي معه من المال فضلة، فقال لهم: هل بقي لكم مال أودم لم يود؟ قالوا: لا، قال عليه السلام: فإني أعطيكم هذه البقيّة، احتياطاً لرسول الله ﷺ ففعل، ثم رجع إلىٰ النبي ﷺ فقال ﷺ: أصبت وأحسنت.

فأما من قال بأن نزول هذه الآية في الأنصار، فحجّتهم في ذلك: بأن المراد بالآية النصرة، فهم الّذين نصروا الرسول ووازروه فاختصت بهم، ولكن لم يرد في ذلك حديث يستدلّ به على صحّة هذا القول، علىٰ أن المهاجرين قد شاركوهم في النصرة. فكيف تكون هذه الآية مختصة بالأنصار دون غيرهم؟ فظهر بطلان تطبيق هذه الآية علىٰ الأنصار، إذ لم يكن تطبيقهم إلّا تطبيقاً نظرياً محضاً كتطبيق من قال بنزولها في أبي بكر.

ولا تنطبق هذه الآية أيضاً علىٰ الفرس وأهل اليمن ولا علىٰ أبي موسىٰ الأشعري، لمّا تتضمن فيها من الأوصاف الّتي لم يتعين ظهورها وثبوت مجموعها فيهم، ككمال الشجاعة والحزم واللين للمؤمنين، وعلو العزّة علىٰ الكافرين، والشدّة عليهم في نصرة الدّين، والتفاني في إعلاء كلمة الحقّ وتشييد ملّة سيّد المرسلين. فإن هذه الصفات ما تجمّعت وظهر جلّها إلّا لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام بحيث لا يخاف في الله لومة لائم وخصوصاً في قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ فلا يتعين قط إلّا له عليه السلام، كما نطقت بذلك الكتب والدفاتر، وأيده الخبر المتواتر، مما لا يمكن لأحد أن ينازع ويدافع استحقاقه ذلك، ومن

(١) راجع: صحيح البخاري ٣: ٤٧، كتاب المغازي، باب: بعث خالد الى بني جذيمة.
(٢) الكامل ٢: ٢٥٦ ط. دار الفكر ـ بيروت.

الخبر المتفق مع هذه الآية الشريفة ما رواه إمام المحدّثين البخاري، وذلك بعد أن انهزم قوم بعد قوم، مرّة بعد أُخرى، وكان القائد منهم يجبّن النّاس ويجبّنونه، فقال النبيّ ﷺ: لأُعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله علىٰ يده فأعطاه الراية. وقد جاء أيضاً ما يدل علىٰ محبته عزّوجلّ لأمير المؤمنين وجماعته رضي الله عنهم ما رواه الترمذي(١) وحسّنه، وابن عبد البر في الاستيعاب أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله أمرني بحب أربعةٍ وأخبرني أنّه يحبّهم قيل: يا رسول الله سمّهم لنا. قال ﷺ: علي منهم «يقول ذلك ثلاثاً» وأبو ذرّ والمقداد وسلمان أمرني بحبّهم وأخبرني أنه يحبهم». ويؤيد ما قلناه أيضاً قول رسول الله ﷺ منذراً لقريشٍ بقتال عليّ من بعده، وذلك حين جاء سهل بن عمرو في جماعة منهم، فقالوا للنبيّ ﷺ: يا محمّد إنّ أرقّاءنا لحقوا بك فارددهم إلينا، فقال لهم النبي ﷺ: «لتنتهن يا معشر قريش، أو ليبعثن الله عليكم رجلاً يضربكم علىٰ تأويل القرآن كما ضربتكم علىٰ تنزيله». فقال بعض أصحابه: من هو يا رسول الله، أبو بكر؟ قال ﷺ: لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة. وكان علي يخصف نعل رسول الله ﷺ.

وفي رواية أحمد وابن جرير كما في الكنز [٦: ٣٩٦] عن عليّ ﷺ قال: جاء النبي ﷺ أناس من قريش فقالوا: يا محمّد إنا جيرانك وحلفاؤك، وإن أُناساً من عبيدنا قد أتوك، ليس بهم رغبة في الّدين ولا رغبة في الفقه إنما فرّوا من ضياعنا وأموالنا فارددهم إلينا. فقال ﷺ لأبي بكر: «ما تقول»؟ قال: صدقوا إنهم لجيرانك وأحلافك، فتغيرّ وجه رسول الله ﷺ ثم قال لعمر: «ما تقول»؟ قال: صدقوا إنهم لجيرانك وحلفاؤك، فتغيرّ وجه رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «يا معشر قريش، والله ليبعثن الله عليكم رجلاً قد امتحن الله قلبه بالايمان فيضربكم علىٰ الّدين أو يضرب بعضكم». فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال عمر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه الذي يخصف النعل وكان أعطىٰ علياً نعلاً

(١) الترمذي: ٥: ٥٩٤ ط. دار الفكر ـ بيروت وهذا الحديث نقله أيضاً الإمام أحمد في مسنده ٦: ٤٨٩ ط. بيروت مؤسسة التاريخ.

يخصفها[١].

وفي رواية أحمد في مسنده [٣: ٣٣ / ٨٢] والحاكم في المستدرك [٣: ١٣٢] فإن النبي ﷺ قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله».

قال أبو بكر وعمر: أنا هو؟

قال: «لا ولكنه خاصف النعل».

وفي الاستيعاب[٢] في ترجمة عليّ قال ﷺ لوفد ثقيف حين جاءه: «لتسلمنّ أو لأبعثنّ رجلاً مني، «أو قال: مثل نفسي» فليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم». قال عمر: فوالله ماتمنيت الإمارة إلّا يومئذٍ، وجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هو هذا. فالتفت [النبي ﷺ] إلىٰ عليّ عليه السلام فأخذ بيده ثم قال: «هو هذا، هو هذا».

وهل بقي لذوي الإنصاف أدنىٰ شك بعد ورود هذه الأخبار الصريحة في أنه وقومه غير داخلين في عموم هذه الآية التي نحن بصددها؟ فضلاً عن أن تكون نازلة بهم.

والله أعلم والموفق للصواب.

* * *

(١) كنز العمال: ١٣: ١٢٧ ط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٤٦ ط. بيروت دار الكتاب.

المبحث السادس والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿ فَتَلقّىٰ آدمُ مِن رَّبّهِ كلماتٍ فتابَ عليه ﴾ [البقرة: ٣٧].

اختلفت أقوال المفسّرين وتباينت آراؤهم في تفسير معنى «الكلمات» التي في هذه الآية الشريفة، حيث تكون لشيخ النبيين آدمعليه السلام سبباً في الفوز بالتوبة والسعادة الأبدية من ربّه عزّوجلّ.

فمنهم من رأى أنهن مناسك الحجّ.

وقد استبعد البعض منهم ذلك الرأي، لعدم انسجامها مع معناها اللغوي. إذ المناسك من جنس الأعمال.

وذهب بعضهم كما في «الدر المنثور» للإمام الجليل عبد الرّحمن السيوطي، إلىٰ أن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه من جملة الدعوات والمناجاة كقوله: **﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**، كما أخرجه الثعلبي وابن المنذر وابن جرير.

وأخرج ابن عساكر والبيهقي في شعب الايمان بأن الكلمات هي قولهعليه السلام: لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت التّواب الرّحيم.

وذكر أنه عن النبيّصلى الله عليه وآله، ولكن شك فيه. وذكر أيضاً في تفسيره المذكور ما أخرجه الدّيلمي في «فردوس الأخبار» رواية ذكر فيها هبوط آدمعليه السلام بالهند، وحواء بجدّة، وبكاؤه علىٰ خطيئته مائة سنة حتىٰ بعث الله جبريلعليه السلام وقال له: عن الله عزّوجلّ ما قال حتىٰ قال أخيراً: فعليك بهؤلاء الكلمات فإن الله قابل توبتك وغافر ذنبك، قل: اللهم إني أسألك بحق محمّد وآل محمّد سبحانك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ

إنك أنت التواب الرّحيم. فهؤلاء الكلمات التي تلقّاها آدم عليه السلام.

وأما ما ذكره من رواية الخطيب في أماليّه وابن عساكر أيضاً أنه عليه السلام لمّا أمره الله بالهبوط إلىٰ الأرض هبط مسودّاً، فبكت الأرض وضجّت فأوحىٰ الله إليه بالصيام. إلىٰ آخر الرواية فلا مناسبة بينها وبين الكلمات المذكورة في هذه الآية.

وهناك روايات كثيرة مليئة باعترافاته عليه السلام وتأسّيه وما قاساه من سوء أحواله ما لم تكن صالحة لأن تكون مرادفة لمعنىٰ الكلمات، ولا قابلة لمفهوم معنىٰ التلقّي لكونها من الأعمال والأحوال، كالأمر بالإقلال من الكلام والإكثار من السكوت، وما هنالك من الأخبار ما يطول المقام بذكرها.

ولعلّ الأقرب إلىٰ مستوىٰ الأفهام من الروايات في نظر الآخرين ما ذكره عن ابن النجار عن ابن عبّاس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه فتاب عليه فقال صلى الله عليه وآله: «سأل بحق محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين».

وقد أخرج هذا الحديث أيضاً الفقيه الحافظ الخطيب أبو الحسن عليّ بن محمّد الواسطي الشافعي الشهير بابن المغازلي في مناقبه [ص ٦٣ ط. منشورات المكتبة الاسلامية ـ طهران] مسنداً، قال: أخبرنا أحمد بن محمّد بن عبد الوهّاب إجازة، أخبرنا أبو أحمد عمر بن عبيدالله بن شوذب حدّثنا محمّد بن عثمان قال: حدثني محمّد بن سليمان بن الحارث، حدّثنا محمّد بن عليّ بن خلف العطّار، حدّثنا حسين الأشقر، حدّثنا عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن عبدالله بن عبّاس قال: سئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن الكلمات الّتي تلقّا[1] آدم من ربه فتاب عليه، قال: «سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت علي، فتاب عليه».

وقد أخرج أيضاً هذا الحديث بعينه الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» [ص٩٧].

وقد نقل ابن الجوزي عن الدارقطني كما صرّح بذلك الإمام المظفر في دلائل

---

(١) هكذا في الأصل، والظاهر أنها «تلقاها».

الصدق [٢: ٨٨ ط. بصيرتي ـ قم] قال الدارقطني: حدّثنا أبو ذر أحمد بن أبي بكر الواسطي، حدّثنا محمّد بن عليّ بن خلف العطّار حدّثنا حسين الأشقر، حدّثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: سألت النبيﷺ. الحديث.

وذكره أيضاً الطباطبائي في تفسيره القيم [١: ١٤٩]، عن الكليني في الكافي بعد أن أورد كثيراً من الروايات تتضمن فيها التوحيد والتسبيح والتمجيد والاستغفار: وفي رواية أخرىٰ في قوله تعالى: ﴿فتلقّىٰ آدم من ربّه كلمات﴾ قالﷺ: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

قال الطباطبائي: وروىٰ هذا المعنىٰ الصدوق والعيّاشي والقمّي وغيرهم. وروىٰ ما يقرب من ذلك من طرق أهل السنّة والجماعة أيضاً كما رواه في الدّر المنثور [١: ٥٨] أن النبيّﷺ قال: لمّا أذنب آدم الذنب الّذي أذنبه رفع رأسه الىٰ السماء فقال: أسألك بحق محمّد إلّا غفرت لي. فأوحىٰ الله إليه: ومن محمّد؟ قال: تبارك إسمك لمّا خلقتني رفعت رأسي إلىٰ عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، فعلمت أنّه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك. فأوحىٰ الله إليه: يا آدم إنّه آخر النبيّين من ذرّيتك ولولا هو ما خلقتك.

* * *

المبحث السابع والثلاثون

في قوله تعالىٰ: ﴿ومِنَ النَّاسِ مَن يَشري نَفَسهُ ابتغاءَ مرضاة الله﴾ [البقرة: ٢٠٧].

نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كما نقل بعض المفسّرين وأعلام المحدّثين والمؤرّخين. وقال البعض منهم أنها نزلت في صهيب، وقال الآخرون أنها نزلت في الزبير والمقداد، ولا يهمنا هذا الاختلاف بعد أن أورد الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» وغيره من أعيان الأمة عن ابن عبّاس أنها نزلت لمّا هرب النبيّ صلى الله عليه وآله من المشركين إلىٰ الغار خلّفه لقضاء دينه وردّ ودائعه، فبات عليّ علىٰ فراش النبيّ وأحاط المشركون بالدار، فأوحىٰ الله إلى جبرئيل وميكائيل: أني قد آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختار كل منهما الحياة. فأوحىٰ الله إليهما: ألا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمّد فبات علىٰ فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة. إهبطا إلىٰ الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله، فقال جبرئيل: بخٍ بخٍ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة.

وروى الحاكم أيضاً ما يدل على ذلك في مستدركه [٣: ٤]، وصحّحه الذهبي في تلخيصه من طريق أبي بكر أحمد بن إسحاق عن ابن عبّاس قال: شرىٰ عليّ نفسه ولبس ثوب النبيّ صلى الله عليه وآله ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ألبسه بردة وكانت قريش تريد أن تقتل النبيّ صلى الله عليه وآله فجعلوا يرمون علياً ويرونه النبيّ صلى الله عليه وآله وقد لبس بردة، وجعل عليّ رضي الله عنه يتضوّر فإذا هو عليّ، فقالوا إنك للئيم

إنك لتتضوّر وكان صاحبك لا يتضوّر ولقد استنكرناه منك. قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

وفيه أيضاً عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنه قال: أن أوّل من شرىٰ نفسه ابتغاء رضوان الله عليّ بن أبي طالب. وقال عليّ عند مبيته علىٰ فراش رسول الله صلى الله عليه وآله:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصىٰ | ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إلهٍ خاف أن يمكروا به | فنجّاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا | موقّىً وفي حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعيهم ولم يتهمونني | وقد وطنت نفسي علىٰ القتل والأسر

وقد أخرجه أيضاً القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» [ص٩٢].

وقال: أخرجه الحمّوئي بعينه، وأبو نعيم الحافظ بسنده عن ابن عبّاس قال: بات عليّ علىٰ فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة خروجه من مكة، ونزلت: ﴿ومِن النّاس مَن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ الآية.

وذكر القندوزي أيضاً ما أخرجه الثعلبي في تفسيره، وابن عقبة في ملحمته، وأبو السعادات في «العترة الطاهرة» والغزالي في «إحياء علوم الدين» بأسانيدهم عن ابن عبّاس، وعن أبي رافع، وعن هند بن أبي هالة ربيب النبيّ صلى الله عليه وآله أُمّه خديجة أم المؤمنين عليها السلام قالوا: أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل: أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه عمره؟ فكلاهما كرها الموت.

فأوحى الله إليهما أني آخيت بين عليّ ولبّيّ وبين محمّد نبيّي فآثر عليّ حياته للنبيّ، فرقد علىٰ فراش النبيّ يقيه بمهجته، اهبطا إلىٰ الأرض واحفظاه من عدوه، فهبطا، فجلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجعل جبرئيل يقول: بخٍ بخٍ من مثلك يابن أبي طالب والله عزّوجلّ يباهي بك الملائكة. فأنزل الله: ﴿ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

قال الشيخ المؤلف: فمن شجاعته نومه على فراش النبيّ ﷺ لما أمره النبي بذلك، وقد اجتمعت قريش علىٰ قتل النبيّ ﷺ ولم يكترث عليّ ﷺ بهم. قال بعض أصحاب الحديث: أوحىٰ الله إلىٰ جبرئيل وميكائيل ﷺ أن انزلا إلىٰ عليّ واحرساه إلىٰ الصباح فنزلا إليه وهم يقولون بخٍ بخٍ من مثلك يا عليّ قد باهىٰ الله بك الملائكة.

وأخرجه عنه من أعلام القوم مع اختلاف مذاهبهم ـ كما ذكره الفاضل حسين الراضي صاحب «تتمة المراجعات» ـ الحسكاني الحنفي في تفسيره [١: ٩٦ و١٣٣ إلىٰ ١٤٢]: والكنجي الشافعي في كفايته [ص٢٣٩] والغزالي في إحياء علوم الدين [٣: ٢٣٨]، والأميني في الغدير [٢: ٤٧] وابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمة» [ص٣١ ط. الحيدرية وص١١٤ ط. الغري] وسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» [ص٣٥ وص٢٠ ط. الحيدرية]، والرازي في تفسيره [٥: ٢٢٣ ط. البهية] و [٢: ٢٨٣ ط. الطباعة بمصر]. وابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح النهج» [ط. مصر بتحقيق محمد أبو الفضل] ـ وزيني دحلان في «السيرة النبوية» بهامش السيرة الحلبية [١: ٣٠٦] وفي «نور الأبصار» [ص٩٦ ط. دار الفكر].

وقد أورد الغزالي الحديث الآنف ذكره في كتابه «إحياء علوم الدين» وأردفه بقوله: فأنزل الله عزوجل: **﴿ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾**. وقال أبو جعفر الاسكافي كما في «شرح النهج» [٣: ٢٧٠]: حديث الفراش قد ثبت بالتواتر فلا يجحده إلّا مجنون أو غير مخالط لأهل الملّة. وقد روىٰ المفسّرون كلّهم أن قول الله تعالىٰ: **﴿ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾** نزلت في عليّ ليلة المبيت علىٰ الفراش.

وقد أنكر بعض المتقدمين علىٰ من قال بأن نزول الآية المذكورة في الزبير والمقداد، وذلك لما بعثهما النبيّ ﷺ لإنزال خبيب بن عدي من خشبة صلب عليها في مكة. منهم الإمام المظفر الشيخ محمد حسن ﷺ، كما في كتابه «دلائل الصدق»[١]. وقد قال فيه بأن هذا

---

(١) دلائل الصدق: ٢ / ٨٢ ط. قم بصيرتي.

الخبر كذب صريح. قال ذلك لعدم تعرّض الرازي لذكره في تفسيره الكبير الجامع لأقوالهم، وكذا الزمخشري، ولا ذكره السيوطي أيضاً مع انه قد جمع في تفسيره «الدر المنثور» عامة أخبارهم. ومع ذلك كلّه فإن هذا الخبر مخالف لما هو المذكور في «الاستيعاب» بترجمة خبيب. فإن الذي نقله ابن عبد البر في استيعابه أن الذي أمره النبيﷺ بإنزال خبيب هو عمرو بن أُمية الضمري، وما ذكر فيه الزبير، والله أعلم.

* * *

المبحث الثامن والثلاثون

في قوله تعالىٰ: ﴿ ولَتَعرفنَّهُم في لَحن القَولِ ﴾ [مُحمَّد: ٣٠].

أخرج ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص٣١٥] قال: أخبرنا أحمد بن محمّد بن عبد الوهاب إذناً، أخبرنا أبو أحمد عمر بن عبدالله بن شوذب، حدّثنا جعفر بن محمّد بن نصير ـ وهو الخلديّ ـ حدّثنا عبدالله بن أيوب بن زادان الخزاز، حدّثنا زكريا بن يحيىٰ. حدّثنا عليّ بن قادم، عن رجل عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدريّ في قوله عزّوجلّ: ﴿لتعرفنّهم في لحن القول﴾ قال: ببغضهم عليّ بن أبي طالب.

وقد أورده السيوطي في «الدر المنثور» [٧: ٥٠٤]، وأورد أيضاً ما أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود‌ قال: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله‌ﷺ إلّا ببغضهم عليّ بن أبي طالب.

وروىٰ الترمذي في فضائل عليّ‌عليه‌السلام عن أبي سعيد قال: إنّا كنّا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم عليّ بن أبي طالب، وروىٰ أيضاً عن اُم سلمة قالت: كان رسول الله‌ﷺ يقول: «لا يحب علياً منافقٌ ولا يبغضه مؤمن».

وروىٰ مسلم عن عليّ قال: والّذي فلق الحبة وبرأ النسمة لعهد النبي الأميّ إليّ أنه لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق. ونحوه في سنن النسائي في علامة الإيمان من «كتاب الايمان» ورواه بسند آخر في علامة النفاق. وكذا في كنز العمال في فضائل عليّ [٦: ٢٩٤].

وأما الحاكم فقد روى في «المستدرك» [٣: ١٢٩]: عن أبي ذر‌ قال: ما كنّا نعرف

المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلّف عن الصلوات، والبغض لعليّ بن أبي طالب ﷺ. ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ونقل ابن حجر في صواعقه [ص١٧٧ في المقصد الثالث] عن أحمد والترمذي عن جابر: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم علياً.

قال الإمام المظفر في دلائله [٢: ٢٧٦ ط. بصيرتي - قم]: بعد إيراده هذه الاحاديث ونحوها:

والحصر في هذا الحديث ونحوه بلحاظ أن المنافق يتستّر بجميع علائم النفاق إلّا ببغض عليّ عليه السلام لكثرة مبغضيه، حتى أن النبي ﷺ كان يعرفه منهم بلحن القول.

* * *

المبحث التاسع والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿ واعتَصِمُوا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن لأعاظم الأمة وأعيان المفسّرين والمحدّثين في تفسير معنىٰ الحبل في هذه الآية الشريفة أقوالاً مختلفةً، وآراء متباينة. فمنهم من ذهب إلىٰ أن معناه هم أهل البيت عليهم السلام متمسّكاً بما ورد من الأخبار في ذلك، كما رواه القندوزي في كتابه «ينابيع المودة» [ص١١٨] قال: أخرج الثعلبي بسنده عن أبان بن تغلب عن جعفر الصّادق عليه السلام قال: نحن حبل الله الذي قال الله عزّوجلّ: ﴿واعتَصِمُوا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾.

ونقل أيضاً عن «المناقب» عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، سمعتك تقول: «واعتصموا بحبل الله»، فما حبل الله الذي نعتصم به؟ فضرب النبيّ صلى الله عليه وآله يده في يد عليّ، وقال: «تمسّكوا بهذا، هو حبل الله المتين».

وقال الشبلنجي في كتابه «نور الأبصار» [ص١٢٤] فيما يتعلّق بفضائل أهل البيت النبوي عليهم السلام: وقد جاء في فضلهم وشرفهم آيات وأحاديث، فمن الآيات زيادة علىٰ ما سبق ما أخرجه الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿واعتَصِمُوا بحبل الله جميعاً﴾ عن جعفر الصّادق أنه قال: نحن حبل الله.

وأورد نحوه أيضاً الصبّان في كتابه «إسعاف الراغبين» بهامش نور الأبصار. [ص١١٨ ط. دار الفكر].

وقد أورد ابن حجر الهيثمي في كتابه «الصواعق» [ص٩٠ ط. الميمنية في الآية

الخامسة]، ما أخرجه الثعلبي عن جعفر الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿واعتَصِمُوا بحبل الله﴾ وقد ذكره أيضاً من المفسّرين: الحاكم الحسكاني في تفسيره «شواهد التنزيل» [١: ١٣٠ و١٧٧ ـ ١٨٠]، والآلوسي في تفسيره «روح المعاني» [٤: ١٦]. ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد كما في «إسعاف الراغبين» بهامش نور الأبصار [ص١١٩] وذلك في قوله صلى الله عليه وآله وسلم إني أوشك أن أُدعىٰ فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من الأرض إلىٰ السماء، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتىٰ يردا علي الحوض يوم القيامة، فانظروا بما تخلفوني فيهما.

* * *

المبحث الأربعون

في قوله عزّوجلّ: ﴿ إنّ اللهَ وملائكَتَهُ يُصَلّونَ عَلىٰ النبيّ يا أيُها الّذين آمنُوا صلّوا عليهِ وسلّموا تسليماً ﴾ [الاحزاب : ٥٦].

لقد عدّ العلماء المحقّقون والأئمة المجتهدون بأن هذه الآية الكريمة من الآيات الواردة في فضل النبيّ وأهل بيته الميامين، بما دلّت علىٰ ذلك أخبار كثيرة فوق حدّ الحصر بصياغات مختلفة وأساليب بديعة، توجد في طيّات كتب الفقه والتفسير والحديث، وغير ذلك مما نقلها المؤرّخون والمصنّفون في كتبهم وزبرهم، منها كتاب الصواعق لابن حجر الهيثمي في [ص ٨٧ ط. الميمنية] عند ذكره هذه الآية، فإنه قد روىٰ جملة من الأخبار الصحيحة المشيرة إلىٰ أن الصلاة علىٰ آله أيضاً مأمور بها، منها قوله ﷺ: لا تصلّوا عليّ صلاة البتراء فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صلّ علىٰ محمّدٍ وتمسكون، بل قولوا: اللهم صلّ علىٰ محمّدٍ وعلىٰ آل محمّدٍ.

وقوله ﷺ داعياً حينما دخل مع من دخل في الكساء: اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم. وصرّح فيه أيضاً بقوله: إن النبيّ ﷺ قد قرن الصلاة علىٰ آله بالصلاة عليه لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه. وهذا دليل ظاهر علىٰ أن الأمر بالصلاة عليه وعلىٰ بقية آله مراد في هذه الآية، وإلّا لم يسألوا عن الصلاة علىٰ أهل بيته وآله عقب نزولها، ولم يجابوا بما ذكر، فلما أجيبوا به دلّ علىٰ أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به.

وأنه ﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه

تعظيمهم.

ثم نقل عن الشافعي قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

فقال: فيحتمل لا صلاة له صحيحة، فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة علىٰ الآل، ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه.

وأورد فيه أيضاً ما أخرجه الدارقطني والبيهقي حديث: من صلّىٰ صلاة ولم يصلّ فيها عليّ وعلىٰ أهل بيتي لم تقبل منه. وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي ﷺ: إن الصلاة علىٰ الآل من واجبات الصلاة، كالصلاة عليه ﷺ. لكنه ضعيف.

فمستنده الأمر المتفق عليه «وهو قوله ﷺ»: قولوا اللهم صل علىٰ محمّدٍ وعلىٰ آل محمّدٍ، والأمر للوجوب حقيقة علىٰ الأصح ـ انتهىٰ ـ

وقال صاحب التفسير الكبير الفخر الرازي في تفسيره [٧: ٣٩١]: إن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد وهو قوله: اللهم صلّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّدٍ، وارحم محمّداً وآل محمّد. وهذا التعظيم لا يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدلّ على أن حب آل محمّد واجب.

وللفخر الرازي أيضاً كلام يناسب ذكره في المقام، كما ذكره ابن حجر في صواعقه [ص١٤٧ ط. المحمّدية]: أن أهل بيته ﷺ يساوونه في خمسة: في السلام قال: السلام عليك أيها النبيّ، وقال: سلام علىٰ آل ياسين. وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد. وفي الطهارة قال تعالىٰ: ﴿طه﴾ أي يا طاهر. وقال: ﴿وَيطَهّركم تطهيراً﴾ وفي تحريم الصدقة وفي المحبة قال تعالىٰ: ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾، وقال: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ﴾.

وفي سنن البيهقي [٢: ص٣٧٩]، روىٰ بسنده عن أبي مسعود الأنصاري قال: لو

صلّيت صلاة لا اصلّي فيها علىٰ آل محمّدٍ لرأيت أن صلاتي لا تتم. وفي رواية: ما رأيت أنها تتم. ورواه أيضاً الدارقطني.

وفي سنن الدارقطني [ص١٣٦] روىٰ بسنده عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّىٰ صلاة لم يصلّ فيها عليّ وعلىٰ أهل بيتي لم تقبل منه». وفي ذخائر العقبىٰ للطبري [ص١٩] قال عن جابر إنّه كان يقول: «لو صلّيت صلاة لم أُصلّ فيها علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد ما رأيت أنها تقبل».

وفي صحيح البخاري في كتاب الدعوات في باب الصلاة علىٰ النبيّ ﷺ روىٰ بسنده عن عبد الرّحمن بن أبي ليلىٰ قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلّم عليك فكيف نصلّي عليك؟ قال ﷺ: فقولوا: اللهم صلّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمّد كما صلّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ورواه أيضاً في كتاب «بدء الخلق» في التفسير. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة في باب الصلاة علىٰ النبيّ ﷺ بعد التشهد، بطرق متعددة. ورواه النسائي أيضاً في صحيحه، وابن ماجة في صحيحه، وأبو داود في صحيحه، والحاكم في مستدرك الصحيحين، وأحمد بن حنبل في مسنده، وأبو داود الطيالسي في مسنده، والدارمي في سننه، والبيهقي في سننه، وأبو إبراهيم في حليته، والطحاوي في مشكل الآثار، والخطيب البغدادي في تأريخه، وجمع آخرون من أئمة الحديث كل بطرق عديدة عن كعب بن عجرة.

وفي صحيح البخاري في كتاب التفسير في باب قوله تعالىٰ: ﴿إن الله وملائكتهُ يُصلّون علىٰ النبيّ﴾ روىٰ بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلّي عليك؟ قال: «قولوا اللهم صلّ علىٰ محمّد عبدك ورسولك كما صلّيت علىٰ آل إبراهيم، وبارك علىٰ محمّد وعلى آل محمّد كما باركت علىٰ إبراهيم».

ورواه النسائي أيضاً في صحيحه [١: ١٩٠]: ورواه أحمد بن حنبل في مسنده [٢: ٤٧].

ورواه الطحاوي في مشكل الآثار [٣: ٧٣].

وفي صحيح مسلم في كتاب الصلاة في باب الصلاة علىٰ النبيّ ﷺ بعد التشهد، رواه بسنده إلىٰ أبي مسعود الأنصاريّ قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله عزّوجلّ أن نصلّي عليك يا رسول الله فكيف نصلّي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتىٰ تمنينا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله ﷺ: قولوا اللهم صلّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد كما صلّيت علىٰ آل إبراهيم، وبارك علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد كما باركت علىٰ آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم.

«ورواه الترمذي أيضاً في صحيحه [٢: ٢١٢]، ورواه النسائي أيضاً في صحيحه، وأبو داود في صحيحه، والإمام مالك في موطّئه، وأحمد بن حنبل في مسنده، والحاكم في مستدركه، والدارمي في سننه، والبيهقي في سننه، والطحاوي في مشكل الآثار، وجملة منهم بطرق متعددة.

وفي صحيح النسائي [١: ١٩٠]: روىٰ بسنده عن موسىٰ بن طلحة عن أبيه قال: قلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: «اللهم صلّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد كما صلّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وفيه أيضاً في نفس الصفحة المذكورة روىٰ عن موسىٰ بن طلحة قال: سألت زيد ابن خارجة، قال: إني سألت رسول الله ﷺ فقال: «صلّوا عليّ واجتهدوا في الدعاء، وقولوا: اللهم صلّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد. ورواه أحمد بن حنبل، وأبو نعيم في حليته، والطحاوي في مشكل الآثار والمناوي في فيض القدير، وابن الأثير في أُسد الغابة.

وفي المستدرك للحاكم [١: ٢٦٩]: روى بسنده عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا تشهّد أحدكم في الصلاة فليقل: اللهم صلّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد، وبارك

علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد، كما صلّيت وباركت وترحمت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وفي تفسير ابن جرير الطبري [٢٢: ٣١]: روى بمسنده عن إبراهيم في قوله تعالىٰ ﴿إن الله وملائكته﴾ الآية، قالوا: يا رسول الله، هذا السلام قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صلّ علىٰ محمّد عبدك ورسولك وأهل بيته كما صلّيت علىٰ إبراهيم إنك حميد مجيد».

وفي مسند الإمام ابن حنبل [٥: ٣٥٣]: روى بسنده عن بريدة الخزاعي قال: قلنا يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلّم عليك فكيف نصلّي عليك؟ قال: «قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد كما جعلتها علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد». ورواه الخطيب البغدادي في تأريخه [٨: ١٤٢].

وفي سنن البيهقي [٢: ١٤٧]: روىٰ بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن كعب بن عجرة عن النبيّ ﷺ أنه كان يقول في الصلاة: «اللهم صل علىٰ محمّد وآل محمّد، كما صلّيت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك علىٰ محمّد وآل محمّد كما باركت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد». رواه أيضاً الشافعي في مسنده ص٢٣.

وفي مسند الإمام الشافعي [ص ٢٣] روىٰ بسنده عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله، كيف نصلّي عليك؟ «يعني في الصلاة» فقال: «تقولون: اللهم صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد كما صلّيت علىٰ إبراهيم، وبارك علىٰ محمّد وآل محمّد كما باركت علىٰ إبراهيم، ثم تسلّمون عليّ»، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال [٤: ١٠٣]: نقلاً عن الشافعي. وفي مشكل الآثار [٣: ٧٥] عن أبي هريرة.

وفي تفسير فتح القدير للشوكاني أخبار في هذا الموضوع أخرجها الحفّاظ وأئمة المحدّثين مما لا يستهان بعددها، ثم قال بعد أن أوردها: وجميع التعليمات الواردة عنه ﷺ للصلاة عليه مشتملة علىٰ الصلاة علىٰ آله معه، إلّا النادر اليسير من الأحاديث، فينبغي

للمصلّي عليه أن يضمّ آله إليه في الصلاة عليه. وقد قال بذلك جماعة، ونقله الشافعي وإمام الحرمين والغزالي عن الشافعي كما رواه عنهما ابن كثير في تفسيره.

وفي دلائل الصدق [٢: ١٣١ ـ ١٣٢ ط. بصيرتي ـ قم] قال مؤلّفه الإمام الشيخ محمّد حسن المظفر مصرّحاً بعبارته علىٰ أفضلية الآل لا علىٰ فضلهم كما سيستبين لنا: وأنت تعلم دلالة هذه الآية علىٰ أفضلية آل محمّد، لأنها أوجبت الصلاة علىٰ النبيّ ﷺ وأرادت بها الصلاة عليه وعلى آله معاً، مشيرةً بالاكتفاء بذكره إلىٰ أنه وإياهم كنفس واحدة، وأنه منهم وهم منه، فلا بد أن يكونوا أفضل من سائر الأمّة، علىٰ أن مجرّد وجوب الصلاة عليهم كالنبيّ ﷺ دليل علىٰ أن لهم فضلاً ومنزلة يستحقون بها الصلاة وإيجابها على الأمّة كالنبيّ ﷺ وكفىٰ بذلك فضلاً باذخاً، والمراد بآل محمّد: «عليّ وفاطمة والحسن والحسين» كما نطقت به الأخبار المتواترة كحديث الكساء وغيره، ولا شك أن علياً أفضلهم فيكون هو الإمام، وإنما قلنا إن الآية أرادت الصلاة عليه وعلىٰ آله معاً، لتصريح الأخبار المفسّرة لكيفية الصلاة علىٰ النبيّ ﷺ بذلك. كالرواية التي نقلها المصنّف عن مسلم. «إلىٰ أن أتمّ تعبيره بقوله»: والقوم كما ترىٰ قد اجتهدوا في إنكارهم مراغمة للأدلة الواضحة، بل اجتهدوا في درس فضائلهم بكلّ ما تناله أوهامهم، وجدّوا في الإزراء بهم والغضّ من شأنهم. كما يشهد له أنهم مع وجود هذه الآية الشريفة وتلك الأخبار المستفيضة، وهي بمرأىٰ منهم ومسمع، تراهم إذا ذكروا رسول الله ﷺ أفردوه عن آله بالصلاة، واذا ذكروا واحداً من آله الطاهرين لم يصلّوا أو يسلّموا عليه كما أمر الله ورسوله، بل يترضّون عليه كسائر المسلمين، مع أنه قد ورد أن النبيّ ﷺ نهىٰ عن الصلاة البتراء فقيل له: وما الصلاة البتراء؟ قال: «تقولون: اللهم صلّ علىٰ محمّد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صلّ علىٰ محمّد وآل محمد»، كما ذكره ابن حجر في «الصواعق» في الآية الثانية من الآيات الواردة في أهل البيت. نعم ربّما يصلّون علىٰ آله معه في أوائل مصنّفاتهم وأواخرها، لكن يضيفون إليه صحبه، كراهة لإفرادهم وتمييزهم على صحبه بالاقتران مع النبي ﷺ كما ميّزهم الله

ورسوله.

ثم قال رحمه الله منكراً علىٰ الزمخشري فيما ذكره في تفسيره كما سيظهر لنا في أجوبته ورده:

أوّلاً: أنه إذا لم يكن لهم كلام في الصلاة عليهم على سبيل التبع، فلم التزموا بتركها إذا ذكروه صلى الله عليه وآله كما سبق؟ فهل المنشأ غير الانحراف عن آل محمد صلى الله عليه وآله؟

ثانياً: لا تصحّ كراهتها عند انفرادهم بالذكر، وما ذكره من صيرورتها شعاراً لذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فهو لا يوجب الكراهة، لأنهم منه وهو منهم، وتعظيمهم تعظيمه، وما بالهم جعلوها شعاراً لذكره صلى الله عليه وآله دونهم؟ وهم شركاؤه في أمر الله بالصلاة عليهم. وأما الاتهام بالرفض، فهو لو اقتضىٰ كراهة الصلاة علىٰ آل محمّد، وتغيير حكم الله تعالى، لأدّىٰ إلىٰ كراهة حبهم، ولعلّه لهذا تظهر منهم آثار العداوة لآل محمّد. علىٰ أن الاتهام إنما يقتضي الكراهة في مقام التهمة، فما بالهم تركوا الصلاة علىٰ آل محمّد في كل مقامٍ؟ وأما الحديث فلو صحّ لم يكن أن يفهم منه مسلم إرادة النبيّ صلى الله عليه وآله، النهي عن تعظيم آله الطاهرين الذي هو من علائم الإيمان ومأمور به في الكتاب العزيز.

«وفي كتاب القول القيم» قال شيخ الاسلام ابن القيم [ص ٤٠]: فإن الصلاة علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله حقّ له ولآله دون سائر الأُمّة، ولهذا تجب عليه وعلىٰ آله عند الشافعي وغيره. فمن قال إن آله في الصلاة هم الأُمّة فقد أبعد غاية الإبعاد. وأيضاً: فإن النبيّ صلى الله عليه وآله شرع في التشهّد السلام والصلاة، فشرع في السلام تسليم المصلّي علىٰ الرسول صلى الله عليه وآله أولاً، وعلىٰ نفسه ثانياً، وعلىٰ سائر عباد الله الصالحين ثالثاً، وقد ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا قلتم ذلك فقد سلّمتم على كل عبدٍ صالح في السماء والأرض».

وأما الصلاة فلم يشرعها إلّا عليه وعلىٰ آله فقط، فدلّ أن آله هم أهله وأقاربه.

* * *

المبحث الحادي والأربعون

في قوله تعالىٰ: ﴿أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ [المجادلة: ١٣].

لقد فضّل الكتاب المجيد علياً عليه السلام بشتىٰ وجوه التفضيل، حتىٰ عجزت الألسن عن الإحاطة بها، وكلّت العقول وحارت عن إدراك مراميها، فياحبّذا له وما أحقه بذلك، فإنّه أوحد النّاس الذي يحارب علىٰ تأويله، وأحرصهم علىٰ العمل بما فيه وأسرعهم علىٰ اتباع أوامره، حتىٰ أنه عليه السلام قد تفرّد بفعل آية في كتاب الله تعالىٰ ما لم يعمل بها أحد من الأولين قبله، ولا أحد من الآخرين بعده، ألا وهي آية النجّوىٰ.

قال ابن عمر: كانت لعليّ ثلاثة لو كانت لي واحدة منها أحب إليّ من حمر النعم: تزويجه بفاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوىٰ.

وروىٰ الحاكم في «المستدرك» [٢: ٤٨٢]: في تفسير سورة المجادلة عن عليّ[1] قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوىٰ: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ الآية.

قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فناجيت النبيّ صلى الله عليه وآله وكنت كلّما ناجيت النبيّ صلى الله عليه وآله قدّمت بين نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد. فنزلت: ﴿أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقاتٍ﴾ الآية.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وروى السيوطي في «الدر المنثور» [٣: ١٨٥ ط. قم منشورات مرعشي نجفي]: عن عبد

---

(١) في المصدر هكذا: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله. ويبدو أن قوله: «قال رسول الله» زيادة.

ابن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتىٰ يقدّموا صدقة، فلم يناجه إلّا علي بن أبي طالب، فإنه قد قدّم ديناراً فتصدّق به، ثم ناجىٰ النبي ﷺ فسأله عن عشر خصال، ثم نزلت رخصة.

ورویٰ أيضاً في [ص٨٣] ما أخرجه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي وحسّنه، وأبو يعلىٰ، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والنحّاس عن عليّ بن أبي طالب قال: لما نزلت: ﴿يا أيها الّذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقاتٍ﴾ الآية. قال لي النبيّ ﷺ ما ترىٰ، ديناراً؟ قلت: لا يطيقونه. قال: فنصف دينار؟ قلت: لا يطيقونه. قال: فكم؟ قلت: شعيرة. قال: إنك لزهيد. قال: فنزلت: ﴿أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقاتٍ﴾ قال عليّ عليه السلام: فبي خفّف الله عن هذه الأُمّة.

وفي [ص٨٥] روى أيضاً ما أخرجه عبد بن حميد عن سلمة بن كهيل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم﴾ الآية. قال: أوّل من عمل بها عليّ عليه السلام ثم نسخت، والله أعلم.

وقد رویٰ أيضاً هذه الأخبار ابن كثير في تفسيره [٤: ٣٢٦]: ثم صرّح بقوله: وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد أخرج ابن المغازلي في «المناقب» [ص٣٢٦] مسنداً. قال: أخبرنا أحمد بن محمّد إذناً، أخبرنا عمر بن عبدالله بن شوذب، حدّثنا أحمد بن إسحاق الطيبيّ، حدّثنا محمّد بن عبد العوام. حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا أبو شهاب، عن ليث، عن مجاهد قال: قال عليّ ابن أبي طالب عليه السلام: آية في كتاب الله ما عمل بها أحد من النّاس غيري «النجّوىٰ» كان لي دينار بعته بعشرة دراهم، فكلّما أردت أن أُناجي النبيّ ﷺ تصدّقت بدرهم، ما عمل بها أحد قبلي ولا بعدي.

وفي «دلائل الصدق» للشيخ حسن المظفر [٢: ١٠٤ ط. بصيرتي ـ قم]. روىٰ عن «منهاج الكرامة» للحلّي عن أبي نعيم، عن ابن عبّاس قال: إن الله حرّم كلام رسول الله إلّا بتقديم الصدقة، وبخلوا أن يتصدّقوا قبل كلامه، وتصدّق عليّ ولم يفعل ذلك أحد من

المسلمين غيره.

وفي تفسير الميزان للسيد الطباطبائي [١٩: ٣١٧ ط. دار الكتب الاسلامية ـ طهران] في قوله تعالى: ﴿أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقاتٍ﴾، الآية ناسخة لحكم الصدقة المذكور في الآية السابقة، وفيه عتاب شديد لصحابة النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين. حيث إنّهم تركوا مناجاته صلى الله عليه وآله خوفاً من بذل المال بالصدقة، فلم يناجه أحد منهم إلّا عليّ عليه السلام فإنّه ناجاه عشر نجوات، كلّما ناجاه قدّم بين يدي نجواه صدقة، ثم نزلت الآية ونسخت الحكم.

وفي تفسير «مجمع البيان» للطبرسي [٩ ـ ١٠: ٢٥٢ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت]: قال مجاهد وقتادة: لمّا نهوا عن مناجاته صلوات الرّحمن عليه حتىٰ يتصدّقوا، لم يناجه إلّا عليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات، قدّم ديناراً فتصدّق به. ثم نزلت الرخصة.

* * *

المبحث الثاني والأربعون

في قوله تعالىٰ: ﴿ فإمّا نذهبن بك فإنّا منهم منتقمون ﴾ [الزخرف: ٤١].

قد أورد جمع من أعلام المفسّرين وأساطين المحدّثين من جملة الأخبار والآثار في كتبهم روايات مصرحة بأن انتقام الله عزّوجلّ من الكفار والمنافقين بعليﷺ، وما ينتقم به إلّا إكراماً لنبيّهﷺ فإنه جلّ وعزّ لم يُرِ حبيبه تلك النقمة. ولم يَر في أُمّته إلّا ما قرّت به عينه، وقد كان بعدهﷺ نقمة شديدة كما قال بذلك الحسن وقتادة فيما رواه الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [٥: ٦٤] وغيره من أعلام الأُمّة.

وقال فيه أيضاً: وقد روي أنهﷺ أري ما تلقىٰ أُمّته بعده فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتىٰ لقي الله تعالىٰ. ثم روىٰ عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال: إني لأدناهم من رسول اللهﷺ في حجة الوداع بمنىٰ حتى قالﷺ: «لألفينّكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلمتوها لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم»، ثم التفت إلىٰ خلفه فقال: «أو عليّ» ثلاث مرات، فرأينا أن جبرئيل غمزه فأنزل الله علىٰ أثر ذلك: ﴿فإما نذهبّن بك فإنّا منهم منتقمون﴾ بعليّ بن أبي طالبﷺ.

وقد روىٰ ذيل الحديث المذكور إمام الحنابلة في مسنده [٣: ٨ و٨٧ و١٠٤]: عن عبدالله بن عمر عن النبيّﷺ أنه قال في حجة الوداع: «ويحكم ـ أو قال ويلكم ـ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وفي [٥: ٣٧ و ٣٩]: فعن أبي بكرة، وروىٰ في [٥: ٥٩] عن ربيعة بن كلثوم عن أبي غادية.

وفي «الدر المنثور» [٧: ٣٧٩] روىٰ السيوطي عن ابن مردويه، والبيهقي في «شعب

الإيمان» من طريق حميد عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فإما نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون﴾ قال: أكرم الله نبيّه أن يريه في أُمّته ما يكره فرفعه إليه، وبقيت النقمة.

وروىٰ أيضاً ما رواه ابن جرير، وابن المنذر عن الحسن رضي الله عنه في قوله تعالىٰ: ﴿فإما نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون﴾ قال: لقد كانت نقمة شديدة، أكرم الله نبيه أن يريه في أُمّته ما كان من النقمة بعده.

وروى أيضاً ما أخرجه ابن مردويه من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن جابر بن عبدالله، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿فإما نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون﴾ نزلت في عليّ بن أبي طالب، إنّه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي.

وفي «المستدرك» [٣: ١٢٦]: روىٰ الحاكم عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كان علي يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله يقول: ﴿أفئن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم﴾ والله لا ننقلب علىٰ أعقابنا بعد إذ هدانا الله. والله لئن مات أو قتل لأُقاتلنّ على ما قاتل عليه حتىٰ أموت، والله إني لأخوه ووليّه وابن عمه ووارث علمه، فمن أحق به مني؟

وفيه أيضاً عن مجاهد عن ابن عبّاس أن النبي صلى الله عليه وآله قال في خطبة خطبها في حجة الوداع: لأقتلن العمالقة في كتيبة، فقال له جبرئيل عليه السلام: أو عليّ، قال صلى الله عليه وآله: أو عليّ بن أبي طالب.

وفي «فضائل الخمسة» [٢: ٣٥٩] للسيد مرتضىٰ الحسيني الفيروزآبادي عن تأريخ الخطيب البغدادي [٨: ٣٤٠] روى بسنده عن خليد العصري قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

وفي تأريخ بغداد أيضاً [١٣: ١٨٦ ـ ١٨٧]: روىٰ الخطيب بسنده عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمّد صلى الله عليه وآله وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك، حتى أناخت ببابك دون النّاس، ثم جئت بسيفك علىٰ عاتقك تضرب به أهل لا إله إلّا الله؟ فقال: يا هذا إن الرائد لا

يكذب أهله، وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع عليّ عليه السلام: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأما الناكثون فقد قتلناهم[١]، أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم ـ يعني معاوية وعمراً ـ وأما المارقون فهم أهل الطرقات[٢] وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم، ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله.

قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تقتلك[٣] الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك النّاس غيره، فأسلك مع عليّ، فانه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدىٰ، يا عمار من تقلّد سيفاً أعان به علياً علىٰ عدوه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدو عليّ عليه، قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار»، قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله.

وفي «أُسد الغابة» لابن الأثير [٤: ٣٢]: روىٰ بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: «مع عليّ بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن ياسر».

وفي «أُسد الغابة ايضاً» [٤: ٣٣]: روى بسنده عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا: قاتلت بسيفك مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفيه أيضاً روى بسنده عن عليّ بن ربيعة قال: سمعت علياً عليه السلام على منبركم هذا يقول: عهد إليّ رسول الله ﷺ أن أُقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي «كنز العمال» [٦: ٨٢] قال: عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول على

---

(١) هكذا في فضائل الخمسة، وهي في تاريخ بغداد «قابلناهم».

(٢) هكذا في فضائل الخمسة، وهي في تاريخ بغداد «الطرفاوات».

(٣) في تاريخ بغداد: «يا عمار تقتلك».

المنبر وأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، ما لي أراك تستحل النّاس استحلال الرجل إبله؟ أبعهدٍ من رسول الله ﷺ أو شيئاً رأيته؟ قال: والله ما كذّبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضلّ بي، بل عهدٌ من رسول الله ﷺ عهده إليّ. وقد خاب من افترىٰ، عهد إليّ النبيّ ﷺ أن اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. قال: أخرجه البزار، وأبو يعلىٰ.

وفيه أيضاً [٦: ٣١٩]: قال: عن أبي مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ فأتىٰ منزل أُم سلمة، فجاء علي عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: «يا أُم سلمة، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين بعدي»، قال: أخرجه الحاكم في «الأربعين» وابن عساكر، وذكره الطبري أيضاً في «الرياض النضرة» [٢: ٢٤٠]:

وفي «مجمع الزوائد» للهيثمي [٩: ٢٣٥]: عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري وهو يعلف خيلاً له بصنعاء، فقلنا عنده، فقلت: يا أبا أيوب قاتلت المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟ قال: كان رسول الله ﷺ أمرني بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد قاتلت الناكثين وقاتلت القاسطين، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالسعفات، بالطرقات، بالنهروان، وما أدري أين هم. قال: رواه الطبراني.

وفي تفسير الميزان [١٨: ١٠٧]: قال: وفي تفسير القمي بإسناده عن يحيىٰ بن سعيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ﴿فإمّا نذهبنّ بك﴾ يا محمّد من مكّة إلى المدينة، فإنا رادّوك إليها ومنتقمون منهم بعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأخرج ابن المغازلي في «المناقب» برقم ٣٦٦ ص ٣٢٠ قال: أخبرنا أحمد بن محمّد إجازة، أخبرنا عمر بن عبدالله بن شوذب، حدّثنا محمّد بن حسن بن زياد، حدّثنا يوسف ابن عاصم، حدّثنا أحمد بن صبيح، حدّثنا يحيىٰ بن يعلىٰ، عن عمر بن عيسىٰ، عن جابر قال: لمّا نزلت علىٰ رسول الله ﷺ: ﴿فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون﴾ قال ﷺ: بعليّ بن أبي طالب.

وفي «ينابيع المودة» [ص٩٨] في الباب السادس والعشرين روىٰ الشيخ المؤلّف

الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي ما أخرجه أبو نعيم الحافظ بسنده عن زر بن حبيش عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قوله تعالى: ﴿فإنّا منهم منتقمون﴾ بعليّ.

وروى فيه أيضاً عن الحافظ ابن المغازلي الحديث الآنف ذكره عن محمّد الباقر عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ.

* * *

المبحث الثالث والأربعون

في قوله تعالى: ﴿ ويطعمونَ الطعامَ علىٰ حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ [الانسان : ٨].

ذكر الكتاب العزيز في هذه السورة الكريمة أوصاف الأبرار التي دامت شاهدة علىٰ رفيع منزلتهم، وقامت مشيرة إلىٰ علوّ مكانتهم وعظيم مرتبتهم. وظلّت معلنة بسموّ أفضليتهم، وثبوت ما اختصهم الله بأجلّ وجوه التشريفات وأبهىٰ أنواع التكريمات وأزهىٰ التفضيلات، بحيث لا يمكن تطبيقهاعلىٰ أبرار وخيار هذه الأُمّة، إلّا علىٰ العترة المطهّرة، أهل بيت الكرامات ومعدن الرسالة القيمة، لكمال إخلاصهم، وصفاء سرائرهم، وتنوّر بصائرهم، وطهارة نفوسهم، وشدّة حبهم لله وخوفهم منه جلّ جلاله، وتمام حسن نيّتهم في الأعمال، وعظيم جهدهم في الإيثار علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. إذ لم يوجد لغيرهم في الأُمّة المحمّدية إخلاص وحبٌّ وخوفٌ ورجاءٌ، وطهارة نفسٍ وصفاء طويّة بهذه المثابة، حتىٰ أنزل الله فيهم هذه السورة الشريفة، كما روىٰ ذلك جمع من أعيان المفسّرين في تفاسيرهم، والحفّاظ في سننهم ومسانيدهم، والمؤرّخون في مصنّفاتهم،فنهم:

شهاب الدين بن عبد ربه المالكي المتوفّیٰ [سنة ٣١٠]: ذكر في كتاب «العقد الفريد» [٣: ٤٢ ـ ٤٧]: حديث احتجاج المأمون الخليفة العباسيّ على أربعين فقيهاً.

وفيه قال: يا إسحاق! هل تقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: إقرأ عليّ: ﴿هل أتىٰ علىٰ الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾، فقرأت منها حتىٰ بلغت ﴿يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافوراً﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ويُطعمون الطعام علىٰ حبّه مسكيناً ويتيماً

وأسيراً﴾ قال: علىٰ رسلك، فيمن أنزلت هذه الآية؟ قلت: في عليّ، قال: فهل بلغك أن علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: ﴿إنما نُطعمكم لوجه الله﴾؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به علياً؟ قلت: لا، قال: صدقت، لأن الله جلّ ثناؤه عرف سيرته. يا إسحاق! ألست تشهد أن العشرة في الجنة؟ قلت: بلىٰ يا أمير المؤمنين، قال: أرأيت لو أن رجلاً قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا، ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله، أكان عندك كافراً؟ قلت:: أعوذ بالله. قال: أرأيت لو أنه قال: لا أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا، كان كافراً؟ قلت: نعم، قال: يا إسحاق أرىٰ بينهما فرقاً.

وقد أجاد من قال شعراً:

هم العروة الوثقىٰ لمعتصم بها ... مناقبهم جاءت بوحي وإنزال

مناقب في الشورىٰ وسورة هل أتى ... وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي

وهم أهل بيت المصطفىٰ فودادهم ... علىٰ النّاس مفروض بحكم وإسجالِ

وروى الشبلنجي في «نور الأبصار» [ص ١٢٤ ـ ١٢٦] عن الشيخ الأكبر أن عبدالله ابن عبّاس قال في قوله تعالىٰ: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّهُ مستطيراً﴾: مرض الحسن والحسين رضيّ الله عنهما وهما صبيان فعادهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر، فقال عمر لعليّ عليه السلام: يا أبا الحسن لو نذرت عن ابنيك نذراً إنِ الله عافاهما، قال: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله. قالت فاطمة: وأنا أصوم ثلاثة شكراً لله، وقال الصبيان: ونحن نصوم ثلاثة أيام، وقالت: جاريتهما فضة: وأنا أصوم ثلاثة أيام. فألبسهما الله العافية فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام، فانطلق عليّ إلىٰ جارٍ له من اليهود يقال له شمعون، يعالج الصوف، فقال له: هل لك أن تعطيني جزّة من صوف تغزلها لك بنت محمّد بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير فأخبر فاطمة فقبلت وأطاعت، ثم غزلت ثلث الصوف فأخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزته خمسة أقراص،

لكلّ واحد قرص، وصلّىٰ عليّ ﷺ مع رسول الله ﷺ المغرب ثم أتىٰ منزله فوضع الخوان فجلسوا، فأول لقمة كسرها عليّ ﷺ إذا مسكين واقف علىٰ الباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، أنا مسكين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من طعام الجنّة، فوضع علي اللقمة من يده، ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين　　　يا بنت خير النّاس أجمعين
أما ترين البائس المسكين　　　جاء إلى الباب له حنين
كل امرئٍ بكسبه رهين

فقالت فاطمة«رض» من حينها:

أمرك سمع يابن عم وطاعه　　مالي من لوم وما ضراعه　　باللب غذيت وبالبراعه
أرجو إذا أنفقت من مجاعه　　أن ألحق الأبرار والجماعه　　وأدخل الجنّة بالشفاعه

قال: فعمدت إلىٰ ما في الخوان فدفعته إلىٰ المسكين وباتوا جياعاً، وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلّا الماء القراح. ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعاً فطحننه وعجنته وخبزت من خمسة أقراص، لكل واحد منهم قرص، وصلّىٰ عليّ المغرب مع النبي ﷺ ثم أتىٰ منزله، فلما وضعت الخوان وجلس فأوّل لقمة كسرها عليّ ﷺ إذا يتيم من يتامىٰ المسلمين قد وقف علىٰ الباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، أنا يتيم من يتامىٰ المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة. فوضع عليّ ﷺ اللقمة من يده وقال:

فاطم بنت السيد الكريم　　　قد جاءنا الله بذا اليتيم
من يطلب اليوم رضا الرحيم　　　موعده في جنة النعيم

فأقبلت السيدة فاطمة رضي الله عنها وقالت:

فسوف أعطيه ولا أبالي　　　وأُوثر الله علىٰ عيالي
أمسوا جياعاً وهمو أمثالي　　　أصغرهم يقتل في القتال

ثم عمدت إلى جميع ما في الخوان فأعطته اليتيم، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلّا الماء القراح وأصبحوا صياماً. وعمدت فاطمة إلىٰ باقي الصوف فغزلته، وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزته خمسة أقراص، لكل واحد قرص، وصلّىٰ عليّ عليه السلام المغرب مع النبي صلى الله عليه وآله ثم أتىٰ منزله، فقرّبت إليه الخوان ثم جلس فأول لقمة كسرها إذا أسير من أسارىٰ المسلمين بالباب، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، إن الكفار أسرونا وقيّدونا وشدّونا فلم يطعمونا، فوضع عليّ عليه السلام اللقمه من يده، وقال:

فاطمة ابنة النبيّ أحمد ... بنت نبي سيد مسوّد

هذا أسير جاء ليس يهتدي ... مكبل في قيد المقيد

يشكو إلينا الجوع والتشدد ... من يطعم اليوم يجده في غد

عند العلي الواحد الموحد ... ما يزرع الزارع يوماً يحصد

فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تقول:

لم يبق مما جاء غير صاع ... قد دبرت كفي مع الذراع

وابناي والله ثلاثاً جاعا ... يا ربّ لا تهلكهما ضياعا

ثم عمدت إلى ما كان في الخوان فأعطته إياه فأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء، وأقبل عليّ والحسن والحسين نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يرتعشان كالفرخين من شدّة الجوع، فلما أبصرهما رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن أشد ما يسوءني ما أدرككم، انطلقوا بنا إلىٰ ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله ضمّها إليه وقال: واغوثاه! فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمّد، خذ ضيافة أهل بيتك، قال: وما آخذ يا جبرئيل؟ قال: ﴿ويُطعمون الطعام علىٰ حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ إلى قوله: ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾.

وروىٰ ابن حجر العسقلاني في «الإصابة» [٤: ٣٧٦ ط. دار الكتاب العربي - بيروت]: في ترجمة فضة عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ: ﴿يوفون بالنذر﴾ الآية. قال: مرض الحسن

والحسين فعادهما جدهما ﷺ وعادهما عامّة العرب، فقالوا لأبيهما لو نذرت، فقال عليّ: إن عوفيا فعليّ صيام ثلاثة أيام شكراً، وقالت فاطمة كذلك، وقالت جارية لها يقال لها فضة النوبية، فذكر حديثاً طويلاً.

وذكر الأميني في الغدير [٣: ١٠٧ ـ ١١٠] قول أبي جعفر الاسكافي في رسالته التي رد بها على الجاحظ: لسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوىٰ على جحد الأُمور المعلومة، ولكنّنا ننكر تفضيل أحد من الصحابة علىٰ عليّ بن أبي طالب ولسنا ننكر غير ذلك، «إلى أن قال» وأما إنفاقه فقد كان حسب حاله وفقره، وهو الذي أطعم الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، واُنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن.

وذكر فيه أيضاً ممن روىٰ الحديث المذكور الحافظ الكنجي المتوفىٰ [سنة ٦٥٨]، في «الكفاية» [ص٢٠١] وقال بعد ذكر الحديث: هكذا رواه الحافظ أبو عبدالله الحميدي في فوائده، ورواه ابن جرير الطبري أطول من هذا في أسباب نزول هل أتىٰ. وقد سمعت الحافظ العلّامة أبا عمرو عثمان بن عبد الرّحمن المعروف بابن الصلاح في درس التفسير في سورة هل أتىٰ، وذكر الحديث وقال فيه: إن السؤّال كانوا ملائكة من عند ربّ العالمين، وكان ذلك امتحاناً من الله عزّوجلّ لأهل بيت رسول الله ﷺ، وسمعت بمكّة حرسها الله تعالىٰ من شيخ الحرم بشير التبريزي: إن السائل الأوّل كان جبرئيل، والثاني ميكائيل، والثالث إسرافيل عليهم السلام.

وذكر فيه أيضاً نظام الدين القمي النيسابوري، فإنه قال في تفسيره بهامش تفسير الطبري [٢٩: ١١٢]: ذكر الواحدي في «البسيط» والزمخشري في تفسير «الكشاف» وكذا الإمامية أطبقوا علىٰ أن السورة نزلت في أهل بيت النبيّ ﷺ ولا سيما هذه الآية. ثم ذكر حديث الإطعام فقال: ويروىٰ أن السائل في الليالي جبرئيل، أراد بذلك ابتلاءهم بإذن الله سبحانه.

وذكر فيه أيضاً محمّد بن طلحة الشافعي المتوفّىٰ [سنة ـ ٦٥٢] فقد روى الحديث في

«مطالب السؤول» [ص٣١] وقال: رواه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي وغيره من أئمة التفسير. ثم قال: فكفىٰ بهذه عبادة، وبإطعام هذا الطعام مع شدّة حاجتهم إليّه منقبةً. ولولا ذلك لما عظمت هذه القصة شأناً، وعلت مكاناً، ولما أنزل الله تعالىٰ فيها علىٰ رسوله قرآناً.

وذكر فيه أيضاً سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفّىٰ [سنة ٦٥٤] في كتاب «تذكرة الخواص» من طريق البغوي والثعلبي وردّ على جدّه ابن الجوزي في إخراجه في الموضوعات.

وقال بعد تنزيه سنده عن الضعف: والعجب من قول جدّي وإنكاره، وقد قال في كتابه «المنتخب»: يا علماء الشرع! أعلمتم لم آثر «علي وفاطمة» وتركا الطفلين «الحسنين» وعليهما أثر الجوع؟ أتراهما خفي عنهما سرّ ذلك؟ وما ذاك إلّا لأنهما علما قوة صبر الطفلين، وأنهما غصنان من شجرة الظل عند ربي، وبعض من جملة فاطمة بضعة منّي، وفرخ البط السابح[1].

وقد روىٰ هذا الحديث جملة كبيرة من أعلام الأمة وأعيان المفسّرين وجمع من حملة الأخبار والآثار في كتبهم، بلغ عددهم ٣٤ راوياً، كما ذكرهم الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر عبد الحسين أحمد الأميني النجفي في كتابه النفيس القيم «الغدير» [٣: ١٠٣] تغمده الله بوابل رحمته، وأسكنه فسيح جنته.

قال الخطيب الشاعر الشيخ كاظم آل حسن الجنابي ممتدحاً ذلك الكتاب المعرب عن سعة إحاطة مؤلّفه بالفنون وتبحّره في العلوم:

سألوني عن «الغدير» أناس ... أين كان «الغدير» قبل الأميني؟
قلت: كان الغدير في سجن غيّ ... صفّدته قيود إفك ومين
وغدا في السجون من يوم خمّ ... يوم قال الإلٰه: أكملت ديني

(١) هكذا في الأصل، والصواب «سابح».

قـد أتـاه «الأمـين» لمّـا دعـاه　　　مسـتعيناً فـيا له مـن مـعين
فـــجزاه الإله خـير جـزاء　　　أوضـح الحـق في كـتابٍ مـبين
وإذا بـــالغدير بـين يـدينا　　　فـيه تـبيان كـل شيء دفـين
فيه ما تشـتهي النـفوس وفـيه　　　مـا تـلذّ العـيون رأي العـيون
فـرحـة الصّـادقين فـيه وفـيه　　　ترحـة الكـاذبين حـقّ اليـقين
يا كتاب «الغدير» أبهـجت مـنّا　　　مذْ تـلوناك كـلّ قـلب حـزين
سوف تـبقىٰ بـغرّة الدهـر نـوراً　　　خالداً في الوجود طول السـنين
وسـلام عـلى مـؤلّف سـفر　　　فاق فضلاً رجال كلّ القـرون[1]

* * *

---

(١) الغدير ٩ : ٣٩٩ ط. دار الكتب الاسلامية.

المبحث الرابع والأربعون

في قوله تعالىٰ: ﴿وأذانٌ مِن الله ورسولهِ إلىٰ النّاس يومَ الحجِّ الأكبر﴾ [التوبة: ٣].

إذا أمعنا نظرنا شطر هذه الآية، وتدبّرنا فيما يتعلّق بها من الأخبار والروايات تكشّفت من خلالها آية من الحكمة العظيمة، وبدت من جانبها أعلام الفضيلة العليا، وظهرت جلياً من ورائها حيث لا غبار فيها أولوية من قام بالنيّابة عن سيّد الأنبياء في تبليغ ما أمره الله سبحانه، ولا سيما بعد أن وردت عنهﷺ أخبار مصرحة، ما ارتبطت بتبليغ من أمره أوّل مرة إلى أهل مكة، وكان أوّل من بعثه بها شيخ المهاجرين أبا بكر، فما مضت ليلتان أو ثلاث من رحلته حتىٰ هبط بأمر الله جبرئيل منبّهاً بقوله الّذي يتضمّن فيه عدم أحقية من بعثه بها، ومظهراً أولوية من أخذها منه . فقال: لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك.

فمن ذلك لا أظن أن يكون عند ذوي العدالة والإنصاف أدنىٰ شك، بأن هذه القضية لم تكن إلّا لتصير عبرةً لأُولي الأبصار، وإشارةً لأُولي النهىٰ والاعتبار، بأن من اختاره الله أن يكون نائباً عن رسوله، كان أحق وأولىٰ من يتولّىٰ الأمر من بعده، إذا ما أتىٰ أمر الله عليه.

روى الطبري في تفسيره [٦: ٣٠٦ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت] وابن كثير في تفسيره [٢: ٣٣٣] عن زيد بن يثيع قال: نزلت براءة فبعث بها رسول اللهﷺ أبا بكر، ثم أرسل علياً فأخذها منه، فلما رجع أبو بكر قال: هل نزل فيّ شيء؟ قالﷺ: «لا، ولكني أُمرت أن أبلّغها أو رجل من أهل بيتي»، فانطلق عليّ إلىٰ مكّة فقام فيهم بأربع. إلخ.

وفي خصائص النسائي [ص٢]. و«الأموال» لأبي عبيد [ص٥٦٥] عن زيد أيضاً قال: إن رسول الله ﷺ بعث ببراءة إلىٰ أهل مكّة مع أبي بكر، ثم أتبعه بعليّ فقال له: «خذ الكتاب وامض إلىٰ أهل مكّة». قال: فلحقه فأخذ الكتاب منه. فانصرف أبو بكر وهو كئيب، فقال لرسول الله ﷺ: أنزل فيّ شيء؟ قال: «لا، إلّا أني أُمرت أن أبلّغه أنا أو رجل من أهل بيتي».

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده [١: ١٥١]: عن حنش عن عليّ عليه السلام قال: لما نزلت عشر آيات من براءة علىٰ النبي ﷺ دعا النبيّ ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقرأها علىٰ أهل مكّة. ثم دعاني النبيّ ﷺ فقال لي: «أدرك أبا بكر عليه السلام فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلىٰ أهل مكّة فاقرأه عليهم» فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلىٰ النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، نزل فيّ شيء؟ قال: «لا، ولكن جبريل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك».

وأخرج أيضاً في مسنده [١: ١٥٠]: عن حنش عن علي عليه السلام: أن النبيّ حين بعثه ببراءة فقال: يا نبيّ الله إني لست باللسن ولا بالخطيب، قال ﷺ: ما بد أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت. قال: فإن كان ولا بدّ فسأذهب أنا، قال ﷺ: «فانطلق فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك»، قال: ثم وضع يده على فمه. ورواه ابن كثير في تفسيره [٢: ٣٣٣]. والسيوطي في «الدر المنثور» [٤: ١٢٢].

وروى ابن كثير في تأريخه [٧: ٣٥٧]: واحمد بن حنبل في مسنده [١: ٣]: والكنجي في «الكفاية» [ص١٢٥] عن أبي بكر بن أبي قحافة قال: إن النبيّ بعثه ببراءة إلى أهل مكّة، لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ولا يدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله مدّة فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله، فسار بها ثلاثاً ثم قال لعليّ عليه السلام: إلحقه فردّ عليّ أبا بكر، وبلّغها أنت، قال: ففعل. فلما قدم على النبيّ أبو بكر بكىٰ، قال: يا رسول الله، حدث فيّ شيء؟ قال ﷺ: ما حدث فيك إلّا خير،

ولكن أُمرت أن لا يبلّغه إلّا أنا أو رجل مني»[١].

وأخرج الترمذي في جامعه [٢: ١٣٥]: والبيهقي في سننه [٩: ٢٢٤]: والخوارزمي في «المناقب» [ص ١٦٤ ط. جامعة المدرسين ـ قم]. والشوكاني في تفسيره [٢: ٣١٩]: عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ أبا بكر وأمره بأن ينادي بهؤلاء الكلمات، ثم أتبعه عليّاً، فبينا أبو بكر في بعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ القصواء فخرج أبو بكر فزعاً فظن أنه رسول الله، فإذا هو عليّ ﷺ فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ وأمر علياً أن ينادي بهؤلاء الكلمات.

وروىٰ السيوطي في «الدر المنثور» [٣: ٢١١] ما أخرجه ابن أبي حاتم عن حكيم بن حميد قال: قال لي عليّ بن الحسين «زين العابدين»، إن لعليّ ﷺ في كتاب الله اسماً ولكن لا يعرفونه، قلت: ما هو؟ قال: ألم تسمع قول الله: ﴿وأذان من الله ورسوله إلىٰ النّاس يوم الحجّ الأكبر﴾ هو والله الأذان. وذكره أيضاً السيّد مرتضىٰ الحسيني الفيروزآبادي في «فضائل الخمسة» [١: ٣٣٠].

وأخرج ابن عساكر بإسناده من طريق الحافظ عبد الرزاق عن ابن عبّاس قال: مشيت مع عمر بن الخطاب في بعض أزقّة المدينة فقال: يابن عبّاس، أظن القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم، فقلت: والله ما استصغره رسول الله ﷺ إذ اختاره لسورة براءة يقرأها علىٰ أهل مكّة، فقال لي: الصواب تقول، والله لسمعت رسول الله يقول لعليّ بن أبي طالب: «من أحبك أحبني، ومن أحبني أحب الله، ومن أحب الله أدخله الجنّة جذلاً».

وأخرج ابن مردويه والطبراني كما في «الدر المنثور» [٣: ٢١٠ ط. مرعشي نجفي ـ قم] عن أبي رافع، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ببراءة إلىٰ الموسم، فأتىٰ جبريل ﷺ، فقال:

---

(١) هذا النص بعينه ليس موجوداً في تاريخ ابن كثير، ولكن يوجد ما في معناه. راجع: البداية والنهاية ٥: ٤٤ ـ ٤٧ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

إنّه لن يؤدّيها عنك إلّا أنت أو رجل منك، فبعث عليّاًعليه السلام على أثره حتّىٰ لحقه بين مكّة والمدينة فأخذها، فقرأها علىٰ النّاس في الموسم.

ورویٰ الحافظ الكنجي في الكفاية [ص ١٥١] عن الحرث بن مالك قال: أتيت مكّة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت: هل سمعت لعليّ منقبةً؟ قال: لقد شهدت له أربعاً لئن تكون لي واحدةٌ منهن أحبّ إليّ من الدنيا أعمر فيها مثل عمر نوح: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش، فسار بها يوماً وليلة، ثم قال لعليّ: إتبع أبا بكر فخذها وبلّغها، فردّ عليّعليه السلام أبا بكر، فرجع يبكي فقال: يا رسول الله، أنزل فيّ شيء؟ قال: «لا، إلّا خيراً، أنه ليس يبلّغ عني إلّا أنا أو رجل مني»، أو قال من أهل بيتي[1].

وروى النيسابوري في تفسيره بهامش تفسير الطبري [١٠: ٣٦]: روي أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريلعليه السلام وقال: يا محمّد لا يبلّغن رسالتك إلّا رجل منك، فأرسل علياً، فرجع أبو بكر إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أشيء نزل من السماء؟ قال: «نعم، فسر وأنت علىٰ الموسم، وعليّ ينادي بالآي» «الحديث».

وفي تفسير الطبري [٦: ٣٠٧ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت]: وفي تأريخه [٢: ٣٨٢ ط. الاعلمي]: عن السدّي قال: لمّا نزلت هذه الآيات إلىٰ رأس أربعين آية بعث بهن رسول الله صلى الله عليه وآله مع أبي بكر وأمّره علىٰ الحجّ، فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة، أتبعه بعليّ فأخذها منه، فرجع أبو بكر إلىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! بأبي أنت وأُمي أنزل في شأني شيء؟ قال: لا، ولكن لا يبلّغ عني غيري أو رجل منّي... فسار أبو بكر علىٰ الحاج، وعليّ يؤذن ببراءة.

* * *

(١) راجع: الغدير ١ / ٤٠.

المبحث الخامس والأربعون

في قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة: ٢٧٤].

إن في هذه الآية أقوالاً، منهم من قال إنها نزلت في عليّ‏عليه السلام وهذا هو المتسالم عند القوم.

والثاني: فيمن يعلفون الخيل.

والثالث: أنها نزلت في أبي بكر، وهذا القول الأخير يتعجب منه من له أقل إلمام بالتأريخ. إذ قالو: إن لأبي بكر فضائل جمّة لا يختلج منها ريب في قلوب المسلمين، كمصاحبته في الغار، ومرافقته في الهجرة من مكّة إلى المدينة، وغير ذلك مما كفاه عزّاً وفضلاً. منها قول من قال بنزول الآية فيه حين تصدّق بأربعين ألف دينار.

فيا للعجب أفكان الراوي لم يُعر جانباً من الاهتمام إلى كتب التأريخ؟ أو لم يكترث بما اتفقت جماعة من المفسّرين علىٰ أن نزولها في عليّ‏عليه السلام حين تصدّق بأربعة دراهم فقط فنزلت، فيه الآية؟

أفيظنّون أن التأريخ يمرّ علىٰ أبي بكر لاهياً عن أحواله من يوم كان في العهد الجاهلي إلى أن أسلم واستولىٰ علىٰ الخلافة؟ كلّا، بل شهد التأريخ وما زال شاهداً إلى يوم النّاس هذا، بأن أبا بكر لم يكن في الجاهلية من مشاهير الأغنياء ومن ذوي الثروة الطائلة، حتىٰ استطاع أن يتصدّق في أوليات الهجرة، إذ نزول هذه الآية في ذلك الحين، كما

ذكره المفسّرون في تفاسيرهم، منهم: القرطبي في تفسيره [١: ١٣٢]: والخازن في تفسيره [١: ٩١]. والشوكاني في تفسيره «فتح القدير» [١: ٢٧]. وابن كثير في تفسيره [١: ٣٧]: وقال فيه: وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسّرين، ولا خلاف فيه. وكذا ما ذكره الأميني في «الغدير» [٨: ٥٧].

فأما ما كان من حال أبي بكر في عهد الجاهلية فلم يخف علىٰ من تصفّح صفحات التأريخ بأن أبا قحافة كان أجيراً لعبد الله بن جذعان علىٰ طعامه، كما ذكره الأميني في «الغدير» [٨: ٥١] عن الكلبي في مثالبه وأبي الفرج الأصفهاني في «الأغاني» وابن أبي الحديد في «شرح النهج» [٣: ٢٧٢]. قال الكلبي في مثالبه: وأشار إليه أُمية بن الصلت في قصيدةٍ يمدح بها ابن جذعان:

له داعٍ بمكّة مشمعلّ وآخر فوق دارته ينادي
إلى ردحٍ من الشيزي عليها لباب البرّ يلبك بالشهاد

قال الكلبي: المشمعلّ هو سفيان بن عبد الأسد. وآخر: أبو قحافة. وفي «مسامرة الأوائل» [ص٨٨] يقال: إن الداعي هو أبو قحافة والد الصدّيق.

أمن المعقول أن يكون مثل أبي بكر يرىٰ أباه في أسوأ حالةٍ وهو يتقلّب في مهاد النعمة وظلّ راضياً آمناً لا يروعه أدنىٰ شيء من اللوم؟ فهيهات أن يكون كذلك.

وأما ما كان من حاله بعد أن أسلم إلى أن تولّىٰ الخلافة، فقد أخرج إبن سعد من طريق عطاء قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلىٰ رقبته أثواب يتّجر بها. فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له:

أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق. قالا: تصنع ماذا وقد وليّت أُمور المسلمين؟ قال: فمن أين أُطعم عيالي؟ قالا: إنطلق حتىٰ نفرض لك شيئاً. فانطلق معهما، ففرضوا كل يوم شطر شاة، وما كسوه في الرأس والبطن. وفي لفظ الحلبي: لما بويع أبو بكر بالخلافة أصبح وعلىٰ ساعده قماش وهو ذاهب إلىٰ السوق، فقال له عمر: أين تريد؟ قال:

السوق (الخ).

فياليت شعري! أُذهل من قال بنزولها في أبي بكر عما هو المتسالم عند القوم بأن أبا بكر ﷺ لا يملك يوم الهجرة إلىٰ المدينة سوىٰ خمسة أو ستة آلاف درهم، وهي جميع ما كان يملكه، فأنّىٰ له أن يتصدّق بأربعين ألف دينار؟

قال المظفر في «دلائل الصدق» [٢: ٢٠٠]: أم أعجب من دعوى وجود هذا المال عند أبي بكر البالغ أربعمائة ألف درهم؟ وهو كان معلماً للصبيان في الجاهلية، وخياطاً في الاسلام، ولم يكن قسمه من الغنائم إلّا كواحد من المسلمين، وقد كان ماله عند الهجرة خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف كما رواه الحاكم عن ابنته [أسماء بنت أبي بكر] في المستدرك [٣: ٥] ورواه أحمد عنها في مسنده [٦: ٣٥٠]... أم أعجب من خفاء الصدقة بهذا المال علىٰ عامة النّاس حتىٰ أظهرها هذا الراوي؟ وهي مما ينبغي أن تغني أكثر أهل المدينه في ذلك اليوم...، ولو كان من أهل الصدقة بمثل ذلك المقدار، فلم أشفق من تقديم الصدقة اليسيرة في النجوى؟ ولم أخذ من رسول الله حين الهجرة والضيق قيمة البعير الذي ابتاعه منه؟

وأما من قال بأن الآية نزلت فيمن يعلفون الخيل كما رواه السيوطي في الدر المنثور [١: ٣٦٣ ط. مكتبة آية الله المرعشي النجفي] بعدة طرق فقد أنكره الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [٢: ٤٣٠ ط. دار الكتب الاسلامية]: بقوله: أقول: المراد بهم المرابطون الذين ينفقون علىٰ الخيل ليلاً ونهاراً، لكن لفظ الآية أعني قوله: ﴿سرّاً وعلانيةً﴾ لا ينطبق عليه. إذ لا معنىٰ لهذا التعميم والترديد في الانفاق على الخيل أصلاً.

وكذلك قوله فيمن قال بأن نزول الآية في عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان في نفقاتهم في جيش العسرة. ولا شك إذن في أن أصح الأقوال قول من قال بنزولها في عليّ عليه السلام كما قد اتفقت كلمات جمعٍ من المفسرين والمحدّثين علىٰ ذلك.

منهم: ابن كثير، روى في تفسيره [١: ٣٢٣]: عن ابن جبير عن أبيه قال: كان لعلي

أربعة دراهم، فأنفق درهماً ليلاً ودرهماً نهاراً ودرهماً سراً ودرهماً علانيةً فنزلت: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيةً﴾ وقال: وكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف، لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عبّاس، أنها نزلت في علي بن أبي طالب.

وكذا روى الشوكاني في تفسيره «فتح القدير» [١: ٢٩٤]: بالسند واللفظ المذكورين. وقال الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [٢: ٤٢٩]: وفي المجمع[1] في قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيةً﴾ الآية. قال: سبب النزول عن ابن عبّاس: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب عليه السلام كانت معه أربعة دراهم، فتصدّق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سرّاً وبواحد علانيةً فنزل: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانيةً﴾. قال الطبرسي: وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.

ورواه أيضاً الشبلنجي في «نور الأبصار» [ص٨٧].

وروى السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [١: ٣٦٣] بعدّة طرق عن ابن عباس قال: نزلت «أي هذه الآية» في علي بن أبي طالب كانت له أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً وبالنهار درهماً وسرّاً درهماً وعلانيةً درهماً.

وأخرج ابن المغازلي بالاسناد الى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيةً﴾ الآية، قال: هو علي بن أبي طالب كان له اربعة دراهم (الخ). تجده في [ص٢٨٠] من مناقبه.

وكما في فضائل الخمسة [١: ٢٧٤ ـ ٢٧٦ ط. إحياء التراث العربي ـ بيروت]:

روى ابن الأثير في كتابه «أُسد الغابة» [٤: ٢٥] بطريقين عن مجاهد، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار﴾ الآية، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب، كان عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحداً وبالنهار واحداً وفي السرّ واحداً وفي

---

(١) مجمع البيان: ١ ـ ٢: ٣٨٨ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

العلانية واحداً.

وروىٰ الطبري في كتابه «الرياض النضرة» [٢: ٢٠٦] قال: عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيةً﴾ الآية قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب. فساق الحديث المذكور، غير أنه زاد في آخره بقوله: «فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك علىٰ هذا؟ فقال [عليّ]: أن أستوجب علىٰ الله ما وعدني، فقال ﷺ: ألا إن لك ذلك فنزلت الآية.

وروىٰ ابن حجر الهيثمي في «الصواعق» [ص٧٨ ط. الميمنية] ما أخرجه الواقدي عن ابن عبّاس قال: كان مع عليّ أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانيةً فنزل فيه: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية﴾ الآية.

وروىٰ الواحدي في «اسباب النزول ص ٦٤» بسنده عن مجاهد قال: كان لعليّ عليه السلام أربعة دراهم فأنفق درهماً بالليل ودرهماً بالنهار ودرهماً سرّاً ودرهماً علانيةً، فنزلت: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيةً﴾ الآية.

(قال) وقال الكلبي: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يكن يملك غير أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانيةً، فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك على هذا؟ قال: حملني أن أستوجب علىٰ الله ما وعدني، فقال له رسول الله ﷺ: ألا إن ذلك لك، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية.

* * *

المبحث السادس والأربعون

في قوله تعالىٰ: ﴿ وردَّ الله الّذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفىٰ الله المؤمنين القتال وكان الله قويّاً عزيزاً ﴾ [الاحزاب: ٢٥].

قال الذهبي في كتابه «ميزان الاعتدال» [٢: ٣٨٠]: وقال ابن المقري: حدّثنا إسماعيل بن عبّاد البصري، حدّثنا عبّاد بن يعقوب، حدّثنا الفضل بن القاسم، عن سفيان الثوري، عن زبيد، عن مرّة، عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: **﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾** بعليّ.

ورویٰ السيوطي في «الدر المنثور» [٥: ١٩٢ ط. مكتبة المرعشي النجفي]، في ذيل تفسير قوله تعالى: **﴿وردَّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفىٰ اللهُ المؤمنينَ القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً﴾** قال: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ هذا الحرف: **﴿وكفىٰ الله المؤمنين القتال﴾** بعليّ بن أبي طالب.

وفي تفسير الميزان [١٦: ٣١٤]: روى المؤلف ما ذكره ابن اسحاق: أن عمرو بن عبدودّ كان ينادي: من يبارز؟ فقام عليّ وهو مقنّع في الحديد فقال أنا له يا نبي الله. فقال صلى الله عليه وآله: إنّه عمرو إجلس. ونادىٰ عمرو: ألا رجل؟ وهو يؤنّبهم ويقول: أين جنّتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟ فقام عليّ عليه السلام فقال: أنا له يا رسول الله. فنادىٰ عمرو الثالثة فقال:

ولقد بححت عن النداء ... بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جَبُنَ المشجع ... موقف البطل المناجز

إنّ السماحة والشجاعة في الفتىٰ خير الغرائز

فقام عليٌّ: فقال يا رسول الله أنا له، فقال: إنّه عمرو، فقال: وإن كان عمرواً، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذن له رسول الله. قال ابن اسحاق: فمشىٰ إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّةٍ وبصيرةٍ والصدق منجي كل فائز
إنّي لأرجو أن أُقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربةٍ نجلاء يبقىٰ ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليّ قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. فقال: غيرك يابن أخي من أعمامك من هو أسن منك، فإنّي أكره أن أُهريق دمك. فقال عليّ: لكني والله ما أكره أن أهريق دمك. فغضب ونزل وسلّ سيفه كأنه شعلة نارٍ، ثم أقبل نحو عليّ مغضباً، فاستقبله عليّ بدرقته فضربه عمرو بالدرقة فقدها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه، وضربه عليّ علىٰ حبل العاتق فسقط.

وفي رواية حذيفة: وتسيّف عليّ رجليه بالسيف من أسفل، فوقع على قفاه، وثارت بينهما عجاجةٌ، فسمع عليّ يكبر، فقال رسول الله ﷺ: قتله والذي نفسي بيده، فكان أوّل من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله قتله، فجزّ عليٌّ رأسه، واقبل نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل.

قال حذيفة: فقال النبي ﷺ: أبشر يا علي، فلو وزن اليوم عملك بعمل أُمّة محمد لرجح عملك بعملهم، وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلّا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلّا وقد دخله عزّ بقتل عمرو.

وعن الحاكم بن أبي القاسم أيضاً بالاسناد عن سفيان الثوري، عن زبيد الثاني، عن مرّة، عن عبدالله بن مسعود، قال: كان يقرأ: ﴿وكفىٰ اللهُ المؤمنين القتال﴾ بعليّ. الآية.

وفي مناقب ابن شهر آشوب [٣: ١٣٤]: روى عن ابن مسعود والصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بعليّ بن أبي طالب وقتله عمرو بن عبدود.

وقد رواه أبو نعيم الأصفهانيّ في كتاب «ما نزل من القرآن في علي» بالإسناد عن سفيان الثوري عن مرّة عن رجل، عن عبدالله:

وقال جماعة من المفسّرين في قوله تعالى: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾: إنها نزلت في عليّ يوم الأحزاب.

وفي المناقب أيضاً ما رواه الواقدي، والخطيب، والخوارزمي، عن عبد الرحمٰن السعدي، بإسناده عن بهرم بن حكيم عن أبيه عن جدّه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لمبارزة عليّ ابن أبي طالب لعمرو بن عبدود أفضل من عمل أمتي إلىٰ يوم القيامة.

وعن أبي بكر بن عيّاش قال: لقد ضرب عليّ ضربةً ما كان في الاسلام أعزّ منها، وضُرب ضربةً ما كان فيه أشأم منها، ويقال: إن ضربة ابن ملجم وقعت علىٰ ضربة عمرو.

ومن كلمات السيد الحميري:

وفي يوم جاء المشركون بجمعهم ... وعمرو بن عبد في الحديد مقنّع
فجدّله شلواً صريعاً لوجهه ... رهيناً بقاع حوله الضبع يجمع
وأهلكهم ربّي ورُدّوا بغيظهم ... كما أهلكت عاد الطغاة وتبع

وقال المرزكي:

وفي الأحزاب جاءتهم جيوش ... تكاد الشامخات لها تميد
فنادىٰ المصطفىٰ فيه علياً ... وقد كادوا بيثرب أن يكيدوا
فأنت لهذه ولكل يوم ... تذلّ لك الجبابرة الأسود
فسقى العامري كؤوس حتف ... فهزّمت الجحافل والجنود

وقد أخرج الحاكم في «المستدرك» [٣: ٣٢ ط. دار المعرفة] بعين اللفظ والسند

المذكورين وفي [ص٣٤] ذكر فيه ما قاله يحيىٰ بن آدم: ما تنبهت قتل عليّ عمرواً إلّا بقول الله عزوّجلّ: ﴿فهزمهم بإذن الله * وقتل داودُ جالوتَ﴾.

قال الامام المظفر في «دلائله» [٢: ١٧٤ ط. بصيرتي ـ قـم]: فيما ارتبط من قراءة ابن مسعود، في قوله تعالى: ﴿وكفىٰ اللهُ المؤمنين القتال بعلي﴾ وكيف كان فلتفرض قراءة ابن مسعود رواية بأن يكون قد روىٰ إنّ الله سبحانه أنزل هذه الآية لبيان هـذه الفـضيلة لعليّ عليه السلام، وأن الله تعالىٰ كفىٰ به المؤمنين القتال يوم الأحزاب، حيث قتل عمرو بن عبدود، وردّ الأحزاب خاسرين، فيكون جهاده أفضل من جهاد المسلمين جميعاً، لأن به الفتح مع حفظ نفوسهم، فمنه عليه السلام حياة الاسلام والمسـلمين، ولولا أن يكـفيهم الله تـعالى بـعليّ، لاندرست معالم الاسلام، لضعف المسلمين ذلك اليوم وظهور الوهن عليهم.

وفي «ينابيع المودة» [ص٩٤ ط. بصيرتي ـ قـم] للحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وكفىٰ الله المؤمنين القتال﴾: قال الحافظ جلال الدّين السيوطي: في مصحف ابن مسعود: ﴿وكفىٰ الله المؤمنين القتال بعليّ﴾.

وفي المناقب، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما برز عليّ إلىٰ عمرو بن عـبدود، قـال النبيّ صلى الله عليه وآله : برز الايمان كلّه إلى الشرك كلّه. فلما قتله قال صلى الله عليه وآله له: أبشر يا عليّ فلو وزن عملك اليوم بعمل اُمتي لرجح عملك بعملهم.

وفي «المناقب» بالسند عن زياد بن مطرب قال: كان ابن مسعود يقرأ: ﴿وكفىٰ اللهُ المؤمنين القتال بعلي﴾ وسبب نزوله: أنّ عمرو بن عبدود كان فارساً مشهوراً، يعدل بألف فارس، وكان قد شهد بدراً ولم يشهد اُحداً، ويوم الخندق ونادىٰ هل من مبارز؟ فلم يجبه أحدٌ، فقام علي عليه السلام وقال: أنا يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: إنه عمرو، اجلس. فنادىٰ ثانيةً فلم يجبه أحد، فقام عليّ وقال: أنا يا رسول الله، فقال: إنه عمرو، فقال عـلي عليه السلام: وإن كـان عمرواً. فاستاذن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال حذيفة بن اليمان: ألبسه رسول الله صلى الله عليه وآله درعه «الفضول» وعمّمه بعمامته «السّحاب» على رأسه تسعة أدوار، وقـال له: تـقدّم، فـلما ولّىٰ قـال

«برز الايمان كلّه إلى الشرك كلّه»، وقال: «رب لا تذرني فرداً، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه». فاستقبل عليّ عليه السلام عمرواً فعمرو ضربه بسيفه فشجّ رأسه. ثم إن علياً عليه السلام ضربه على حبل عاتقه، فسقط إلى الأرض، فسمعنا تكبير عليّ عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قتله عليّ. وقال صلى الله عليه وآله: أبشر يا عليّ، فلو وزن اليوم عملك بعمل أُمة محمّد لرجح عملك بعملهم. فنزلت آية: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بعليّ لأنه قتل عمرو بن عبدود.

وروىٰ ابن شيرويه الديلمي في كتابه «الفردوس» بسنده عن عروة بن الزبير، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: لما قتل عليٌّ عمرو بن عبدود العامري، وجاء عند النبي صلى الله عليه وآله وسيفه يقطر دماً، فلما رأىٰ النبي علياً قال: «اللهم أعط عليّاً فضيلةً لم تعطها أحداً قبله ولا بعده»، فهبط جبرئيل ومعه أترجّة الجنة فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: حيّ هذه عليّاً فدفعها إليه، فانفلقت في يده فلقتين فإذا فيها حريرة خضراء مكتوب سطران: «تحفة من الطالب الغالب إلى عليّ بن أبي طالب». قال: أيضاً الخطيب الخوارزمي أخرجه عن ابن عبّاس. وأيضاً صاحب «روضة الفضائل» وصاحب «ثاقب المناقب» أخرجاه عن سالم بن الجعد عن جابر بن عبدالله.

وروىٰ الشبلنجي في «نور الأبصار» [ص٩٧]: أنه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن قريشاً تجمعت وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وأن غطفان تجمعت وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، واتفقوا مع بني النضير من اليهود علىٰ قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وحصار المدينة، أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله في حراسة المدينة بحفر الخندق عليها، وعمل النبي صلى الله عليه وآله بنفسه الشريفة وأحكمه في أيام، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من حفره أقبلت قريش بجموعها وجيوشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف. وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد، فنزلوا من فوق المسلمين ومن أسفلهم، كما قال تعالى: ﴿إذ جاءوكُم من فَوقِكُم ومِن أسفَلَ منكم﴾ [الاحزاب: ١٠].

فخرج النبي ﷺ ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف وجعلوا الخندق بينهم، واتفق اليهود مع المشركين علىٰ قتال رسول الله ﷺ. فلما رأىٰ المسلمون ذلك اشتدّ الأمر عليهم، وكان مع المشركين من قريش عمرو بن عبدود، وكان من مشاهيرهم الصناديد. «إلىٰ أن قال»: وقال عمرو: هل من مبارز؟ فأراد عليّ أن يبرز إليه، فأرسل النبي ﷺ لعليّ أن لا يبرز إليه. فجعل عمرو ينادي: هل من مبارز؟ وجعل يقول: أين حميّتكم؟ أين جنّتكم التي تزعمون أنّ من قتل دخلها؟ أفلا يبرز إليّ رجل منكم؟ وذكر أخيراً نزول قوله تعالىٰ بعد مقتل عمرو: ﴿وردّ اللهُ الّذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفىٰ الله المؤمنين القتال﴾ [الاحزاب: ٢٥].

* * *

المبحث السابع والاربعون

في قوله تعالى: ﴿ والذينَ آمَنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهدَاءُ عِندَ ربّهم ﴾ [الحديد الآية: ١٩].

إنّ للعلماء في تفسير معنىٰ الصّدّيقين والشهداء في هذه الآية، ومن المراد بهم أقوالاً، منهم ـ كما ذكر الطبرسي في «مجمع البيان» [٥: ٣٠٢؛ ط. مؤسسة التأريخ العربي] ـ: من قال: كلّ من آمن بالله ورسله فهو صدّيقٌ وشهيدٌ. وهذا القول لمجاهد.

وقيل: إنّ الشهداء منفصل مما قبله مستأنف، والمراد بالشّهداء الأنبياء عليهم السلام الذين يشهدون للأُمم وعليهم، وهو قول ابن عبّاس ومسروق ومقاتل بن حيان، واختاره الفرّاء والزجّاج، وقيل: هم الذين استشهدوا في سبيل الله، وهذا القول عن مقاتل بن سليمان وابن جرير.

ومنهم من يستدل في تحقيق معنىٰ الصّدّيقين بما ورد من الأحاديث النبوية. إذ ليس كل مؤمن يصلح بأن يكون صدّيقاً وشهيداً للأُمم أو عليهم عند ربهم، وكانوا يرون إنّما الصّدّيقون ثلاثة، كما دلّت على ذلك الأخبار والآثار، وأخرجها حفظة السنن والمحدّثون في كتبهم، منهم:

المتقي الهندي في كتابه «منتخب الكنز» بهامش مسند الامام أحمد [٥: ٣٠]: الصديقون ثلاثة: حبيب النجّار، مؤمن آل يس قال: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾، وحزقيل مؤمن آل فرعون قال: ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾، وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم. ـ أخرجه أبو نعيم في «المعرفة» وابن عساكر عن أبي ليلىٰ.

وابن حجر العسقلاني في «الإصابة» [٤: ١٧٠] بترجمه أبي ليلىٰ الغفاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان كذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنه أوّل من آمن بي، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأُمّة، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين.

والحاكم في «المستدرك» [٣: ١١٢] أخرجه مسنداً عن عليّ ﷺ قال: إني عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كاذبٌ. صلّيت قبل النّاس بسبع سنين، قبل أن يعبده أحدٌ من هذه الأُمّة.

والسيوطي في «الجامع الصغير» [ص ١٩٠ ط. دار القلم] روى عن ابن النجّار عن ابن عبّاس قال: الصدّيقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار صاحب آل يٓس، وعليّ بن أبي طالب.

ورواه ابن حجر الهيثمي في «الصواعق» [ص١٢٤] في الحديث الثلاثين عن ابن النجّار عن ابن عبّاس. وفي الحديث الحادي والثلاثين ما أخرجه أبو نعيم وابن عساكر عن أبي ليلىٰ الغفّاري بالسندين واللفظين المذكورين.

وأخرج الحديثين أيضاً الفقيه الحافظ ابن المغازلي الشافعي في «المناقب» [ص٢٤٥]. كلاهما عن أبي يعلى الغفارّي.

وفي ذيل الكتاب قال محمّد باقر البهبودي: أخرجه الامام أحمد بن حنبل في كتاب المناقب تارة [ص١٩٣] وأُخرى [ص١٥٦] ـ مخطوط بالإسناد إلى الحسن بن عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي ليلىٰ المكفوف الأنصاري «أبي حصين» بعين السند واللفظ. وهكذا أخرجه الحافظ الكنجي في «كفاية الطالب» في الباب ٢٤ [ص١٢٣] بعين السند، ولفظه «سبّاق الأُمم ثلاثة وهم الصدّيقون» ثم قال: هذا سند اعتمد عليه الدارقطني واحتجّ به.

وقال الامام المظفر في «دلائل الصدق» [٢: ١٢٦]: في ذيل قوله تعالى: ﴿والذين

آمنوا بالله ورسُلِه أُولئك هم الصّدّيقون﴾: روى أحمد بن حنبل أنها نزلت في عليّ﵇.

وقال في [ص ١٢٨]: وقد نقل في كنز العمال هذا الحديث [٦: ٣٩٤] عن ابن أبي شيبة، والنسائي في «الخصائص» وابن أبي عاصم في «السنة» والعقيلي، وأبي نعيم في «المعرفة» ونقل أيضاً [٦: ٤٠٥] عن العقيلي ومحمد بن أيوب الرازي: أنّ أمير المؤمنين﵇ قال على منبر البصرة: «أنا الصّدّيق الأكبر».

وقال: ونقل في «الكنز» أيضاً [٦: ١٥٦] عن الطبراني عن سلمان وأبي ذر معاً، وعن البيهقي وابن عدي عن حذيفة: أنّ النبي ﷺ قال في حق عليّ﵇: «إن هذا أول من آمن بي، وهو أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصّدّيق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب الدّين، والمال يعسوب الظالمين».

فإذا ثبت أن علياً﵇ هو أكمل الأُمّة تصديقاً، وجب أن يكون أفضلهم، ولا سيما هو أفضل صدّيقي أُمم الأنبياء، والأفضل هو الإمام. ولكن القوم سرقوا هذا الاسم، ونحلوه إلى أبي بكر فسمّوه صدّيقاً.

ولما علم الله سبحانه ذلك منهم، أثبت دليلاً واضحاً على كذبهم، وهو ما ألحقه بهذا الوصف من وصف الشهداء. وهذه السرقة ليست بغريبة منهم، فإنهم سرقوا أيضاً وصف الفاروق من أمير المؤمنين﵇ إلى عمر، فقد صرّح بأن علياً هو الفاروق.... «الحديث المتقدم وغيره» كالذي نقله في كنز العمال [٦: ١٥٥] عن أبي نعيم عن أبي ليلىٰ «الحديث».

ثم قال أخيراً: وقال الطبري في «المنتخب» من كتاب «ذيل المذيل» المطبوع في ذيل تأريخه [ص٩]: قال ابن سعد: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح ابن كيسان قال: قال ابن شهاب: بلغنا أنّ أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر: الفاروق، وكان المسلمون يؤثرون ذلك من قولهم، وما بلغنا أنّ رسول الله ﷺ ذكر من ذلك شيئاً.

* * *

المبحث الثامن والأربعون

في قوله تعالى: ﴿ مِن المؤمنينَ رجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهدُوا اللهَ عَلَيهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحبَه ومنهم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلوا تَبدِيلاً ﴾ [الاحزاب: ٢٣].

روىٰ الحافظ القندوزي في كتابه «ينابيع المودة» [ص٩٦ في الباب ٢٣] عن الحافظ أبي نعيم عن ابن عباس، وعن جعفر الصادق عليه السلام قالا: قال عليّ كرّم الله وجهه: كنا عاهدنا الله ورسوله، أنا وحمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث علىٰ أمر وفينا به لله ولرسوله، وتقدّمني أصحابي وخُلّفت بعدهم فأنزل الله سبحانه فينا: ﴿رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضىٰ نحبه﴾ حمزة وجعفر وعبيدة، ﴿ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾ أنا المنتظر وما بدّلت تبديلاً. أيضاً روىٰ عن محمد الباقر عليه السلام هذا الحديث.

وروىٰ ابن حجر الهيثمي في «الصواعق» [ص٢٠٧ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت وص ٨٠ ط. القاهرة]: أنه سئل عليٌّ عليه السلام وهو علىٰ المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ الآية. فقال عليه السلام: اللّهم غفراً، هذه الآية نزلت فيّ، وفي عمّي حمزة وفي ابن عمّي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى شهيداً يوم أُحد، وأما أنا فأنتظر أشقاها، يخضب هذه من هذه، وأشار بيده إلىٰ لحيته ورأسه، عهدٌ عهده إليّ حبيبي أبو القاسم صلى الله عليه وآله.

ثم قال ابن حجر: وروي أنّ علياً جاءه ابن ملجم يستحمله، فحمله ثم قال عليه السلام:

أُريد حياته ويريد قتلي عذيري من خليلي من مراد

ثم قال ﷺ: هذا والله قاتلي، فقيل له: ألا تقتله؟ فقال: فمن يقتلني؟

وفي المستدرك [٣: ١٤٣]: عن السدّي قال: كان ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج، يقال لها نظام[1]، فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم، وقتل عليّ، وفي ذلك قال الفرزدق:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة   كمهر نظام بيّن غير معجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب عليّ بالحسام المصمم
فلا مهر أغلىٰ من عليّ وإن غلا   ولا فتك إلّا دون فتك ابن ملجم

قال الأميني ﷺ «في الغدير» [٢: ٥١]: أخرج الخطيب الخوارزمي في المناقب [ص١٨٨] وصدر الحفّاظ الكنجي في الكفاية [ص١٢٢] نقلاً عن ابن جرير وغيره من المفسّرين، أنّه نزل قوله تعالى: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ في حمزة وأصحابه، كانوا عاهدوا الله تعالى لا يولّون الأدبار، فجاهدوا مقبلين حتّى قتلوا ﴿ومنهم من ينتظر﴾ عليّ بن أبي طالب مضى على الجهاد ولم يبدّل ولم يغيّر الآثار. ثم ذكر ما رواه ابن حجر في صواعقه [ص٢٠٧ ط. دار الكتب العلمية].

وذكر الفيروزآبادي في «فضائل الخمسة» [١: ٢٨٧ ط. دار الكتب الاسلامية ـ طهران]: ما رواه ابن حجر أيضاً في صواعقه. وكذا أيضاً في «دلائل الصدق» [٢: ١٦٤]: ورواه أيضاً الشبلنجي في «نور الأبصار» [ص١١٩] عن «الفصول المهمة».

وفي تفسير «مجمع البيان» [٧ ـ ٨: ٣٤٩ ـ ٣٥٠، ط. دار إحياء التراث العربي]: قال الطبرسي في قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجالٌ صدَقُوا ما عاهدوا اللهَ عليه﴾ أي بايعوا أن لا يفرّوا، فصدقوا في لقائهم العدو، ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنّىٰ فذلك قضاء النحب، وقيل: قضىٰ نحبه معناه: فرغ من عمله، ورجع إلى ربّه، يعني من استشهد يوم أحد، عن محمد بن اسحاق. وقيل: معناه قضىٰ أجله على الوفاء والصدق،

(١) هكذا في الأصل، وقيل إنها «قطام» كما في مقتل أمير المؤمنين ﷺ لابن بكر عبدالله بن محمد، ص٨٦ ط. وزارة الارشاد ـ طهران.

عن الحسن. وقال ابن قتيبة: أصل النحب النذر، وكان قوم نذروا إن يلقوا العدو أنّ يقاتلوا حتىٰ يقتلوا أو يفتح الله، فقتلوا.

وروي عن ابن عبّاس قال: **﴿من قضى نحبه﴾** حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه، وأنس بن النضر وأصحابه. وقال الكلبي: ما بدّلوا العهد بالصبر ولا نكثوه بالفرار. وروىٰ الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت عن أبي اسحاق عن عليّ عليه السلام قال: فينا نزلت: **﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾** فأنا والله المنتظر، وما بدّلت تبديلاً. ورواه أيضاً الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [١٦: ٢٠٤]: عن المجمع ما رواه الحسكاني.

* * *

المبحث التاسع والأربعون

في قوله تعالى: ﴿ والـذي جـاءَ بـالـصِّـدقِ وصَـدَّقَ بـهِ أُولـئـك هـم المتَّقُـون ﴾ [الزمر: ٣٣].

لقد اتفقت أكثر أقوال المفسّرين على أن ﴿الذّي جاء بالصّدق﴾ هو النبيﷺ واختلفت أقوال بعضهم في تفسير ﴿وصَدّق بهِ﴾.

فمنهم من قال: بأن الذي ﴿صدّق بهِ﴾ هو أبو بكر الصدّيق، فلذلك زعموا بأن الآية نزلت فيه. ومنهم من قال بنزولها في عليّ؈ ومنهم من قال غير ذلك.

فأما من قال بنزولها في أبي بكر؄ فبرواية رواها الطبري في تفسيره «جامع البيان» عن عمر بن إبراهيم، عن عبد الملك بن عمير، عن أُسيد بن صفوان. ولكن هذه الرواية لم تكن لهم حجّة ناهضة أمام مخالفيهم لضعف سندها، فإن عمر بن إبراهيم هو أحد الكذّابين، كما نقله الذهبي في كتابه «ميزان الاعتدال» [٣: ١٧٩] وعن الدارقطني أنه قال: بأن عمر بن إبراهيم، كذّاب. ونقل فيه عن الخطيب قال: إنه غير ثقة.

وأما عبد الملك بن عمير، فقد نقل الذهبي في ميزانه [٢: ٦٦٠]بأن أبا حاتم قال: ليس بحافظ، تغيّر حفظه. وقال أحمد: ضعيف يغلط. وقال ابن معين: مخلط. وأما أُسيد بن صفوان، فقد نقل الذهبي كما في آخر السطر من الصفحة المذكورة بأنه مجهول.

فلا تعجبن على من مال إلى هذه الرواية مع عدم صحتها كما قد علمت، ووجود رواية مصرّحه بنزولها في عليّ؈ فعدلوا عنها. ولعلّ المنصف المستقيم يدري ما الذي حملهم على ذلك، ودفعهم إليه.

وقد صرّح رسول الله ﷺ بأن علياً مع القرآن والقرآن مع عليّ. والحق مع عليّ وعليّ مع الحقّ. وأخرج ابن عساكر فيما رواه ابن حجر في «الصواعق» [ص١٢٥]: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في عليّ. وفيه أيضاً: نزل فى عليّ ثلاثمائة آية. وفي [ص١١٨] منه قال أحمد: ما جاء لأحد من الفضائل ما نزل في عليّ.

وأما من قال إن الذي جاء به «جبريل» والذي صدّق محمد، قال الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [١٧: ٢٦٤]: هذا تطبيق، غير أن السياق يدفعه، فإن الآيـات مسـوقة لوصف النبيّ ﷺ والمؤمنين، وجبريل أجنبي عنه لا تعلّق للكلام به.

وروىٰ فيه نقلاً عن «المجمع» في قوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصّدق وصدّق به﴾ قيل: الذي جاء بالصدق محمّد ﷺ ﴿وصدّق به﴾، عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو المروي عن أئمة الهدىٰ من آل محمد ﷺ.

وأخرج الفقيه الحافظ ابن المغازلي في كتابه «المناقب» [ص٢٦٩] مسنداً، قـال: أخبرنا عليّ بن الحسين بن الطيّب إذناً، قال: حدّثنا عليّ بن محمّد بن أحمد، حدّثنا عبدالله ابن محمّد الحافظ، حدّثنا الحسين بن عليّ، حدّثنا محمّد بن الحسن، حدّثنا عمر بن سعيد عن ليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿والذي جاءَ بالصّدق وصدّقَ بِهِ﴾ قال: جـاء بـه محمّد ﷺ وصدّق به عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وفي «دلائل الصدق» [٢: ١١٦ ـ ١١٧]: فقد روىٰ الإمام المظفر الحديث من طريق ابن المغازلي ومن طريق أبي نعيم في ذيل الآية، ثم قال: فيكون الجميع متحداً في المراد، وأن المقصود بثاني الوصفين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

الى أن قال في آخر كلام: هذا ومن المضحك ما ذكره الرازي في المقام، قال: «أجمعوا علىٰ أن الأسبق الأفضل إما أبو بكر وإما عليّ، وحمل هذا اللفظ علىٰ أبي بكر أولىٰ، لأن علياً كان وقت البعثة صغيراً، فكان كالولد الصغير الذي يكون في البـيت، ومـعلوم أن إقدامه علىٰ التصديق لا يفيد مزيد قوة وشوكة، أما أبو بكر كان رجلاً كبيراً في السـن،

كبيراً في المنصب، فإقدامه على التصديق يفيد مزيد قوة وشوكة في الإسلام، فكان حمل اللفظ علىٰ أبي بكر أولىٰ».

قال المظفر ردّاً على هذا القول الذي يتضمن ما يمس كرامة أمير المؤمنين عليه السلام: فإن مزيد الشوكة لاربط له بالأولوية المذكورة، لأن التصديق فرع المعرفة والتقى، لا الشوكة. ولذا مدح الله سبحانه وتعالى من جاء بالصّدق وصدّق به: بالتقوى، فقال: **﴿فأُولئك هم المتقون﴾** ومن المعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام أقرب إلى المعرفة والتقوىٰ من أبي بكر، فإنه لم يعبد صنماً قط، خلافاً لقومه، وعبدها أبو بكر مدّة من عمره، وطهرّه الله سبحانه من الرجس ولم يطهرّ أبا بكر، وصلّى مع رسول الله سبع سنين قبل أبي بكر وغيره، ولا منافاة بين الصغر والمعرفة والكمال، ولذا دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الاسلام وهو صبي، فكان أخص النّاس به وأطوعهم له، وجعله خليفته ووزيره عندما جمع عشيرته الأقربين في أوّل البعثة ودعاهم إلى الاسلام.

كما جعل الله يحيىٰ نبياً، وآتاه الحكم صبياً، وكذلك عيسى ويوسف وسليمان، وقد مدح الله الحسنين عليهما السلام وهما طفلان بقوله سبحانه: **﴿إن الأبرار يشربون﴾**، **﴿ويخافون يوماً﴾**، **﴿ويطعمون الطعام علىٰ حبه﴾**، **﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾** الآيات.

ولو سلّم دخل الشوكة والقوة والمنصب بأولوية الوصف بالتصديق، فأي قوّة وشوكة لأبي بكر؟ وهو من أرذل بيت في قريش، كما قاله أبو سفيان، وأي منصب له وهو كان خياطاً ومعلّماً للصبيان؟ فأين هو من أسد الله ورسوله وابن سيّد البطحاء؟ الذي إن لم يزد الاسلام بنفسه قوة، فباتصاله بأبيه وتعلّقه به (الخ).

ورواه السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [٧: ٢٢٨]: عن ابن مردويه عن أبي هريرة **﴿والذي جاء بالصّدق﴾** قال: رسول الله صلى الله عليه وآله **﴿وصدّق به﴾** قال: علي بن أبي طالب.

وذكر الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [٧ ـ ٨: ٤٩٨، ط. دار إحياء التراث العربي] قال:

وقيل الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وآله وصدّق به علي بن أبي طالب عليه السلام عن مجاهد، ورواه الضحّاك عن ابن عباس، وهو المروي عن أئمة الهدى عليهم السلام من آل محمد صلى الله عليه وآله.

* * *

المبحث الخمسون

في قوله تعالى: ﴿ وما كان اللهُ لِيُعَذِّبَهُم وَأنتَ فِيهِم ﴾ [الانفال: ٣٣].

قال الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي في كتابه «ينابيع المودة» [ص٢٩٨]: أشارﷺ إلى وجود ذلك المعنى في أهل بيته، وأنهم أمان لأهل الأرض كما كانﷺ أماناً لهم، وفي ذلك أحاديث كثيرة، منها: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأُمّتي» كما في المصدر أخرجه جماعة.

وفي رواية: «وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون». وفي أُخرىٰ لأحمد: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»، وفي رواية صححها الحاكم في [٣: ١٤٩؛ ط. دار المعرفة]: على شرط الشيخين: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا، فصاروا حزب إبليس».

وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك». وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق».

وفي رواية: «وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله غفر له».

وإن الله تبارك وتعالى لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبيﷺ جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته، لأنهم يساوونه في خمسة أشياء مرّت، ولأنه قال في حقهم: «اللهم

إنهم منّي وأنا منهم»، ولأنهم بضعةٌ منه، بواسطة أن فاطمة رضي الله عنها أُمهم بضعته ﷺ فأُقيموا مقامه في الأمان. ووجه تشبيههم بالسفينة، أن من أحبّهم وعظّمهم وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفران النعم، وهلك في مفاوز الطغيان. وورد حديث: «يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أُمّتي كهاتين السبابتين»، ويشهد له خبر: «المرء مع من أحب». ووجه تشبيههم بباب حطة، أنّ الله تعالىٰ جعل دخول ذلك الباب وهو باب أريحا، أو باب بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأُمّة مودّة أهل البيت سبباً للمغفرة.

وقد ذكر ابن حجر في «الصواعق» [ص ٩١ ط. الميمنية] هذه الآية وعدّها في الآية السابعة النازلة في أهل البيت عليهم السلام، وأورد في ذيلها الأحاديث النبوية المشيرة إلىٰ وجود ذلك المعنىٰ في أهل بيته ﷺ.

ثم قال: وقال بعضهم: يحتمل أن المراد بأهل البيت الذين هم أمانٌ، علماؤهم، لأنهم الذين يُهتدىٰ بهم كالنجوم، والذين إذا فقدوا جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون.

ثم قال: ويحتمل وهو الأظهر عندي، أنّ المراد بهم سائر أهل البيت، فإنّ الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبيّ ﷺ جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته، لأنهم يساوونه في أشياء مرّ عن الرازي بعضها، ولأنه ﷺ قال في حقّهم: «اللّهم إنّهم منّي وأنا منهم»، ولأنهم بضعةٌ منه بواسطة فاطمة أُمهم بضعته ﷺ فأُقيموا مقامه في الأمان. انتهىٰ ملخصاً.

* * *

المبحث الحادي والخمسون

في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب ﴾ [الرعد: ٢٩].

أخرج الفقيه الحافظ ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص٢٦٨] قال: أخبرنا عليّ بن الحسين بن الطّيب إذناً، حدّثنا أبو عليّ الحسن بن شاذان الواسطيّ، حدّثنا أبو محمّد جعفر ابن محمد بن نصير الخلديّ، حدّثنا عبيد بن خلف البزّار، حدّثنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم البلخيّ، حدّثنا عليّ بن ثابت القرشيّ، حدّثنا أبو قتيبة تميم بن ثابت، عن محمّد بن سيرين في قوله تعالىٰ: ﴿طوبى لهمْ وحسن مآب﴾ قال: طوبىٰ شجرة في الجنة، أصلها في حجرة عليّ بن أبي طالب، ليس في الجنّة حجرة إلّا فيها غصن من أغصانها.

وذكر الفاضل محمد باقر البهبودي في ذيل الكتاب حديثاً عن الإمام محمد الباقر عليه السلام «قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الآية فقال: هي شجرة أصلها في داري، وفرعها على أهل الجنة. فقيل: يا رسول الله سألناك عنها، فقلت: هي شجرة في الجنّة أصلها في دار عليّ وفاطمة، وفرعها علىٰ أهل الجنّة؟ فقال صلى الله عليه وآله: إن داري ودار عليّ وفاطمة واحد غداً، في مكان واحد، وهي شجرةٌ غرسها الله تبارك وتعالى بيده، ونفخ فيها من روحه، تنبت الحليّ والحلل». ـ راجع تفسير القرطبي [٩: ٣١٧]. وذكره أيضاً القندوزي في «الينابيع» [ص٩٦].

وذكر الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [٣: ٣٧٦ ط. دار إحياء التراث العربي] بأن في طوبىٰ عشرة أقوال، قال: القول العاشر: أنّ طوبىٰ شجرةٌ في الجنّة، أصلها من دار النبيّ صلى الله عليه وآله

وفي دار كل مؤمنٍ منها غصنٌ. وروىٰ عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذّاء عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام فأنكرت عليه بعض نسائه ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: إنه لما أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة، وأدناني جبرائيل عليه السلام من شجرة طوبىٰ وناولني منها تفاحةً فأكلتها، فحوّل الله في ظهري ماء، فهبطت إلى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة، فكلّما اشتقت إلىٰ الجنّة قبّلتها، وما قبّلتها إلّا وجدت رائحة شجرة طوبىٰ، فهي حوراء إنسية.

وروى الثعلبي بإسناده عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال: طوبىٰ شجرةٌ أصلها في دار عليّ عليه السلام في الجنّة، وفي دار كل مؤمنٍ منها غصنٌ. ورواه أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام.

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن موسى بن جعفر عليهما السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن طوبىٰ قال صلى الله عليه وآله: شجرةٌ أصلها في داري وفرعها علىٰ أهل الجنّة، ثم سئل عنها مرةً اخرىٰ، فقال: في دار عليّ عليه السلام فقيل في ذلك، فقال: إن داري ودار عليّ في الجنّة بمكان واحد.

وقال السّيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [٤: ٥٩]: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين رضي الله عنه، قال: شجرةٌ في الجنّة أصلها في حجرة عليّ وليس في الجنّة حجرةٌ إلّا وفيها غصنٌ من أغصانها.

وأما حديث التفاحة فقد وردت فيه روايات نقلها جماعةٌ من طرق متعددة، ومن جملتهم الذّهبي والعسقلاني، ولكنهما قد صرّحا بعدم صحّتها حتى حكما بأن الحديث موضوع، لأنهما زعما بأن ميلاد السيدة فاطمة قبل البعثة. وكأنهما لم يُعيرا جانباً من الاهتمام أو تغافلا عما ورد من الروايات عن أهل بيت النبوّة وغيرهم من أهل السنّة. كابن عبد البر وابن المغازلي وغيرهما من أعلام الفريقين.

وقبل أن نذكر تلك الروايات والأخبار، فلعلّ من الخير أنّ نقدّم أقوال المحقّقين

والمدقّقين في هذا المقام.

منهم الفاضل المحقّق محمد باقر البهبودي صاحب التعليقات على «المناقب» للحافظ الشهير بابن المغازلي [ص٣٥٨].

قال: الآراء في تأريخ ولادتها «السيدة فاطمة عليها السلام» مختلفة عندهم، فقد ذكر أبو عمر بن عبد البّر، أنها ولدت في سنة إحدىٰ وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله يعني بعد البعثة بسنة، وصحّ في رواية أهل البيت من أولاد فاطمة ـ كما روتها الشيعة من دون اختلاف ـ أنها ولدت لخمس بعد بعثته صلى الله عليه وآله. ويؤيد ذلك بل يعينه أن سورة الكوثر وفيها: ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾ نزلت في العاص بن وائل السهمي، حين رمىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه أبتر. وذلك بعد ما مات ابنه الطيّب المولود في الاسلام، كما رواه ابن عساكر في التأريخ الكبير، على ما في منتخبه [١: ٢٩٢] والبلاذري في أنسابه [١: ٤٠٥] وغيره في غيره.

فبعد ما ثبت بالإجماع عند أهل النقل أنّ فاطمة أصغر أولاد الرسول صلى الله عليه وآله لا يكون ذلك إلّا بعد المبعث بسنين، كما أن المراد بالكوثر المبشّر به إنما يكون فاطمة، لانقطاع نسل الرسول من غيرها وانتشاره منها، والمراد بالنحر العقيقة. على أن ابن حجر العسقلاني هو الذي نص في تهذيبه [١٢: ٤٤١] أنّ علياً عليه السلام تزوج فاطمة عليها السلام في السنة الثانية من الهجرة، وكان سنّها يوم تزوّجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف الشهر. وعلىٰ هذا تكون ولادتها عام المبعث كما اختاره ابن عبد البّر، لا قبله بخمس سنوات.

ويؤيّد ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعدها لعليّ عليه السلام ثم زفّها إليه بعد سنة أو سنتين، ولم يكن هذا التأخير إلّا لأن يتم لها تسع سنين، على ما ترويه الشيعة من أهل بيتها، بل وقد نص علىٰ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله على ما أخرجه النسائي في «الخصائص» [ص٣١] وأحمد بن حنبل في «الفضائل» كما في تذكرة السبط [ص٣١٦ ط. الغري، وص١٧٣ ط. ايران]. والخطيب في «مشكاة المصابيح» [٤: ٢٤٦ ط. دمشق وفي ص٥٦٥ ط. لكنهو]: من طريق النسائي عن عبدالله ابن بريدة عن أبيه قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنها صغيرة».

فهل تكون الفتاة وهي ابنة خمس عشرة سنة أو سبع عشرة سنة صغيرة؟

بل ولو صحّ ما يقولونه من أنها ولدت قبل البعثة بخمس، لكان لها يوم زواجها عشرون سنة، فكيف أخّر رسول الله ﷺ تزويجها إلى تلك السنة؟ ولِمَ أخّر زفافها إلى سنة أو سنتين مع هذا الحد من سنّها؟ وهي قد جاوزت حد الزواج علىٰ رسمهم في تزويج بنات الأشراف. كما نرىٰ رسول الله ﷺ زوّج ابنتيه أم كلثوم ورقية من ابني عمه أبي لهب في صغرهما، حتى أنهما يوم فارقهما بأمر أبي لهب لم يكونا قد بنيا بهما لصغرهما.

بل وكيف لم يرغب أحد من أشراف الصحابة في زواجها فيخطبها من رسول الله ﷺ بمكّة، وفي زواجها الشرف المؤبّد؟ وكيف لم يخطبها أبو بكر ولا عمر ولا غيرهما قبل الهجرة، وأخّرا خطبتها إلىٰ ما بعد الهجرة؟ وكيف يعتذر الرسول إليهما بأنها صغيرة وهي بنت عشرين؟ على أن ابن حجر وأمثاله كيف يحكمون بوضع هذه الأحاديث المتضافرة عن طريق الفريقين وقد تابع حديث بعضهم حديث بعض؟ وإنما يستدلّون علىٰ ذلك برواية ابن إسحاق. فهل هذه إلّا رواية واحدة تخالفها هذه النصوص المتضافرة ويضادها الاعتبار الصحيح والقرائن التأريخية.

فمن القرائن ما روي من قول رسول الله ﷺ: «فاطمة حوراء آدمية[1] لم تحض ولم تطمث، وإنما سمّاها فاطمة لأن الله فطمها ومحبّيها عن النار». أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه [١٢: ٣٣١] والمحب الطبري في «ذخائر العقبىٰ» [ص٢٦] وقال: خرّجه النسائي. فلولا أنها كانت نطفتها متكوّنة من فواكه الجنة، لما كانت حوراء آدمية لا تحيض ولا تطمث. ولولا أنها ولدت بعد النبوّة والوحي لما كانت تسميتها بأمر من الله عزّوجلّ كما سيأتي ذلك في الأخبار الواردة.

ولنعطف الآن قبل أن نذكر من تلك الأخبار والروايات ما قاله المدقق التأريخي الفاضل جعفر مرتضىٰ العاملي في كتابه «الصحيح من سيرة النبي الأعظم» [١: ٢٦٩]

(١) في بعض الأحاديث «إنسية».

الفصل الثالث «الإسراء والمعراج».

وبعد بعثة النبي ﷺ وفي أثناء المرحلة السرّية، التي استمرّت ثلاث، أو خمس سنوات، كان على الأرجح الإسراء والمعراج. الإسراء إلى بيت المقدس، حسب نص القرآن الكريم. والمعراج من هناك إلى السماء، الذي وردت به أخبار كثيرةٌ.

وحيث إن التفاصيل الدقيقة لهاتين القضيتين، يصعب الجزم في كثير منها إلّا بعد البحث الطويل والعميق.. وذلك لأن هذه القضية وجزئياتها قد تعرّضت على مرّ الزمان للتلاعب والتزيّد فيها، من قبل الرواة والقصاصّين، بل من قبل أعداء الاسلام بهدف تشويه هذا الدين، وإظهاره على أنّه يحوي الأساطير والخرافات. ولذا فنحن لا نستطيع في هذه العجالة أن نعطي تصوّراً دقيقاً عنه،.. ولذا فإننا نكتفي بالإشارة إلى بعض الجوانب التي رأينا أن من المناسب التعرّض لها.... فنقول:

متى كان الإسراء والمعراج؟

إنّ المشهور هو أنّ الإسراء والمعراج قد كان قبل الهجرة بمدّة وجيزة. فبعضهم قال ستة أشهر، وبعضهم قال في السنة الثانية عشرة للبعثة، أو في الحادية عشرة أو في العاشرة... وقيل بعد الهجرة.

وفي مقابل ذلك نجد البعض يقول: إنّه كان في السنة الثانية من البعثة، وقيل في الخامسة، وقيل في الثالثة، وهو الأرجح عندنا، ولعلّ ابن عساكر يختار ما يقرب مما ذكرنا، حيث إنّه ذكر الإسراء في أوّل البعثة، كما ذكره عنه ابن كثير في تأريخه «البداية والنهاية» [٣: ١٠٨].

وقال مغلطاي بعد أن ذكر الأقوال: وقيل: كان بعد النبوة بخمسة أعوام، وقيل: بعام ونصف عام. وقال عيّاض: بعد مبعثه بخمسة عشر شهراً. سيرة مغلطاي [ص٢٧].

وقال الملّا علي القاري: وذكر النووي: أن معظم السلف وجمهور المحدّثين والفقهاء، على أنّ الإسراء والمعراج كان بعد البعثة بستة عشر شهراً. «شرح الشفاء» [١: ٢٢٢].

وقال ابن شهر آشوب في مناقبه [١: ٤٣]: ثم فرضت الصلوات الخمس بعد إسرائه في السنة التاسعة من نبوته، ولكنّه لم يبين لنا تأريخه بالتحديد.

وقال الديار بكري في «تاريخ الخميس» [١: ٣٠٧]: فأما سنة الإسراء، فقال الزّهري: كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين، حكاه القاضي عيّاض ورجّحه القرطبي، والنووي. وقيل بعد الهجرة بسنة «الخ».

وأما ما يدل على أن الإسراء قد كان في السنوات الأُولىٰ من البّعثة، فلنذكر:

الأول: جميع ما تقدّم ولا سيّما ما ذكره النووي، والزهري، وابن شهر آشوب وغيرهم.

الثاني: ما روي عن ابن عبّاس، من أنّ ذلك كان بعد البعثة بسنتين.

الثالث: وقد ورد عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام: أن الإسراء قد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه. وهذا هو الأصح والمعتمد كما سيظهر مما يلي.

الرابع: ويدلّ علىٰ ذلك بشكل قاطع ما روي عن ابن عباس، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، والامام الصادق عليه السلام وعائشة: من أنّه صلى الله عليه وآله قال لعائشة، حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته سيّدة النساء فاطمة عليها السلام: «نعم يا عائشة، لما أُسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنّة، فناولني منها تفاحة فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النّطفة، ففاطمة حوراء إنسية، وكلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتها»[١].

---

(١) تاريخ بغداد ج ٥ ص٨٧. ـ المواهب اللدنية للزرقاني المالكي ج ٢ ص٢٩. ـ مقتل الحسين للخوارزمي ص٦٣ ـ ٦٤. ذخائر العقبىٰ للطبري ص٣٦. ـ وميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص٨١ ط. دار المعرفة ـ مستدرك الحاكم ج ٣ ص١٥٦ وتلخيص الذهبي. مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص٢٠٢. ـ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص٩٧. نزهة المجالس ج ٢ ص١٧٩. ومناقب ابن المغازلي ص٣٥٨. ـ والبحار ج١٨ ص٣١٥ وص ٣٥٠ وص٣٦٤. ـ والمختصر ص١٣٥. ـ وعلل الشرائع ص٧٢. ـ وتفسير القمي ص٣٤١ وص٢٤٢. ـ وملحقات احقاق الحق للمرعشي ج ١٠ ص١ ـ ١١، عن بعض من تقدم، وعن محاضرات الأوائل ص٨٨. ونظم درر السمطين ص٧٧. وأرجح المطالب ص٧٣٩. ـ ووسيلة المآل ص٧٨ ـ ٧٩. وإعراب ثلاثين سورة ص١٢٠. وكنز العمال ج ١٤ ص٩٧ وج٣ ص٩٤. ومفتاح النجا ص٩٨ واخبار الدول ص٨٧. وميزان الاعتدال ج ١ ص٣٨ وص ٢٥٢ ـ وج ٢ ص٢٦ ص ٨٤.

ومعلوم مما سبق: أنّ فاطمة قد ولدت بعد البعثة بخمس سنين، فالإسراء والمعراج، كانا قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، ولعلّه قبل ذلك بسنتين، حتى أذن الله لتلك النطفة بالظهور، والاستقرار في موضعها.

الخامس: أن سورة الإسراء قد نزلت في أوائل البعثة، ويدلّ على ذلك:

أ ـ ما رواه البخاري وغيره، من أن قوله تعالى في سورة الإسراء: **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾**: قد نزل بمكّة، ورسول الله ﷺ مختف، كان إذا صلّىٰ بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به..... الخ.

ب ـ ما ذكره البعض في مقال نشرته مجلة الوعي الاسلامي المغربية عدد [١٦٣ص٥٦] من أن سورة الإسراء قد نزلت بعد الحجر بثلاث سور، وسورة الحجر قد نزلت في المرحلة السرّية، وفيها جاء قوله تعالى: **﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾**... الخ.

السادس: أن سورة النجم التي يذكرون أنها تذكر المعراج في آياتها، قد نزلت هي الأُخرىٰ في أوائل البعثة، فإنها قد نزلت بعد اثنتين أو ثلاث وعشرين سورة، ونزل بعدها أربع وستون سورة في مكّة. وسيأتي في قصة الغرانيق المكذوبة أو المحرفة، إنهم يقولون: إنها إنما نزلت بعد الهجرة إلى الحبشة بثلاثة أشهر، والهجرة إلى الحبشة كانت في السنة الخامسة.... الخ.

ملاحظة: إنه إذا تأكد لنا أن الإسراء والمعراج كان في السنّة الثالثة من البعثة، أي قبل أن يسلم من المسلمين أربعون رجلاً، ... فإننا نعرف أن الإسراء قد كان قبل إسلام أبي بكر بمدّة طويلة،... لأنّه كما تقدم قد أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً، بل إنما أسلم حوالي السنة الخامسة من البعثة، أي بعد وقوع المواجهة بين قريش وبين النبي ﷺ فهو أوّل من أسلم بعد هذه المواجهة على الظاهر.

وإذا كان الإسراء قد حصل قبل إسلامه بمدة طويلة، فلا يبقىٰ مجالٌ لتصديق ما

يذكر، من أنّه قد سمّي صدّيقاً حينما صدّق رسول الله ﷺ في قضية الإسراء.

ولنعد الآن بعد ذكر تلكم الأقوال إلىٰ ما نحن بصدده من ذكر الأخبار الواردة في كتب القوم. منها كتاب «المناقب» للحافظ ابن المغازلي الشافعي [ص٣٥٧ برقم ٤٠٦]. أخرج بالإسناد عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله ﷺ يكثر القبل لفاطمة عليها السلام، فقالت له عائشة: يا نبي الله إنّك لتكثر قبل فاطمة عليها السلام؟ فقال النبي ﷺ: «إن جبرئيل ليلة أُسري بي أدخلني الجنّة وأطعمني من جميع ثمار الجنّة، فصار ماءً في صلبي، فواقعت خديجة، فحملت خديجة بفاطمة، فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبّلت فاطمة، فأصبت من رائحتها قصم الثمار التي أكلتها».

وأخرج في [ص٣٥٩ برقم ٤٠٧] مسنداً عن سعد بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أُسري بي أتاني جبرئيل عليه السلام بسفرجلة من الجنّة فأكلتها، فواقعت خديجة فعلقت بفاطمة، فكنت إذا اشتقت إلىٰ رائحة الجنّة، شممت رقبة فاطمة، فأجد رائحة الجنة».

وروى الذهبي في كتابه «ميزان الاعتدال» [١: ٥٤١] من طريقين: عن ابن عبّاس، وعن عمر. فالأول عن ابن عبّاس: كان النبيّ ﷺ يقبّل فاطمة وقال: «إن جبرئيل ليلة أُسري بي دخلت الجنة فأطعمني من جميع ثمارها، فصار ماءً في صلبي، فحملت خديجة بفاطمة، فإذا قبّلتها أصبت من رائحة تلك الثمار».

والحديث الثاني عن عمر مرفوعاً: «أتاني جبرئيل ليلة أربع وعشرين من رمضان، ومعه طبق من رطب الجنّة، فأكلت منه وواقعت خديجه فحملت بفاطمة».

قال الذهبي: فاطمة ولدت قبل أن ينزل جبرئيل بسنوات.

وروى أيضاً في ميزانه [٢: ٤٠٠]: مسنداً من طريق عبدالله بن جرير عن ابن عبّاس. وفي [٢: ٥١٨] أيضاً مسنداً من طريق عبدالله بن واقد عن عائشة.

الحديث الاوّل عن ابن عبّاس قال: لما ولدت فاطمة بنت النبي ﷺ سمّاها المنصورة، فنزل جبرئيل فقال: الله يقرئك السلام ويُقرئ مولودك السلام. الحديث بطوله

سيأتي في ترجمة مجالد بن سعيد.

والحديث من طريق عبدالله بن واقد عن عائشة: أن النبي ﷺ كان كثيراً ما يقبّل نحر فاطمة، فقلت: يا رسول الله، أراك تفعل شيئاً لم أكن أراك تفعله، قال ﷺ: «أو ما علمت يا حميراء، أن الله لما أسرىٰ بي إلى السماء أمر جبرئيل فأدخلني الجنّة، وأوقفني على شجرة ما رأيت رائحة أطيب منها، ولا أطيب ثمراً، فأقبل جبرئيل يفرك ويطعمني، فخلق الله منها في صلبي نطفة، فلما صرت إلى الدنيا واقعت خديجة فحملت، وإني كلّما اشتقت إلى رائحة تلك الشجرة شممت نحر فاطمة، فوجدت رائحة تلك الشجرة منها، وإنها ليست من نساء أهل الدنيا ولا تعتلّ كما يعتلّ أهل الدنيا».

وروى أيضاً في «ميزانه» [٣: ٤٣٩] من طريق مجالد عن ابن عبّاس قال: لما ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ سمّاها المنصورة، فنزل جبرئيل فقال: يا محمد: الله يُقرئك السلام، ويقرئ مولودك السلام، وهو يقول: ما ولد مولود أحبّ إليّ منها، وأنها قد لقّبها باسم خير مما سمّيتها، سمّاها فاطمة، لأنها تفطم شيعتها من النار. قال الذهبي ـ كعادته فيما مرّ من الاحاديث ـ: هذا كذب صريح، لأنها ولدت من قبل البعثة بخمس سنين أو نحوها.

فهذا القول خلاف ما قد علمنا من البيانات الساطعة والبراهين القاطعة، من أقوال المحقّقين والمدقّقين فيما تقدم. والله الموفق للصواب والأعلم به.

وروى الحاكم في «المستدرك» [٣: ١٥٦]: بالإسناد إلى سعد بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبرئيل عليه السلام بسفرجلة من الجنّة فأكلتها ليلة أُسري بي، فعلقت خديجة بفاطمة، فكنت إذ اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رقبة فاطمة». وقال الحاكم: حديث غريب الإسناد والمتن، وشهاب بن حرب مجهول، والباقون من رواته ثقات.

وقد ذكر السيد المرتضىٰ الحسيني في كتابه النفيس «فضائل الخمسة» [٣: ١٢٣ ـ ١٢٤]: ما رواه أعلام القوم: بأن نطفة السيّدة المطهّرة فاطمة الزهراء عليها السلام انعقدت

من ثمار الجنة، وإنها حوراء إنسيّة لم تحض ولم تطمث، منهم:

الإمام السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» في ذيل تفسير قوله تعالىٰ: ﴿سبحان الّذي أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾ قال: أخرج الطبراني عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لما أُسري بي إلى السماء ادخلت الجنّة فوقفت على شجرة من أشجار الجنّة لم أر في الجنّة أحسن منها ولا أبيض ورقاً ولا أطيب ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرتها، فأكلت فصارت نطفةً في صلبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة رضي الله عنها فإذا أنا اشتقت إلىٰ ريح الجنّة شممت ريح فاطمة».

وفي «ذخائر العقبىٰ» [ص٣٦] روى الطبري عن ابن عبّاس قال: كان النبي ﷺ يكثر القبل لفاطمة عليها السلام، فقالت له عائشة: إنك تكثر تقبيل فاطمة، فقال ﷺ: «إن جبرئيل ليلة أُسري بي أدخلني الجنّة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماءً في صلبي فحملت خديجة بفاطمة، فإذا اشتقت لتلك الثمار قبّلت فاطمة، فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها». قال: خرّجه أبو الفضل بن خيرون.

وفي «ذخائر العقبىٰ» أيضاً [ص٤٤] قال: روى الملّا في سيرته أنّ النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل بتفاحة من الجنّة فأكلتها، وواقعت خديجة فحملت بفاطمة». فقالت: إني حملت حملاً خفيفاً فإذا خرجت حدّثني الذي في بطني، فلما أرادت أن تضع بعثت إلىٰ نساء قريش ليأتينها، فيلين منها ما يلي النساء ممن تلد، فلم يفعلن وقلن: لا نأتيك وقد صرت زوجة محمّد، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة، عليهن من الجمال والنور ما لا يوصف. فقالت لها إحداهن: أنا أُمّك حواء، وقالت الأخرىٰ: أنا آسية بنت مزاحم، وقالت الأخرىٰ: أنا كلثم أُخت موسىٰ، وقالت الأخرىٰ: أنا مريم بنت عمران أُم عيسىٰ، جئنا لنلي من أمرك ما تلي النساء. فولدت فاطمة سلام الله عليها، فوقعت حين وقعت على الأرض ساجدة رافعة إصبعها.

وفي «تأريخ بغداد» [١٢: ٣٣١] للخطيب، أنّه روى بسنده عن ابن عبّاس قال: قال

رسول الله ﷺ: «ابنتي فاطمة حوراء آدمية، لم تحض ولم تطمث، وإنما سمّاها فاطمة لأن الله فطمها ومحبّيها عن النار».

وذكره ابن حجر أيضاً في «صواعقه» [ص٩٦] وقال: اخرجه النسائي.

وفي «تأريخ بغداد» أيضاً [٥: ٨٧]، روى بسنده عن عائشة قالت: يا رسول الله مالك إذا جاءت فاطمة قبّلتها حتى تجعل لسانك في فيها كلّه، كأنّك تريد أن تلعقها عسلاً؟ قال ﷺ: «نعم يا عائشة: إني لما أُسري بي إلى السماء أدخلني جبريل الجنّة، فناولني منها تفاحة فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، وهي حوراء إنسّية، كلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتها».

أقول: وذكره المحب الطبري في «ذخائر العقبىٰ» [ص٣٦] وقال: أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوّة».

وفي «ذخائر العقبىٰ» أيضاً [ص٤٤] ذكر حديثاً عن أسماء في ولادة فاطمة بالحسن عليه السلام قالت أسماء: يا رسول الله، إني لم أر لها دماً في حيض ولا في نفاس، فقال ﷺ: «أما علمت أن ابنتي طاهرة مطهّرة لا يرىٰ لها دم في طمث ولا ولادة».

* * *

المبحث الثاني والخمسون

في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيتي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهدِي الظَّالمِين... ﴾ [البقرة: ١٢٤].

أخرج ابن المغازلي في «المناقب» [ص٢٧٦]: أخبرنا أبو أحمد الحسن بن أحمد بن موسىٰ الغندجانيّ، أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد الحفّار، حدّثنا إسماعيل بن عليّ بن رزين، قال: حدّثني أبي وإسحاق بن إبراهيم الدبريّ، قالا: حدّثنا عبد الرزاق، قال: حدّثني أبي عن مينا مولىٰ عبد الرّحمن بن عوف عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم». قلنا: يا رسول الله، وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال ﷺ: «أوحىٰ الله عزّوجلّ إلى إبراهيم: **﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾**، فاستخف إبراهيم الفرح، قال: يا ربّ ومن ذريتي ائمةً مثلي، فأوحىٰ الله إليه: أن يا إبراهيم إني لا أُعطيك عهداً لا أفي لك به. قال: يا ربّ ما العهد الذي لا تفي لي به؟ قال: لا أعطيك لظالم من ذريتك، قال إبراهيم عندها: **﴿واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيراً من النّاس﴾**. قال النبيّ ﷺ: فانتهت الدعوة إليّ وإلىٰ عليّ، لم نسجد أحدٌ منّا لصنم قط، فاتّخذني الله نبيّاً واتخذ علياً وصياً».

وقال الطباطبائي في تفسير «الميزان» [١: ٢٧٣]: في قوله تعالىٰ: **﴿إني جاعُلك للنّاسِ إمَاماً﴾** أي مقتدىٰ يقتدي بك النّاس ويتبّعونك في أقوالك وأفعالك. فالامام هو الّذي يقتدىٰ ويؤتم به. «إلى أن قال»: وقال تعالىٰ: **﴿يوم ندعو كلَّ أُناسٍ بإمامهم﴾**[1]... فالامام

(١) الاسراء: ٧١.

هو الذي يسوق النّاس إلى الله سبحانه وتعالىٰ، يوم تبلىٰ السرائر، كما أنه يسوقهم إليه في ظاهر هذه الحياة الدنيا وباطنها.

والآية مع ذلك تفيد أن الإمام لا يخلو منه زمان من الأزمنة، وعصر من الأعصار، لمكان قوله تعالى: ﴿كلّ أُناسٍ﴾. ثم إن هذا المعنىٰ، أعني الإمامة، على شرافته وعظمته، لا يقوم إلّا بمن كان سعيد الذات بنفسه، إذ الّذي ربّما تلبّس ذاته بالظلم والشقاء، فإنما سعادته بهداية من غيره، وقد قال الله تعالى: **﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلى الحقّ أَحقُّ أَن يُتَّبعَ أَمَّن لا يهِدِّي إِلا أَن يُهدَىٰ﴾**[1] وقد قوبل في هذه الآية بين الهادي إلى الحقّ وبين غير المهتدي إلّا بغيره، أعني المهتدي بغيره، وهذه المقابلة تقتضي أن يكون الهادي إلىٰ الحقّ مهتدياً بنفسه، وأن المهتدي بغيره لا يكون هادياً إلى الحقّ البتّة.

ويستنتج من هنا أمران: أحدهما: أن الامام يجب أن يكون معصوماً عن الضلال والمعصية، وإلّا كان غير مهتدٍ بنفسه، كما مرّ، كما يدلّ عليه أيضاً قوله تعالىٰ: **﴿وجَعلنَاهُمْ أَئمَّةً يَهدُون بِأمرنَا وَأَوحينا إِلَيهم فعلَ الخَيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾**[2].

فأفعال الإمام خيرات يهتدي إليها، لا بهدايةٍ من غيره، بل باهتداء من نفسه بتأييد إلهيّ، وتسديد ربانيّ.

قال العبدي:

وقالوا رسول الله ما اختار بعده ... إماماً لنا لكن لأنفسنا اخترنا
فقلنا إذن أنتم إمام إمامكم ... بفضل من الرّحمن تهتم وما تهنا
ولكنّنا اخترنا الذّي اختار ربنّا ... لنا يوم «خمّ» لا ابتدعنا ولا جرنا
سيجمعنا يوم القيامة ربّنا ... فتجزون ما قلتم ونجزىٰ بما قلنا

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) الانبياء: ٧٣.

هدمتم بأيديكم قواعد دينكم ودين على غير القواعد لا يُبنىٰ
ونحن على نورٍ من الله واضح فيا ربّ زدنا منك نوراً وثبّتنا[1]

والدليل عليه قوله تعالىٰ: ﴿فعل الخيرات﴾ بناءً علىٰ أنّ المصدر المضاف يدلّ علىٰ الوقوع، ففرق بين مثل قولنا: وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات، فلا يدلّ علىٰ التحقيق والوقوع، بخلاف قوله تعالىٰ: ﴿وَأوحينا إليهم فعل الخيراتِ﴾ فهو يدلّ علىٰ أن ما فعلوه من الخيرات إنما هو بوحي باطني وتأييد سماويّ، والثاني عكس الأمر الأول، وهو أن من ليس بمعصوم فلا يكون إماماً هادياً إلى الحقّ البتة.

وبهذا البيان يظهر: أن المراد بالظالمين في قوله تعالىٰ: ﴿قال ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ مطلق من صدر عنه ظلم ما من شرك أو معصية، وإن كان منه في برهة من عمره، ثم تاب وصلح.

وقد سئل احد أساتيذنا رحمة الله عليه عن تقريب دلالة الآية على عصمة الإمام، فأجاب: أنّ الناس بحسب القسمة العقليّة علىٰ أربعة أقسام: من كان ظالماً في جميع عمره، ومن لم يكن ظالماً في جميع عمره، ومن هو ظالم في أوّل عمره دون آخره، ومن هو بالعكس من هذا. وإبراهيم أجلّ شأناً من أن يسأل الإمامة للقسم الأوّل والرابع من ذرّيته. وبقي قسمان وقد نفى الله أحدهما، وهو الذي يكون ظالماً في أوّل عمره دون آخره، فبقي الآخر، وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره. انتهىٰ.

وقد ظهر مما تقدم من البيان اُمور:

الأوّل: أنّ الإمامة مجعولة.

الثاني: أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً بعصمة إلهية.

الثالث: أنّ الأرض وفيها النّاس لا تخلو من إمام حق.

الرابع: أنّ الامام يجب أن يكون مؤيّداً من عند الله.

---

(١) الغدير ٤ : ١٥٩.

الخامس: أن أعمال العباد غير محجوبة عن علم الامام.

السادس: أنه يجب أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور معاشهم ومعادهم.

السابع: أنّه يستحيل أن يوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس[1].

ومما ذكر في بحثه الروائي:[2]

في الكافي [١: ١٧٥؛ ط. دار الكتب الاسلامية]: عن الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالىٰ اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبياً، وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإنّ الله اتخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: ﴿إنّي جاعلُك للنَّاسِ إماماً﴾ قال عليه السلام: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿ومن ذُريَّتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ قال: لا يكون السفيه إمام التقي».

وعن المفيد عن درست وهشام عن الصادق عليه السلام قال: قد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام، حتىٰ قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريّتي﴾ فقال تبارك الله وتعالىٰ: ﴿لا ينالُ عهدي الظالمين﴾ من عبد صنماً أو وثناً أو مثالاً لا يكون إماماً.

وفي أمالي الشيخ [ص٣٧٩ ط. مؤسسة البعثة] مسنداً، وعن مناقب ابن المغازلي [ص٢٧٧]: مرفوعاً، عن ابن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه وآله في الآية، عن قول الله لإبراهيم: من سجد لصنم دوني لا أجعله إماماً، قال صلى الله عليه وآله: «وانتهت الدعوة إليّ وإلىٰ أخي عليّ، لم يسجد أحدٌ منّا لصنم قط».

وفي تفسير العيّاشي[3] بأسانيد عن صفوان الجمال قال: كنا بمكّة فجرىٰ الحديث في قول الله: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلماتٍ فأتمهن﴾ قال: أتمهن بمحمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، والائمة

(١) الميزان ١ : ٢٧٧، ط. دار الكتب الاسلامية.

(٢) الميزان ١ : ٢٧٩، ط. دار الكتب الاسلامية.

(٣) تفسير العياشي ١ : ٥٧ ط. المكتبة العلمية الاسلامية.

من ولد علي صلىٰ الله عليهم، في قول الله: ﴿ذرّيةً بعضُها مِن بعَضٍ واللهُ سميعٌ عليمٌ﴾.

قال المؤلف الطباطبائي شرّف الله قدره ومجهوده: والرواية مبنية على كون المراد بالكلمة «الإمامة» كما فسّرت في قوله تـعالى: ﴿فإنه سيَهدين * وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه﴾ [الزخرف: ٢٧ ـ ٢٨] فيكون معنى الآية: واذ ابتلىٰ إبراهيم ربه بكلمات، هن إمـامته وإمامة إسحاق وذريته، وأتمهن بإمامة محمد ﷺ والأئمة من أهل بيته، من ولد إسماعيل، ثم بيّن الأمر بقوله: ﴿إنيّ جاعلك للنَّاس إماماً﴾ الآية.

وقال السيد أمير محمّد الكاظمي في كتابه «نقض الصواعق» [ص ٢٢٠]: إن السجود للأصنام الذي كان عليه الخلفاء الثلاثة قبل ظهور الإسلام بمكّة، ينافي منصب الخلافة ولو بعد الإيمان، لأن الله تعالى أخبر صريحاً بأن عهد الإمامة في قـوله: ﴿لا يـنال عـهدي الظالمين﴾ لا تليق بمن تلبّس بالظلم في وقت من الأوقات، والكافر لا شك في أنه ظالم، بدليل قوله تعالى: ﴿والكافرون هُمُ الظّالمون﴾ [البقرة: ٢٥٤]: ولا شك لأحد في أنّ قريشاً، ومنهم الخلفاء الثلاثة، كانوا يعبدون غير الله، ويسجدون للأصنام قبل ظهور الاسـلام وعليه إجماع المسلمين.... إلىٰ أن قال:

وخلاصة القول: إنّ الله قد أخبر نبيّه إبراهيم ﷺ لمّا طلب منه الإمـامة لذريـته، بقوله تعالىٰ: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ والظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفىٰ أن ينال عهده، فقد حكم بأنه لا يناله مطلقاً، ولمّا كانت الآية مطلقةً غير مقيدة بوقت وجب حملها علىٰ سائر الأوقات، فلا يناله الظّالم وإن تاب فيما بعد.

وبعبارة أوضح: إنّ المضارع المنفي بقوله: ﴿لا ينال عهدي﴾ ليس للحال فقط، بل يعم المستقبل أيضاً، وهو يعم جميع الأوقات الآتية، ولمّا لم يقيد الكلام بشيء منها، وجب أن يعم النفي جميعها، فكل منَ اتصف بالظّلم وصدق عليه في وقت ما، كان داخـلاً في الظّالمين في ذلك الوقت ومشمولاً للآية... «الخ».

وقال الإمام المظفر في كتابه «دلائل الصدق» [٢: ٩٠ ط. بصيرتي]: وأما دلالة الآية بضميمة الحديث على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، فلأن الحديث قد دلّ على استجابة دعوة إبراهيم في بعض ذريته، وصيرورتهم أئمةً للنّاس لكونهم أنبياء أو أوصياء، ودلّ علىٰ أن الدعوة انتهت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فكانت إمامة رسول الله باتخاذ الله له نبياً، وإمامة عليّ باتخاذه وصياً، .... إلىٰ أن قال:

ثم إن قوله صلى الله عليه وآله: لم يسجد أحدنا لصنم قط، إشارة إلى انتفاء مانع النبوة والامامة عنهما، أعني المعصية والظلم المذكور في تلك الآية بقوله سبحانه: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ فيكون معنى كلامه صلى الله عليه وآله انتهت إليّ وإلىٰ عليّ دعوة إبراهيم لذريته لانتفاء الظلم عنّا، الذّي جعله الله مانعاً عن نيل الإمامة، فاتخذني نبياً وعلياً وصياً.

وإنما خص السجود للصنم بالذكر، دون سائر الظّلم والمعصية، لأنه الفرد الأهم في الانتفاء وابتلاء عامة قومه به. فالمقصود: إنما هو بيان انتفاء المانع المذكور في الآية عنهما، لا بيان أنّ عدم السجود للصنم علّة تامة لانتهاء الدعوة إليهما، حتىٰ تلزم إمامة كل من لم يسجد لصنم، وإن كان جاهلاً عاصياً، ولا بيان كون عدم السجود للصنم فضيلة مختصةً بهما في دائم الدهر، حتى يقال بمشاركة كل من ولد علىٰ الإسلام لهما، ولا بيان أن عدم السجود للصنم سبب تام للأفضلية، حتىٰ يقال: إن بعض من تاب عن الكفر أفضل ممن ولد على الاسلام.

ثم إنّ المراد بانتهاء الدعوة إليهما، وصولها إليهما، لا انقطاعها عندهما، لتعديته بإلىٰ، فلا ينفي إمامة الحسن والحسين والتسعة من بعدهما... الخ.

وفي مناقب «ابن شهر آشوب» [٣: ٦٤ ـ ٦٥]: عن امالي ابن بابويه[١] عن الباقر عليه السلام قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ قام رجلان من مجلسيهما فقالا: يا رسول الله، هو التوراة؟ قال: لا، قالا: هو الإنجيل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال:

---

(١) الصدوق، الأمالي: ١٤٤ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا هو الإمام الذي أحصىٰ الله تبارك وتعالىٰ فيه كل شيء. وفي [٣: ٦٥ ط. دار الأضواء] منه قال الصادق عليه السلام: ألا تحمدون الله، إذا كان يوم القيامة يدعىٰ كلّ قوم إلى من يتولّونه، وفزعنا إلىٰ رسول الله، وفزعتم أنتم إلينا، فإلى أين ترون أن نذهب بكم؟ إلى الجنة وربّ الكعبة.

قال الشاعر:

أشهد بالله وآلائه	شهادة يعلمها ربّي
أن علياً بعد خير الورى	إمام أهل الشرق والغرب
من لم يقل مثل الذي قلته	جاءت به الرعناء في الدرب

وقال آخر:

حبّ الإمام على الأنام فريضة	أعني أمير المؤمنين عليا
فرض الاله على البريه حبّه	واختاره للمؤمنين وليّا

وفي [٣: ٥٥] منه: عن أمالي ابن سهل أحمد القطان، وكافي الكليني بإسنادهما إلى جابر الجعفي قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: لو علم النّاس متىٰ سمّي أمير المؤمنين ما أنكروا ولايته، قلت: رحمك الله، ومتىٰ سمّي؟ قال: إنّ ربّك عزّوجلّ حين أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم، قال: ألست بربكم وأن محمّداً رسولي، وأن علياً أمير المؤمنين».

* * *

المبحث الثالث والخمسون

في قوله تعالى: ﴿ قل كَفَى باللهِ شهيداً بيني وبَينكُمْ ومن عِندَهُ عِلْم الكتاب ﴾ [الرعد: ٤٣].

روى الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي في كتابه «ينابيع المودة» [ص١٠٢ باب ٣٠] عن الثعلبي وابن المغازلي بسنديهما عن عبدالله بن عطا قال: كنت مع محمد الباقر عليه السلام في المسجد، فرأيت ابن عبدالله بن سلام، فقلت: هذا ابن الذي عنده علم الكتاب. قال «يعني الباقر»: إنما ذلك عليّ بن أبي طالب.

وروى الثعلبي، وأبو نعيم بسنديهما عن زادان عن محمّد بن الحنفيّة قال: من عنده علم الكتاب عليّ بن أبي طالب.

وعن الفضيل بن يسار عن الباقر عليه السلام قال: «هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه عالم هذه الأُمّة».

وفي رواية عنه عليه السلام قال: «إيّانا عنى، وعليّ أفضلنا وأولنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله».

وعن عمر بن أُذينة عن جعفر الصّادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ألا إن العلم الذي هبط به آدم عليه السلام من السماء إلى الأرض، وجميع ما فضّلت به النبيّون إلى خاتم النبيين، في عترة خاتم النبيين صلّى الله عليه وعليهم».

وقال الصّادق عليه السلام: «علم الكتاب كلّه والله عندنا، وما أعطي وزير سليمان بن داود عليهما السلام، إنما عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وعلم بعض الكتاب كان عنده، قال

تعالىٰ: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾[١] أي بعض الكتاب: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك﴾، قال تعالى لموسىٰ عليه السلام: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة﴾[٢] و«من» للتبعيض، وقال في عيسى عليه السلام: ﴿وليبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾[٣] بكلمه البعض. وقال في عليّ عليه السلام: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ أي كل الكتاب، وقال: ﴿ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾[٤] وعلم هذا الكتاب عنده».

وعن صاحب المناقب: روى عن محمد بن مسلم، وأبي حمزة الثمالي، وجابر بن يزيد عن الباقر عليه السلام. وروى علي بن فضال، وفضيل بن يسار، وأبو بصير عن الصّادق عليه السلام. وروى أحمد بن محمد الحلبي، ومحمد بن فضيل عن الرضا عليه السلام. وقد روى عن موسىٰ بن جعفر، وعن زيد بن علي عليهما السلام، وعن محمّد بن الحنفيّة، وعن سلمان الفارسي، وعن أبي سعيد الخدري، وإسماعيل السدّي، أنهم قالوا في قوله تعالىٰ: ﴿قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ هو: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وعن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الآية: ﴿الّذي عنده علم من الكتاب﴾ قال صلى الله عليه وآله: ذاك وزير أخي سليمان بن داود عليهما السلام، وسألته عن قول الله عزّوجلّ: ﴿قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ قال صلى الله عليه وآله: ذاك أخي عليّ بن أبي طالب».

وفي المناقب سئل عليّ عليه السلام أن عيسىٰ بن مريم كان يحيي الموتىٰ، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، هل لكم هذه المنزلة؟ قال عليه السلام: إن سليمان بن داود عليهما السلام غضب لهدهد عند فقده، لأنه يعرف الماء ويدلّ على الماء، ولا يعرف سليمان الماء تحت الهواء مع أن الريح والنمل والإنس والجن والشياطين والمردة كانوا له طائعين. وأن الله يقول في كتابه:

---

(١) النمل: ٤٠.
(٢) الأعراف: ١٤٥.
(٣) الزخرف: ٦٣.
(٤) الأنعام: ٥٩.

﴿ولو أن قرآناً سُيّرت به الجبالُ أو قُطِّعَت به الأرضُ أو كُلّم به الموتىٰ﴾(١) ويقول تعالى: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلاّ في كتاب مبين﴾(٢) ويقول تعالى: ﴿ثُمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾(٣) فنحن أُورثنا هذا القرآن، الذي فيه ما يسير به الجبال، وقطعت به البلدان، ويحيى به الموتىٰ، ونعرف به الماء، وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء.

وسئل سعيد بن جبير: ومن عنده علم الكتاب، عبدالله بن سلام؟ قال: لا، كيف وهذه السورة مكّية، وعبدالله بن سلام أسلم في المدينة بعد الهجرة.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ إنما هو عليّ، لقد كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ. وعن محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه قال: عند أبي أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه، علم الكتاب الأوّل والآخر.

وعن سليم بن قيس الهلالي في كتابه عن قيس بن سعد بن عبادة قال: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ عليّ. قال معاوية بن أبي سفيان: هو عبدالله بن سلام، قال سعد: أنزل الله: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾(٤) وأنزل: ﴿أفمن كانَ على بينةٍ من ربّهِ ويتلوه شاهدٌ منهُ﴾(٥) فالهادي من الآية الأولىٰ، والشاهد من الآية الثانية: عليّ، لأنه نصبه صلى الله عليه وآله يوم الغدير، وقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، وقال صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبي بعدي»، فسكت معاوية ولم يستطع أن يردّها.

وقال بعض المحققين: إن الله تبارك وتعالى بعث خاتم أنبيائه، وأشرف رسله، وأكرم خلقه بمنّه وتحنّنه وفضله العظيم، بسابق علمه ولطفه، بعد أخذه العهد والميثاق على أنبيائه وعباده بمحمّد صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿لتؤمننّ به ولتنصرنّه﴾ ولما فتح الله أبواب السعادة الكبرىٰ،

---

(١) الرعد: ٣١.
(٢) النمل: ٧٥.
(٣) فاطر: ٣٢.
(٤) الرعد: ٧.
(٥) هود: ١٧.

والهداية العظمى، برسالة حبيبه على العرب وقريش، وخصوصاً علىٰ بني هاشم، بقوله تعالىٰ: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ورهطك المخلصين، اقتضىٰ العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله، لا بدّ أن يكون رجلاً من بني هاشم بعد النبيّ ﷺ لأنه أقربه[1] من سائر قريش، وان يكون إسلامه أولاً، ليكون واقفاً على أسرار الرسالة وبدء الوحي، وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن المتابعة، ليكون خبيراً عن جميع أعماله وأقواله، وأن يكون من طفوليته منزّهاً من أعمال الجاهلية ليكون متخلّقاً بأخلاقه، ومؤدّباً بآدابه ونظيراً بالرشيد من أولاده، فلم يوجد هذه الشروط لأحد إلّا في عليّ عليه السلام.

وأما عبدالله بن سلام فلم يسلم إلّا بعد الهجرة، فلم يعرف سبب نزول السورة التي نزلت قبل الهجرة، ولما كان حاله هذا لم يعرف حق تأويلها بعد إسلامه، مع أن سلمان الفارسي الذي صرف عمره الطويل ثلاثمائة وخمسين سنة في تعلّم أسرار الإنجيل، والتوراة والزبور، وكتب الأنبياء السابقين والقرآن، لم يكن من عنده علم الكتاب، لفقد الشروط المذكورة، فكيف يكون من عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام؟ الذي لم يقرأ الانجيل، ولم يوجد فيه الشروط، ولم يصدر منه ما صدر من عليّ عليه السلام يعسوب الدين من الأسرار والحقائق في الخطبات، مثل قوله عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني، فإن بين جنبي علوماً كالبحار الزواخر». ومثل ما صدر من أولاده الأئمة الهداة عليهم سلام الله وبركاته، من المعارف والحكم في تأويلات كتاب الله وأسراره.

وقال الامام المظفر في كتابه «دلائل الصدق» [ص١٣٥]: ويشهد لإرادة عليّ عليه السلام في الآية: التعبير عنه بمن عنده علم الكتاب، الدال علىٰ إحاطة علمه في الكتاب، «أعني القرآن» كما هو المنصرف، إذ لا يحيط به علماً غير قرينه، الّذي أمر رسول الله ﷺ بالتمسّك به معه.

كما يشهد لعدم إرادة ابن سلام، ما في «الدر المنثور»: عن سعيد بن منصور، وابن

---

(١) هكذا في الأصل، والظاهر أنها «أقرب له».

جرير، وابن المنذر، وغيرهم، أنهم أخرجوا عن سعيد بن جبير أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ أهو عبدالله بن سلام؟ قال: وكيف وهذه السورة مكّية؟ وفي «الدر المنثور» أيضاً عن ابن المنذر أنه أخرج عن الشعبي قال: ما نزل في عبدالله بن سلام شيء من القرآن.

* * *

المبحث الرابع والخمسون

في قوله تعالى: ﴿ ثم لتسألنّ يومئذٍ عن النعيم ﴾ [التكاثر: ٨].

تفرّعت آراء ذوي الأفهام، وتشعّبت أفكار المفسّرين والعلماء الأعلام، في تفسير معنىٰ النعيم الذي يسأل عنه العباد يوم القيامة، منهم من يقول إنّه: نعمة شرب الماء البارد، ومنهم من يقول: نعمة الرقود تحت الظل، ومنهم من يقول: نعمة الأسودين، الماء والتمر، ومنهم من يقول: نعمة الصحة والأمن، إلىٰ ما هنالك من الأقوال المختلفة المعاني، والألفاظ المتفرقة المباني، حتىٰ إن أبا حنيفة التجأ سائلاً إلى أبي عبدالله عليه السلام عن معنىٰ هذا النعيم، كما رواه الطبرسي في تفسيره [٩ ـ ١٠: ٥٣٤ ط. دار إحياء التراث العربي] عن العياشي بإسناده في حديث طويل قال: «سأل أبو حنيفة أبا عبدالله عليه السلام عن هذه الآية، فقال عليه السلام له: ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام والماء البارد. فقال عليه السلام: لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها، وشربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه. قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال عليه السلام: نحن أهل بيت النعيم الّذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألّف الله بين قلوبهم، وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله للإسلام، وهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الّذي أنعم الله به عليهم، وهو النبيّ صلى الله عليه وآله وعترته».

وروىٰ القندوزي في «ينابيع المودة» [ص١١١]: عن الحافظ أبي نعيم بسنده عن جعفر الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال عليه السلام: «النعيم، ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه». وعن الحاكم بن أحمد البيهقي قال: حدثنا محمد بن يحيىٰ الصوفي، قال:

حدّثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل، قال: حدّثني إبراهيم بن العبّاس الصولي الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين ومائتين قال: كنا يوماً بين يدي عليّ بن موسىٰ الرضاعليه السلام قال له بعض العلماء: إن النعيم في هذه الآية هو الماء البارد، فقال له الرضاعليه السلام بارتفاع صوته: «كذا فسّرتموه أنتم، وجعلتموه على ضروب، فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال آخرون: هو النوم، وقال غيرهم: هو الطعام الطيب، ولقد حدّثني أبي، عن أبيه جعفر بن محمدعليهما السلام إذ أقوالكم هذه ذكرت عنده فغضب، وقال: إنّ الله عزّوجلّ لا يسأل عباده عما تفضّل عليهم به، ولا يمنّ بذلك عليهم، وهو مستقبح من المخلوقين كيف يضاف إلىٰ الخالق، جلت عظمته ما لا يرضىٰ للمخلوقين؟ ولكن النعيم: حبّنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد لله ونبوّة رسوله صلى الله عليه وآله لأن العبد إذا وافى بذلك أدّاه إلىٰ نعيم الجنة الذي لا يزول. قال أبي موسىعليه السلام: لقد حدّثني أبي جعفر، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالبعليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ إن أوّل ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك وليّ المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك، فمن أقرّ بذلك وكان معتقده، صار إلى النعيم الّذي لا زوال له».

وفي المناقب أيضاً عن الأصبغ بن نباتة، عنه [أي الرضاعليه السلام] قالعليه السلام: «نحن النعيم الّذي كان في هذه الآية». وأيضاً عن الباقرعليه السلام قال: «ما هو الطعام والشراب، ولكن هو ولايتنا». وأيضاً عن الكاظمعليه السلام قال: «نحن نعيم المؤمن، وعلقم الكافر».

وفي تفسير الميزان [٢٠: ٣٥٣]: عن تفسير القمي بإسناده عن جميل عن أبي عبداللهعليه السلام قال: قلت له: ﴿لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قالعليه السلام: «تسأل هذه الأمّة عما أنعم الله عليها برسوله، ثم بأهل بيته».

وعن الكافي بإسناده عن أبي حامد الكابلي قال: «دخلت على أبي جعفرعليه السلام فدعا بالغداء فأكلت معه طعاماً ما أكلت طعاماً أطيب منه قطّ ولا ألطف، فلما فرغنا من الطعام

قال عليه السلام: يا أبا خالد كيف رأيت طعامك؟ أو قال: طعامنا؟ قلت: جعلت فداك، ما أكلت طعاماً أطيب منه قطّ ولا ألطف[1]، ولكن ذكرت الآية التي في كتاب الله: ﴿ثم لتسألنّ يومئذٍ عن النعيم﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق».

وفيه بإسناده عن أبي حمزة قال: كنا عند أبي عبدالله عليه السلام جماعة، فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذةً وطيباً، واتينا بتمر تنظر فيه أوجهنا من صفائه وحسنه، فقال رجل: لتسألنّ عن هذا النعيم الذي تنعّمتم به عند ابن رسول الله، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله عزّوجلّ أكرم وأجلّ أن يطعم طعاماً فيسوّغكموه ثمّ يسألكم عنه، إنما يسألكم عمّا أنعم عليكم بمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله».

قال المؤلّف: أقول: وهذا المعنى مرويّ عن أئمه أهل البيت عليهم السلام بطرق أُخرى وعبارات مختلفة، وفي بعضها أن النعيم ولايتنا أهل البيت، ويؤوّل المعنىٰ إلى ما قدمناه من عموم النعيم لكلّ نعمة أنعم الله بها بما أنها نعمة.

وبيان ذلك: أن هذه النعم لو سئل عن شيء منها فليست يسأل عنها بما أنّها لحم أو خبز أو تمر أو ماء بارد، أو أنها سمع أو بصر أو يد أو رجل مثلاً، وإنما يسأل عنها بما أنّها نعمة خلقها الله للإنسان، وأوقعها في طريق كماله، والحصول على التقرّب العبوديّ، كما تقدّمت الإشارة إليه، وندبه إلى أنّ يستعملها شكراً لا كفراً. فالمسؤول عنها هي النعمة بما أنّها نعمة، ومن المعلوم أنّ الدالّ على نعيميّة النعيم وكيفية استعماله شكراً، والمبيّن لذلك كلّه هو الدّين الّذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله ونصب لبيانه الأئمة من أهل بيته، فالسؤال عن النعيم مرجعه السؤال عن العمل بالّدين في كل حركة وسكون. ومن المعلوم أيضاً أنّ السؤال عن النعيم الذي هو الدين، سؤال عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده، الذين افترض الله طاعتهم، وأوجب اتباعهم في السلوك إلىٰ الله، الذي طريقه استعمال النعيم كما بيّنه الرسول والأئمة صلّى الله عليه وعليهم.

---

(١) في المصدر: ولا أنظف قطّ.

والى كون السؤال عن النعيم سؤالاً عن الدين، يشير ما في رواية أبي خالد من قوله: «وإنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق» وإلى كونه سؤالاً عن النعيم الذي هو النبي وأهل بيته صلّى الله عليه وعليهم، يشير ما في روايتي جميل وأبي حمزة السابقتين من قوله: «يسأل هذه الأُمّة عما أنعم الله عليها برسوله ثم بأهل بيته». وما في معناه... (الخ).

* * *

قال عليه السلام: يا أبا خالد كيف رأيت طعامك؟ أو قال: طعامنا؟ قلت: جعلت فداك، ما أكلت طعاماً أطيب منه قطّ ولا ألطف[١]، ولكن ذكرت الآية التي في كتاب الله: ﴿ثم لتسألنّ يومئذٍ عن النعيم﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق».

وفيه بإسناده عن أبي حمزة قال: كنا عند أبي عبدالله عليه السلام جماعة، فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذةً وطيباً، واتينا بتمر تنظر فيه أوجهنا من صفائه وحسنه، فقال رجل: لتسألنّ عن هذا النعيم الذي تنعّمتم به عند ابن رسول الله، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله عزّوجلّ أكرم وأجلّ أن يطعم طعاماً فيسوّغكموه ثمّ يسألكم عنه، إنما يسألكم عمّا أنعم عليكم بمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله».

قال المؤلّف: أقول: وهذا المعنى مرويّ عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بطرق أُخرى وعبارات مختلفة، وفي بعضها أن النعيم ولايتنا أهل البيت، ويؤوّل المعنىٰ إلى ما قدمناه من عموم النعيم لكلّ نعمة أنعم الله بها بما أنها نعمة.

وبيان ذلك: أن هذه النعم لو سئل عن شيء منها فليست يسأل عنها بما أنّها لحم أو خبز أو تمر أو ماء بارد، أو أنها سمع أو بصر أو يد أو رجل مثلاً، وإنما يسأل عنها بما أنّها نعمة خلقها الله للإنسان، وأوقعها في طريق كماله، والحصول على التقرّب العبوديّ، كما تقدّمت الإشارة إليه، وندبه إلى أنّ يستعملها شكراً لا كفراً. فالمسؤول عنها هي النعمة بما أنّها نعمة، ومن المعلوم أنّ الدالّ على نعيميّة النعيم وكيفية استعماله شكراً، والمبيّن لذلك كلّه هو الدّين الّذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله ونصب لبيانه الأئمة من أهل بيته، فالسؤال عن النعيم مرجعه السؤال عن العمل بالّدين في كل حركة وسكون. ومن المعلوم أيضاً أنّ السؤال عن النعيم الذي هو الدين، سؤال عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده، الذين افترض الله طاعتهم، وأوجب اتباعهم في السلوك إلىٰ الله، الذي طريقه استعمال النعيم كما بيّنه الرسول والأئمة صلّى الله عليه وعليهم.

---

(١) في المصدر: ولا أنظف قطّ.

والوضوح مثل النور، عن أبي مسلم.

والخامس: أن النور هنا: الطاعة، أي مثل طاعة الله في قلب المؤمن، عن ابن عبّاس في رواية أُخرىٰ.

وقوله تعالى: ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾.

المشكاة: هي الكوّة في الحائط، يوضع عليها زجاجة، ثم يكون المصباح خلف تلك الزجاجة، ويكون للكوّة باب آخر يوضع المصباح فيه.

وقيل: المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وهو مثل الكوّة، والمصباح السراج.

وقيل: المشكاة: القنديل، والمصباح الفتيلة.... «إلىٰ أنّ قال»: وقد قيل أيضاً: المشكاة إبراهيم، والزجاجة إسماعيل، والمصباح محمّد صلى الله عليه وآله كما سمّي سراجاً في موضع آخر.

وقوله تعالىٰ: ﴿من شجرة مباركة﴾ يعني: إبراهيم، لأن أكثر الأنبياء من صلبه ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ لا يهودية ولا نصرانية. لأن النصارىٰ تصلّي إلىٰ المشرق، واليهود تصلّي إلىٰ المغرب. ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ أي يكاد محاسن محمّد صلى الله عليه وآله تظهر قبل أن يوحىٰ إليه. ﴿نور علىٰ نور﴾ أي نبي من نسل نبي، عن محمّد بن كعب.

وقيل: إن المشكاة: عبد المطلب، والزجاجة: عبدالله، والمصباح: هو النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ بل مكّية، لأن مكّة وسط الدنيا، عن الضحاك.

وروي عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «نحن المشكاة فيها، والمصباح: محمّد صلى الله عليه وآله يهدي الله لولايتنا من أحب».

وفي كتاب «التوحيد» لأبي جعفر بن بابويه رحمه الله بالإسناد عن عيسىٰ بن راشد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾ قال: «نور العلم في صدر النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿المصباح في زجاجة﴾، الزجاجة: صدر عليّ عليه السلام صار علم النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ صدر عليّ عليه السلام،

المبحث الخامس والخمسون

في قوله تعالىٰ: ﴿ اللهُ نُورُ السَماوَاتِ والأرضِ مَثَلُ نُورِهِ كمشكاةٍ فيها مصباحٌ ﴾ [النور: ٣٥].

قال الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [٧ ـ ٨: ١٤٢ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت]: في قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ اختلف في معناه على وجوه:أحدها:الله هاديأهل السماوات والأرض إلىٰ ما فيه من مصالحهم، عن ابن عباس.

والثاني: الله نور السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم، عن الحسن وأبي العالية والضحاك.

والثالث: مزيّن السماوات بالملائكة، ومزيّن الأرض بالأنبياء والعلماء، عن ابيّ بن كعب.

وقوله تعالى: ﴿مثل نوره﴾ فيه وجوه:

أحدها: أن المعنى: مثل نور الله الذي هدى به المؤمنين، وهو الايمان في قلوبهم. عن ابيّ بن كعب والضحاك، وكان أبي يقرأ: مثل نور من آمن به.

الثاني: مثل نوره الذي هو القرآن في القلب، عن ابن عبّاس والحسن وزيد بن أسلم.

والثالث: أنّه عنى بالنور: محمّد ﷺ وأضافة الىٰ نفسه تشريفاً له، عن كعب وسعيد ابن جبير.

والرابع: أنّ نوره سبحانه: الأدلّة الدالّة علىٰ توحيده وعدله، التي هي في الظهور

﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ قال: يهدي الله عزّوجلّ لولايتنا من يشاء.

ورواه أيضاً الإمام المظفر في كتابه «دلائل الصدق» [٢: ٣٠٦]: من طريق الحسن البصري.

وفي تفسير «الميزان» [١٥: ١٥٢ ط. دار الكتب الاسلامية] قال الطباطبائي: وفي «التوحيد»: وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله عزّوجلّ: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ فقال: «هو مثل ضربه الله لنا، فالنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة صلوات الله عليه وعليهم من دلالات الله وآياته التي يهتدىٰ بها إلى التوحيد ومصالح الدّين وشرائع الإسلام والسنن والفرائض، ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم».

ثم قال: أقول: الرواية من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق، وهو من أفضل المصاديق وهو النبي صلى الله عليه وآله والطاهرون من أهل بيته عليهم السلام، وإلّا فالآية تعم بظاهرها غيرهم من الأنبياء عليهم السلام، والأوصياء والأولياء.

وقد وردت عدّة من الأخبار من طرق الشيعة في تطبيق مفردات الآية على النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وهي من التطبيق دون التفسير، ومن الدليل على ذلك اختلافها في نحو التطبيق، كرواية الكليني في «روضة الكافي» بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام وفيها: «أنّ المشكاة: قلب محمّد صلى الله عليه وآله، والمصباح: النور الذي فيه العلم. والزجاجة: عليّ أو قلبه. والشجرة المباركة الزيتونة التي لا شرقية ولا غربية: إبراهيم عليه السلام ما كان يهودياً ولا نصرانياً. وقوله: ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ الخ: يكاد أولادهم أن يتكلّموا بالنبوّة وإن لم ينزل عليهم ملك».

وما رواه في «التوحيد» بإسناده إلى عيسى بن راشد عن الباقر عليه السلام وفيه: «أن المشكاة: نور العلم في صدر النبي صلى الله عليه وآله. والزجاجة: صدر عليّ عليه السلام ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾: يكاد العالم من آل محمد صلى الله عليه وآله يتكلّم بالعلم قبل أن يسأل. ﴿نور على نور﴾:

علّم النبي ﷺ علياً عليه السلام. ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾: نور العلم. ﴿لا شرقية ولا غربية﴾: لا يهودية ولا نصرانية. ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ قال: يكاد العالم من آل محمد ﷺ يتكلم بالعلم قبل أنّ يسأل. ﴿نور على نور﴾ أي: إمام مؤيد بنور العلم والحكمة، في أثر إمام من آل محمّد ﷺ وذلك من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة. فهؤلاء الأوصياء، الذين جعلهم الله خلفاء في أرضه، وحججه علىٰ خلقه، لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم». ويدلّ عليه قول أبي طالب في رسول الله ﷺ:

أنت الأمين محمَّد — قرم أغر مسوّد
لمسوّدين أطاهر — كرموا وطاب المولد
أنت السعيد من السّعود — تكنفتك الأسعد
من لدن آدم لم يزل — فينا وصيّ مرشد
ولقد عرفتك صادقاً — والقول لا يتفند
ما زلت تنطق بالصواب — وأنت طفلٌ أمرد[١]

وفي مناقب الحافظ ابن المغازلي الشافعي [ص٢٠١] قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازةً، أنّ أبا أحمد عمر بن عبدالله بن شوذب أخبرهم قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن زياد، حدّثنا أحمد بن الخليل ببلخ، حدّثني محمّد بن أبي محمود، حدّثنا يحيىٰ بن أبي معروف، حدّثنا محمد بن سهل البغداديّ، عن موسى بن القاسم عن عليّ بن جعفر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾ قال عليه السلام: المشكاة: فاطمة، والمصباح: الحسن والحسين ﴿الزجاجة كأنها كوكب درّيّ﴾ قال: كانت فاطمة كوكباً درّيّاً من نساء العالمين. ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ الشجرة المباركة: إبراهيم. ﴿لا شرقية ولا غربية﴾: لا يهودية ولا نصرانية. ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ قال: يكاد العلم أن ينطق منها. ﴿ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾ قال: فيها إمام بعد إمام.

---

(١) مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٤٣ ط. دار إحياء التراث العربي.

المبحث السادس والخمسون

في قوله تعالى: ﴿ ولَـمَّا ضُـرِبَ ابـنُ مَـريَـمَ مَـثَـلاً إذا قَـومُـك مِـنـهُ يَصِـدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧].

ذكر الطبرسي في «مجمع البيان» [٩ـ١٠: ٥٣]: بأن لتفسير هذه الآية وجوهاً. وقال ورابعها: ما رواه سادة أهل البيت عن عليّ عليهم أفضل الصلوات، أنّه قال: جئت إلى رسول الله ﷺ يوماً، فوجدته في ملأ من قريش فنظر إليّ قال: يا عليّ إنما مثلك في هذه الأُمّة كمثل عيسىٰ بن مريم، أحبه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا، وأبغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا، فعظم ذلك عليهم فضحكوا، وقالوا: يشبّهه بالأنبياء والرسل.

فنزلت الآية وقالوا: ﴿أآلهتنا خير أم هو﴾؟ أي: آلهتنا أفضل أم المسيح؟...الخ.

وقد ذكر هذا الحديث الطباطبائي في تفسيره «الميزان» [١٨: ١١٦] عن مجمع البيان ثم قال: أقول: والرواية غير متعرّضة لتوجيه قولهم: ﴿أآلهتنا خير أم هو﴾. ولئن كانت القصة سبباً للنزول فمعنىٰ الجملة: لئن نتّبع آلهتنا ونطيع كبراءنا خير من أن نتولّىٰ عليّاً فيتحكّم علينا، أو خير من أن نتّبع محمداً فيحكّم علينا ابن عمّه.

وأورد السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي في كتابه «فضائل الخمسة» [٢: ١٢٩ ط. دار الكتب الاسلامية] عن «كنز العمال» [١: ٢٢٦] قال: عن علي عليه السلام قال: جئت رسول الله ﷺ في ملأ من قريش، فنظر إليّ وقال: يا عليّ إنّ مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم، أحبّه قومه فأفرطوا فيه، فصاح الملأ الذين عنده وقالوا: شبّه ابن عمه بعيسى، فأنزل

إمام مؤيّد بنور العلم والحكمة في أثر الامام من آل محمد».

وفي الدر المنثور [٧: ٢٠١]: عن ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبيﷺ في قوله: ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ قال: قلب إبراهيم لا يهودي ولا نصراني.

* * *

اليهود حتىٰ بهتوا أُمّه، وأحبّته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها، قال: وقال عليّ: ألا وإنّه يهلك فيّ محب مطرئ يفرطني بما ليس فيّ، ومبغض مفتر يحمله شنآني على أن يبهتني، ألا وإنيّ لست بنبي ولا يوحى إليّ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنّة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم به من طاعة الله تعالى فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم أو كرهتم، وما أمرتكم بمعصية أنا وغيري فلا طاعة لأحد في معصية الله عزّوجلّ، إنما الطاعة في المعروف. ـ «قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

أقول: وأخرجه الأمام أحمد في مسنده [١: ١٦٠]، وابن حجر الهيثمي في «الصواعق» [ص١٢١] في الحديث العشرين. والشبلنجي في كتابه «نور الأبصار» [ص٨٩] عن البزّار، وأبي يعلى، والحاكم. والذهبي في «ميزان الاعتدال» [٤: ٩٩] عن ابن بطة.

وفي «فضائل الخمسة» [٢: ١٢٩]: عن «الرياض النضرة» [٢: ٢٠٢]: قال الطبري: أخرج الملّا في سيرته، قيل: يا رسول الله، كيف يستطيع عليّ عليه السلام أن يحمل لواء الحمد؟ فقال رسول الله ﷺ: وكيف لا يستطيع ذلك وقد أُعطي خصالاً شتّىٰ، صبراً كصبري وحسناً كحسن يوسف، وقوةً كقوة جبرئيل عليه السلام.

وفي «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي [ص١٠٩] في الباب ٣٥ قال: أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي المكّي عن زادان عن علي عليه السلام قال: تفترق هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقةً، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الذين قال عزّوجلّ في حقهم: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقنا أُمّة يهَدُونَ بالحقّ وبه يعدِلُون﴾[1] وهم أنا ومحبّي وأتباعي. أيضاً أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي عن عمر بن أُذينة عن جعفر الصّادق عن آبائه عن عليّ رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي مثلك في أُمّتي مثل عيسى بن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن دين الله وهم النصارىٰ، وإنّ أُمّتي ستفترق فيك ثلاث فرق: فرقة اتّبعوك

(١) الأعراف: ١٨١.

القرآن: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون﴾.

وهناك أحاديث واردة، وأخبار متعددة، في تشبيه الرسول ﷺ علياً بالأنبياء لاتّصافه بصفاتهم وتخلّقه بأخلاقهم، فمنها: ما أورده الطبري في كتابه «الرياض النضرة» [٢: ٢١٨] فيما ذكره السيد المرتضى الحسيني في كتابه الذي تقدم ذكره.

قال الطبري: عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ نوح في فهمه، وإلىٰ إبراهيم في حلمه، وإلىٰ يحيىٰ بن زكريا في زهده، وإلىٰ موسىٰ بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب قال: (أخرجه القزويني الحاكمي).

وفي «الرياض النضرة» أيضاً [٢: ٢١٨] قال: وعن ابن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ قال: من أراد أن ينظر إلىٰ إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمه، وإلىٰ يوسف في جماله فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب. «قال: خرّجه الملّا في سيرته».

وذكر الامام المظفر في كتابه «دلائل الصدق» [٢: ١٨٥] عن الحلّي في قوله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون﴾ قال النبي ﷺ لعليّ: إنّ فيك مثلاً من عيسى، أحبّه قوم فهلكوا فيه، وأبغضه قوم فهلكوا فيه. فقال المنافقون: أما يرى له مثلاً إلّا عيسىٰ؟ فنزلت الآية.

وأخرج الحافظ ابن المغازلي في «المناقب» [ص٢١٢] قال: أخبرنا أحمد بن محمّد بن عبدالوهّاب، حدّثنا الحسين بن محمّد بن الحسين العدل العلويّ الواسطي، حدّثنا محمد بن محمود، حدّثنا إبراهيم من مهدي الأبليّ، حدّثنا إبراهيم بن سليمان بن رشيد، حدّثنا زيد ابن عطية حدّثنا أبان بن فيروز عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلىٰ علم آدم، وفقه نوح، فلينظر إلىٰ عليّ بن أبي طالب.

وروىٰ الحاكم في «المستدرك» [٣: ١٢٣] عن ربيعة بن ناجد عن عليّ عليه السلام قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي: إنّ فيك من عيسىٰ عليه الصلاة والسلام مثلاً، أبغضته

قال الأميني: هذا الحديث الذي رواه الحموي في معجمه نقلاً عن تأريخ ابن بشران، قد أصفق على روايته الفريقان، غير أن له ألفاظاً مختلفة وإليك نصوصها:

١ ـ أخرج إمام الحنابلة أحمد عن عبد الرّزاق بإسناده المذكور بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلىٰ إبراهيم في خلقه، وإلىٰ موسى في مناجاته، وإلىٰ عيسى في سنّته، وإلى محمّد في تمامه وكماله، فلينظر إلىٰ هذا الرجل المقبل. فتطاول النّاس فإذا هم بعليّ بن أبي طالب، كأنّما ينقلع من صبب، وينحطّ من جبل.

٢ ـ أخرج أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي المتوفّىٰ [سنة ٤٥٨] في «فضائل الصحابة» بلفظ: من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ نوح في تقواه، وإلىٰ إبراهيم في حلمه، وإلىٰ موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

٣ ـ أخرج الحافظ أحمد بن محمد العاصمي في كتابه «زين الفتى في شرح هل أتى» بإسناده من طريق الحافظ عبيد الله بن موسى العبسي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلىٰ نوح في فهمه، وإلىٰ ابراهيم في حلمه، وإلىٰ موسى في بطشه، فلينظر الىٰ عليّ بن أبي طالب. وأخرج بإسناد ثالث بلفظ أقصر من المذكور.

ثم بسط القول في بيان وجوه المشابهة بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين بعض الأنبياء، منهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، ويونس، وموسىٰ، وداود، وسليمان، وأيوب، ويحيىٰ، وعيسىٰ.

٤ ـ أخرج أخطب الخطباء الخوارزمي المالكي المتوفّىٰ [سنة ٥٦٨] بإسناده في «المناقب» [ص٤٩] من طريق البيهقي عن أبي الحمراء بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيىٰ بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

وأخرج في [ص٣٩] بإسناده من طريق ابن مردويه عن الحارث الأعور صاحب

وأحبّوك وهم المؤمنون، وفرقة عادوك وهم الناكثون والمارقون والقاسطون، وفرقة غلوا فيك وهم الضالّون، يا عليّ أنت وأتباعك في الجنة، وعدّوك والغالي فيك في النار.

وفي «مشكاة المصابيح» عن عليّ عليه السلام قال: قال لي النبيّ صلى الله عليه وآله: فيك مثل من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أُمّه، وأحبّته النصارى حتى أنزلوه بمنزلة ليست له، ثم قال: يهلك فيّ رجلان محب مفرط يفرطني بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شنآني علىٰ أن يبهتني .... الخ كما رواه أحمد في مسنده.

وفي «الغدير» [٣: ٣٥٣] أورد الأميني قصيدة «الأشباه» للمفجّع رحمه الله المتوفىٰ [سنة ٣٢٧هـ] ما تناسب المقام الذي نحن فيه وذلك قوله:

أيّها اللائمي لحبّي عليّاً ... قم ذميماً إلى الجحيم خزيّا
أبخير الأنام عرضت؟ لا زلـ ... ـت مذوداً عن الهدىٰ مزويّا
أشبه الأنبياء كهلاً وزولاً[١] ... وفطيماً وراضعاً وغذيا
كان في علمه كآدم إذ علـ ... ـم شرح الأسماء والمكنيّا
وكنوح نجا من الهلك من سـ ... ـير في الفلك إذ علا الجوديا

ثم قال الأميني رحمه الله: وهذه القصيدة تسمى به «الأشباه»، قال الحموي «في معجم الأدباء» [١٧: ١٩١] في أوّل ترجمة المترجم: إنّ له قصيدة يسميها بالأشباه، يمدح فيها علياً. ثم قال في [ص ٢٠٠]: له قصيدته ذات الاشباه، وسمّيت بذات الأشباه لقصده فيما ذكره من الخبر الذي رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في محفل من أصحابه: إن تنظروا إلى آدم في علمه، ونوح في فهمه، وإبراهيم في خلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنّته، ومحمد في هديه وحلمه، فانظروا إلىٰ هذا المقبل، فتطاول النّاس فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأورد المفجع ذلك في قصيدته.

---

(١) الزول: الغلام الظريف.

أصحابه إذ أقبل عليّ عليه السلام، فلمّا بصر به النبي صلى الله عليه وآله قال: من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

ثم قال: قلت: تشبيهه لعليّ بآدم في علمه، لأن الله علّم آدم صفة كل شيء، كما قال عزّوجلّ: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾[1] فما من شيء ولا حادثة إلّا وعند عليّ فيها علم، وله في استنباط معناها فهم. وشبّهه بنوح في حكمته، وفي رواية: في حكمه، وكأنه أصح، لأن علياً كان شديداً على الكافرين، رؤوفاً بالمؤمنين، كما وصفه الله تعالىٰ في القرآن بقوله: ﴿والذين معه أشدّاءُ على الكفّار رحماء بينهم﴾[2] وأخبر الله عزّوجلّ عن شدّة نوح على الكافرين بقوله: ﴿ربِّ لا تَذَر عَلى الأرضِ من الكافرين دَيَّاراً﴾[3].

وشبّهه في الحلم بإبراهيم خليل الرحمن. كما وصفه الله عزّوجلّ بقوله: ﴿إنّ إبراهيم لأوّاهٌ حليم﴾ فكان متخلّقاً بأخلاق الأنبياء، متّصفاً بصفات الأصفياء.

٨ ـ الحافظ أبو العبّاس محب الدين الطبري المتوفّىٰ [سنة ٦٩٤] رواه في «الرياض النضرة» [٢: ٢١٨] كما قد مرّ حديثه. الرواية الأُولىٰ عن أبي الحمراء، والثانية عن ابن عبّاس.

٩ ـ شيخ الاسلام الحمّوئي المتوفّىٰ [سنة ٧٢٢] أخرجه في «فرائد السمطين» بعدة أسانيد من طرق الحاكم النيسابوري، وأبي بكر البيهقي، بلفظ محب الدين الطبري المذكور وما يقرب منه.

١٠ ـ القاضي عضد الدين الأيجي الشافعي المتوفّىٰ [سنة ٧٥٦] رواه في «المواقف» [٣: ٢٧٦] بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

١١ ـ ابن الصباغ المالكي المتوفّىٰ [سنة ٨٥٥] روى في «الفصول المهمة» [ص ٢١] نقلاً

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) محمد: ٢٩.

(٣) نوح: ٢٦.

راية عليّ بن أبي طالب قال: بلغنا أنّ النبيﷺ كان في جمع من أصحابه فقال: أُريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في حكمته؟ فلم يكن بأسرع من أن طلع عليّ عليه السلام فقال أبو بكر: يا رسول الله! أقست رجلاً بثلاثة من الرسل؟ بخٍ بخٍ لهذا الرجل، من هو يا رسول الله؟ قال النبيّ: أو لا تعرفه يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: هو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب. فقال أبو بكر: بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا الحسن؟

٥ ـ أورد أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفّىٰ [سنة ٦٥٢] في «مطالب السؤول» نقلاً عن كتاب «فضائل الصحابة» للبيهقيّ بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

ثم قال: فقد أثبت النبيّﷺ لعليّ بهذا الحديث علماً يشبه علم آدم، وتقوى تشبه تقوى نوح، وحلماً يشبه حلم إبراهيم، وهيبة تشبه هيبة موسى، وعبادة تشبه عبادة عيسى. وفي هذا تصريح لعليّ بعلمه وتقواه وحلمه وهيبته وعبادته، وتعلو هذه الصفات إلى أوج العلا حيث شبهها بهؤلاء الأنبياء المرسلين من الصفات المذكورة، والمناقب المعدودة.

٦ ـ قال عزّ الدين بن أبي الحديد المتوفّىٰ [سنة ٦٥٥] في «شرح النهج» [٢: ٣٦]: روى المحدّثون عنهﷺ أنّه قال: من أراد أن ينظر إلىٰ نوح في عزّته، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه، فلينظر إلىٰ عليّ بن أبي طالب.

ورواه في [٢: ٤٤٩]: من طريق أحمد البيهقي نقلاً عن مسند الأوّل وصحيح الثاني بلفظ: من أراد أن ينظر إلىٰ نوح في عزمه، وإلىٰ آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلىٰ موسى في فطنته، وإلىٰ عيسىٰ في زهده، فلينظر إلىٰ عليّ بن أبي طالب.

٧ ـ الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشافعي المتوفّىٰ [سنة ٦٥٨] أخرجه في «كفاية الطالب» [ص٤٥] بإسناده عن ابن عبّاس قال: بينما رسول اللهﷺ جالس في جماعة من

المبحث السابع والخمسون

في قوله تعالى: ﴿أَم يَحْسُدونَ النَّاسَ عَلَىٰ ما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

أخرج ابن المغازلي الشافعي في «المناقب» [ص٢٦٧] قال: أخبرنا أبو الحسن علي ابن الحسين الطيّب الواسطيّ إذناً، حدّثنا أبو القاسم الصقّار، حدّثنا عمر بن أحمد بن هارون، حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي، حدّثنا يعقوب بن يوسف، حدّثنا أبو غسّان، حدّثنا مسعود بن سعد عن جابر عن أبي جعفر، يعني محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَم يَحسُدُونَ النَّاس عَلَى ما آتاهم الله مِن فَضْلِهِ﴾ قال: نحن النّاس.

وقد ذكره ابن حجر الهيثمي في «الصواعق» [ص١٥٠] واعترف بأن هذه الآية من الآيات النازلة في أهل بيت النبوّة عليهم السلام وقال: أخرج أبو الحسن ابن المغازلي، عن الباقر عليه السلام أنّه قال في هذه الآية: نحن الناس والله، «أي المحسودون».

وفي «إسعاف الراغبين» [ص١١٨] بهامش «نور الأبصار» قال الصّبان: وأخرج بعضهم عن الباقر في قوله تعالى: ﴿أَمْ يحسُدُونَ النَّاس على ما آتاهم الله مِن فَضلِهِ﴾ أنه قال: أهل البيت هم النّاس.

وذكره أيضاً القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودّة» [ص١٣١] قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَم يَحسُدُونَ النّاس على ما آتاهم الله مِن فَضْلِهِ﴾: أخرج ابن المغازلي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: هذه الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وآله، وفي عليّ عليه السلام. أيضاً: أخرج ابن المغازلي، عن جابر الجعفي، عن محمد الباقر عليه السلام في هذه الآية، قال: نحن الناس المحسودون.

وفي الغدير [٣ ص٦١] قال الأميني عند شرحه بعض شعر الحمّاني في قوله:

عن «فضائل الصحابة» للبيهقي باللفظ المذكور.

١٢ ـ التفتازاني الشافعي المتوفّىٰ [سنة ٧٩٢] في «شرح المقاصد» [٢: ٢٩٩] بلفظ القاضي الأيجي المذكور.

١٣ ـ السيد محمود الآلوسي المتوفّىٰ [سنة ١٢٧٠] رواه في شرح عينية عبد الباقي العمري [ص٢٧] بلفظ البيهقي.

١٤ ـ الصفوري قال في «نزهة المجالس» [٢: ٢٤٠]: قال النبي صلى الله عليه وآله: من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلىٰ إبراهيم في حلمه، وإلىٰ موسى في زهده، وإلىٰ محمد في بهائه، فلينظر إلىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ذكره ابن الجوزي.

وفي حديث آخر ذكره الرازي في تفسيره: من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلقه، وموسى في قربه، وعيسىٰ في صفوته، فلينظر إلىٰ عليّ بن أبي طالب.

١٥ ـ السيّد أحمد القادين خاني في «هداية المرتاب» [ص١٤٦] بلفظ البيهقي.

* * *

النّاس.

قال: أقول: وهذا المعنى مروي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام مستفيضاً بطرق كثيرة، مودعة في جوامع الشيعة، كالكافي، والتهذيب، والمعاني، والبصائر، وتفسير القمي، وتفسير العياشي وغيرها.

وفي معناها من طرق أهل السنة ما عن ابن المغازلي... «وقد مر ذكره».. وما في «الدر المنثور» عن ابن المنذر، والطبراني من طريق عطاء عن ابن عبّاس في قوله: ﴿أم يحسُدُون النّاس﴾ قال: نحن النّاس، دون النّاس، وقد روى فيه أيضاً تفسير «النّاس» برسول الله صلى الله عليه وآله عن عكرمة ومجاهد ومقاتل وأبي مالك، وقد مرّ فيما قدّمناه من البيان: أنّ الظاهر كون المراد بالنّاس رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته ملحقون به.

وفي «دلائل الصدق» [ص٢٠١] قال الإمام المظفر بعد أن ذكر ما أورده ابن المغازلي عن الباقر عليه السلام: فإن المراد بـ﴿ما آتاهم الله من فضله﴾ هو: العلم والهدى والفهم والحكمة ونحوها من الصفات والفضائل التي هي شأن محمّد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام لا أُمور الدنيا الدنيّة.

ومن المعلوم أن إيتاء هذا الفضل لعليّ عليه السلام الذي حسده النّاس عليه، يستدعي الأفضلية والإمامة، وإلّا لما حسدوه عليه، كما أنّ مشاركته عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله في الفضل على الرواية الثانية، دليل على أنّ فضله من نوع فضل النبي صلى الله عليه وآله فيكون الأفضل والأحق بخلافته.

«والمراد بالرواية الثانية هي: ما أخرجها ابن المغازلي عن ابن عبّاس قال: هذه الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وفي عليّ عليه السلام».

* * *

محسّـــدون ومـــن يـعقد بحـبّهم　　　حبل المودّة يضحي وهو محسـود

ولعلّ قوله: محسّدون، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله﴾ وقد ورد فيها أنهم الأئمة من آل محمد. قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج» [٢: ٢٣٦]: إنها نزلت في عليّ عليه السلام وما خص به من العلم.

وفي تفسير «مجمع البيان» [٣ ـ ٤ : ٧٩ ط. دار إحياء التراث العربي]: قال الطبرسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس﴾ معناه: بل يحسدون النّاس، واختلف في معنى النّاس هنا على أقوال:

وقال في القول الثاني: إن المراد بالنّاس النبي صلى الله عليه وآله وآله، عن أبي جعفر عليه السلام والمراد بالفضل فيه النبوّة، وفي آله الإمامة.

وفي تفسير العياشي بإسناده عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا الصباح! نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صفوة المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون، الذين قال الله في كتابه: ﴿أم يَحسُدُونَ النّاس﴾ الآية، قال: والمراد بالكتاب: النبوّة، وبالحكمة: الفهم والقضاء، وبالملك العظيم: افتراض الطاعة.

وفي تفسير «الميزان» [٤: ٤٠٠] قال الطباطبائي في تفسير الآية: والمراد بالنّاس علىٰ ما يدلّ على هذا السياق هم: الذين آمنوا، وبما آتاهم الله من فضله هو: النبوّة والكتاب والمعارف الدينية، غير أن ذيل الآية: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم﴾ الخ يدلّ على أنّ هذا الذي أُطلق عليه النّاس من آل ابراهيم، فالمراد بالنّاس حينئذ هو: النبي صلى الله عليه وآله ولما انبسط على غيره من هذا الفضل المذكور في الآية، فهو من طريقه وببركاته العالية، وقد تـقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم﴾ الآية [آل عمران: ٣٣] أن آل ابراهيم هو النبي وآله.

وفي بحثه الروائي [ص٤٠٨] قـال: وفي تـفسير «البرهـان» في قـوله تـعالى: ﴿أَمْ يَحسُدُونَ النّاس على ما آتاهم الله مِن فَضْلِهِ﴾: الآية. عن الشيخ في أماليه بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله﴾ قال : نحـن

فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، والله أعلم.

وهناك أقوال مسطورة في كتب القوم وتفاسيرهم مسندة بالأخبار والآثار والروايات بغير المعنى المذكور، كما سنوردها فيما يلي تيمّناً، نقلاً عن تفسير الثعلبي «الكشف والبيان» وتفسير وكيع بن الجرّاح، وكتاب ابن شاهين، وتفسير «الميزان» للعلّامة محمد حسين الطباطبائي. وتفسير «مجمع البيان» للشيخ أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، من أكابر العلماء في القرن السادس. فعسى أن يكون إيرادها في هذه العجالة من المتممات للفائدة.

منها ما ذكره الحافظ الشهير محمّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني في مناقبه [٣: ٧٣ ط. دار الأضواء]: ومن تفسير وكيع ابن الجراح عن سفيان الثوريّ، عن السدّى، عن أسباط ومجاهد، عن عبدالله بن عباس في قوله تعالى: ﴿إهدنا الصّراط المستقيم﴾ قال: قولوا معاشر العباد: أرشدنا إلىٰ حب النبي وأهل بيته.

وفيه عن تفسير الثعلبي وكتاب ابن شاهين عن رجاله، عن مسلم بن حيان، عن بريدة، في قول الله: ﴿اهدنا الصّراط المستقيم﴾ قال: صراط محمّد وآله.

وأخرج عن الباقرين عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿إهدنا الصّراط المستقيم﴾ قالا: دين الله الذي نزل به جبرائيل علىٰ محمّد: ﴿صراط الّذين أنعمت عليهم﴾، فهديتهم بالاسلام وبولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولم تغضب عليهم ولم يضلّوا، ﴿المغضوب عليهم﴾ اليهود والنصارى، والشكاك الذين لا يعرفون إمامة أمير المؤمنين. و﴿الضالّين﴾ عن إمامة عليّ بن أبي طالب.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل أيضاً [٦: ٩٧ ط. مؤسسة التاريخ العربي] روى بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله «أو قال»: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يكون بعدي إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش. قال: ثم رجع الى منزله فأتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج.

وروى في [٦: ١١٩] بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: يكون

المبحث الثامن والخمسون

في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّراطَ المستَقيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦].

إن لأهل التفسير في تفسير معنى «الصراط» أقوالاً، منهم من قال بأن ﴿الصراط المستقيم﴾ هو: الاسلام. ومنهم من قال هو: القرآن. ومنهم من قال هو: رسول الله ﷺ وصاحباه من بعده.

لفت نظر في هذا القول

إنّ المتبادر إلى عقل كل قارئ بأن مراد القائل في قوله: «وصاحباه من بعده» هما: الشيخان أبو بكر وعمر بلا نزاع. وأما كونهما أحد معاني «الصراط المستقيم» فلعلّ من القرّاء من لم يجد سبيلاً يهتدي به إلى معرفة مصداق هذا القول، لتجرّده عن البيان والتبيين. ولما كانت الحالة هذه، فكان لزاماً على القارئ إذا شكّ في صحّة هذا القول، أن يحسن ظنّه بقائله، كأن يعتقد بأنه من ذوي مسكة بدقائق العلوم، بحيث إنّه يعلم مثلاً بأعلمية الشيخين بمعاني كتاب الله عزّوجلّ وجميع أسرار ما تضمّنته آياته وغاية مغزاها، وكعلمه بشدّة تمسّك الشيخين بسنّة الله ورسوله، وحرصهما على العمل بما أوصاهما به، وتمام وفائهما بعهده، وفيما أشار إليه من بعده، وحسن موافقتهما له ﷺ في جميع مبادئه، أو لسبب آخر كان معلوماً لديه مهما قد خفي على أكثر النّاس، حتى صارا به من جملة المفسّرين بمعاني «الصّراط المستقيم».

وهذا القول لأبي العالية كما في «الدر المنثور» [١: ٤٠]: وصدّقه الحسن. ومهما كان

تعالى: ﴿واللهُ يَدعُو إلىٰ دارِ السلامِ﴾[١] يعني به: الجنة ﴿ويهدي من يشـاء الى صراط مستقيم﴾ يعني به: ولاية عليّ بن أبي طالب.

وعن جابر بن عبدالله: أن النبيﷺ هيّأ أصحابه عنده، إذ قال وأشار بـيده إلى عليّ: هذا صراط مستقيم فاتبعوه.

قال ابن عبّاس: كان رسول الله يحكم وعليّ بين يديه ومقابلته، ورجل عن يمينه ورجل عن شماله فقال: اليمين والشمال مضلّة، والطريق المستوي الجادة، ثم أشار بيده، وأنّ هذا صراط مستقيم فاتّبعوه.

قال الثماليّ عن أبي جعفرعليه السلام في قوله تعالى: ﴿فاسْتَمسك بالَّذي أُوحِيَ إِلَيكَ إنَّك عَلَىٰ صراطٍ مُستَقيمٍ﴾[٢] قال: إنك على ولاية عليّعليه السلام وهو الصّراط المستقيم.

ومعنى ذلك: أن علي بن أبي طالب الصراط إلى الله. كما يقال: فلان باب السلطان إذا كان يوصل به، ثم ان الصراط الذي هو عليه عليّ، يدلّك وضوحاً علىٰ ذلك قـوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾[٣] يعني: نعمة الاسلام، لقوله: ﴿وأسبغَ عليكم نعمه﴾[٤] والعلم: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَم تكُن تَعلَمُ﴾[٥]. والذرية الطيبة، لقوله: ﴿إنّ الله اصـطفى آدم﴾[٦] وإصلاح الزوجات، لقوله: ﴿فاستجبنَا لَهُ وَوَهبنَا لَهُ يَحيىٰ وأصلحنا لهُ زَوجَهُ﴾[٧] فكان عليّ في هذه النعم في أعلىٰ ذراها.

قال الحميري:

سمّـــــــاه جـــبّار السما　　　　صراط حــــــقٍ فــــما
فـــقال في الذكـــر ومـــا　　　　كـــان حـديثاً يـفترى

(١) يونس: ٢٥.
(٢) الزخرف: ٤٣.
(٣) الفاتحة: ٧.
(٤) لقمان: ٢٠.
(٥) النساء: ١١٣.
(٦) آل عمران: ٣٣.
(٧) الانبياء: ٩٠.

لهذه الأُمة إثنا عشر خليفة.

وفي «كنز العمال» للمتقي [١٢: ٣٣ ط. مؤسسة الرسالة] ولفظه: يكون لهذه الأُمة إثنا عشر قيّماً، لا يضرّهم من خذلهم، كلّهم من قريش، قال: أخرجه الطبراني عن جابر بن سمرة.

قال المؤلف: وذكره الهيثمي أيضاً في مجمعه [٥: ١٩١] وقال: لا يضرّهم عداوة من عاداهم، فالتفتّ خلفي فإذا أنا بعمر بن الخطاب في أُناس، فأثبتوا لي الحديث كما سمعت. انتهى.

وقال أبو جعفر الهاروني في قوله تعالى: ﴿وإنّه في أُمِّ الكتاب لَديْنا لَعَليٌّ حكِيمٌ﴾[١]. وأم الكتاب «الفاتحة»، يعني أن فيها قوله: ﴿إهدنا الصّراط المستقيم﴾.

وعن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ من أَصحاب الصِّراطِ السَّوِيِّ﴾[٢] هو والله محمّد وأهل بيته. ﴿ومن اهتدى﴾ فهم: أصحاب محمّد.

وفي «الخصائص» بالإسناد عن الأصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السلام وفي كتبنا عن جابر، عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وإنّ الّذِينَ لا يُؤمنُونَ بالآخِرَة عن الصّراط لَناكُبون﴾[٣] قال: عن ولايتنا.

وقال أبو عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَفَمنْ يَمْشِي مُكبّاً علىٰ وَجهِهِ أَهدى﴾ أي: أعداؤهم ﴿أم من يمشي سَوِيّاً علىٰ صِرَاط مُّستقيم﴾[٤] قال: سلمان الفارسي، والمقداد، وعمار وأصحابه، وفي التفسير: ﴿وأنّ هذا صِرَاطي مُستقيماً﴾[٥]: يعني القرآن وآل محمد.

عن عليّ بن عبدالله بن عبّاس عن أبيه، وزيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام في قوله

(١) الزخرف: ٤.
(٢) طه: ١٣٥.
(٣) المؤمنون: ٧٤.
(٤) الملك: ٢٢.
(٥) الأنعام: ١٥٣.

الجراح: وأخرج الخوارزمي في «المناقب»: الصراط صراطان: صراط الدنيا، وصراط في الآخرة. فأما صراط الدنيا فهو عليّ بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة فهو: جسر جهنم. من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة. ويوضّح معنى هذا الحديث ما أخرجه ابن عدي والديلمي، كما في «الصواعق» [ص١١١] عن رسول الله ﷺ قال: أثبتكم على الصراط أشدّكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي.

وأخرج شيخ الاسلام الحمّوئي بإسناده في «فرائد السمطين» في حديث عن الإمام جعفر الصّادق قوله: نحن خيرة الله، ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله.

فهم الصراط إلى الله، فمن تمسّك بهم فقد اتّخذ إلى ربه سبيلاً، كما ورد فيما أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوّة» بإسناده عن رسول الله ﷺ قال: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن تمسّك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً. «ذخائر العقبى» [ص١٦].

أقول: وهناك أخبار كثيرة في حديث الشجرة، قد أوردها جمع من حملة الأخبار والسنّة، فمنهم: ابن المغازلي في مناقبه [ص٩٠]: أخبرنا أبو نصر أحمد بن موسىٰ بن عبد الوهاب بن عبدالله الطحان إجازة، عن أبي الفرج أحمد بن علي الخيوطي القاضي، حدّثنا عبد الحميد، حدّثنا عبدالله بن محمد بن ناجية. أخبرنا عثمان بن عبدالله القرشي بالبصرة، حدّثنا عبدالله بن لهيعة، عن أبي الزبير، واسمه محمد بن مسلم بن تدرس، عن جابر بن عبدالله قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بعرفات، وعليّ تجاهه، إذ قال له رسول الله ﷺ: اُدن منّي يا عليّ، خلقت أنا وأنت من شجرة، صنع جسمك من جسمي. خلقت أنا وأنت من شجرة، فأنا أصلها وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن منها، أدخله الله الجنة.

وأخرجه الذهبي في «ميزان الاعتدال» [٣: ٤١] برقم ٥٥٢٣ من طريق يحيى البختري بلفظ: يا عليّ اُدن مني، خمسك في خمسي، يا علي، أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصن منها أدخله الله الجنة.

وروى الحاكم في «المستدرك» [٢: ٢٤١] من كتاب التفسير، مسنداً عن جابر بن

هـذا صراطـي فـاتبعوا ... وعـــنهم لا تخـــدعوا
فـــخالفوا مـــا سمـــعوا ... والخـلف ممـن شرعـوا
واجـــتمعوا واتـــفقوا ... وعـــاهدوا ثم التـــقوا
إن مـــات عـنهم وبـقوا ... أن يهدموا مـا قـد بـنى

وقال أيضاً:

وله صراط الله دون عـــــباده ... مـــن يهـده يـرزق تـقىً ووقـارا
في الكـتب مسـطور مجـلّى بـاسمه ... وبـــنعته فـاسأل بـــه الأحـبارا

قال الطباطبائي في تفسير «الميزان» [١: ٣٩]: في «الفقيه» وتفسير العياشي عن الصّادق عليه السلام قال: الصراط المستقيم: أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وفي «المعاني» أيضاً عن السجّاد عليه السلام قال: ليس بين الله وبين حجّته حجابٌ، ولا لله دون حجّته سترٌ، نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرّه.

وفي تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما فيها حرف إلّا وله حد، ولكل حد مطلع، ما يعني بقوله: «ظهر وبطن»؟ قال: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلّما جاء منه شيء وقع. الحديث.

قال الطباطبائي: وفي هذا المعنى روايات اخر، وهذه سليقة أئمة أهل البيت، فإنهم عليهم السلام يطبّقون الآية من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد، وإن كان خارجاً عن مورد النزول، والاعتبار يساعده، فإنّ القرآن نزل هدى للعالمين، يهديهم إلىٰ واجب الاعتقاد وواجب الخلق وواجب العمل، وما بيّنه من المعارف النظريّة حقائق لا تختص بحال دون حال، ولا زمان دون زمان، وما ذكره من فضيلة أو رذيلة أو شرّعه من حكم عمليّ لا يتقيّد بفرد دون فرد، ولا عصر دون عصر لعموم التشريع. انتهى.

وفي «الغدير» [٢: ٣١١] قال الأميني بعد ما روى ما أخرجه الثعلبي ووكيع بن

واحدة، ثم قرأ: **﴿جنات من أعناب وزرع ونخيل﴾** إلى قوله تعالى: **﴿يسقى بماء واحد﴾** قال ﷺ: بالنبي وبك. قال: ورواه النطنزي في «الخصائص» عن سلمان، وفي رواية: أنا وعليّ من شجرة، والناس من أشجار شتّى.

وأخرج ابن المغازلي أيضاً في «المناقب» [ص٢٩٧ برقم ٣٤٠] من طريق أحمد بن المظفر العطّار، عن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: كان رسول الله ﷺ بعرفات وعليّ تجاهه، فأومأ إليّ وإلى عليّ فأقبلنا نحوه، وهو يقول: أُدن منّي يا عليّ، فدنا منه، فقال: ضع خمسك في خمسي، فجعل كفّه في كفّه فقال: يا عليّ، خلقت أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصن منها أدخله الله الجنة، يا عليّ، لو أنّ أُمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلّوا حتى يكونوا كالأوتار ويبغضوك لأكبّهم الله في النار. انتهى.

قال الفاضل المحقق محمّد باقر البهبودي في ذيل الكتاب: أخرجه أيضاً العلّامة الحمّوئي في «فرائد السمطين» والحافظ الكنجي في «كفاية الطالب» [ص٢١٨]: كلاهما بالإسناد الى ابن زنجويه بعين السند واللفظ. وأخرجه السيوطي في ذيل «اللآلي» [ص٦٣ ط. لكهنو] بالإسناد إلى عثمان بن عبدالله القرشي.

❊ ❊ ❊

عبدالله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ عليه السلام: يا عليّ، الناس من شجر شتّى، وأنا وأنت من شجرة واحدة، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وجنّاتٌ مِّن أعنابٍ وزَرعٌ ونَخِيلٌ صِنوانٌ وغَيرُ صنوانٍ يسقى بماءٍ واحدٍ﴾[1] ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

وفي [٣: ١٦٠] روى أيضاً حديثاً بسنده عن مولى عبد الرحمن بن عوف قال: خذوا عني قبل أن تشاب الأحاديث بالأباطيل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا الشجرة وفاطمة فرعها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة.

وفي «كنوز الحقائق» [ص١٥٥] كما في «فضائل الخمسة» [١: ١٧٢] قال ﷺ: النّاس من شجر شتّى، وأنا وعليّ من شجرة واحدة. «قال»: أخرجه الطبراني.

وفيه أيضاً عن «كنز العمال» [٦: ١٥٤] قال ﷺ: أنا وعليّ من شجرة واحدة، والنّاس من أشجارٍ شتّى. «قال»: أخرجه الديلمي عن جابر.

وروى السيوطي في «الدر المنثور» [٤: ٤٤] في ذيل قوله تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأُكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾: عن ابن مردويه عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يا عليّ! النّاس من شجر شتّى، وأنا وأنت يا عليّ من شجرة واحدة.

ورواه أيضاً صاحب «مجمع البيان» [٥ ـ ٦: ٢٧٦ ط. دار إحياء التراث العربي] عند تفسيره ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ في الآية الرابعة من سورة الرعد.

وأيضاً صاحب تفسير «الميزان» في [١١: ١٤٢] في بحثه الروائي نقلاً عن تفسير «البرهان» وعن الخركوشي في كتابه «شرف المصطفى» وعن الثعلبي في «الكشف والبيان» وعن الفضيل بن شاذان في «الأمالي» واللفظ له، بإسناده عن جابر بن عبدالله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ عليه السلام: النّاس من شجر شتّى، وأنا وأنت من شجرة

---

(١) الرعد: ٤.

محمدﷺ رسول الله، أيّدته بعليّ عليه السلام ونصرته به.

وأورد عن «كنز العمال» [٦: ١٥٨] قالﷺ: رأيت ليلة أُسري بي مثبتاً على ساق العرش: إني أنا الله لا إله غيري، خلقت جنة عدن بيدي، محمد صفوتي من خلقي، أيّدته بعليّ ونصرته بعليّ. قال: أخرجه ابن عساكر وابن الجوزي من طريقين عن أبي الحمراء.

وفي «كنز العمال» أيضاً [٦: ١٥٨] قال: مكتوب في باب الجنة، قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي سنة، لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، أيّدته بعليّ. قال: أخرجه العقيلي عن جابر.

وفي «المناقب» لابن المغازلي [ص٩١ برقم ١٣٤] قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المظفر الفقيه الشافعي رحمه الله بقراءتي عليه فأقرّه، فقلت له: أخبركم أبو محمّد عبدالله بن محمد ابن عثمان المزنيّ الملقّب بابن السقاء الحافظ الواسطيّ رحمه الله، حدّثنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنّى الموصليّ، حدّثنا زكريا بن يحيى الكسائي، حدّثنا يحيى بن سالم، حدّثنا أشعث ابن عمّ الحسن بن صالح، وكان يفضل على الحسن بن صالح قال: حدثني مسعر بن كدام، عن عطية بن سعيد، عن جابر بن عبدالله قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: مكتوب على باب الجنّة قبل أن يخلق الله السموات والأرض بألفي عام: محمد رسول الله وعليّ أخوه.

وفي «ميزان الاعتدال» للذهبي [٢: ٧٦ برقم ٢٨٩٠]: حدّثنا محمد بن عثمان، حدّثنا زكريا بن يحيى الكسائي، حدّثنا يحيى بن سالم، حدّثنا أشعث ابن عم الحسن بن صالح، حدّثنا مسعر، عن عطية العوفي عن جابر مرفوعاً: مكتوب على باب الجنة: محمد رسول الله، أيّدته بعليّ. قال أبو نعيم الحافظ: أخبرنا أبو عليّ بن الصوّاف، ومحمّد بن عليّ بن سهل، وسليمان الطبراني، والحسن بن عليّ بن خطاب، قالوا: حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة. فساقه بنحوه، لكن لفظه: على باب الجنة: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، عليّ أخو رسول الله، قبل أن يخلق الله السموات بألفي عام.

وفي «ميزان الاعتدال» أيضاً [١: ٢٦٩ برقم ١٠٠٦] بالسند المذكور: مكتوب على باب الجنة: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، أيّدته بعليّ، قبل خلق السموات بألفي سنة.

المبحث التاسع والخمسون

في قوله تعالى: ﴿ هوَ الَّذِي أيّدَكَ بنصرِهِ وبِالمؤمنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢].

قال القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» [ص٩٤] أخرج أبو نعيم بسنده عن أبي هريرة، أيضاً عن ابي صالح عن ابن عباس، أيضاً عن جعفر الصّادق رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين﴾ قالوا: نزلت في عليّ، وأن رسول الله ﷺ قال: رأيت مكتوباً علىٰ العرش: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، محمّد عبدي ورسولي، أيّدته ونصرته بعليّ بن أبي طالب. وروى عن أنس بن مالك نحوه.

وفي كتاب «الشفاء» روى ابن قانع القاضي، عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: لما أُسرى بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، أيّدته بعليّ. قال القندوزي: وفي المناقب عن حذيفة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.

وفي «الدر المنثور» [٣: ١٩٩] قال السيوطي: وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مكتوب على العرش: لا إله إلّا الله أنا وحدي لا شريك لي، محمد عبدي ورسولي أيّدته بعلي.

وروى السيد مرتضى الحسيني في كتابه «فضائل الخمسة» [١: ١٧٥] ما أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» [١١: ١٧٣] بسنده عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: لما عرج بي رأيت علىٰ ساق العرش مكتوباً: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله أيّدته بعلي.

وأورد أيضاً عن «ذخائر العقبى» [ص٦٩] عن أبي الخميس قال: قال رسول الله ﷺ: أُسري بي إلى السماء، فنظرت إلى ساق العرش الأيمن، فرأيت كتاباً فهمته:

عباس.

ثم قال: عن طلحة بن زيد عن جعفر الصّادق عن آبائه عن أمير المؤمنين عليعليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: ما قبض الله نبياً حتى أمره الله أن يوصي إلى أفضل عشيرته من عصبته، وأمرني أن أوصِ إلى ابن عمك عليّ، أثبتّه في الكتب السالفة، وكتبت فيها أنّه وصيّك، وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق، وميثاق أنبيائي ورسلي، وأخذت ميثاقهم لي بالربوبية، ولك يا محمّد بالنبوّة، ولعليّ بن أبي طالب بالولاية والوصية. انتهى.

قال الإمام المظفر: فإن قلت: لم تذكر الآية الكريمة النبوّة والإمامة، بل ولا الإرسال بالشهادة أن لا إله إلّا الله، فإنها قالت: أجعلنا؟ ولم يقل: أأرسلناهم بالشهادة؟! قلت: السؤال والاستفهام للتقرير، بمعنى تقرير الرسل عن أمر استقر عندهم نفيه، وهو: جعل آلهة من دون الرحمن يعبدون.

لكن لما كان المناسب لتقرير الرسل بما هم رسل، هو تقريرهم عما أُرسلوا به، كان الظاهر إرادة تقريرهم عن ذلك بما هم رسل بنفيه، وهو راجع إلى الإرسال بالشهادة بالوحدانية، فصحّ ما أفادته الروايات من أن المراد بالآية السؤال عما بعث به الرسل من الشهادة بالوحدانية.

ولما كان بعثهم بهذا معلوماً للنبيصلى الله عليه وآله البتة، لم يحسن أن يراد أن يقرّرهم به خاصة، بل ينبغي أن يراد تقريرهم به بضميمة ما لا يعلم النبيصلى الله عليه وآله إقرارهم به، لعدم علمه بإرسالهم عليه، وهو الذي ذكرته الروايات، أعني: إرسالهم على نبوّته وإمامة أمير المؤمنينعليه السلام، وإنما لم تذكره الآية الشريفة، للاكتفاء بذكر الأصل، وهو البعث على الشهادة بالوحدانية، كما أن بعض الروايات المذكورة اكتفت بذكر نبوّة نبيّنا وإمامة وليّنا، لأنهما الداعي إلى السؤال والتقرير، مع وضوح بعثهم على الشهادة بالوحدانية، لكونه الأصل، ولذكر الآية له.

فما أعظم قدر نبيّنا الأطيب، وأخيه الأطهر، عند الله تبارك وتعالى؟ حتى ميّزهما على جميع عباده، وأكرمهما ببعث الرسل الأكرمين على الإقرار بفضلهما، ورسالة محمّد،

المبحث الستون

في قوله تعالى: ﴿ واسأل مَن أرسلنا من قبلك مِن رُّسُلنا ﴾ [الزخرف: ٤٥].

قال الحلّي وهو الحسن بن يوسف المطهّر من كبار العلماء الإمامية في القرن الثامن الهجري كما في «دلائل الصدق» [٢: ١٠٨]: روى ابن عبد البر وغيره من السنّة في قوله تعالى: ﴿واسأل من أرسلنا مَن قبلك مِن رُّسُلنَا﴾ قال: أن النبيّ ليلة أُسري به، جمع الله بينه وبين الأنبياء، ثم قال له: سلهم يا محمّد! على ماذا بعثتم؟ قالوا: بعثنا على شهادة إن لا إله إلّا الله، وعلى الإقرار بنبوّتك، والولاية لعليّ بن أبي طالب. قال الإمام المظفر: نقل المصنّف «أي الحلّي» في «منهاج الكرامة» هذا الحديث عن ابن عبد البر، وعن أبي نعيم، ونقل جماعة نحوه عن الثعلبي «أي صاحب تفسير الكشف والبيان» عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني ملك فقال: يا محمّد! واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب.

وفي «ينابيع المودّة» للقندوزي الحنفي [ص٨٢] عن أبي نعيم، الحافظ والحموئي، وموفق بن أحمد الخوارزمي بأسانيدهم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء انتهى بيّ السير مع جبرائيل الى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر، فقال جبرائيل: هذا البيت المعمور، قم يا محمّد فصلّ إليه، قال النبيّ ﷺ: جمع الله النبيين فصفّوا ورائي صفاً، فصلّيت بهم، فلما سلّمت أتاني آتٍ من عند ربي فقال: يا محمد، ربك يقرئك السلام ويقول لك: سل الرسل على ما أُرسلتم من قبلك؟ فقلت: معاشر الرسل، على ماذا بعثكم ربّي قبلي؟ فقالت الرسل: على نبوّتك وولاية عليّ بن أبي طالب. وهو قوله تعالى: ﴿واسأل مَن أرسَلنا مِن قبلك مِن رُسُلنَا﴾ الآية أيضاً رواه الديليمي عن ابن

وفي تفسير «فتح القدير» للشوكاني في [٤: ٥٥٧ ط. بيروت ـ عالم الكتب] في ذيل قوله تعالى: ﴿واسأل مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رُسُلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ قال الزهري، وسعيد بن جبير، وابن زيد: إن جبرئيل قال: ذلك للنبي ﷺ لما أُسري به. فالمراد سؤال الأنبياء في ذلك الوقت عند ملاقاتهم له.

* * *

وإمامة عليّ، وأخذ الميثاق عليهم بهما مع الشهادة بالوحدانية، فحقّ لذريتهما أن يفتخروا بما افتخر الشريف الرضي به، وهو قول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم — إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وفي تفسير «الميزان» [١٨: ١٠٨] قال السيد المؤلف: وفي «الاحتجاج» عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: وأما قوله تعالى: ﴿واسأل مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رُسُلِنَا﴾ فهذا من براهين نبيّنا صلى الله عليه وآله التي آتاه الله إيّاها، وأوجب به الحجّة على سائر خلقه، لأنّه ختم به الأنبياء، وجعله رسولاً إلى جميع الأُمم وسائر الملل، وخصّه بالارتقاء إلى السماء عند المعراج، وجمع له يومئذ الأنبياء، فعلم منهم ما أُرسلوا به، وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه.

ثم قال: أقول: وروى هذا المعنى القمي في تفسيره بإسناده عن أبي الربيع عن أبي جعفر عليه السلام في جواب ما سأله نافع بن الأزرق. ورواه في «الدر المنثور» بطرق عن سعيد بن جبير، وابن جريج، وابن زيد.

أقول: وإليك ما رواه السيوطي في «الدر المنثور» [٦: ١٩]: أخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿واسأل مَن أرسلنا مِن قبلك من رُسُلِنا﴾ قال: ليلة أُسري به لقي الرسل.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿واسأل مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رُسُلنا﴾ قال: بلغنا أنه ليلة أُسري به أُري الأنبياء، فأُري آدم، فسلّم عليه، وأُري مالكاً خازن النار، وأُري الكذّاب الدجّال.

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله: ﴿واسأل مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رُسُلنا﴾ قال: جُمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس.

أقول: فهذه الأخبار قد اتفقت مع ما مر من الروايات المذكورة، في كون الأمر بالسؤال ليلة الإسراء حين جمعوا له النبيين، ولا تنسجم بطبع الحال مع من فسّر بأن المسؤول هم: مؤمنو أهل الكتاب، أو رواية من قال أهل التوراة والانجيل. والله أعلم.

لنقول ذلك؛ قال عليه السلام: لكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾[١] وهي الشفاعة.

وفي تفسير ابن كثير [٤: ٥٥٨ ـ ٥٥٩ ط. دار المعرفة]: قال السدي عن ابن عبّاس: من رضاء محمّد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة. وهكذا قال أبو جعفر الباقر عليه السلام.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا معاوية بن هشام، عن عليّ بن صالح، عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنا أهل بيت، لنا الآخرة على الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى.

وفي تفسير «مجمع البيان» [٩ ـ ١٠: ٥٠٥ ط. مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت] روى الحديث الآنف ذكره عن محمّد ابن الحنفية. وعن الصّادق عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام وعليها كساء من ثلّة الإبل، وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أبصرها فقال: يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾.

وقال زيد بن علي: إن من رضا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدخل أهل بيته الجنة.

وفي تفسير «الدر المنثور» للسيوطي في [٦: ٣٦١] قال: أخرج ابن جرير من طريق السدي عن ابن عبّاس في قوله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ قال: من رضا محمّد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وقد أردف فيه أيضاً جميع ما ذكرناه في هذه السطور من الروايات في هذا المقام.

أقول: وقد يؤيد فيما يناسب ذكره في هذا المعنى من الأحاديث النبوية حول تفسير هذه الآية الشريفة، ما أورده أساطين المحدّثين في كتبهم المشهورة، السائرة الدائرة بين الأُمة، وقد جمع البعض منها عنهم العالم الفاضل، فرع الشجرة النبوية وزهرة الدوحة العلوية، السيد الشريف مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، في كتابه النفيس «فضائل

(١) الضّحى: ٥.

المبحث الحادي والستون

أيضاً في قوله تعالى: ﴿ ولَسوْفَ يُعطِيك ربُّك فَترضَىٰ ﴾ [الضحىٰ: ٥].

قال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: وأخرج البيهقي في «شعب الايمان» عن ابن عبّاس في قوله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ قال: رضاه أن يدخل أُمّته كلّهم الجنة.

وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عنه أيضاً في الآية قال: من رضا محمّد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» من طريق حرب بن شريح قال: لا يرضى محمد وأحد من أُمته في النار. ويدلّ على هذا ما أخرجه عن ابن عمرو: أن النبي ﷺ تلا قول الله في إبراهيم: ﴿فمن تبعني فإنه منيّ﴾ وقول عيسى: ﴿إن تعذّبْهم فإنهم عبادك﴾.

فرفع النبي يديه وقال: اللهم أُمّتي أُمّتي وبكى. فقال الله: يا جبرئيل، إذهب إلى محمّد وقل له: إنا سنرضيك في أُمّتك ولا نسوؤك.

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم، في «الحلية» من طريق حرب قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين «الباقر»: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدّث بها أهل العراق أحق هي؟ قال: إي والله، حدّثني محمد بن الحنفية عن عليّ: أن رسول الله ﷺ قال: أشفع لأُمّتي حتى يناديني ربّي: أرضيت يا محمّد؟ فأقول: نعم يا رب رضيت، ثم أقبل عليّ عليه السلام فقال: إنكم تقولون يا معشر أهل العراق: إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً﴾[1] قلت: أنا

---

(١) الزمر: ٥٣.

فحرّم الله ذرّيتها على النار، «وفي رواية»: فحرّمها الله وذريتها عن النار.

وقال أيضاً: وأخرج الحافظ أبو القاسم الدمشقي أنّه ﷺ قال: يا فاطمة! لم سمّيت فاطمة؟ قال عليّ: لم سمّيت فاطمة يا رسول الله؟ قال: إن الله قد فطمها وذريتها من النار.

وقال: أخرج النسائي: إن ابنتي فاطمة حوراء آدمية، لم تحض ولم تطمث، إنّما سمّاها فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها على النار. وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات، أنّه ﷺ قال لها: إنّ الله غير معذبك ولا أحد من ولدك.

وفي «فضائل الخمسة» [٢: ٦٦] قال السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي: ونظيره ما رواه المحب الطبري في «ذخائر العقبى» [ص٢٠] قال: وعن عليّ عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم إنهم عترة رسولك، فهب مسيئهم لمحسنهم وهبهم لي، قال: ففعل وهو فاعل، قال: قلت: ما فعل؟ قال: فعله بكم ويفعله بمن بعدكم. أخرجه الملّا «يعني في سيرته».

* * *

الخمسة» [٢: ٦٤] منها:

ما في «مستدرك الصحيحين» [٣: ١٥٠] روى بسنده عن عمر بن سعيد الأبح، عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم. قال عمر بن سعيد الأبح: ومات سعيد ابن أبي عروبة يوم الخميس، وكان حدّث بهذا الحديث يوم الجمعة، مات بعده بسبعة أيام في المسجد. فقال قوم: لا جزاك الله خيراً صاحب رفض وبلاء، وقال قوم: جزاك الله خيراً صاحب سنّة وجماعة، أدّيت ما سمعت. «قال الحاكم»: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفي «كنز العمال» [٦: ٢١٥] ولفظه: سألت ربي أن لا يدخل أحداً من أهل بيتي النار فأعطانيها قال: أخرجه أبو القاسم بن بشران في أماليه. وأخرجه المحب الطبريّ في «ذخائر العقبى» [ص١٩]. وقال: أخرجه أبو سعيد، والملّا في سيرته، والمناوي أيضاً في «فيض القدير» [٤: ٧٧] في المتن، وذكر في الشرح أنه أخرجه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن عمران بن حصين، وأبو سعيد في «شرف النبوّة». والملا في سيرته. وهو عند الديلمي وولده بلا سند. قال: وهذا يوافق ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ قال: من رضا محمّد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وفي «كنوز الحقائق» للمناوي [ص٢٤] ولفظه: اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي. قال: أخرجه الطبراني. أقول: وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [٦: ٢١٧]: وقال: أخرجه الطبراني عن أُم سلمة. انتهي.

وفي «الصواعق» عدّ ابن حجر هذه الآية من الآيات النازلة في أهل البيت، وذكرها في «الآية العاشرة» [ص٩٥] وقال في ذيل الآية: نقل القرطبي عن ابن عبّاس أنه قال: رضا محمّد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. وقال ابن حجر في [ص١٥٨] من صواعقه: وأخرج تمام، والبزار، والطبراني، وأبو نعيم أنه ﷺ قال: فاطمة أحصنت فرجها

السلام، فالله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق.

قال الجهبذ العلّامة، والحبر الفهامة، السيد الشريف محمد حسين الطباطبائي في تفسيره القيّم «الميزان» [٤: ٤١٦] في بعض ما تعلق بهذه الآية الشريفة: فالآية تدلّ على افتراض طاعة أُولي الأمر هؤلاء، ولم تقيده بقيد ولا شرط، وليس في الآيات القرآنية ما يقيد الآية في مدلولها، حتى يعود معنى قوله: ﴿وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾ إلى مثل قولنا: وأطيعوا أُولي الأمر منكم فيما لم يأمروا بالمعصية أو لم تعلموا بخطئهم، فإن أمروكم بمعصية فلا طاعة عليكم، وأن علمتم خطأهم فقوّموهم بالرد إلى الكتاب والسنّة، فهذا معنى قوله: ﴿واطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾.

مع أنّ الله سبحانه أبان ما هو أوضح من هذا القيد، فيما هو دون هذه الطاعة المفترضة، كقوله في الوالدين: ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ الآية [العنكبوت: ٨].

فما باله لم يظهر شيئاً من هذه القيود في آية تشتمل على أُسّ أساس الدين، وإليها تنتهي عامّة أعراق السعادة الإنسانيّة؟

على أنّ الآية جمع فيها بين الرسول وأُولي الأمر، وذكر لهما معاً طاعةً واحدةً، فقال: ﴿وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾ ولا يجوز على الرسول أن يأمر بمعصية، أو يغلط في حكم، فلو جاز شيء من ذلك على أُولي الأمر، لم يسع إلّا أن يذكر القيد الوارد عليهم، فلا مناص من أخذ الآية مطلقةً من غير أي تقييد.

ولازمه اعتبار العصمة في جانب أُولي الأمر، كما اعتبر في جانب رسول الله ﷺ من غير فرق.

ثم أتى السيد المؤلف ببحثه الروائي من الأحاديث عن تفسير «البرهان» عن ابن بابويه بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري: لما أنزل الله عزوجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾ قلت: يا رسول الله! عرفنا الله ورسوله، فمن أُولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: هم خلفائي

المبحث الثاني والستون

في قوله تعالى: ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأُولي الأمر منكم ﴾ [النساء: ٥٩].

إن أقوال العلماء والمفسّرين في تفسير هذه الآية الكريمة غير متفقة، وآراؤهم في بيان ما تضمنته من الإشارات متضاربة متفارقة. فمنهم من قال بأن المراد بأولي الأمر هم العلماء، ومنهم من قال بأن المراد بهم الأُمراء. ومنهم من قال بأن المراد بهم الأئمة الإثنا عشر الأوصياء من أهل بيت أفضل الأنبياء عليهم أفضل الصلوات، وأزكى التحيات. وكل حزب منهم يستدلّون فيما قالوه بما ورد من الأحاديث عن المشرع الأعظم ﷺ.

فحجّة من قال بأن المراد بهم العلماء، فبما ورد من الأحاديث عن جابر بن عبدالله وعن ابن عبّاس، وفي رواية عن مجاهد، والحسن، وعطاء، وجماعة، كما ذكره الطبرسي وغيره من المفسّرين. وحجّة من قال بأن المراد بهم الأُمراء، فبما ورد عن أبي هريرة، وابن عبّاس أيضاً، وفي رواية عن ميمون بن مهران، والسدّي، وأختاره الجبائي والبلخيّ والطبريّ.

وأما حجة من قال بأن المراد بهم الأئمة الإثنا عشر، فبما ورد عن زهرة الشجرة النبوية، وثمرة الدوحة العلوية، الإمام جعفر الصّادق عليه وعلى آبائه السلام. من الأحاديث والأخبار، كما سيلي ذكرها فيما بعد.

وقبل أن نخوض في هذا البحر المتلاطمة أمواجه، أرىٰ من الخير لمن كان من أمثالي التحرر من قيد العصبية المظلمة. ولكل باحث عن الحق، أنّ يستهدي بما ثبت من البينات المسطورة في طيّات صحائف المتبحرين في هذا الفن، فيستضيء بأنوارها إلى سبل

الباقر والصّادق عليهما السلام أن أُولي الأمر، هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله، أوجب الله طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله، ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلّا من ثبتت عصمته، وعلم أن باطنه كظاهره، وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح، وليس ذلك بحاصل في الأُمراء ولا العلماء سواهم، جلّ الله أن يأمر بطاعة من يعصيه، أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل، لأنّه محال أن يطاع المختلفون، كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. ومما يدلّ علىٰ ذلك أيضاً أن الله تعالى لم يقرن طاعة أُولي الأمر بطاعة رسوله، كما قرن طاعة رسوله بطاعته إلّا وأولو الأمر فوق الخلق جميعاً، كما أن الرسول فوق أُولي الأمر وفوق سائر الخلق، وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم واتفقت الأُمة على علوّ رتبتهم وعدالتهم.

﴿فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول﴾ معناه: فإن اختلفتم في شيء من أُمور دينكم، فردّوا التنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي.

ونحن نقول: الرد إلى الائمة القائمين مقام الرسول بعد وفاته، وهو مثل الرد إلى الرسول في حياته، لأنهم الحافظون لشريعته، وخلفاؤه في أُمته، فجروا مجراه فيه.... (الخ). انتهى.

وفي «الينابيع» للقندوزي الحنفي قال في الباب السابع والسبعين [ص٤٤٤] في تحقيق حديث: بعدي إثنا عشر خليفة: وفي «جمع الفوائد» جابر بن سمرة رفعه: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم إثنا عشر خليفة، كلّهم تجتمع عليه الأُمة، فسمعت كلاماً من النبي صلى الله عليه وآله لم أفهمه، فقلت لأبي: ما يقول؟ قال: كلّهم من قريش. للشيخين، والترمذي، وأبي داود بلفظه.

وذكر يحيى بن الحسن في كتابه «العمدة» من عشرين طريقاً في أنّ الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وآله إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش. في البخاري من ثلاثة طرق، وفي مسلم من تسعة طرق، وفي أبي داود من ثلاثة طرق، وفي الترمذي من طريق واحد، وفي الحميدي

يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي. أوّلهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي ابن الحسين، ثم محمد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر، ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصّادق جعفر بن محمّد، ثم موسى بن جعفر، ثم عليّ بن موسى، ثم محمّد بن عليّ، ثم عليّ بن محمّد، ثم الحسن بن عليّ، ثم سميّي محمّد وكنيّي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده، ابن الحسن بن عليّ، ذاك الذي يفتح الله تعالىٰ ذكره علىٰ يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه، غيبة لا يثبت فيه على القول بإمامته، إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت له يا رسول الله، فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟

فقال ﷺ: إي والذي بعثني بالنبوّة. إنهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع النّاس بالشمس وإن تجلّاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله، ومخزون علم الله، فاكتمه إلّا عن أهله.

وقال: أقول: وفي تفسير العياشيّ عن عمر بن سعيد عن أبي الحسن عليه السلام مثله. وفيه: عليّ بن أبي طالب والأوصياء من بعده. وعن ابن شهر آشوب: سأل الحسن بن صالح عن الصادق عليه السلام ذلك، فقال: الأئمة من أهل البيت.

ثم قال: أقول: وروى مثله الصدوق عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام وفيه قال: الأئمة من ولد عليّ وفاطمة إلى أن تقوم الساعة.

وفي تفسير العياشيّ عن عبدالله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾** قال: هي في عليّ وفي الأئمة، جعلهم الله مواضع الأنبياء، غير أنهم لا يحلّون شيئاً ولا يحرّمونه.

وفي «الكافي» بإسناده عن بريد بن معاوية قال: تلا أبو جعفر عليه السلام: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾**: فإن خفتم تنازعاً في الأمر فارجعوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أُولي الأمر منكم. ـ (الخ) انتهى.

وفي تفسير «مجمع البيان» [٣ ـ ٤]: للطبرسي، قال: وأما أصحابنا فإنهم رووا عن

وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون. وأخرجه أيضاً الحمّوئي.

وعن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحب أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين، فليوال علياً، وليعاد عدوه، وليأتم بالأئمة الهداة من ولده، فإنهم خلفائي وأوصيائي، وحجج الله على خلقه من بعدي، وسادات أُمتي وقوادّ الأتقياء إلى الجنة، حزبهم حزبي وحزبي حزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشيطان.

وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله فتح هذا الدين بعليّ، وإذا قتل فسد الدين، ولا يصلحه إلّا المهدي.

وعن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأئمة من ولدي، فمن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقى، والوسيلة إلى الله جلّ وعلا.

قال القندوزي: قال بعض المحققين: إنّ الأحاديث الدالّة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله إثنا عشر، قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان، وتعريف الكون والمكان، علم أن مراد رسول الله صلى الله عليه وآله من حديثه هذا الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه، لقلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأُموية، لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم، لأن النبي صلى الله عليه وآله قال: كلّهم من بني هاشم، في رواية عبد الملك عن جابر، وإخفاء صوته صلى الله عليه وآله.

في هذا القول ترجح هذه الرواية، لأنهم لا يحسنون خلافة بني هاشم.

ولا يمكن أن يحمله على الملوك العباسية، لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلّة رعايتهم الآية: ﴿قُلْ لا أَسأَلكُم عَلَيهِ أَجراً إلّا المَودَّةَ في القُربَىٰ﴾[1] وحديث الكساء، فلا بدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الإثني عشر من أهل بيته وعترته صلى الله عليه وآله، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً،

---

(١) الشورى: ٢٣.

من ثلاثة طرق.

وفي «البخاري» عن جابر رفعه: يكون بعدي إثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فسألت أبي: ماذا قال؟ قال: قال: كلّهم من قريش.

وفي صحيح مسلم عن عامر بن سعد: كتبت إلى ابن سمرة: أخبرني بشيء سمعته من النبي ﷺ فكتب إليّ: سمعت رسول الله ﷺ يوم الجمعة، عشية رجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، ويكون عليهم إثنا عشر خليفةً كلّهم من قريش.

وفي المودّة العاشرة من كتاب «مودّة القربىٰ» للسيد علي الهمداني قدّس الله سرّه، وأفاض علينا من بركاته وفتوحه: عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ فسمعته يقول: بعدي إثنا عشر خليفة، ثم أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلّهم من بني هاشم. وعن سماك بن حرب مثل ذلك.

وعن الشعبي عن مسروق قال: بينا نحن عند ابن مسعود نعرض مصاحفنا عليه إذ قال له فتى: هل عهد إليكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة؟ قال: إنّك لحديث السن، وإن هذا شيء ما سألني عنه أحد قبلك، نعم، عهد إلينا نبينا ﷺ أنّه يكون بعده إثنا عشر خليفة، بعدد نقباء بني إسرائيل.

وعن عباية بن ربعي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيّد النبيين، وعليّ سيّد الوصيّين وإن أوصيائيّ بعدي إثنا عشر، أولهم عليّ وآخرهم القائم المهدي.

وعن عليّ كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأُمتي رجل من ولد الحسين، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً.

وعن سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان الفارسي ﵁ قال: دخلت على النبي ﷺ فإذا الحسين علىٰ فخذيه، وهو يقبّل خدّيه ويلثم فاه، ويقول: أنت سيد ابن سيّد، أخو سيّد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجة ابن حجة أخو حجة، أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم المهدي. وأخرجه أيضاً: الحمّوئي، وموفق بن أحمد الخوارزمي.

وعن ابن عبّاس ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعليّ والحسن والحسين

الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونـذيراً، إن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته، لأعزّ من الكبريت الأحمر. فقام إليه جابر بن عبدالله فقال: يا رسول الله! وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي وربّي، ليمحّص الذين آمنوا ويمحق الكافرين، ثم قال: يا جابر إن هذا أمر من أمر الله، وسر من سر الله، فإياك والشك، فإن الشك في أمر الله عزّوجلّ كفر.

وذكر السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي في كتابه «فضائل الخمسة» [٢: ٢٣] ما أخرجه بعض أئمه المحدّثين في كتبهم، كالبخاري ومسلم، وقد مضت بعض رواياتهم فيما مضى، وأما رواية غيرهما فسنذكرها فيما يلي، فمنهم: الترمذي في صحيحه [٢: ٣٥] روى بسندين عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: يكون بعدي اثنا عشر أميراً، قال: ثم تكلّم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني، فقال: قال: كلّهم من قريش.

الحاكم في «المستدرك» [٤: ٥٠١] روى بسنده عن مسروق قال: كنا جلوساً ليلة عند عبدالله يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن! هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأُمة من خليفة؟ فقال عبدالله: ما سألني عن هذه أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألناه، فقال: إثنا عشر، عدّة نقباء بني اسرائيل.

«قال الفيروزآبادي»: ورواه أيضاً: أحمد بن حنبل في مسنده: بطريقين في [١: ص٣٨٩وص٤٠٦] وذكره الهيثمي أيضاً في «مجمع الزوائد» [٥: ١٩٠] وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، والبزار. وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [٣: ٢٠٥] ولفظه: إن عدّة الخلفاء بعدي عدّة نقباء موسى، وقال: أخرجه: ابن عدي وابن عساكر عن ابن مسعود، وفي [٦: ٢٠١] أيضاً، وقال: أخرجه الطبراني عن ابن مسعود وفي [ص٢٠١] أيضاً، وقال: أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» عن ابن مسعود.

وذكره المناوي في «الفيض القدير» في الشرح [٢: ٤٥٨] وقال: أخرجه ابن عدي، وابن عساكر في التاريخ، عن ابن مسعود.

أحمد بن حنبل في مسنده [٥: ٨٦] روى بسند عن جابر بن سمرة فقال: قال رسول

وأكرمهم عند الله.

وكان علمهم عن آبائهم متصلاً بجدهم ﷺ وبالوراثة واللّدنية، كذا عرّفهم أهل العلم والتحقيق، وأهل الكشف والتوفيق.

ويؤيد هذا المعنى، أي أن مراد النبي ﷺ الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته، ويشهد له ويرجحه: حديث الثقلين والأحاديث المتكثرة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها. وأما قوله ﷺ في رواية جابر بن سمرة، فمراده ﷺ أن الأمة تجتمع على الإقرار بإمامة كلّهم وقت ظهور قائمهم المهدي، رضي الله عنهم.

وفي نهج البلاغة من خطبة عليّ عليه السلام: «أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا؟ أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستعطىٰ الهُدىٰ، وبنا يُستجلىٰ العمى»(١). وقال: وإنّه سيأتي عليكم من بعدي زمانٌ، ليس فيه شيء أخفى من الحقّ، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعةٌ أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيءٌ أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر. واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله، فإنهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق(٢).

وفي الباب الثامن والسبعين [ص٤٤٨] أورد ما رواه الشيخ محمد بن إبراهيم الجويني الخراساني الحمّوئي، المحدّث الفقيه الشافعي: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إن علياً وصيّي، ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة: ١٤٤ ص٢٠١: صبحي الصالح، ط. دار الهجرة ـ قم.

(٢) آخر الخطبة ١٤٧.

بعضاً. فقلنا: لا، إن شاء الله، وليس هذا الظن بالله، بل الظن أنه إذا راح واحد خلّفه بدل منه قدم على قدم، إلى خروج المهدي ونزول عيسى.

قال الحساوي: وفي ذلك رائحة من معنى قولهﷺ: عندنا أمانة لا يحملها إلّا المهدي، وقال مرةً: أخذنا من الكتاب والسنّة ما لا يحمله إلّا المهدي، وقال مرةً: عندنا من الشيخ عبدالله بن أبي بكر «يعني العيدروس» أمانة لا يحملها إلّا المهدي.

وقد ذكر ابن حجر الأئمة الاثني عشر بأسمائهم وصفاتهم وما لهم من الفضائل والمكرمات واحداً بعد واحد في كتابه «الصواعق»(١).

ونقل السيد أمير محمد الكاظمي القزويني في كتابه «نقض الصواعق» [ص٢٧٨] ما قاله قطب العارفين، وشيخ المؤرخين، البحاثة عند أعلام السنّة، صاحب الفتوحات المكية، ابن عربي في الباب [٣٦٦ ـ ص١٢٨] من اليواقيت والجواهر، للعارف عبد الوهاب الشعراني في المبحث ٦٥ من النسخة المطبوعة سنة ٣١٧ هجرية: «إن الائمة من أهل البيت النبوي اثنا عشر إماماً، وإن آخرهم المهدي، وهو حي موجود. وقد اجتمع معه الكثير من علماء السنة، وسوف يخرج في آخر الزمان، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»(٢).

قال في ذلك الكتاب ما لفظه: واعلموا أنه لا بد من خروج المهديعليه السلام لكن لا يخرج حتىٰ تمتلئ الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً. ولو لم يكن من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول اللهﷺ من ولد فاطمةعليها السلام جدّه الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ووالده الحسن العسكري ابن الإمام علي النقي «بالنون» ابن الامام محمد التقي «بالتاء» ابن الإمام عليّ الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصّادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن زين العابدين عليّ، ابن الإمام الحسين ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، يواطئ اسمه اسم الرسولﷺ يبايعه

---

(١) الصواعق، الفصل الثالث، ص ١١٤ ـ ١٢٤ ط. الميمنية.
(٢) الفتوحات المكية: ٣ / ٣٢٧ ط. بيروت.

الله ﷺ: لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش (الحديث).

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل أيضاً [٥: ٩٢] روى بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ أو قال: قال رسول الله ﷺ: يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

وروى في [٥: ١٠٦] بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكون لهذه الأمّة اثنا عشر خليفةً.

وفي «كنز العمال» للمتقي [٦: ٢٠١] ولفظه: يكون لهذه الأُمة اثنا عشر خليفةً قيّماً لا يضرّهم من خذلهم، كلّهم من قريش، قال: أخرجه الطبراني عن جابر بن سمرة.

قال المؤلف: وذكره الهيثمي أيضاً في مجمعه [٥: ١٩١] وقال: لا يضرّهم عداوة من عاداهم. فالتفتّ خلفي فإذا بعمر بن الخطاب في أُناس، فأثبتوا لي الحديث كما سمعت. انتهى.

وإلى ذلك أشار سيدي وقدوتي الحبيب العارف بالله عبدالله الحداد في قصيدة له:

ومنا إمام حان حين خروجه	يقوم بأمر الله خير قيام
فيملأها بالحق والعدل والهدى	كما ملئت جوراً بظلم طغام
إذا قام قمنا والموفق ربنا	بنصرته أن راث حين حمام
وإلّا فنرجو أن يقوم بنصره	فروع من البيت المصون نوامي
ولله منّا الحمد والشكر والثنا	على نعم مشكورة بدوام
ونسأل مولانا تبارك إسمه	ثباتاً وتأييداً وحسن ختام
وتمّت وصلى الله أزكى صلاته	على أحمد ما انهلّ وَدْقُ غمام
وما غرّدت ورق على غصن دوحة	وما لاح برق النجد جنح ظلام
وآل وأصحاب ومن كان تابعاً	على البر والتقوى وحفظ ذمام

وقال رضي الله عنه ورضي به عنا في الدارين في كتابه «تثبيت الفؤاد» [١: ٣٤]: أخبر رجل عن أبيه أنّه قال: إذا مات فلان سيدنا، بقي النّاس يضرب جباههم بعضها

المبحث الثالث والستون

في قوله تعالى: ﴿ والعَادِيَاتِ ضَبْحاً ﴾ [العاديات: ١].

قد جاء فيما نقله بعض المفسّرين في تفاسيرهم بأن هذه الآية الشريفة قد نزلت في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وذلك حين بعثه النبي صلى الله عليه وآله في سرية من السرايا، وكان صلى الله عليه وآله قد بعث قبله رجالاً بعد رجال عدّة مرّات وانهزموا ورجعوا خائبين. وقتل من المسلمين عدد كبير كما روى ذلك:

الطبرسي في تفسيره «مجمع البيان» [٥: ٦٧٥ ط. بيروت ـ مؤسسة التأريخ العربي]: قال: قيل: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية إلى حي من كنانة، فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري أحد النقباء، فتأخر رجوعهم، فقال المنافقون: قتلوا جميعاً، فأخبر الله عنها بقوله: ﴿والعاديات ضبحاً﴾ عن مقاتل، وقيل.نزلت السورة لما بعث النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام الى ذات السلاسل فأوقع بهم، وذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غيره من الصحابة فرجع كل منهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله. وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل. قال: وسمّيت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنه أُسر منهم وقتل وسبي وشد أسراهم في الحبال مكتفين كأنهم في السلاسل.

ولما نزلت السورة، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى النّاس فصلّى بهم الغداة، وقرأ فيها: ﴿والعاديات ضبحاً﴾. فلما فرغ من صلاته قال أصحابه: هذه سورة لم نعرفها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم، إن علياً ظفر بأعداء الله، وبشّرني بذلك جبرئيل عليه السلام في هذه الليلة، فقدم عليّ عليه السلام بعد أيام بالغنائم والأُسارى.

وفي تفسير الميزان [٢٠: ٤٩١ ط. دار الكتب الاسلامية] ذكر في بحثه الروائي ما نقله عن

المسلمون بين الركن والمقام. انتهى.

وهذا يتفق مع ما أخرجه البخاري في صحيحه [٤: ١٥٤]: في باب «الأُمراء من قريش» في أول كتاب الأحكام. ومسلم في الباب نفسه، وغيرهما من أهل الصحاح. كما مرّ عن النبي ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» وفي بعض الرواية: من بني هاشم كما في «ينابيع المودّة».

***

أشدّهم آخرهم، وهو سعد بن مالك العجليّ، وهو صاحب الحصن، فقتلهم فانهزموا، ودخل بعضهم في الحصن وبعضهم استأمنوا وبعضهم أسلموا، وأتوه بمفاتيح الخزائن.

قالت اُم سلمة: انتبه النبي ﷺ من القيلولة، فقلت: الله جارك مالك؟ فقال: أخبرني جبرئيل بالفتح، ونزلت: ﴿والعاديات ضبحاً﴾ فبشّر النبي ﷺ أصحابه بذلك، وأمرهم باستقباله والنبي ﷺ تقدمهم، فلما رآى عليّ النبي ﷺ ترجّل عن فرسه فقال النبي ﷺ: إركب فإن الله ورسوله عنك راضيان، فبكى عليّ عليه السلام فرحاً، فقال النبي ﷺ: يا عليّ لولا أني اُشفق أن تقول فيك طوائف من اُمتي ما قالت النصارى في المسيح، ..... «الخبر». انتهى.

وقد أخرج ابن المغازلي هذا الخبر أيضاً، غير أنه قال بأنّ قول النبي ﷺ لعليّ لما قدم بفتح خيبر. روى ذلك في «المناقب» [ص٢٣٧ برقم ٢٨٥] مسنداً. قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عبيد الله بن القصاب البيّع رحمه الله، حدّثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد الجرجرائيّ، حدّثنا أبو الحسن عليّ بن سليمان بن يحيى، حدّثنا عبد الكريم بن عليّ، حدّثنا جعفر بن محمّد بن ربيعة البجليّ، حدّثنا الحسن بن الحسين العرنيّ، حدّثنا كادح بن جعفر، عن عبدالله بن لهيعة عن عبد الرحمن بن زياد، عن مسلم بن يسار، عن جابر بن عبدالله قال: لمّا قدم عليّ بن أبي طالب بفتح خيبر قال له النبيّ ﷺ: يا عليّ لولا أن تقول طائفة من اُمتي، فيك ما قالت النصارىٰ في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالاً، لا تمرّ بملأ من المسلمين إلّا أخذوا التراب من تحت رجليك، وفضل طهورك، يستشفعون بهما، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك، ترثني وأرثك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت تبرئ ذمتي، وتستر عورتي، وتقاتل على سنّتي، وأنت غداً في الآخرة أقرب الخلق منّي، وأنت على الحوض خليفتي، وإنّ شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي، أشفع لهم ويكونون في الجنّة جيراني، وإن حربك حربي وسلمك سلمي، وسريرتك سريرتي، وعلانيتك علانيتي وإن ولدك ولدي، وأنت تقضي ديني وأنت تنجز وعدي، وإن الحق علىٰ لسانك وفي قلبك ومعك وبين يديك ونصب عينيك، الايمان مخالط

مجمع البيان باللفظ المذكور. وذكر ابن شهر آشوب في مناقبه [٣: ١٤٠]: في فصل «فيما ظهر منه عليه السلام في غزاة السلاسل» قال: قال أبو القاسم بن شبل الوكيل، وأبو الفتح الحفار بإسنادهما عن الصّادق عليه السلام ومقاتل، والزجاج، ووكيع، والثوري، والسدي، وأبو صالح، وابن عبّاس: إنه أنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر في سبعمئة رجل، فلما صار إلى الوادي وأراد الانحدار فخرجوا إليه، فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله بعث عمر فرجع منهزماً، فقال عمرو بن العاص: إبعثني يا رسول الله فإن الحرب خدعة، ولعلّي أخدعهم، فبعثه فرجع منهزماً، «وفي رواية» أنه أنفذ خالداً فعاد كذلك، فساء النبي ذلك فدعا علياً وقال: أرسلته كرّاراً غير فرّار، فشيّعه إلى مسجد الأحزاب، فسار بالقوم متنكباً عن الطريق، يسير بالليل ويكمن بالنهار، ثم أخذ عليّ محجّة غامضة، فسار بهم حتى استقبل الوادي من فمه، ثم أمرهم أن يعكموا الخيل وأوقفهم في مكان. وقال لا تبرحوا، وانتبذ أمامهم وأقام ناحيةً منهم، فقال خالد، وفي رواية قال عمر: أنزلنا هذا الغلام في واد كثير الحيّات والهوام والسباع، إمّا سبع يأكلنا أو يأكل دوابنا، وإمّا حيّات تعقرنا وتعقر دوابنا، وإمّا يعلم بنا عدونا فيأتينا ويقتلنا، فكلّموه نعلو الوادي.

فكلّمه أبو بكر فلم يجبه، فكلّمه عمر فلم يجبه، فقال عمرو بن العاص: إنه لا ينبغي أن نضيع أنفسنا، انطلقوا بنا نعلو الوادي، فأبىٰ ذلك المسلمون.

ومن روايات أهل البيت عليهم السلام: أنه أبت الأرض أن تحملهم، قالوا فلما أحس عليه السلام الفجر قال: إركبوا بارك الله فيكم وطلع الجبل حتى إذا انحدر على القوم وأشرف عليهم قال لهم: أُتركوا عكمة دوابكم قال: فشمت الخيل ريح الإناث فصهلت فسمع القوم صهيل خيلهم فولّوا هاربين. وفي رواية مقاتل والزجاج: أنه كبس القوم وهم غادون، فقال: يا هؤلاء! أنا رسول الله إليكم، أن تقولوا لا إله إلّا الله محمد رسول الله، وإلاّ ضربتكم بالسيف، فقالوا: إنصرف عنا كما انصرف ثلاثة، فإنك لا تقاومنا، فقال عليه السلام: إنني لا أنصرف، أنا علي بن أبي طالب، فاضطربوا، وخرج إليه الأشداء السبعة، وناصحوه وطلبوا الصلح، فقال عليه السلام: إمّا الاسلام وإما المقاومة. فبرز إليه واحد بعد واحد، وكان

معه جماعة منهم أبو بكر وعمر وعمرو بن العاص، فسار الليل وكمن النهار حتى استقبل الوادي من فمه، فلم يشك عمرو بن العاص أنه يأخذهم، فقال لأبي بكر: هذه أرض سباع وذئاب، وهي أشدّ علينا من بني سليم، والمصلحة أن نعلو الوادي، وأراد إفساد الحال، وقال: قل ذلك لأمير المؤمنينعليه السلام فقال له أبو بكر، فلم يلتفتعليه السلام إليه، ثم قال لعمر فلم يجبه أمير المؤمنينعليه السلام، وكبس على القوم الفجر فأخذهم، فأنزل الله تعالى: ﴿والعاديات ضبحاً﴾ السورة. واستقبله النبيصلى الله عليه وآله فنزل أمير المؤمنين وقال له النبيصلى الله عليه وآله: لو لا أن أشفق أن يقول فيك طوائف من أُمتي ما قالت النصارىٰ في المسيح، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ منهم إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك، إركب فإن الله ورسوله عنك راضيان.

قال الإمام المظفر: وقد ورد مضمون هذا الخبر في جملة من أخبار القوم فضلاً عن أخبارنا. فقد حكاه في «ينابيع المودّة» عن أحمد في مسنده من طريقين، وكذا عن موفق ابن أحمد «الخوارزمي»، وقال الشافعي فيما نسب اليه:

لو ان المرتضى أبدى محلّه   لصار الخلق طراً سجّداً له

كفى في فضل مولانا عليّ   وقوع الشك فيه أنه الله

* * *

لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، لا يرد عليّ الحوض مبغض لك، ولا يغيب عنه محب لك. فخرّ عليّ عليه السلام ساجداً وقال: الحمد لله الذي منّ علي بالأسلام، وعلّمنيّ القرآن، وحبّبني إلى خير البريّة، وأعزّ الخليقة، وأكرم أهل السّماوات والأرض علىٰ ربّه، وخاتم النبيين وسيّد المرسلين وصفوة الله في جميع العالمين. إحساناً من الله العليّ إليّ، وتفضلاً منه عليّ.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: لولا أنت يا عليّ ما عرف المؤمنون بعدي. لقد جعل الله جلّ وعزّ نسل كل نبي من صلبه، وجعل نسلي من صلبك، يا عليّ فأنت أعزّ الخلق وأكرمهم عليّ وأعزّهم عندي، ومحبّك أكرم من يرد عليّ من أُمتي.

قال الفاضل محمد باقر البهبودي في تعليقه على الكتاب: أخرجه ابن حاتم في «علل الحديث» [١: ٣١٣] والكراجكي في «كنز الفوائد» [ص٢٨١]. والخوارزمي في «مقتل الحسين» وفي المناقب [ص٢٤٥ و ص٧٧]. والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» [ص٢٦٣] والهيثمي في «مجمع الزوائد» [٩: ١٣١] وابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح النهج» [٢: ٣٣٩] وقال: ذكره أحمد بن حنبل في مسنده. انتهى.

وذكر الإمام المظفر في «دلائل الصدق» [٢: ١٥٦] عن الحلّي في قوله تعالى: ﴿والعاديات﴾ قال: أقسم الله تعالى بخيل جهاده في غزوة السلسلة لما جاء جماعة من العرب واجتمعوا علىٰ وادي الرملة ليبيّتوا النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة، فقال النبي لأصحابه: من لهؤلاء؟ فقام جماعة من أهل الصفة فقالوا: نحن، فولّ علينا من شئت، فأقرع بينهم فخرجت القرعة على ثمانين رجلاً منهم ومن غيرهم.

فأمر أبا بكر بأخذ اللواء، والمضي إلى بني سليم وهم ببطن الوادي، فهزموهم وقتلوا جمعاً كثيراً من المسلمين وانهزم أبو بكر. وعقد لعمر وبعثه فهزموه، فساء النبي صلى الله عليه وآله فقال عمرو بن العاص: إبعثني يا رسول الله، فأنفذه، فهزموهم وقتلوا جماعةً من أصحابه، وبقي النبي صلى الله عليه وآله أياماً يدعو عليهم.

ثم طلب أمير المؤمنين عليه السلام وبعثه إليهم، ودعا له وشيّعه إلى مسجد الأحزاب. وأنفذ

الحافظ الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» [ص٢٨٤] من طريق الحافظ ابن عساكر.

وأخرج ابن المغازلي أيضاً في [ص٢٩٩] من الكتاب المذكور برقم [٣٤٣] مسنداً قال: قال رسول الله ﷺ إن الله عزّوجلّ أوحى إلى موسى عليه السلام أن ابنِ لي مسجداً طاهراً لا يكون فيه غير موسى وهارون وابني هارون شبراً وشبيراً، وأن الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً، لا يكون فيه غيري وغير أخي عليّ وغير ابني الحسن والحسين عليهما السلام. «انتهى».

أقول: وقد روى هذا الحديث ونحوه عدّة من الأئمة وكبار المحدّثين وحملة السنن في صحاحهم ومسانيدهم، كما نقل عنهم السيد الشريف مرتضى الحسيني الفيروزآبادي في كتابه القيمّ «فضائل الخمسة» [٢: ١٥٦] فمنها:

صحيح الترمذي [٢: ٣٠٠] روى بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ! لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك.

سنن البيهقي [٧: ٦٥] روى بسنده عن أُم سلمة قالت: خرج علينا رسول الله ﷺ فوجّه هذا المسجد فقال: ألا لا يحلّ هذا المسجد لجنب ولا لحائض إلّا لرسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد بينت لكم الأسماء أن لا تضلّوا.

وقال المؤلف السيد مرتضى: ورواه بطريق آخر عن أُم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: ألا إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء. وكل جنب من الرجال إلّا علىٰ محمّد وأهل بيته: عليّ وفاطمة والحسن والحسين.

ثم إنّ الطريقين المذكورين قد ذكرهما المتقي أيضاً في «كنز العمال» [٦: ٢١٧]: قال في أولهما: أخرجه البيهقي وابن عساكر، وقال في ثانيهما: أخرجه البيهقي.

وفي «كنز العمال» [١: ١٥٩] قال ﷺ: لا ينبغي لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلّا أنا أو عليّ قال: رواه الطّبرانيّ عن أم سلمة.

وفي «مجمع الزوائد» [٩: ١١٥] للهيثمي قال: عن خارجة بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. وقال: رواه البزار.

المبحث الرابع والستون

في قوله تعالى: ﴿ وأَوحَيْنا إِلىٰ مُـوسىٰ وأخيـه أَن تـبوّءا لِقَومِكَما بمِصرَ بُيُوتاً ﴾ [يونس: ٨٧].

قال السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» [٣: ٣١٤] لدى تفسير الآية: وأخرج ابن عساكر عن أبي رافع رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله خطب فقال: إنّ الله أمر موسىٰ وهارون أن يتبوّآ لقومهما بيوتاً، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب، ولا يقربوا فيه النساء إلّا هارون وذريته، ولا يحلّ لأحد أن يقرب النساء في مسجدي هذا، ولا يبيت فيه جنب إلّا علي وذريته.

وأخرج ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص٢٥٢ برقم ٣٠١]: أخبرنا أحمد بن محمد إجازة، قال: حدّثنا عمر بن شوذب، حدّثنا أحمد بن عيسى بن الهيثم، حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، حدّثنا عليّ بن عيّاش، عن الحارث ابن حصيرة، عن عديّ بن ثابت قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المسجد فقال: إنّ الله أوحى إلى نبيه موسى أن ابنِ لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلّا موسى وهارون وابنا هارون، وإنّ الله أوحى إليّ أن أبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلّا أنا وعليّ وابنا عليّ.

قال الفاضل محمد باقر البهبودي في تعليقاته على الكتاب المذكور: وأخرجه الشيخ عبدالله الشافعي في مناقبه المخطوط. وأخرجه الشيخ عبيد الله الحنفي الأمرتسري في «أرجح المطالب» [ص٤١٦ ط. لاهور] بعين السند واللفظ، كلاهما من طريق مؤلفنا ابن المغازلي الشافعي. وأخرجه العلّامة السيوطي في «الخصائص» [٢: ٢٤٣] بالإسناد عن أبي حازم الأشجعي، وأخرجه ابن عساكر عن أبي رافع «وقد مر ذكره» وهكذا أخرجه

المبحث الخامس والستون

في قوله تعالى: ﴿ مُحمَّد رَّسولُ اللهِ والَّذينَ معَهُ أشدّاءُ علَى الكفَّار ﴾ [الفتح: ٢٩].

نقل السيد المرتضى الحسيني في كتابه «فضائل الخمسة» [٢: ٢٠٨] عن «تأريخ بغداد» للخطيب البغدادي [٣: ١٥٣] أنه روى بسنده عن أبي الأحوص. قال: كنا عند ابن مسعود فتلا ابن عباس هذه الآية: **﴿محمّد رسول الله والّذين معه أشدّاء علىٰ الكفار﴾** وساق الحديث إلى أن قال ابن عبّاس: **﴿يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار﴾**: عليّ بن أبي طالب. كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

أقول: وقد روى الحديث جمع كثيرون من أساطين المحدّثين وحملة السنن في صحاحهم ومسانيدهم كما نقل عنهم السيد الفاضل الحسيني في كتابه المذكور. فنهم:

الترمذي في صحيحه [٢: ٢٩٩] روى بسنده عن أبي سعيد قال: إنا كنا لنعرف المنافقين «نحن معشر الأنصار» ببغضهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال المرتضىٰ الحسيني: رواه أبو نعيم أيضاً في «حلية الأولياء» [٦: ٢٩٤].

وفي صحيح الترمذي أيضاً [٢: ٢٩٩] روى بسنده عن المساور الحميري عن أُمّه قالت: دخلت على أُم سلمة فسمعتها تقول: كان رسول الله ﷺ يقول: لا يحب علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن. قال: وفي الباب عن عليّ عليه السلام. قال المؤلف: رواه أحمد بن حنبل في مسنده [٦: ٢٩٢].

وفي «المستدرك» للحاكم [٣: ١٢٩] روى بسنده عن أبي عبدالله الجدليّ عن أبي ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلّف عن الصلوات، والبغض

وقال المؤلف: وذكره ابن حجر أيضاً في صواعقه [ص٧٢] وقال أيضاً: أخرجه البزار، وفي «فتح الباري» في شرح البخاري [٨: ١٦] قال: أخرج إسماعيل القاضي في أحكام القرآن، من طريق المطلب بن عبدالله بن حنطب، أن النبي ﷺ لم يأذن لأحد أن يمرّ في المسجد وهو جنب إلّا لعليّ بن أبي طالب لأن بيته كان في المسجد.

وفي «الصواعق» لابن حجر [ص١٢١] قال في الحديث الثالث عشر: أخرج البزار عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. انتهى.

وقد ذكره السيوطي أيضاً في كتابه «تأريخ الخلفاء» [ص١١٥ ط. المنيرية سنة ١٣٥١].

* * *

أخرجه ابن أبي شيبة عن أُم سلمة.

وقال أيضاً ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: ﴿ولتعرفنّهم في لحن القول﴾ [محمد: ٣٠] قال: ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي «كنز العمال» أيضاً [٦: ١٥٨] قال: لا يحب علياً إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق وقال: أخرجه الطبراني عن أُم سلمة.

وفي «مجمع الزوائد» للهيثمي [٩: ١٣٣] قال: وعن ابن عبّاس قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام فقال: لا يحبك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق، من أحبك فقد أحبني، ومن أبغضك فقد أبغضني، وحبيبي حبيب الله، وبغيضي بغيض الله، ويل لمن أبغضك بعدي. قال: رواه الطبراني في «الأوسط».

وفي «مجمع الزوائد» [٩: ١٣٣]: قال: وعن عمران بن الحصين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق.

قال: رواه الطبراني في الأوسط.

وفي «الرياض النضرة» للطّبري [٢: ٢١٤] قال: وعن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أيها الناس! أُوصيكم بحب ذي قرنيها، أخي وابن عمي عليّ بن أبي طالب، فإنه منّي لا يحبه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق، من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني. قال: أخرجه أحمد في «المناقب».

وفي «كنوز الحقائق» للمناوي [ص٦٣] قال: حب عليّ براءة من النفاق. قال: أخرجه الديلمي.

وفي «الرياض النضرة» أيضاً [٢: ٢١٤] قال: عن الحارث الهمداني قال: رأيت علياً عليه السلام على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قضاء قضاه الله عزّوجلّ على لسان نبيكم، النبي الأُمي صلى الله عليه وآله أن لا يحبني إلّا مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق. قال: أخرجه ابن فارس.

وفي «نور الأبصار» للشبلنجي [ص٩٠] قال: عن أبي سعيد الخدري قال: قال

لعليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وقال الحسيني: وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [٦: ٣٩] وقال: أخرجه الخطيب في «المتفق».

وذكره المحب الطبري أيضاً في «الرياض النضرة» [٢: ٢١٤]: وقال: أخرجه ابن شاذان.

وفي «مشكل الآثار» للطحاوي [١: ٥٠] روى بسنده عن عمران بن حصين قال: خرجت يوماً فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: يا عمران! إن فاطمة مريضة، فهل لك أن تعودها؟ قال: قلت: فداك أبي وأمي، وأي شيء أشرف من هذا؟ قال صلى الله عليه وآله: انطلق، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وانطلقت معه حتى أتى الباب، فقال: السلام عليكم، أدخل؟ «فساق الحديث» وفي آخره قول رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: لقد زوجتك سيداً في الدنيا وسيداً في الآخرة، لا يبغضه إلّا منافق.

قال الحسيني: وذكره المحب الطبري أيضاً في «ذخائر العقبى» [ص٤٣] وقال: خرّجه الحافظ أبو القاسم الدمشقي في «فضل فاطمة».

وفي «الاستيعاب» لابن عبد البر [٢: ٤٦٤] قال: وروى عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال السيد الحسيني: وذكره الهيثمي أيضاً في «مجمع الزوائد» [٩: ١٣٢] وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» والبزار بنحوه، إلّا أنّه قال: ما كنّا نعرف منافقينا معشر الأنصار. وذكره المحب الطبري أيضاً في «الرياض النضرة» [٢: ٢١٤] وقال أخرجه أحمد في «المناقب».

وفي «الدر المنثور» للسيوطي في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين ارتدّوا علىٰ أدبارهم﴾ في آخر سورة محمد، «ويقال لها سورة القتال أيضاً» قال: وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: ما كنا نعرف المنافقين علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا ببغضهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وفي «كنز العمال» للمتقي [٦: ١٥٨] قال: لا يبغض علياً مؤمن ولا يحبه منافق. قال:

[٦: ٣٩٤] وقال: أخرجه الحميدي، وابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، والعدني، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وابن حبان، وأبو نعيم، وابن أبي حاصم.

ثم قال المؤلف السيد الحسيني: وذكره المحب الطبري أيضاً في الرياض النضرة [٢: ٢١٤] وقال أخرجه أبو حاتم.

* * *

رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: حبك إيمان، وبغضك نفاق، وأول من يدخل الجنة محبك، وأول من يدخل النار مبغضك.

ومنها: ما ذكره الهيثمي أيضاً في «مجمع الزوائد» [٩: ١٣٢] قال: وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: خرج علينا رسول الله ﷺ عشية عرفة فقال: إن الله تعالىٰ باهى بكم وغفر لكم عامة، ولعليّ عليه السلام خاصة، وإني رسول الله إليكم غير محاب لقرابتي، هذا جبريل يخبرني: أن السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته، وأن الشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد موته. قال رواه الطبراني. وقال المؤلف السيد الحسيني: وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [٦: ٤٠٠] وقال: أخرجه الطبراني، والبيهقي في «فضائل الصحابة» وابن الجوزي.

ومنها: ما ذكره الطبري في «الرياض النضرة» [٢: ١٨٩] قال: وعن أبي بكر قال: رأيت رسول الله ﷺ خيّم خيمة وهو متّكئ على قوس عربية، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، وليّ لمن والاهم، لا يحبهم إلّا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقي الجد رديء الولادة.

وفي «صحيح مسلم» في كتاب الايمان، في باب الدليل على حب الأنصار وعليّ عليه السلام من الايمان، روى بسنده عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال عليّ عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأُمّي إليّ أن لا يحبني إلّا مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق.

قال المؤلف السيد الحسيني: ورواه الترمذي أيضاً في صحيحه [٢: ٣٠١] والنسائي أيضاً في صحيحه [٢: ٢٧١] بطريقين وفي خصائصه [ص٢٧] بثلاثة طرق، وابن ماجة أيضاً في صحيحه [ص١٢] وأحمد بن حنبل أيضاً [١: ٨٤ ـ ٩٥ ـ ١٢٨] في مسنده والخطيب البغدادي في تاريخه [٢: ٢٥٥] وفي [٨: ٤١٧] وفي [١٤: ٤٢٦] وأبو نعيم في حليته [٤: ١٨٥] بثلاثة طرق عن عدي بن ثابت عن زر، ثم قال: هذا حديث صحيح متفق عليه. ثم ذكر جمعاً كثيراً ممن روىٰ هذا الحديث عن عدي بن ثابت. وذكره المتقي أيضاً في كنز العمال

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» [٩: ١٠٤] عن عمر ذي مر، وزيد بن أرقم قالا: خطب رسول الله ﷺ يوم غدير خم فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل أيضاً [٤: ٣٦٨] روى بسنده عن عطية العوفي قال: سألت زيد بن أرقم فقلت له: إن ختناً لي حدّثني عنك بحديث في شأن عليّ عليه السلام يوم غدير خم، فأنا أُحب أن أسمعه منك، فقال: إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم، فقلت له: ليس عليك مني بأس، قال: نعم كنا بالجحفة فخرج رسول الله ﷺ إلينا ظهراً وهو آخذ بعضد عليّ عليه السلام فقال: يا أيها النّاس! ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ، قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، قال: فقلت: هل قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟ قال: إنما أُخبرك كما سمعت.

وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [٦: ٣٩٠] وقال: عن عطية العوفي، عن زيد بن أرقم، أن رسول الله ﷺ أخذ بعضدي عليّ عليه السلام يوم غدير خم بأرض الجحفة ثم قال: أيها الناس ألستم تعلمون أني أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، قال: أخرجه ابن جرير.

وفي صحيح ابن ماجة في باب «فضائل أصحاب رسول الله ﷺ [ص١٢] روى بسنده عن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق فأمر بالصلاة جامعة، فأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: ألست أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ، قال: ألست أولىٰ بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلىٰ، قال: فهذا وليّ من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه.

قال الحسيني: ورواه أحمد بن حنبل في مسنده [٤: ٢٨١] وهذا لفظه: قال البراء: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا بغدير خم فنودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلّى الظهر، وأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: ألستم تعلمون أني أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ، قال: ألستم تعلمون أني أولىٰ بكل مؤمن من نفسه؟

المبحث السادس والستون

في قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الاحزاب:٦].

قال السيوطي في تفسيره [٥: ١٨٢] في ذيل الآية : أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والنسائي عن بريدة رضي الله عنه قال: غزوت مع عليّ اليمن، فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله ذكرت علياً فتنقّصته، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله تغيّر وقال: يا بريدة! ألست أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

أقول: والروايات في الباب كثيرة عديدة، والأخبار فيه متعددة متواردة، وقد أثبتها السيد العلّامة البحّاثة الفاضل مرتضى الحسيني في كتابه «فضائل الخمسة» [١: ٣٤٩-٣٨٤] عن أعيان المحدّثين ما لا يستهان بهم، منهم:

الإمام أحمد بن حنبل في مسنده [٤: ٣٧٢] روى بسنده عن ميمون أبي عبدالله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بواد يقال له وادي خم، فأمر بالصلاة فصلّاها بهجير، قال: فخطبنا وظلّل لرسول الله صلى الله عليه وآله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: ألستم تعلمون؟ أولستم تشهدون أني أولىٰ بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه.

قال المؤلف: رواه في [٤: ٣٧٢] بلفظ آخر، عن ميمون أبي عبدالله قال: كنت عند زيد بن أرقم، فجاء رجل من أقصى الفسطاط فسأله، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، قال ميمون: فحدّثني بعض القوم عن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

ورسوله أولىٰ بكم من أنفسكم وأن الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي، كتاب الله بأيديكم، وأهل بيتي.

وأخرج ابن المغازلي في مناقبه [ص١٨] قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن طاوان قال: حدّثنا أبو الحسين أحمد بن الحسين «ابن السماك» قال: حدّثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، حدّثنا علي بن سعيد بن قتيبة الرملي، حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشي، عن ابن شوذب، عن مطر الورّاق، عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشرة خلت من ذي الحجة، كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم، لما أخذ النبي ﷺ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يا عليّ بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن فأنزل الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣].

وفي «الصواعق» لابن حجر [ص٢٥ ط. الميمنية] قال: هذا الحديث وغيره عند الطبراني وغيره بسند صحيح أنه ﷺ خطب بغدير خم تحت شجرات فقال: أيها النّاس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلّا نصف عمر الذي يليه من قبله، وإني لأظن أني يوشك أن أُدعىٰ فأُجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنت قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وجهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله؟ وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، «ثم قال»: يا أيها النّاس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه «يعني علياً» اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

«ثم قال»: يا أيها النّاس إني فرطكم، وإنكم واردون عليّ الحوض، حوض أعرض

قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد عليّ عليه السلام وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً لك يابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

وفي «خصائص النسائي» [ص٢٥] روى بسنده عن سعد قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام فخطب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألم تعلموا أني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: نعم صدقت يا رسول الله، ثم أخذ بيد عليّ عليه السلام فرفعها فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، وإن الله ليوالي من والاه، ويعادي من عاداه.

وفي «خصائص النسائي أيضاً» [ص٢٥] روى بسنده عن سعد قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بطريق مكة، وهو متوجه إليها، فلما بلغ غدير خم وقف الناس، ثم رد من سبقه، ولحقه من تخلّف، فلما اجتمع النّاس إليه قال: أيها النّاس من وليّكم؟ قالوا: الله ورسوله، ثلاثاً، ثم أخذ بيد عليّ عليه السلام فأقامه، ثم قال: من كان الله ورسوله وليّه، فهذا وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وفي «كنز العمال» [٦: ٣٩٧] قال: عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألست أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ، قال: فمن كنت وليّة فهو وليّه.

وفي «كنز العمال أيضاً» [٦: ٣٩٩] قال: عن عليّ عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله حضر الشجرة بخم، ثم خرج آخذاً بيد عليّ فقال: أيها الناس، ألستم تشهدون أن الله ربكم؟ قالوا: بلىٰ، قال: ألستم تشهدون أن الله ورسوله أولىٰ بكم من أنفسكم وأن الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلىٰ، قال: فمن كان الله ورسوله مولاه، فإن هذا مولاه، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعده. كتاب الله سببه بيده وسببه بأيديكم، وأهل بيتي. قال أخرجه ابن جرير، وابن أبي عاصم، والمحاملي في أماليه وصححه.

وفي «مشكل الآثار» للطحاوي [٢: ٣٠٧] روى بسنده عن محمد بن عمر بن عليّ عليه السلام عن أبيه عليّ عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله حضر الشجرة بخم، فخرج آخذاً بيد علي عليه السلام فقال: يا أيها الناس! ألستم تشهدون أن الله ربكم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تشهدون أن الله

عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم.

وفي «الرياض النضرة» للطبري [٢: ١٦٩] قال: وعنه «أي عن رياح» قال: بينما عليّ جالس إذ جاء رجل فدخل، عليه أثر السفر، فقال: السلام عليك يا مولاي، قال: من هذا؟ قال: أبو أيوب الأنصاريّ، فقال عليّ عليه السلام: افرجوا له ففرجوا، فقال أبو أيوب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه. قال: أخرجه البغوي في معجمه.

وفي «أُسد الغابة» لابن الأثير [٣: ٤٧ ط. دار الشعب] روى بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: نشد عليّ عليه السلام النّاس في الرحبة: من سمع النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم ما قال إلّا قام، ولا يقوم إلّا من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيوب الأنصاري، وأبو عمرة بن عمرو بن محصن، وأبو زينب، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبدالله بن ثابت الأنصاري، وحبشي بن جنادة السلولي، وعبيد بن عازب الأنصاري، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وثابت بن وديعة الأنصاري، وأبو فضالة الأنصاريّ، وعبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري، فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ألا إنّ الله عزّوجلّ وليّي. وأنا وليّ المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبه، وابغض من أبغضه، وأعن من أعانه.

وفي «الإصابة» [٢: ٢٤٨ ط. دار الكتاب العربي] للعسقلاني قال: وأورد ابن مندة من طريق عمرو بن عبدالله بن يعلى بن مرّة عن أبيه عن جدّه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فلما قدم عليّ عليه السلام الكوفة نشد النّاس فانتشد سبعة عشر رجلاً، منهم عامر بن ليلى الغفاريّ، وذكره أيضاً ابن الأثير الجزري في «أُسد الغابة» [٣: ١٣٩ ط. دار الشعب] وقال فيه بعد قوله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وفي دلائل الصدق أيضاً ما رواه صاحب «المواقف» وشارحها، والقوشجي في «شرح التجريد» أن النبي أحضر القوم بغدير خم، وأمر بجمع الرحال فصعد عليها وقال لهم: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال

مما بين بصرىٰ إلىٰ صنعاء فيه عدد النجوم قِدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عزّوجلّ، سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنه نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا عليّ الحوض.

وفي «خصائص النسائي» [ص٢١] روى بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن ثم قال: كأني دعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، «ثم قال»: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم إنه أخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: وإنه ما كان في الدوحات أحد إلّا رآه بعينيه وسمعه بأُذنيه.

وذكره المتقي أيضاً في «كنز العمال» [٦: ٣٩٠]: وقال: أخرجه ابن جرير، ثم قال عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مثل ذلك، أخرجه ابن جرير أيضاً.

وفي «كنز العمال» [١: ٤٨]: بلفظ: إني لا أجد لنبي إلّا نصف عمر الذي كان قبله، وإني أُوشك أن أُدعى فأُجيب، فما أنت قائلون؟ قالوا: نصحت، قال: أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث بعد الموت حق؟ قالوا: نشهد. قال: وأنا أشهد معكم، ألا تسمعون؟ فإني فرطكم على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وأن عرضه أبعد ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح بعدد النجوم من الفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلّوا، والآخر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم، من كنت أولى به من نفسه فعليّ وليّه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: رواه الطبراني في الكبير

أقول: ولعلّ من المناسب بالمقام الذي نحن بصدده أن نعقد هنا ما ذكره الحافظ الشهير محمد بن علي بن شهر آشوب المتوفّى [سنة٥٨٨] في مناقبه [١: ٢٥١ ـ ٢٥٢].

قال: سأل حمران بن أعين يحيى بن أكثم عن قول النبي صلى الله عليه وآله حيث أخذ بيد علي عليه السلام وأقامه للناس فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، أبأمر من الله تعالى ذلك أم برأيه؟ فسكت عنه حتىٰ انصرف، فقيل له في ذلك، فقال: إن قلت برأيه نصبه للنّاس خالفت قول الله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾[١] وإن قلت بأمر الله تعالى ثبتت إقامته، قال: فلم خالفوه واتخذوا ولياً غيره؟

قال البشوي:

يا مصرف النص جهلاً عن أبي حسن ... باب المدينة عن ذي الجهل مقفول
مولى الأنام عليّ والولي معاً ... كما تفوّه عن ذي العرش جبريل

وقال ابن العودي النيلي:

وكل نبي جاء قبلي وصيّه ... مطاع وأنتم للوصي عصيتم
ففعلكم في الدين أضحى منافياً ... لفعلي وأمري غير ما قد أمرتم
وقلتم مضى عنا بغير وصية ... ألم أُوصِ لو طاوعتمُ وعقلتم
وقد قلت من لم يوص من قبل موته ... يمت جاهلاً بل أنتم قد جهلتم
نصبت لكم بعدي إماماً يدلّكم ... على الله فاستكبرتم وضللتم
وقد قلت في تقديمه وولائه ... عليكم بما شاهدتم وسمعتم
عليّ غدا منّي محلّاً وقربةً ... كهارون من موسى فلِم عنه حلتم
عليّ رسولي فاتبعوه فإنه ... وليّكم بعدي إذا غبت عنكم

ومما يناسب المقام ذكره، ما رواه المؤلف في [ص٢٥٨] محاورة أبي الحسن الرفّا مع ابن رامين الفقيه، وذلك: قال أبو الحسن الرفّا لابن رامين الفقيه: لما خرج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة ما استخلف عليها أحداً قال: بلىٰ استخلف علياً. قال: وكيف لم يقل صلى الله عليه وآله لأهل

(١) النجم: ٣.

من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله.

وأخرج ابن المغازلي الشافعي في [مناقبه ص٢٥ ط. برقم ٣٧ ط. المكتبة الاسلامية ـ طهران] قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن طاوان، قال: حدّثنا الحسين بن محمد العلوي العدل، قال: حدّثنا عليّ بن عبدالله بن مبشر، قال: حدّثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدّثنا عبدالله بن صالح، عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة وبكر بن سوادة عن قبيصة بن ذؤيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ نزل بخم، فتنحىّ النّاس عنه، ونزل معه عليّ بن أبي طالب، فشق على النبي ﷺ تأخّر النّاس فأمر علياً فجمعهم، فلما اجتمعوا قام فيهم متوسّداً عليّ بن أبي طالب فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: أيّها النّاس إنه قد كرهت تخلّفكم عنّي حتى خيّل إليّ أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني، ثم قال: لكن علي بن أبي طالب أنزله الله مني بمنزلتي منه، فرضي الله عنه كما أنا عنه راض، فإنه لا يختار على قربي ومحبتي شيئاً، ثم رفع يديه وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قال: فابتدر النّاس الى رسول الله ﷺ يبكون ويتضرّعون، ويقولون: يا رسول الله، ما تنحّينا عنك إلّا كراهية أن نثقل عليك، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسخط رسول الله. فرضي رسول الله ﷺ عنهم عند ذلك.

وقال: الطبرسي في «مجمع البيان» [٤: ٤٤٠ ط. مؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت] لدى تفسيره النظمي في قوله تعالى: ﴿النّبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[1] الآية: وأصل الولاية لله تعالى كما قال: ﴿هنالك الولاية لله﴾[2] فلاحظّ فيها لأحد إلّا لمن ولّاه سبحانه. وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ يوم الغدير في قوله: ألست أولى بكم منكم بأنفسكم؟ فلما قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، والمولى بمعنى الأولى، بدلالة قوله: ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾[3] أي أولى بكم.

---

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) الكهف: ٤٤.

(٣) الحديد: ١٥.

المبحث السابع والستون

في قوله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذينَ أَجرمُوا كانُوا مِن الَّذين آمنوا يَضحكون * وإذا مرُّوا بِهِم يتَغامزُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٠].

نقل السيد مرتضىٰ الحسيني في «فضائل الخمسة» [١: ٢٩٠] عن الزمخشري في الكشاف [٤: ٧٢٤ ط. دار الكتاب العربي] في تفسيره هذه الآية قال: وقيل: جاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر من المسلمين، فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع، وضحكوا منه، فنزلت قبل أن يصل عليّ عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. قال المؤلف: وذكره الفخر الرازي أيضاً في تفسيره الكبير [٣١: ١٠١ ط. دار احياء التراث العربي].

وقال الطبرسي في «مجمع البيان» [٩ ـ ١٠: ٤٥٧]: وقيل نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذلك أنه كان في نفر من المسلمين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه، فنزلت الآية قبل أن يصل عليّ عليه السلام وأصحابه إلى النبي صلى الله عليه وآله عن مقاتل والكلبي.

وذكر الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب «شواهد التنزيل» بإسناده عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال: ﴿إن الذين أجرموا﴾ منافقو قريش، و ﴿الذين آمنوا﴾: عليّ ابن أبي طالب وأصحابه.

وذكر أيضاً السيد الطباطبائي في «الميزان» [٢٠: ٢٤٠] في بحثه الروائي عن «مجمع البيان» في قوله تعالى: ﴿وإذا مرّوا بهم يتغامزون﴾ ما رواه الطبرسي عن مقاتل والكلبي. وأيضاً ما ذكره الحسكاني عن أبي صالح وابن عبّاس.

المدينة: اختاروا فإنكم لا تجتمعون على الضلال، قال: خاف عليهم الخلف والفتنة. قال: فلو وقع بينهم فساد لأصلحه عند عودته، قال: هذا أوثق، قال: أفاستخلف أحداً بعد موته قال: لا، قال: فموته أعظم من سفره، فكيف أمن على الأمّة بعد موته ما خافه في سفره وهو حي؟ فقطعه.

* * *

سبحان الله من سب الله فقد أشرك، قال: أيكم الساب لرسول الله ﷺ؟ قالوا: سبحان الله من سب رسول الله ﷺ فقد كفر، قال: فأيكم الساب لعليّ عليه السلام؟ قالوا: أما هذا فقد كان، قال: فأنا أشهد بالله لسمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله عزّوجلّ، ومن سب الله عزّوجلّ أكبه الله على منخره. ثم تولّىٰ عنهم فقال لقائده: ما سمعتهم يقولون؟ قال: ما قالوا شيئاً، قال: فكيف رأيت وجوههم حيث قلت ما قلت؟ قال:

نظروا إليك بأعين محمرّة — نظر التيوس إلى شفار الجازر

قال: زدني فداك أبي وأُمي قال:

جزر الحواجب ناكسي أذقانهم — نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال: زدني فداك أبي وامي، قال: ما عندي غيرهما، قال: لكن عندي:

أحياؤهم حزنٌ علىٰ أمواتهم — والميتون مسبة للغابر

وفي مناقب ابن شهر آشوب [٣: ٢٢١]: فقال ابن عبّاس:

سبّوا الإله وكذّبوا بمحمد — والمرتضى ذاك الوصي الطاهر

أحياؤهم خزي على أمواتهم — والميتون فضيحة للغابر

وقال العبدي:

وقد روى عكرمة في خبر — ما شك فيه أحد ولا امترى

مرّ ابن عبّاس على قوم وقد — سبوا علياً فاستراع وبكى

وقال مغتاظاً لهم أيكم — سب إله الخلق جلّ وعلا

قالوا معاذ الله قال أيكم — سب رسول الله ظلماً واجترى

قالوا معاذ الله قال أيكم — سب علياً خير من وطئ الحصى

قالوا نعم قد كان ذا فقال قد — سمعت والله النبي المجتبى

يقول من سب علياً سبني — وسبني سب الإله واكتفى

وفي «فضائل الخمسة» [٢: ٢٢٥]: قال المتقي الهندي في «كنز العمال» [٦: ٤٠٥]: قال:

أقول: وقد استفاضت الأخبار عن النبي ﷺ فيمن سبّ علياً عليه السلام فكأنما سبّ النبي ﷺ، كما نقل إلينا جمع من أعاظم العلماء والمحدّثين في صحاحهم ومسانيدهم، منهم:

الحاكم في «مستدرك الصحيحين» [١: ١٢١] فيما نقل عنه السيد المفضال مرتضى الحسيني الفيروز آبادي في كتابه النفيس «فضائل الخمسة» [٢: ٢٢٣] روى بسنده عن أبي عبدالله الجدلي قال:

دخلت على أُم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله ﷺ فيكم؟ فقلت: معاذ الله، أو سبحان الله أو كلمة نحوها، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني. قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد.

وقال المؤلف: رواه أحمد بن حنبل في مسنده [٦: ٣٢٣] والنسائي في خصائصه [ص ٢٤].

وفي «المستدرك أيضاً» [٣: ١٢١] روى بسنده عن أبي عبدالله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة، وإذا النّاس عنق واحد، فأتبعتهم، فدخلوا على أُم سلمة زوج النبي ﷺ فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أُماه، قالت: يسب رسول الله ﷺ في ناديكم؟ قال: وأنىٰ ذلك؟ فقالت: فعليّ بن أبي طالب؟ قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله.

وذكره المتقي الهندي أيضاً في «كنز العمال» [٦: ٤٠١] وقال: أخرجه ابن شيبة.

وفي «ذخائر العقبىٰ» للطبري [ص٦٦] قال: وعن ابن عباس قال: أشهد بالله لسمعته من رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله عزّوجلّ أكبّه الله على منخريه.

وفي «الرياض النضرة للطبري أيضاً» [٢: ١٦٦] قال: وعن ابن عبّاس أنه مرّ بعدما حجب بصره بمجلس من مجالس قريش، وهم يسبون علياً عليه السلام، فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟ قال: سبوا علياً عليه السلام قال: فردّني إليهم؛ فردّه، قال: أيّكم الساب لله؟ قالوا:

قال المؤلف: وكان أُبي قد استهزأ بعمر أولاً، فقال له: إياك يعني وصاحبك، فأحس بذلك عمر وأنه قد استهزأ به، فاستفهمه ثانياً، فبيّن له على وجه الجد أنه ﷺ يعني علياً عليه السلام. وذكر مثله الطبري في «الرياض النضرة» [٢: ١٦٤]: عن زيد ابن نفيع، وقال: أخرجه أحمد في «المناقب».

وفي «الكشاف للزمخشري» في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا﴾ [الحجرات: ٦].

قال: بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه، «إلى أن قال» مصدقاً إلى بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم إحنة، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له، فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدّوا ومنعوا الزكاة، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ أن يغزوهم، فبلغ القوم فوردوا وقالوا: نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم فقال ﷺ: لتنتهن أو لأبعثنّ إليكم رجلاً هو عندي كنفسي، يقاتل مقاتلكم ويسبي ذراريكم، ثم ضرب بيده على كتف عليّ عليه السلام.

وفي «مجمع الزوائد» للهيثمي [٧: ١١٠] قال: وعن جابر بن عبدالله قال: بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني وليعة، وساق الحديث إلى أن قال: فقال رسول الله ﷺ: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي يقتل مقاتلهم ويسبي ذراريهم، وهو هذا، ثم ضرب بيده على كتف عليّ بن أبي طالب عليه السلام. الحديث. قال: رواه الطبراني في «الأوسط».

وفي «الاستيعاب» لابن عبد البر [٢: ٤٦٤] قال: وروى معمر عن طاووس عن أبيه عن المطلب بن عبدالله بن حنطب قال: قال رسول الله ﷺ لوفد ثقيف حين جاءه: لتسلمن أو لأبعثنّ رجلاً مثل نفسي، فليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم. قال عمر: فوالله ما تمنيت الإمارة إلّا يومئذ، وجعلت أنصب صدري له، رجاء أن يقول: هو هذا، قال: فالتفت إلى عليّ فأخذ بيده، ثم قال: هو هذا. وذكره الطبري أيضاً في الرياض النضرة [٢: ١٦٤] وقال فيه: رجلاً مني، أو قال: رجلاً مثل نفسي، وقال في آخره:

عن أبي صادق قال: قال عليّ عليه السلام: حسبي حسب رسول الله صلى الله عليه وآله وديني دينه، فمن تناول مني شيئاً فإنما تناوله من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: أخرجه الخطيب في «المتفق» وابن عساكر.

وفيه أيضاً ما ذكره الهيثمي في مجمعه [٩: ١٢٩] قال: وعن أبي بكر بن خالد بن عرفطة: أنه أتى سعد بن مالك فقال: بلغني أنكم تعرضون على سب عليّ بالكوفة، فهل سببته؟ قال: معاذ الله، والذي نفس سعد بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في عليّ شيئاً، لو وضع المنشار على مفرقي ما سببته أبداً.

قال رواه أبو يعلى وإسناده حسن.

أقول وبالله بالتوفيق: كيف لا يكون سبه عليه السلام سباً للنبي صلى الله عليه وآله وقد أخبرنا الله بكل وضوح في آية المباهلة بأنه عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه وآله واتفقت على ذلك كلمة أهل التفسير على اختلاف مذاهبهم. ولو لم يكن لنا ما دلّ على أن علياً عليه السلام هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله سوى هذه الآية الكريمة لكانت كفاية لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد. ومع ذلك فقد كان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يقول في معرض الإنذار لأقوام: لتنتهنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً هو عندي كنفسي. فليضربن أعناق مقاتليهم وليسبين ذراريهم، قال: فرآى النّاس أنه يعني أبا بكر أو عمر فأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: هذا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

قال المؤلف: وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» [٦: ٤١٥] والهيثمي في مجمعه [٩: ١٣٤] وقال: رواه أبو يعلى. وذكره في [ص١٦٣] وقال: رواه البزار.

وفي «خصائص النسائي» [ص٨٩ ط. نينوىٰ الحديثة ـ طهران] روى بسنده عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لينتهينّ بنو وليعة أو لأبعثنّ عليهم رجلاً كنفسي، ينفذ فيهم أمري، فيقتل المقاتلة، ويسبي الذرية. قال أُبي بن كعب: فما راعني إلّا وكف عمر في حجزتي من خلفي، وقال: من يعني؟ قلت: إياك يعني وصاحبك، قال: فمن يعني؟ قلت: خاصف النعل، قال: وعليّ يخصف النعل.

حمزة تنادي: يا عم يا عم فتناولها عليّ عليه السلام فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك فحملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال عليّ: أنا أحق بها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضىٰ بها النبي صلى الله عليه وآله لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم. وقال لعليّ: أنت مني وأنا منك. وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا.

قال السيد مرتضى الحسيني: وذكره البخاري ثانياً بعينه سنداً ومتناً في كتاب «بدء الخلق في باب عمرة القضاء». ورواه البيهقي أيضاً في سند عن البراء [٨: ٥] وأحمد بن حنبل في مسنده [١: ٩٨] عن هاني بن هاني عن عليّ عليه السلام. والحاكم في «المستدرك» [٣: ١٢٠] عن هاني بن هاني. والطحاوي في «مشكل الآثار» [٤: ١٧٣] والخطيب البغدادي في تأريخه [٤: ١٤٠] عن هاني بن هبيرة عن عليّ عليه السلام.

صحيح الترمذي [٢: ٢٩٧] روى بسنده عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً واستعمل عليهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام فمضى في السرية فأصاب جاريةً فأنكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إذا لقينا رسول الله أخبرناه بما صنع عليّ. وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدؤوا برسول الله صلى الله عليه وآله فسلّموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلّموا على النبي صلى الله عليه وآله فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله ألم تر الى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه صلى الله عليه وآله ، ثم قام الثاني فقال مثل مقاله، فأعرض عنه. ثم قام الثالث فقال مثل مقاله. فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله والغضب يعرف في وجهه فقال: ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ إن علياً مني وأنا منه، وهو وليّ كل مؤمن بعدي.

قال السيد الحسيني: ورواه أحمد بن حنبل في مسنده [٤: ٤٣٧] والحاكم في «المستدرك» [٣: ١١٠] وأبو داود الطيالسي في مسنده [٣: ١١١] وأبو نعيم في «حلية الأولياء» [٦: ٢٩٤] والمتقي في «كنز العمال» [٦: ٣٩٩] وفي صحيح الترمذي أيضاً [٢: ٢٩٩]

هو هذا، هو هذا مرّتين.

قال السيد المؤلف: وفي روايات أُخرى ما يناسب ذكرها:

أحدها: ما رواه الحاكم في «المستدرك» [٣: ١٢٦] روى بسنده عن ابن عبّاس أن النبيﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: لأقتلن العمالقة في كتيبة، فقال جبرئيلعليه‌السلام: أو عليّ، قالﷺ: أو عليّ بن أبي طالب.

وثانيها: ما ذكره الطبري في «الرياض النضرة» [٢: ١٦٤] قال: وعن أنس بن مالك قال: قالﷺ: ما من نبي إلّا وله نظير في أُمته. وعليّ نظيري. قال: أخرجه القلعي.

وثالثها: ما ذكره المناوي في «فيض القدير» [٤: ٣٥٦]: في المتن، وذكره المتقي في «كنز العمال» في [١١: ٦٠٢ ط. مؤسسة الرسالة] تحت رقم ٣٢٩٠٨: عليّ أصلي وجعفر فرعي.

قالا: رواه الطبراني، والضياء عن عبدالله بن جعفر. انتهى.

فهذه بعض الروايات الدالّة على كون عليّعليه‌السلام نفسه صلوات الله عليه وآله، وقد نقلت إلينا عن الرواة الثقات البارزين، واقتصرنا على القدر المذكور على سبيل التبرّك، ولنذكر الآن ما ورد من الأخبار ما يتضمن فيها قوله عليه الصلاة والسلام: «عليّ مني وأنا من عليّ»:

صحيح البخاري في الصلح في باب «يكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان» روى بسنده عن البراء بن عازب قال: اعتمر النبيﷺ في ذي القعدة، فأبىٰ أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: لا نقرّ بها، فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك، ولكن أنت محمد بن عبدالله، قالﷺ: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله، ثم قال لعليّعليه‌السلام: امح رسول الله، قالعليه‌السلام: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسولﷺ الكتاب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله، لا يدخل مكة سلاح إلّا في القراب، وأن لا يخرج أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع أحداً من أصحابه إن أراد أن يقيم بها. فلما دخلها ومضىٰ الأجل، أتوا علياًعليه‌السلام فقالوا: قل لصاحبك فقد مضى الأجل، فخرج النبيﷺ فتبعتهم ابنة

بذلك خالد إلى النبي ﷺ وأمرني أن أنال منه «أي من عليّ» قال: فدفعت الكتاب إليه ﷺ ونلت من علي، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ وقال: لا تبغّضن يا بريدة لي علياً، فإن علياً منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي.

وذكره الهيثمي أيضاً في مجمعه [٩: ١٢٨] وقال فيه: فخرج «أي رسول الله» مغضباً فقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً، من تنقص علياً فقد تنقصني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إن علياً مني وأنا منه، خلق من طينتي، وخلقت من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم... «إلى أن قال»: يا بريدة أما علمت أن لعليّ أكثر من الجارية التي أخذ، وإنه وليّكم بعدي؟ فقلت: يا رسول الله بالصحبة إلّا لبسطت يدك فبايعتني على الاسلام جديداً، قال: فما فارقته حتى بايعته على الاسلام. انتهى.

وفي «الخصائص للنسائي» [ص١٩] روى بسنده عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: إن علياً منّي وأنا منه، وولي كل مؤمن بعدي.

وفي [ص٣٦] روى بسنده عن اسامة بن زيد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: أمّا أنت يا عليّ فختني وأبو ولدي، أنت منّي وأنا منك.

وفي تأريخ ابن جرير الطبري [٢: ١٩٧]: روى بسنده عن أبي رافع عن أبيه قال: أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لعليّ عليه السلام: إحمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي، قال: ثم أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لعليّ عليه السلام: إحمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبة ابن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبرئيل: يا رسول الله أن هذه للمواساة، فقال رسول الله ﷺ: إنه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صوتاً «لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتىٰ إلّا عليّ».

وفي «الرياض النضرة» للطبري [٢: ١٧٢] قال: وعن أبي رافع قال: لما قتل عليّ صاحب الألوية يوم أُحد، قال جبرئيل عليه السلام: يا رسول الله إن هذه للمواساة، فقال له النبي ﷺ: إنه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما يا رسول الله.

روى بسنده عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنت مني وأنا منك. ورواه النسائي أيضاً في «الخصائص ص١٩».

وفي الصفحة المذكورة روى أيضاً بسنده عن حبشي بن جنادة قال: إن النبي صلى الله عليه وآله قال: عليّ مني وأنا من عليّ، ولا يؤدّي عني إلّا أنا أو عليّ.

قال السيد الحسيني: ورواه ابن ماجة في صحيحه [ص١٢] وأحمد بن حنبل في مسنده [٤: ١٦٤] بطريقين، وبثلاثة طرق في [ص١٦٥]. والنسائي في الخصائص بطريقين أحدهما في [ص١٩] والآخر في [ص٢٠]. والطبري في «الرياض النضرة» [٢: ١٧٤].

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل [١: ١٠٨] روى بسند عن هاني بن هاني عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وجعفر وزيد، فقال لزيد: أنت مولاي فخجل، وقال لجعفر: أنت أشبهت خلقي وخلقي فخجل وراء زيد: وقال لي: أنت مني وأنا منك، فخجلت وراء جعفر. ورواه البيهقي أيضاً في سننه [١٠: ٢٢٦] والنسائي في «الخصائص» [ص٥١] باختلاف اللفظ.

وفي مسند الإمام أحمد أيضاً [٦: ٤٨٩ ط. مؤسسة التاريخ العربي] روى بسنده عن بريدة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعثين إلى اليمن على أحدهما عليّ بن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال صلى الله عليه وآله: إذا التقيتم فعليٌّ على الناس، وإن افترقتما فكل واحد منكما على جنده، قال فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، فاصطفى عليٌّ عليه السلام امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره بذلك، فلما أتيت النبي صلى الله عليه وآله دفعت الكتاب اليه فقرئ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أُطيعه ففعلت ما أُرسلت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقع في عليّ فإنه منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي، وإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي.

قال السيد الحسيني: ورواه النسائي باختلاف في بعض الألفاظ، قال فيه: وكتب

المبحث الثامن والستون

في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اشرح لي صدري * ويسّر لي أمري ﴾ [طه: ٢٥ـ٢٦].

روى السيوطي في «الدر المنثور» [٥: ٥٦٥] في ذيل هذه الآيات حديثاً نقله عنه جماعة وذكروه في كتبهم، منهم الطباطبائي في تفسيره «الميزان» في [١٤: ١٥٩]، والإمام المظفر في كتابه «دلائل الصدق» [٣: ٣٤١]، والسيد مرتضى الحسيني في كتابه «فضائل الخمسة» [١: ٣٧١] وغيرهم.

قال الإمام المظفر: قال السيوطي في «الدر المنثور»: أخرج ابن مردويه، والخطيب وابن عساكر عن أسماء بنت عميس قالت: رأيت رسول الله ﷺ بإزاء ثبير وهو يقول: «أشرق ثبير أشرق ثبير، اللهم إني أسألك بما سألك أخي موسىٰ، أن تشرح لي صدري، وأن تيسّر لي أمري، وأن تحلّ عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً».

وقال السيوطي أيضاً: وأخرج السلفي في «الطيورات» بسند رواه عن أبي جعفر ابن عليّ عليه السلام قال: لما نزلت: **﴿واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي اشدد به أزري﴾** كان رسول الله ﷺ على جبل، ثم دعا به وقال: «اللهم اشدد أزري بأخي عليّ»، فأجابه إلى ذلك.

وفي «دلائل الصدق» أيضاً ما نقله ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» عن أحمد بن حنبل في «الفضائل» عن ابن عباس قال: أخذ النبي ﷺ بيد عليّ وبيدي ونحن بمكة، وصلّىٰ أربع ركعات ورفع بيده إلى السماء فقال: «اللهم موسى بن عمران سألك، وأنا محمد

قال السيد الحسيني: وذكره الهيثمي في مجمعه [٦: ١١٤]، والمتقي في «كنز العمال» [٦: ٤٠٠] نقلاً عن الطبراني.

وفي «الرياض النضرة» [٢: ٢٠٢] قال: روى أبو سعيد في «شرف النبوّة»: أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «أُوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا، أُوتيت صهراً مثلي ولم أُوت صهراً مثلي، وأُوتيت زوجة صدّيقة مثل ابنتي ولم أُوت مثلها زوجة، وأُوتيت الحسن والحسين من صلبك، ولم أُوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم».

* * *

أقول وفقني الله للصواب بمنّه وكرمه: قد دعا رسول الله ﷺ ربّه عزّوجلّ كدعاء موسى عليه السلام المحكي في الكتاب العزيز، وظهر في مضمون دعائه سؤاله ﷺ بأن يجعل له وزيراً من أهله، وهو مما لا جدال فيه أخوه عليّ عليه السلام ليشركه في أمره، ويشدد به أزره، ثم إنه ﷺ فيما عدا ذلك قد بيّن لأُمته بياناً واضحاً وضوح النور على الطور، في غير مكان، بأن علياً عليه السلام أخوه ووزيره وخير من خلفه بعده، مثلما كان لهارون من موسى عليهما السلام من المنزلة حين خلّفه في قومه، وكم من روايات وأخبار وردت عن النبي ﷺ في ذلك قد سجّلها الحفّاظ المشهورون بين الأُمة المحمّدية مع اختلاف مذاهبهم، منها ما ورد في أن علياً عليه السلام أخو النبي ﷺ، ومنها في كونه وزيراً له ﷺ، ومنها في أنه عليه السلام بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام، وسنذكر بعون الله كل رواية في بابها وموضعها.

* * *

نبيك أسألك، أن تشرح لي صدري، وتحلّ عقدة من لساني يفقهوا قولي، وإجعل لي وزيراً من أهلي، عليّ بن أبي طالب أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري». قال ابن عباس: سمعت منادياً ينادي: «يا أحمد، قد اوتيت ما سألت».

وقال القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودّة» [ص٨٧] وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن النسيم قال: سمعت رجلاً من خثعم يقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إنّي أقول كما يقول أخي موسىٰ: اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً، ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً».

وفي «نور الأبصار» للشبلنجي [ص٨٦ ط. دار الفكر]، يوجد بعض الاختلاف في متن الرواية المنقولة عن تفسير الفخر الرازي الكبير كما في [٦: ٢٦ ط. دار إحياء التراث العربي] في ذيل قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ [المائدة: ٥٥].

قال: وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم إشهد أني سألت في مسجد الرسول محمّد ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليّ عليه السلام في الصلاة راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنىٰ وفيها خاتم، فأقبل السائل وأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرآى النبي ﷺ وهو في المسجد، فرفع رسول الله ﷺ طرفه إلى السماء وقال: «اللهم إن أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي أشدد به أزري، وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآناً: ﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما﴾ اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً، أشدد به أزري». قال أبو ذر: فو الله ما أتم رسول الله ﷺ هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال: يا محمد إقرأ: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ قال: نقله أبو اسحاق أحمد الثعلبي في تفسيره.

[٢: ١٥٥] وقال خرّجه القلعي.

وفي «مستدرك الصحيحين» [٣: ١٥٩] روى بسنده عن أسماء بنت عميس قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ إلى الباب فقال: يا أُم أيمن إدعي لي أخي، فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: نعم يا أُم أيمن، فجاء عليّ عليه السلام فنضح النبي ﷺ من الماء ودعا له، ثم قال: إدعي فاطمة، قالت: فجاءت تعثر من الحياء، فقال لها رسول الله ﷺ: أُسكني فقد أنكحتك أحب أهل بيتي. «الحديث» وروىٰ ابن سعد في طبقاته [٨: ١٤] حديثاً قال فيه:

فجاء رسول الله ﷺ فاستفتح فخرجت أُم أيمن، فقال: أثم أخي؟ قالت: وكيف يكون أخاك وقد أنكحته ابنتك؟ قال: فإنه كذلك. وذكره أيضاً الهيثمي في «مجمع الزوائد» [٩: ٢٠٥]، والنسائي في الخصائص [ص٣٢].

وفي «كنز العمال» للمتقي الهندي [٣: ١٥٥] قال: عن زافر عن رجل عن الحارث بن محمد عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشورى، فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت علياً عليه السلام يقول: بايع النّاس لأبي بكر وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحق به منه، فسمعت وأطعت، مخافة أن يرجع النّاس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع الناس عمر، وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحق به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع النّاس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف. ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان، إذن أسمع وأُطيع، إن عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح، ولا يعرفونه لي، كلّنا فيه شرع سواء، وأيم الله لو أشاء أن أتكلم ثم لا يستطيع عربيهم ولا عجميهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك ردّ خصلة منها فعلت ، ثم قال: نشدتكم بالله أيُّها النفر جميعاً، أفيكم أحد أخو رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: اللهم لا. «ثم ساق الحديث طويلاً».

وفي «كنز العمال» أيضاً [٣: ١٥٤] ذكر حديثاً مسنداً عن أبي ذر قال: لما كان أول يوم في البيعة لعثمان، اجتمع المهاجرون والأنصار في المسجد، وجاء علي بن أبي طالب عليه السلام

الباب الاول

في أن علياً أخو النبي صلى الله عليه وآله

وأما ما ورد في أن علياً عليه السلام أخو النبي صلى الله عليه وآله فقد ذكر السيد المرتضى الحسيني الفيروزآبادي في كتابه «فضائل الخمسة» [١: ٣١٨ ـ ٣٣٢]: عن المستدرك [٣: ١٢٦] روى بسنده عن ابن عباس قال: كان عليّ عليه السلام يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله يقول: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾، والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأُقاتلنّ على ما قاتل عليه حتىٰ أموت، والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه، فمن أحق به مني؟

وفي «صحيح الترمذي» [٢: ٢٩٩] روى بسنده عن ابن عمر قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه، فجاء عليّ عليه السلام تدمع عينه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». ورواه الحاكم في المستدرك [٣: ١٤] والمناوي في «كنوز الحقائق» مختصراً.

وفي صحيح ابن ماجة [ص١٢] روى بسنده عن عباد بن عبدالله عن عليّ عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: «أنا عبدالله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلّا كذّاب، صلّيت قبل النّاس بسبع سنين». ورواه الحاكم أيضاً في المستدرك [٣: ١١١]، وابن جرير الطبري في تاريخه [٢: ٥٦]، والنسائي في خصائصه [٣: ١٨] باختصار، والمتقي الهندي في كنز العمال [٦: ٣٩٤]، وفي [ص٣٩٦] أيضاً، وقال في آخره: «لا يقولها أحد بعدي إلّا كاذب». فقالها رجل فأصابته جنّة. وذكره المحب الطبري أيضاً في «الرياض النضرة»

وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم [٧: ٢٥٦]: روى بسنده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مكتوب على باب الجنة: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، عليّ أخو رسول الله ﷺ قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام».

ورواه الخطيب البغدادي أيضاً في تاريخه [٧: ٣٨٧]، وذكره المتقي الهندي أيضاً في «كنز العمال» [٦: ١٥٩] نقلاً عن الخطيب في «المتفق والمفترق»، وذكره المناوي في «فيض القدير» [٤: ٣٥٥] نقلاً عن الطبراني في «الأوسط».

وفي الإصابة للعسقلاني [٨: ١٨٣] في ترجمة ليلى الغفارية قال: وأخرج ابن مندة من رواية عليّ بن هاشم بن البريد حدّثتني ليلى الغفارية قالت: كنت أغزو مع النبي ﷺ فأُداوي الجرحى وأقوم على المرضى، فلما خرج عليّ عليه السلام إلى البصرة خرجت معه، فلما رأيت عائشة أتيتها فقلت: هل سمعت من رسول الله ﷺ فضيلة في عليّ عليه السلام؟ قالت: نعم، دخل على رسول الله ﷺ وهو معي، وعليه جرد قطيفة، فجلس بيننا، فقلت: أما وجدت مكاناً أوسع لك من هذا؟ فقال النبي ﷺ: «يا عائشة دعي لي أخي، فإنه أول النّاس إسلاماً، وآخر النّاس بي عهداً، وأول النّاس لي لقياً يوم القيامة».

وفي «مناقب آل أبي طالب» [٢: ١٨٤]، للحافظ الشهير محمد بن علي بن شهرآشوب قال: صارا أخوين «أي النبي وعليّ» من ثلاثة أوجه:

أولها: لقوله ﷺ: لا زال ينقله من الآباء الأخاير «الخبر».

الثاني: أن فاطمة بنت أسد ربّته حتى قال ﷺ: هذه أمي، وكان ﷺ عند أبي طالب من أعز أولاده، رباه في صغره وحماه في كبره، ونصره باللسان والمال والسيف والأولاد والهجرة، والأب أبوان: أب ولادة، وأب إفادة، ثم إن العم والد، قال تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿ما تعبدون من بعدي﴾ الآية، وإسماعيل كان عمه، وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر﴾ قال الزجاج: أجمع النسابة أن اسم أبي إبراهيم تارخ، يعني أن آزر عمه.

والثالث: آخاه في عدة مواضع: يوم بيعة العشيرة حين لم يبايعه أحدٌ بايعه عليّ،

فأنشأ يقول: إن أحق ما ابتدأ به المبتدئون، ونطق به الناطقون، وتفوّه به القائلون حمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على النبيﷺ ثم ساق خطبةً طويلة إلى أن قال: أناشدكم الله، هل تعلمون أن رسول اللهﷺ قال: لما أُسري بي إلى السماء السابعة، رفعت إليّ رفارف من نور، ثم رفعت إليّ حجب من نور. فأُوحي إلى النبيﷺ أشياء، فلما رجع من عنده، نادى مناد من وراء الحجب: يا محمد نعم الأب أبوك إبراهيمعليه السلام، نعم الأخ أخوك عليّعليه السلام تعلمون معاشر المهاجرين والأنصار كان هذا؟ فقال عبد الرحمن بن عوف من بينهم: سمعتها من رسول اللهﷺ بهاتين وإلّا فصمّتا. «الحديث».

وفي «ذخائر العقبى» للمحب الطبري [ص٩٢] قال: عن أنس بن مالك قال: صعد رسول اللهﷺ المنبر فذكر قولاً كثيراً ثم قال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فوثب إليه فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فضمه إلى صدره وقبّل بين عينيه وقالﷺ بأعلى صوته: «معاشر المسلمين، هذا أخي وابن عمي وختني، هذا لحمي ودمي وشعري، هذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة». الحديث.

وفي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر [٢: ٤٦٠]: روى بسنده عن أبي الطفيل قال: لما احتضر عمر جعلها شورى بين عليّعليه السلام وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد، فقال لهم عليّعليه السلام: «أنشدكم الله، هل فيكم أحد آخى رسول اللهﷺ بينه وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري؟ قالوا: اللهم، لا». قال: وروينا من وجوه عن عليّعليه السلام إنّه كان يقول: «أنا عبدالله وأخو رسول الله، لا يقولها أحد غيري إلّا كذّاب».

وفي «الرياض النضرة» للطبري [٢: ١٦٨]، قال: وعن عمر بن عبدالله عن أبيه عن جده أن النبيﷺ آخى بين النّاس وترك علياًعليه السلام حتىٰ بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقالعليه السلام: يا رسول الله، آخيت بين النّاس وتركتني، قالﷺ: ولم تراني تركتك؟ إنما تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذكرك أحد قل: انا عبدالله وأخو رسوله، لا يدّعيها بعدي إلّا كذّاب . وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» [٦: ١٥٣] وقال: أخرجه ابن عدي في «الكامل».

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي ... معه رُبيتُ وسبطاه هما ولدي
جدّي وجدّ رسول الله منفرد ... وفاطم زوجتي لاقول ذي فند
صدّقته وجميع النّاس في بهمٍ ... من الضلالة والإشراك والنكد
فالحمد لله شكراً لا شريك له ... البرُّ بالعبد والباقي بلا أمد

فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: صدقت يا علي.

أقول: وذكره الفنجكردي في «سلوة الشيعة» كما في «المناقب» لابن شهرآشوب [٢: ١٨٧].

وقال ابن حماد في مناقب شهرآشوب [٢: ١٨٨ ـ ١٨٩]:

واخاك أحمد إذ واخى صحابته ... وكنت أنت له دون الأنام كفي
زوّجت فاطمة الزهراء اذ خطبت ... ورد خطابها بالرغم والأسف

وقال الجماني:

وآخاهم مثلاً لمثل فأصبحت ... أُخوّته كالشمس ضمت إلى البدر
فآخى علياً دونكم وأصاره ... لكم علماً بين الهداية والكفر

وقال محمد بن علي العلوي:

وهو أخوه يوم آخى صحبه ... ونفسه في المحكم المنزل
فإن أردت صدق ما أوضحته ... وجدته في سورة المزمّل

* * *

على أن يكون له أخاً في الدارين، وقال ﷺ في مواضع كثيرة، منها يوم خيبر: أنت أخي ووصيّي. وفي يوم المؤاخاة ما ظهر عند الخاص والعام صحته، وقد رواه ابن بطة من ستة طرق، وروي أنه كان النبي ﷺ بالنخيلة وحوله سبعمئة وأربعون رجلاً فنزل جبرئيل وقال: إن الله تعالى آخى بين الملائكة وبيني وبين ميكائيل، وبين إسرافيل وبين عزرائيل، وبين دردائيل وبين راحيل، فآخى النبي ﷺ بين أصحابه.

قال: وفي تاريخ البلاذري والسلامي وغيرهما عن ابن عباس وغيره: لما نزل قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ آخى رسول الله بين الأشكال والأمثال، فآخى أبا بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف «وساق الحديث إلى أن قال»: حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم، ثم قال ﷺ: «أنت أخي وأنا أخوك يا عليّ».

وقال: وفي «فضائل السمعاني» روى أبو الصلت الأهوازي بإسناده عن طاووس عن جابر، أن النبي ﷺ رأى علياً عليه السلام فقال: «هذا أخي وصاحبي ومن باهى الله به ملائكته، ومن يدخل الجنة بسلام».

وروى عن الصّادق عليه السلام قال: «ولما آخى رسول الله ﷺ بين الصحابة وترك علياً، فقال له عليه السلام في ذلك، فقال له النبي ﷺ: إنما اخترتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة» فبكىٰ عند ذلك وقال:

أقيك بنفسي أيها المصطفى الذي	هدانا به الرحمن من عمه الجهل
وأفديك حوبائي وما قدر مهجتي	لمن أنتمي منه إلى الفرع والأصل
ومن ضمّني مذ كنت طفلاً ويافعاً	وأنعشني بالبرّ والعل والنهل
ومن جدّه جدّي ومن عمه عمي	ومن أهله أُمي ومن بنته أهلي
ومن حين آخى بين من كان حاضراً	دعاني وآخاني وبيّن من فضلي
لك الفضل إني ما حييت لشاكر	لإتمام ما أوليت يا خاتم الرسل

وفي «كنز العمال» [١٣: ١٣٧ ط. مؤسسة الرسالة]، كما في فضائل الخمسة للحسيني [١: ٣٢٦]: عن جابر قال: سمعت علياً عليه السلام ينشد ورسول الله ﷺ يسمع:

محمد إنك إن لم تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربك، فاصنع لي صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واجعل لنا عسّاً من لبن، ثم اجمع بني عبد المطلب حتى أُكلمهم وأُبلغ ما أمرت به. ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته لهم فجئت به، فلما وضعته تناول النبي ﷺ جشب حزبة من اللحم، فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال: كلوا باسم الله، فأكل القوم حتىٰ نهلوا عنه ما نرى إلّا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم يا عليّ، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتىٰ رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد النبي ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم النبي ﷺ. فلما كان الغد فقال: يا عليّ إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا مثل الذي صنعت بالأمس من الطعام والشراب ثم اجمعهم لي، ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام فقرّبته، ففعل به كما ما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا حتى نهلوا، ثم تكلم النبي ﷺ فقال:

«يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على أمري هذا؟» فقلت وأنا أحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي فقال: «إن هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا». فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لعليّ.

قال: أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم، حق معاً[١] في «الدلائل».

---

(١) هكذا في كنز العمال.

الباب الثاني

في أن علياً وزير النبي صلى الله عليه وآله

وأما الروايات الدالّة على أن أمير المؤمنين عليه السلام وزير النبي صلى الله عليه وآله فسنذكر مما ذكره السيد الحسيني في «فضائل الخمسة» [١: ٣٣٣] وغيره مما رواه الحفاظ على قدر ما يقوم به وجه الاستدلال، فمنهم:

ابن سعد في طبقاته [١: ١٨٧ ط. دار الفكر] روى بسنده عن علي عليه السلام قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله خديجة وهو بمكة، فاتخذت له طعاماً ثم قال لعليّ عليه السلام: أُدع لي بني عبد المطلب، فدعا أربعين، فقال لعليّ عليه السلام: هلمّ طعامك، قال عليّ عليه السلام: فأتيتهم بثريدة، إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، فأكلوا منها جميعاً حتى أمسكوا، ثم قال صلى الله عليه وآله: اسقهم، فسقيتهم بإناء هو ريّ أحدهم، فشربوا منه جميعاً حتى صدروا، فقال أبو لهب: لقد سحركم محمد، فتفرّقوا، ولم يدعهم، فلبثوا أياماً، ثم صنع لهم مثله، ثم أمرني فجمعتهم فطعموا، ثم قال لهم: من يؤازرني على ما أنا عليه، ويجيبني على أن يكون أخي وله الجنة؟ فقلت: أنا يا رسول الله، وإني لأحدثهم سناً وأحمشهم ساقاً، وسكت القوم ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى إبنك؟ قال: دعوه فلن يألو ابن عمه خيراً.

وفي «كنز العمال» [١٣: ١٣١، ح ٣٦٤١٩ ط. مؤسسة الرسالة] قال: عن علي عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا عليّ! إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني مهما أُناديهم بهذا الأمر أرىٰ منهم ما أكره، فصمتّ عليها حتى جاءني جبرئيل فقال: يا

الباب الثالث

في حديث المنزلة

أما قوله ﷺ لعليّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ». فقد استفاضت به الروايات في الصحاح وغيرها من المسانيد. وعلى كل تقدير لعلّ من الحسن أن لا يخلو الكتاب منها وليتم الفصل بذكرها، ولأنها جزء من المبحث الذي نحن بصدده. فلنبدأ بما أخرجه شيخ المحدّثين في صحيحه في كتاب «بدء الخلق» باب فضائل علي عليه السلام.

روىٰ البخاري بسنده عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ؟». قال السيد الحسيني في «فضائله» [١: ٢٩٩]: ورواه مسلم أيضاً في صحيحه في كتاب «فضائل الصحابة» في باب فضائل عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وابن ماجة في صحيحه [ص١٢]، وأحمد بن حنبل في مسنده [١: ١٧٤]، وأبو داود الطيالسي في مسنده [١: ٢٨]، وأبو نعيم في حليته [٧: ١٩٤]، والنسائي في خصائصه بطريقين في [ص١٥ ـ ١٦].

وفي «صحيح مسلم» في كتاب «فضائل الخمسة» باب فضائل علي بن أبي طالب: روى بسنده عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبي بعدي». قال سعيد: فأحببت أن أشافه بها سعداً، فلقيت سعداً فحدّثته بما حدّثني عامر، فقال: أنا سمعته، فقلت: أنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أُذنيه فقال: نعم وإلّا فاستكتا. قال: ورواه ابن الأثير في «أُسد الغابة» [٤: ٢٦]، والنسائي في خصائصه [ص١٥].

وقال السيد الحسيني: وجدت الحديث في تأريخ ابن جرير الطبري [٢: ٦٢]، كما ذكره المتقي في كنز العمال باختلاف يسير في الألفاظ.

وفي «الإصابة للعسقلاني» [١: ٢١٧] قال: ذكر الخطيب في «المؤتلف» من طريق القاسم بن خليفة، حدّثنا أبو يحيى التيمي، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن مطين بن خالد، عن أنس بن مالك قال: كنا إذا أردنا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء أمرنا علياً عليه السلام أو سلمان أو ثابت بن معاذ، لأنهم كانوا أجرأ أصحابه عليه، فلما نزلت: ﴿**إذا جاء نصر الله**﴾ فذكر حديثاً في فضل عليّ عليه السلام فيه: أنه أخي ووزيري وخليفتي في أهل بيتي وخير من أخلف بعدي. «الحديث».

وفي «كنز العمال» [٦: ١٥٥] ولفظه: «ألا أرضيك يا عليّ؟ أنت أخي ووزيري، تقضي ديني وتنجز موعدي وتبرئ ذمتي، فمن أحبك في حياة منّي فقد قضى نحبه، ومن أحبك في حياة منك بعدي ختم الله له بالأمن والايمان، ومن أحبك بعدي ولم يرك ختم الله له بالأمن والايمان، وآمنه يوم الفزع، ومن مات وهو يبغضك ياعلي مات ميتة جاهلية، يحاسبه الله بما عمل في الاسلام». قال: أخرجه الطبراني عن ابن عمر.

* * *

صحبتي، ويبكى عليّ عليه السلام فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس: «ما منكم أحد وله حاجة بابن أبي طالب، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبي بعدي؟» قال عليّ عليه السلام: رضيت عن الله عزّوجلّ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروى نظيره في [ص٤ و ١٤ و ١٩ و ٣٢] كما ذكره السيد الحسيني في [١: ٣٠٦ ط. دار الكتب الأسلامية ـ طهران] من عدّة طرق.

وفي الطبقات لابن سعد [٣: ٢٤]: روى بسند عن أبي سعيد قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وآله غزوة تبوك وخلّف علياً في أهله، فقال بعض النّاس: ما منعه أن يخرج به إلّا أنه كره صحبته، فبلغ ذلك علياً فذكره للنبي صلى الله عليه وآله فقال: «أيابن أبي طالب: أما ترضى أن تنزل منّي بمنزلة هارون من موسىٰ؟».

وروى أيضاً في [٣: ٢٤ ط. دار الفكر] بسنده عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالا: لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: إنه لا بد من أن أقيم أو تقيم، فخلّفه، فلمّا فصل رسول الله صلى الله عليه وآله غازياً قال ناس: ما خلّف علياً إلّا لشيء كرهه منه، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فأتبع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى انتهى إليه فقال له: ما جاء بك يا عليّ؟ قال: لا يا رسول الله إلّا أني سمعت ناساً يزعمون أنك إنّما خلفتني لشيء كرهته منّي، فتضاحك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «يا عليّ أما ترضى أن تكونَ منّي كهارون من موسى؟ غير أنك لست بنبي»؟ قال: بلىٰ يا رسول الله. قال: فإنّه كذلك.

وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم [٧: ١٩٦]: روى بسنده عن سعيد بن المسيب عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك: «خلفتك أن تكون خليفتي في أهلي». قلت: لا أتخلف بعدك يا نبي الله، قال: «ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي». ورواه أيضاً في [ص١٩٥] عن سعد بن إبراهيم، وفي [٤: ٣٤٥] روى عن حبشي بن جنادة.

وفي «تاريخ ابن جرير الطبري» [٢: ٣٦٨]: روى بسنده عن ابن إسحاق في حديث غزوة تبوك، قال فيه: فلما سار رسول الله صلى الله عليه وآله، تخلف عنه عبدالله بن أُبي في من تخلف من

وفي «صحيح البخاري» أيضاً في كتاب «بدء الخلق» باب غزوة تبوك: روى بسنده عن مصعب بن سعد عن أبيه: أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً عليه السلام فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال ﷺ: «ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنه لا نبي بعدي».

وفي «صحيح الترمذي» [٢: ٣٠١] روى عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبي بعدي». وروى فيه أيضاً نحوه بسنده عن جابر بن عبدالله، وعن سعد، وزيد بن أرقم، وأبي هريرة، وأُم سلمة، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده [٣: ٣٣٨]، والخطيب البغدادي في تأريخه [٣: ٢٨١] بطريقين، قال في أحدهما: إلّا أنه لا نبي بعدي، ولو كان لكنته.

وفي «صحيح ابن ماجة» [١: ٤٥ ط. دار احياء التراث العربي - بيروت]: روى بسنده عن ابن سابط وهو عبد الرحمن عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد، فذكروا علياً عليه السلام فنال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه». وسمعته يقول: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي». وسمعته يقول: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله».

وفي «مسند الإمام أحمد بن حنبل» [١: ١٧٥]: روى بسنده عن سعيد بن المسيب قال: قلت لسعد بن مالك: إنك إنسان فيك حدّة، وأنا أريد أن أسألك، قال: ما هو؟ قال: قلت: حديث عليّ عليه السلام، قال: فقال: إن النبي ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟» قال: رضيت، ثم قال: بلى بلى. وروى نحوه أيضاً في [ص: ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٨٤ و ٢٣٠] و [٦: ٣٦٩]، كما قاله السيد الحسيني في فضائله.

وفي «خصائص النسائي» [ص١٧]: روى بسنده عن حرب بن سلك قال: قال سعد ابن مالك: إن رسول الله ﷺ غزا على ناقته الجدعاء وخلّف علياً عليه السلام، وجاء علي عليه السلام حتى تعدّىٰ الناقة فقال: يا رسول الله زعمت قريش إنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وكرهت

الحسن عن أبيه قال: كان عليّ عليه السلام يخطب فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني، من أهل الجماعة؟ ومن أهل الفرقة؟ ومن أهل السنة؟ ومن أهل البدعة؟ فقال عليه السلام: ويحك، أما إذ سألتني فافهم عنّي، ولا عليك أن لا تسأل عنها أحداً بعدي «فساق الحديث» إلى أن قال: وتنادى النّاس من كل جانب: أصبت يا أمير المؤمنين، أصاب الله بك الرشاد والسداد. فقام عمار فقال يا أيها النّاس، إنكم والله إن تبعتموه وأطعتموه لم يضل بكم عن منهاج نبيكم قيد شعرة، وكيف يكون ذلك؟ وقد استودعه رسول الله المنايا والوصايا وفصل الخطاب، على منهاج هارون بن عمران، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي». فضلاً خصّه الله به إكراماً منه لنبيه صلى الله عليه وآله حيث أعطاه ما لم يعطه أحداً من خلقه. «الحديث».

وفي «مجمع الزوائد» للهيثمي [٩: ١٠٩] قال: عن أبي سعيد الخدري قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام في غزوة تبوك: خلفتك في أهلي، قال عليّ عليه السلام: يا رسول الله إني أكره أن تقول العرب: خذل ابن عمه وتخلف عنه، قال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنه لا نبي بعدي.

وذكر أيضاً في الصفحة المذكورة نحوه عن أُم سلمة، وعن ابن عباس، وفي [ص١١٠] روى عن ابن عمر، وعن جابر بن سمرة، وفي [ص١١١] روى عن أبي أيوب.

وفيه أيضاً [٩: ١١١] روى عن ابن عباس قال: لما آخى النبي صلى الله عليه وآله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فلم يؤاخ بين عليّ بن أبي طالب وبين أحد منهم، خرج مغضباً حتى أتى جدولاً فتوسّد ذراعه. «إلى أن قال»: فقال له «أي النبي صلى الله عليه وآله»: قم فما صلحت أن تكون إلا أبا تراب، أغضبت عليّ حين آخيت بين المهاجرين والأنصار ولم أُواخ بينك وبين أحد منهم؟ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنه ليس بعدي نبي، ألا من أحبك حُفّ بالأمن والإيمان، ومن أبغضك أماته الله ميتة جاهلية، وحوسب بعمله في الاسلام. قال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» [٦: ١٥٤].

المنافقين وأهل الريب، وكان عبدالله بن أُبي أخا بني عوف من بني الخزرج، وعبدالله بن النبيل أخا بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن يزيد بن التابوت أخا بني قينقاع، وكانوا من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد الاسلام وأهله، وفيهم أنزل الله عزّوجلّ: ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الأمُور﴾[1] قال: وقال ابن اسحاق: وخلّف رسول الله ﷺ عليّ ابن أبي طالب عليه السلام وأمره بالإقامة فيهم. «إلى أن قال»: فأرجف المنافقون بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وقالوا: ما خلّفه إلّا استثقالاً له وتخفّفاً منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي عليه السلام سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجرف، فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني أنك استثقلتني وتخففت مني فقال ﷺ: «كذبوا ولكني إنما خلفتك لما ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ؟ إلّا أنه لا نبي بعدي». فرجع عليّ عليه السلام إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ على سفره. «الحديث».

وفي «أُسد الغابة» لابن الأثير [٥: ٨] قال في ترجمة نافع بن الحارث بن كلدة: وروىٰ عن النبي ﷺ أنه قال لعليّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ».

وفي كنز العمال للمتقي [٦: ٣٩٥] قال: عن ابن عبّاس قال عمر بن الخطاب: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: في عليّ ثلاث خصال، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة ابن الجراح ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ والنبي متّكئ علىٰ عليّ بن أبي طالب، حتى ضرب بيده على منكبيه ثم قال: «أنت يا علي أوّل المؤمنين إيماناً، وأولهم إسلاماً، ـ ثم قال ـ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وكذب عليّ من زعم أنه يحبني ويبغضك».

وذكر فيه أيضاً في [٣: ١٥٤] حديثاً نظيره في الباب الذي نحن فيه عن أبي ذر، وفي [٦: ١٥٤] عن أسماء بنت عميس، وفي [٦: ٤٠٥] عن سعد وعن عامر بن سعد.

وفي «كنز العمال» أيضاً [١٦: ١٨٣ ط. مؤسسة الرسالة] قال: عن يحيى بن عبدالله بن

---

(١) التوبة: ٤٨.

بعدك، فسمِّ ابنك هذا باسم ولد هارون، فقال: وما كان اسم ابن هارون يا جبرئيل؟ قال: شبّر فقال ﷺ: إن لساني عربي، فقال: سمّه حسناً. ففعل ﷺ. فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام فجاء نبي الله ﷺ وذكرت مثل الأول، وساقت قصة التسمية مثل الأول، وأن جبرئيل عليه السلام أمره أن يسميه باسم ولد هارون شبير، فقال النبي ﷺ: مثل الأول، فقال: سمّه حسيناً، انتهى.

أقول: وأخرجه الفقيه الحافظ الشهير بابن المغازلي في مناقبه [ص٢٧] من عدة طرق.

وفي تفسير الميزان [١٤: ١٥٩] للطباطبائي قال في ذيل تلكم الآيات الشريفة بعد أن نقل الحديث المذكور عن «الدر المنثور» وذلك في قوله مجيباً لقول الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» [٨: ١٨٦ ط. دار إحياء التراث العربي] ما مفهومه بأن هذا الحديث لا يصلح أن يكون دليلاً بأن خلافة أمير المؤمنين عليّ بلا فصل.

قلت: أما الاستدلال بالحديث أو حديث المنزلة على خلافته عليه السلام بلا فصل فالبحث فيه خارج عن غرض الكتاب، وإنما نبحث عن المراد بقوله ﷺ في دعائه لعليّ عليه السلام: «وأشركه في أمري» طبقاً لدعاء موسى عليه السلام المحكي في الكتاب العزيز، فإن له مساساً بما فهمه ﷺ من لفظ الآية، والحديث مؤيد بحديث المنزلة المتواتر[1]. فمراده ﷺ بالأمر في قوله: «وأشركه في أمري» ليس هي النبوّة قطعاً، لنصّ حديث المنزلة باستثناء النبوّة، وهو الدليل القاطع على أن مراد موسى بالأمر في قوله: «وأشركه في أمري» ليس هو النبوّة، وإلّا بقي قول النبي ﷺ: «أمري» بلا معنى يفيده.

وليس المراد بالأمر هو مطلق الارشاد والدعوة إلى الحق قطعاً «كما ذكره» لأنه تكليف، يقوم به جميع الأمة ويشاركه فيه غيره، وحجة الكتاب والسنّة قائمة فيه، كمثل

---

(١) نقل البحراني الحديث في غاية المرام بمئة طريق من طرق أهل السنة وسبعين طريقاً من طرق الشيعة [هامش الميزان ١٤ / ١٧٢ ط. دار الكتب الاسلامية].

وفيه أيضاً [٩: ١١١] روى عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ لأُم سلمة: هذا عليّ بن أبي طالب لحمه لحمي، ودمه دمي، فهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي.

وفي الرياض النضرة للمحب الطبري [٢: ١٦٢] قال: وعنه «أي سعد» قال: لما نزل رسول الله ﷺ الجرف طعن رجال من المنافقين في إمرة عليّ عليه السلام وقالوا: إنما خلفه استثقالاً، فخرج عليّ عليه السلام فحمل سلاحه حتى أتى النبي ﷺ بالجرف، فقال: يا رسول الله! ما تخلّفت عنك في غزاة قط قبل هذه، قد زعم المنافقون أنك خلّفتني استثقالاً، فقال ﷺ: كذبوا ولكن خلّفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي، أفلا ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنه لا نبي بعدي.

وفي «الرياض النضرة» أيضاً [٢: ١٦٤] قال: عن أسماء بنت عميس قالت: هبط جبرئيل عليه السلام: على النبي ﷺ فقال: يا محمّد! إن ربّك يقرئك السلام ويقول لك: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدك. قال: أخرجه الإمام عليّ بن موسى عليه السلام.

وفيه أيضاً [٢: ١٩٥] قال: وعن أبي حازم قال: جاء رجل إلى معاوية فسأله عن مسألة فقال: سل عنها عليّ بن أبي طالب فهو أعلم، قال: يا أمير المؤمنين: جوابك فيها أحب إليّ من جواب عليّ، قال: بئسما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغرزه بالعلم غرزاً، ولقد قال له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي. وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه. قال: أخرجه أحمد في «المناقب».

وفي ذخائر العقبىٰ للمحب الطبري [ص١٢٠]: وعن أسماء بنت عميس قالت: أقبلت فاطمة بالحسن عليه السلام، فجاء النبي ﷺ فقال: يا أسماء هلمّي ابني، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فألقاها عنه قائلاً: ألم أعهد إليكن أن لا تلفّوا مولوداً بخرقة صفراء؟ فلفيّته بخرقة بيضاء فأخذه وأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم قال لعليّ عليه السلام: أي شيء سمّيت ابني؟ قال: ماكنت لأسبقك منك بذلك، فقال: ولا أنا أُسابق رّبي، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن رّبك يقرئك السلام ويقول لك: علي منك بمنزلة هارون من موسىٰ لكن لا نبي

المبحث التاسع والستون

في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِين ظَلَمُوا مِنكُم خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٩].

نقل السيد المرتضى الحسيني الفيروز آبادي في كتابه القيّم «فضائل الخمسة» [٢: ٣٦٤] حديثاً يناسب ذكره تجاه هذه الآية النازلة في معرض التنبيه والإنذار، لما يتضمن من توضيح الصحابي الكبير الزبير بن العوام، وتعبيره عن معنى هذه الفتنة المحذور منها، وقد كان مقراً ومعترفاً بأنها قد وقعت فيه وفي قومه، وذلك حينما تظاهروا بالمطالبة بدم عثمان من أمير المؤمنينعليه السلام وهو بريء منه حتى حاربوه، فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر.

فبذلك فقد ظهر لنا أيضاً مصداق ما أخبر به النبيصلى الله عليه وآله بأنهعليه السلام قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وهم أهل الجمل، وأهل صفين، والخوارج، ويتحقق أيضاً مصداق ما أخبر به الزبير بأنه سيقاتل علياًعليه السلام وهو له ظالم. كما سنذكر هنا كل رواية من الأخبار، في مواردها المناسبة لها.

***

قوله تعالى: ﴿قُل هذِهِ سبيلي أدعُو إلى اللهِ على بصيرةٍ أنَا ومَن اتّبعني﴾[1] وقولهﷺ الذي رواه العامّة والخاصة: «فليبلّغ الشاهد منكم الغائب» وإذا كان أمراً مشتركاً بين الجميع فلا معنىٰ لاشتراك عليّ‌عليه السلام فيه، على أنّ الاضافة في قوله: «أمري» تفيد الاختصاص، فلا يصدق على ما هو مشترك بين الجميع، ونظير الكلام يجري في قول موسىٰ المحكي في الآية.

* * *

(١) يوسف: ١٠٨.

مع رسول الله ﷺ فنظر إليّ وضحك وضحكت، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال ﷺ: ليس بمزه، ولتقاتلنه وأنت له ظالم، فذكر الزبير ذلك فانصرف عن القتال.

وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني [٣: ٦] قال: روى أبو يعلى من طريق أبي جرو المازني قال: شهدت علياً عليه السلام والزبير توافيا يوم الجمل، فقال له عليّ عليه السلام أنشدك، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إنك تقاتل علياً وأنت ظالم له؟ فقال: نعم، ولم أذكر ذلك إلى الآن، فانصرف.

وفي تهذيب التهذيب [٦: ٣٢٥]: في ترجمة عبد السلام الكوفيّ قال: قال إسماعيل بن خالد عن عبد السلام «رجل من حية»: خلا عليّ عليه السلام بالزبير يوم الجمل، فذكر حديث: لتقاتلنه وأنت ظالم له.

قال السيد الحسيني: وذكره المتقي الهندي أيضاً في «كنز العمال» [٦: ٨٥] وقال: خلا علي عليه السلام بالزبير يوم الجمل فقال: أنشدك الله كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول وأنت لاوي يدي في سقيفة بني فلان: لتقاتلنه وأنت له ظالم، لينصرنّ عليك؟ فقال: قد سمعت لاجرم لا أقاتلك. وذكره العسقلاني أيضاً في فتح الباري [١٦: ١٦٥].

وفي كنز العمال للمتقي [٦: ٨٣] قال: عن نذير الضبي: أن علياً عليه السلام دعا الزبير وهو بين الصفين فقال: أنت آمن، تعال حتى أُعلمك، فأتاه، فقال عليّ عليه السلام أنشدك بالله الذي بعث محمداً ﷺ بالحق نبياً، أخرج النبي ﷺ يمشي وأنا وأنت معه، فضرب كتفك ثم قال لك: يا زبير كأنك قد قاتلت هذا؟، قال: اللهم نعم، فرجع.

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة [ص٦٣] في قصة أهل الجمل قال: ثم خرج عليّ عليه السلام على بغلة رسول الله ﷺ الشهباء بين الصفين وهو حاسر فقال: أين الزبير؟ فخرج إليه حتى إذا كان بين الصفين اعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا، ثم قال عليّ عليه السلام: يا أبا عبدالله ما جاء بك ها هنا؟ قال جئت أطلب دم عثمان، قال عليّ عليه السلام: تطلب دم عثمان؟ قتل الله من قتل عثمان، أنشدك الله يا زبير هل تعلم أنك مررت بي وأنت مع رسول الله ﷺ وهو متّكئ على يدك، فسلّم علي رسول الله ﷺ وضحك إليّ، ثم التفت إليك فقال

في إخبار النبي ﷺ زبيراً أنّه سيُقاتل علياً وهو ظالم له

ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد [ج٧ ص٢٧] قال: عن مطرّف قلنا للزبير: يا أبا عبدالله ما جاء بكم؟ ضيّعتم الخليفة حتىٰ قتل، ثم جئتم تطلبون بدمه، فقال الزبير: إنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان: **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾** لم نكن نحسب أنا أهلها حتىٰ وقعت فينا.

وفي مستدرك الصحيحين للحاكم [٣: ٣٦٦] روى بسنده عن أبي الأسود الدؤلي قال: شهدت الزبير خرج يريد علياً فقال له عليّ ؈: أنشدك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقاتله وأنت له ظالم؟ فقال: لم أذكر، «يعني أنه نسي» ثم مضى الزبير منصرفاً. قال: هذا حديث صحيح.

وفيه أيضاً [٣: ٣٦٦] روى عن قيس بن أبي حازم قال: قال عليّ ؈ للزبير: أما تذكر يوم أنا وأنت في سقيفة قوم من الأنصار؟ فقال لك رسول الله ﷺ: أتحبه؟ فقلت: وما يمنعني؟ قال ﷺ: أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت ظالم له، قال: فرجع الزبير.

وفي نفس الجزء والصفحة منه أيضاً روى بسند عن أبي الأسود الدؤلي قال: شهدت علياً ؈ والزبير، لما رجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبدالله فقال: مالك؟ قال: ذكر لي عليّ حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول: لتقاتلنه وأنت ظالم له، فلا أقاتله، قال: وللقتال جئت؟ إنما جئت لتصلح بين النّاس، ويصلح الله هذا الأمر بك، قال: لقد حلفت أن لا اُقاتل، قال: فاعتق غلامك جرجس، وقف حتى تصلح بين النّاس؛ قال فأعتق غلامه جرجس ووقف، فاختلف أمر الناس، فذهب على فرسه. قال الحاكم: وقد روي إقرار الزبير لعلي بذلك من غير هذه الوجوه والروايات.

وفي اُسد الغابة لابن الاثير [٢: ١٩٩] في ترجمة الزبير بن العوام قال: وشهد الزبير الجمل مقاتلاً لعليّ ؈، فناداه علي ؈ ودعاه فانفرد به، وقال له: أتذكر إذ كنت أنا وأنت

صدره. غاية الرجل من هذا الحكم البات، تغرير الأُمة والتمويه على الحقيقة، وجعل تلك الحروب الدامية نتيجة رأي واجتهاد من الطرفين، حتّى يسع له القول بالتساوي بين أمير المؤمنين ومقاتليه في الرأي والاجتهاد، وإنّ كلاًّ منهما مجتهدٌ، وله رأيه مصيباً كان أو مخطئاً، غير أنّ للمصيب أجرين، وللمخطئ أجر واحد، ذاهلاً على أنّ المنقّب لا يخفى عليه هذا التدجيل، ويد التحقيق توقظ نائمة الأثكل، وقلم الحق لا يترك الأُمة سدى، وينبئهم عن أن اجتهاد القوم [إن صحّت الأحلام] اجتهادٌ في مقابلة النص النبويّ الأغر.

وليت شعري كيف يخفى الأمر على أي أحد؟ أو كيف يسع أن يتجاهل أيُّ أحد؟ وبين يدي الملأ العلمي قول رسول الله صلى الله عليه وآله لزوجاته: أيتكنّ صاحبة الجمل الأديب «وهو الكثير الشعر» تخرج فينبحها كلاب الحوأب؟ يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت تقتل.

وقوله صلى الله عليه وآله لهن: كيف بإحداكّن إذا نبح عليها كلاب الحوأب؟

وقوله صلى الله عليه وآله لهن: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب، سائرة الى الشرق في كتيبة؟

وقوله صلى الله عليه وآله لهن: أيتكن التي تنبح عليها «تنبحها» كلاب الحوأب؟

وفي لفظ الخفاجي في شرح الشفا [٣: ١٦٦]: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأزب، تنبحها كلاب الحوأب؟

وقوله صلى الله عليه وآله لعائشة: كأني بإحداكنّ قد تنبحها كلاب الحوأب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء.

وقوله صلى الله عليه وآله لها: يا حميراء كأني بك تنبحك كلاب الحوأب، تقاتلين علياً وأنت له ظالمة.

وقوله صلى الله عليه وآله لها: انظري يا حميراء، أن لا تكوني أنت.

وقوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها.

وقوله صلى الله عليه وآله: سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً عليه السلام على الله جهادهم، فمن لم يستطع

لك: يا زبير إنك تقاتل علياً وأنت له ظالم؟ قال: اللهم نعم، قال عليّ عليه السلام: فعلىٰ مَ تقاتلني؟ قال الزبير: نسيتها والله لو ذكرت ما خرجت إليك ولاقاتلتك «الخ».

وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» [١: ٢٠٧] في ترجمة طلحة بن عبيد الله قال: ثم شهد طلحة بن عبيد الله يوم الجمل محارباً لعليّ عليه السلام فزعم بعض أهل العلم أن علياً عليه السلام دعاه فذكّره أشياء من سوابقه وفضله، فرجع طلحة عن قتاله على نحو ما صنع الزبير، واعتزل في بعض الصفوف، فرمي بسهم فقطع من رجله عرق النساء، فلم يزل ينزف حتىٰ مات.

ونقل السيد الحسيني في فضائل الخمسة [٢: ٤٠٨] ما ذكره السيوطي في «الدر المنثور» في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٥٨] قال: وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصلاة المكتوبة إلى الصلاة التي تليها كفارة ما بينهما، والجمعة إلى الجمعة التي تليها كفارة ما بينهما، والشهر إلى الشهر «يعني شهر رمضان» كفارة ما بينهما، إلّا من ثلاث: الإشراك بالله، وترك السنّة، ونكث الصفقة فقلت: يا رسول الله، أما الإشراك بالله فقد عرفناه، فما نكث الصفقة وترك السنّة؟ قال: أما نكث الصفقة فأن تبايع رجلاً بيمينك ثم تخالف إليه فتقاتله بسيفك، وأما ترك السنّة فالخروج من الجماعة.

وفي الغدير [٣: ١٨٨] قال ردّاً علىٰ مخاريق ابن تيمية في حكم قتال يومي الجمل وصفين المسجلة في كتابه المسمّىٰ بـ«منهاج السنّة»: إني لأعجب من جهل هذا الانسان «الذي خلق جهولاً» بشؤون الإمامة، وأن حامل أعبائها كيف يجب أن يكون في ورده وصدره، فإنّه في منتأى عن معنىٰ الإمامة التي نرتئيها، ولا أعجب من جهله بموقف مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأنه كيف كان قيد الأمر ورهن الإشارة من مخلّفه النبيّ الأعظم، فأنّه لم تتح له الحيطة بمكانته وفواضله ومجاري علمه وعمله، فإن النصب المردي قد أعشى بصره، ورماه عن الحق في مرمى سحيقٍ، وإنما كلُّ عجبي من جهله بما أخرجه الحفّاظ والأئمة في ذلك، ولكنه من قوم «لهم أعين لا يبصرون بها»، ونحن نعلم ما يوسوس به

في أمر النبي ﷺ علياً ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين

وأما ما جاء عن النبي ﷺ من الروايات في أمره ﷺ علياً ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد تواردت في كتب المسانيد والمعاجم وغيرها، غير أنها مدفونة بين أطباق الصفحات: لا يلوي عليها أحد ممن له مسكة من نور العلم، لأمرٍ ما، مع أنها تدعوهم بلسان حالها: «هلمّوا إلينا نهدكم سبيل الرشاد» ولكن يا أسفاً وهل ينفع الصم الدعاء إذا ما ولوا مدبرين إلى حيث ما قادهم تعصبهم لآبائهم أو لكبرائهم؟ إما من دنيا تصيبهم، وإما من أحقادٍ ما يتوارثونها أبا عن أبٍ وجداً عن جد من لدن أهل الطبقة الأُولى أو من يوم بدر. فلنذكر في هذه الأسطر مما رواه حفظة السنن الموثوقون، عسى أن يكون بذكرها تطمئن قلوب ذوي الإنصاف، ومما تتم به الفائدة للنشأة الحديثة من أبناء الثقافة الاسلامية، خصوصاً لطلبة العلم الديني الذين تحرّروا من قيد العصبية المضنية، لتقوية وحدة الأُخوة الاسلامية.

في مستدرك الصحيحين للحاكم [٣: ١٣٩] روى بسنده عن عقاب بن ثعلبة: حدّثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب، قال: أمر رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي الصفحة المذكورة روى أيضاً بسند عن الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت النبي ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب ﷺ: تقاتل الناكثين والقاسطين بالطرقات والنهروانات وبالسعفات، قال أبو أيوب: قلت يا رسول الله، مع من نقاتل هؤلاء القوم؟ قال: مع عليّ بن أبي طالب.

وفي تأريخ بغداد للخطيب [٨: ٣٤٠] روى بسنده عن خليد العصري قال: سمعت أمير المؤمنين علياً ﷺ يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه، وليس وراء ذلك شيء. قال: أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد [٩: ١٣٤]؛ وكنز العمال [٦: ١٥٥] وفي [٧: ٣٠٥] نقلاً عن الطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم.

وقيل لحذيفة اليماني: حدّثنا ما سمعت عن رسول الله ﷺ قال: لو فعلت لرجمتموني، قلنا: سبحان الله، قال: لو حدّثتكم أنّ بعض أُمهاتكم تغزوكم في كتيبة، تضربكم بالسيف ما صدّقتموني، قالوا: سبحان الله، ومن يصدّقك بهذا؟ قال: أتتكم الحميراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها[١]، حيث تسوء وجوهكم، ثم قام فدخل مخدعاً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٢].

وقال العرني صاحب جمل عائشة: لمّا طرقنا ماء الحوأب فنبحتنا كلابها، قالوا: أيّ ماء هذا؟ قلت: ماء الحوأب، فصرخت عائشة بأعلى صوتها، ثمّ ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقاً، ردّوني. تقول ذلك ثلاثاً، فأناخت وأناخوا حولها، وهم على ذلك وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد، قال: فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء فقد أدرككم والله عليّ بن أبي طالب. قال: فارتحلوا وشتموني. تاريخ الطبري [٥: ١٧١].

وفي مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري [٣: ١٢٠] في حديث قيس بن حازم قال: لمّا بلغت عائشة بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت: أيّ ماء هذا؟ قالوا: الحوأب، قالت: ما أظنني إلّا راجعة، فقال الزبير: لا، بعد تقدمي ويراك النّاس ويصلح الله ذات بينهم، قالت: ما أظنني إلّا راجعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: كيف بإحداكنّ إذا نبحتها كلاب الحوأب؟

* * *

(١) الى هنا في كتاب الغدير: أما ما في المستدرك للحاكم فأنه يختلف في بعض الالفاظ قليلاً مع وجود هذا الذيل الذي يذكره المؤلف.

(٢) مستدرك الصحيحين ٤: ٤٧١.

أخرجه ابن جرير.

وفي «أُسد الغابة أيضاً» [٤: ٣٣] روى بسنده عن عليّ بن ربيعة قال: سمعت علياً عليه السلام على منبركم هذا يقول: عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن أُقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي الدر المنثور للسيوطي في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنهُم منتقِمُون﴾ [الزخرف: ٤١] قال: أخرجه ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿فإمّا نَذهبنَّ بك فإنّا منهم منتقمون﴾ نزلت في عليّ عليه السلام أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي.

وفي «كنز العمال» [١١: ٣٢٧ ط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت]: قال: عن عليّ بن ربيعة قال: سمعت علياً عليه السلام على المنبر وأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، مالي أراك تستحل النّاس استحلال الرجل إبله؟ أبعهدٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيئاً رأيته؟ قال: والله ما كذبت ولا كذّبت، ولا ضللت ولا ضلّ بي، بل عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله عهده إليّ، وقد خاب من افترى، عهد إليّ النبي صلى الله عليه وآله أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين: «قال: أخرجه البزار وأبو يعلىٰ».

وفي «كنز العمال» [١١: ٣٥٢]: قال: عن الثوري ومعمر عن أبي إسحاق عن عاصم ابن ضمرة عن أبي صادق: قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق فقلت له: يا أبا أيوب، قد كرّمك الله بصحبة نبيه محمّد صلى الله عليه وآله وبنزوله عليك، فما لي أراك تستقبل النّاس تقاتلهم؟ تستقبل هؤلاء مرةً، وهؤلاء مرةً، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ عليه السلام الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم [يعني معاوية وأصحابه] وعهد إلينا أن نقاتل مع علي عليه السلام المارقين فلم أرهم بعد. «قال أخرجه ابن عساكر».

وفي «كنز العمال» [١١: ٣٢٧]: قال: عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فأتى منزل أُم سلمة، فجاء عليّ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أُم سلمة، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي. قال: أخرجه الحاكم في «الأربعين» وابن عساكر والمحب

وفي تأريخ بغداد أيضاً [١٣: ١٨٦] روى بسنده عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له: يا أبا أيوب، إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك، حتى أناخت ببابك، دون النّاس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلّا الله، فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع عليّ عليه السلام: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فأما الناكثون فقد قاتلناهم؛ [أهل الجمل طلحة والزبير] وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم: [يعني معاوية وعمراً]، وأما المارقون فهم أهل الطرقات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم، ولكن لا بد من قتلهم إن شاء الله. وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية. وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك. يا عمار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك النّاس وادياً غيره، فاسلك مع علي، فإنه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى. يا عمار، من تقلّد سيفاً أعان به علياً علىٰ عدوه، قلّده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدو عليّ عليه السلام قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار. قلنا يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله. «قال السيّد الحسيني في فضائل الخمسة» [٢: ٣٥٩]: وذكره المتقي الهندي في كنز العمال [٦: ١٥٥] وقال فيه: لن يدلّك على ردى ولن يخرجك من الهدى. قال: أخرجه الديلمي عن عمار بن ياسر وعن أبي أيوب.

وفي أُسد الغابة لابن الأثير [٤: ٣٢] روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: يا رسول الله، أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن ياسر.

وفي أُسد الغابة [٤: ٣٣] روى بسنده عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا: قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين. وفي «كنز العمال» [٦: ٨٨] وقال في آخره: فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين. قال:

وفي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» بهامش الإصابة للعسقلاني [٣: ٥٣]. في ترجمة عليّ بن أبي طالب قال: وروى من حديث عليّ، ومن حديث ابن مسعود ومن حديث أبي أيوب الأنصاري أنه أُمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي «مناقب محمّد بن عليّ بن شهر آشوب [٣: ١٤٧ ط. دار الاضواء] قال: قرأ أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة «أي في وقعة الجمل»: ﴿وإن نَّكَثوا أيْمانَهم مِن بعد عَهدِهِم وطَعَنُوا في دِينكم فقاتلوا أئمّة الكفر إنَّهُم لا أيمانَ لَهم لعلّهم يَنتَهون﴾ [التوبة: ١٢] ثم قال: لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا علي، لتقاتلنّ الفئة الناكثة، والفئة الباغية، والفرقة المارقة، إنّهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون.

قال ابن عباس: لما علم الله أنّه ستجري حرب الجمل، قال لأزواج النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأُولى﴾ وقال تعالى: ﴿يا نساء النبي من يأتِ منكن بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب﴾ [الأحزاب: ٣٠ و ٣٣] في حربها مع عليّ.

وعن شعبة، والشعبي، والأعثم، وابن مردويه، والخطيب في كتبهم، بالأسانيد عن ابن عباس وابن مسعود، وحذيفة، وقتادة، وقيس بن أبي حازم، وأُم سلمة، وميمونة، وسالم بن أبي الجعد واللفظ له: إنّه ذكر النبي صلى الله عليه وآله خروج بعض نسائه فضحكت عائشة، فقال: انظري يا حميراء لا تكونين هي، ثم التفت إلى عليّ فقال: يا أبا الحسن إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها.

قال الزاهي:

كم نُهيت عن تبرج فعصت ... وأصبحت للخلاف متّبعه
قال لها في البيوت قري ... وخالفته العفيفة الورعه

وقال السوسي:

وما للنساء وحرب الرجال ... فهل غلبت قط أُنثى ذكر
ولو أنها لزمت بيتها ... ومغزها لم ينلها ضرر

وقال الحميري:

الطبري في «الرياض النضرة» [٢: ٢٤٠].

وفي «كنز العمال» [١٦: ١٩٤ ـ ح٤٤٢١٦] قال: عن يحيى بن عبدالله بن الحسن عن أبيه قال: كان عليّ عليه السلام يخطب، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين «إلى أن قال»: أخبرنا عن الفتنة هل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، إنه لما نزلت هذه الآية من قول الله عزوجل: ﴿الۤمۤ أَحسبَ النَّاس أن يُترَكُوا أَن يَقُولُوا آمنَّا وَهُم لا يُفتنون﴾ [العنكبوت: ٢] علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله حيّ بين أظهرنا، فقلت: ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟ فقال: يا عليّ! إن اُمتي سيفتنون من بعدي، «إلى أن قال»: فقلت: بأبي أنت واُمي بيّن لي ما هذه الفتنة التي يبتلون بها؟ وعلى ما اُجاهدهم بعدك؟ فقال: إنّك ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة والمارقة، وجلّاهم وسمّاهم رجلاً رجلاً.

وفي «مجمع الزوائد للهيثمي» [٩: ٢٣٥] قال: وعن عبدالله «يعني ابن مسعود» قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. وذكره في [٧: ٢٣٨] وقال: اُمر عليّ عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والماراقين. ثم قال: رواه الطبراني في الأوسط(١).

وروى الذهبي في «ميزان الاعتدال» [١: ٢٧١] قال: وعن علي بن الحزور، عن الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه أمرنا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. قلت: يا رسول الله مع من؟ قال: مع عليّ بن أبي طالب.

وفي [١: ٥٨٤] روى عن عبيد الله بن موسى عن فطر عن حكيم بن جبير عن إبراهيم عن علقمة عن عليّ قال: اُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفي منتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل [٥: ٤٣٧] قال: عن عليّ عليه السلام قال: اُمرت بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين، فأما القاسطون فأهل الشام، فأما الناكثون فذكرهم.... وأما المارقون فأهل النهروان «يعني الحرورية». وفي [ص ٤٥١] منه روى أيضاً عن الثوري عن عاصم بن ضمرة عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق. إلى آخر الحديث المذكور في كنز العمال، وقد مرّ ذكره.

---

(١) راجع: فضائل الخمسة ٢: ٤٠٢.

خــــلافهم بـــعد دعـــوتهم ونكـــثهم بـــعد مـــا بـــايعوكا

طـــغوا بـــالخريبة واســـتنجدوا بـــصفين والنهـــر إذ صـــالتوكا

أُنـــاس هـــم حـــاصروا نـــعثلاً ونـــالوه بـــالقتل مـــا اســـتأذنوكا

فـــيا عـــجباً مـــنهم إذ جـــنوا دماً وبـــثاراتـــه طـــالبوكا

* * *

جـــاءت مــع الأشـقين في هــودج تــزجــي إلى البــصرة أجــنادها
كأنهـــــا في فـــعلها هـــــرة تـــريد أن تأكــــل أولادهـــا

وقال الحميري:

أعـــائش مـــا دعـــاك إلى قـــتال الوصيّ ومـــا عـــليه تـــنقمينا
ألم يـــــــعهد إليك الله ألّا تـــري أبـــداً مـــن المـــتبرّجينا
وأن تـــرخـي الحـجاب وأن تـقرّي ولا تـــــتبرّجي للـــــناظرينا
وقـــال لك النـــبي أيـــا حمـــيرا ســيبدي مـــنك فـــعل الحـاسدينا
وقـــال ســتنبحين كـــلاب قـــوم مـــن الأعـــراب والمـــتعرّبينا
وقـــال ســتركبين عـــلى خــدب يســمّىٰ عسكـــراً فـــتقاتلينا
فـــخنت محـــمداً في أقـــربيه ولم تـــرعي له القـــول الوضـــينا

وفي [٣: ١٥٣](١) منه قال: وسأل ابن الكواء وقيس بن عباد أمير المؤمنينعليه السلام عن قتال طلحة والزبير، فقال: إنهما بايعاني بالحجاز وخلعاني بالعراق فاستحللت قتالهما لنكثهما بيعتي.

وفيه عن تأريخ الطبري: قال يونس النحوي: فكرت في أمر عليّ وطلحة والزبير، إن كانا صادقين أن علياً قتل عثمان فعثمان هالك، وإن كذبا عليه فهما هالكان.

قال رجل من بني سعد:

صـــنتم حـــلائلكم وقـــدتم اُمّكـم هـــذا لعـــمرك قـــلّة الإنـــصاف
اُمـــرت بجـرّ ذيـــولها في بـــيتها فـــهوت تشـــقّ البـــيد بـــالايجاف
عـــرضاً يـــقاتل دونهـــا أبـــناؤها بـــالنبل والخـــطّي والأســـياف

وقال الناشي:

ألا يـــا خـــليفة خـــير الورى لقـــد كـــفر القـــوم إذ خـــالفوكا
أدلٌّ دليـــــلٍ عـــــلى أنهـــــم أتـــوك وقـــد سمـــعوا النـص فـيكا

(١) المناقب لابن شهر آشوب.

من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

ثم عطف النبي ﷺ بقوله: «وأحب رسوله» فبطبع الحال بأن من أحب الله عزّوجلّ لا محالة أحب رسوله. وقد ورد عنه ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه «الحديث» ثم عطف ﷺ محبة أهل بيته على محبته بقوله: «وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب» ثم ختم حديثه بقوله: «وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً».

قال الطباطبائي في تفسير الحديث: فإن النبي ﷺ والمطهّرين من أهل بيته، والخيار من الصحابة والمؤمنين من مصاديق ذكر الله لأن الله يُذكر بهم.

وأقول وبالله التوفيق للصواب: ولعل من الممكن من أهم ما يعتبر بما في ضمن هذا الحديث، ويعتني بتحقيقه، قوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «وأحب أهل بيته صادقاً غير كاذب» لأن ذلك من المحتمل لمن أمعن النظر فيه من مغزاه ومفهومه، أن يكون من النّاس من لم يكن صادقاً في حبهم، فلعل من أجل ذلك قد ورد عنه ﷺ أحاديث كثيرة في التحريض على حبهم، وبشّر من أحبهم بما بشّر، وحذّر من بغضهم وأنذر من أبغضهم بما أنذر. كما سنذكر بعون الله عزّوجلّ في هذه العجالة بعض الأحاديث المحرّضة على حبّهم، والمحذّرة من بغضهم. راجياً من المولى أن ينتفع بها كل قارئ منصف لبيب، وكل ذي قلب سليم ورأي أريب، من الذين لا ينتزع أحدهم بأي نزعة من النزعات، ولا ممن يتكدر صفاء ذهنه بهوى العصبيات.

* * *

المبحث السبعون

في قوله تعالى: ﴿ الَّذينَ آمنوا وتطمئنُ قُـلُوبُهُم بـذكـر الله أَلا بـذكـرِ الله تطمئنُّ القُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال السيوطي في «الدر المنثور» [٤: ٦٤٢ ط. دار الفكر ـ لبنان]: وأخرج ابن مردويه عن عليٍّ ﵇ أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: **﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** قال: ذاك من أحب الله ورسوله، وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب، وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً، ألا بذكر الله يتحابّون.

وذكره الشوكاني في تفسيره فتح القدير في [٣: ٨٢]. والطباطبائي في تفسيره «الميزان» في [١١: ٣٦٧] ونقل فيه عن تفسير العياشي عن ابن عباس أنه قال رسول الله ﷺ: **﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** ثم قال لي: أتدري يابن أُم سليم من هم ؟ قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: نحن أهل البيت وشيعتنا.

وفي الدر المنثور في الصفحة المذكورة قال: أخرج أبو الشيخ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه لما نزلت هذه الآية: **﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾**: أتدرون ما معنى ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: من أحب الله ورسوله، وأحب أصحابي.

وأخرج ابن مردويه عن علي ﵇ أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: **﴿ألا بذكرِ اللهِ تطمئنّ القلوبُ﴾** قال: ذاك من أحب الله ورسوله، وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب، وأحبّ المؤمنين شاهداً وغائباً، ألا بذكر الله يتحابون.

يفيد مفهوم هذه الآية بأن القلوب لا تطمئن بشيء عن ذكر الله عزّوجلّ، واستبان لنا أيضاً من بيان النبي ﷺ في قوله: «ذاك من أحب الله» فلا ضير أن يكون ذلك كما قيل

قالت: أتىٰ العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّا لنعرف الضغائن في أُناسٍ من قومنا لوقائع أوقعناها، فقال: أما والله إنهم لم يبلغوا خيراً حتى يحبّوكم لقرابتي، ترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب.

وفي «كنز العمال» [١: ٤١ ط. مؤسسة الرسالة] ولفظه: لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذريتي أحب إليه من ذريته. قال أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» والبيهقي في «شعب الإيمان».
وقال السيد الحسيني: وذكره الهيثمي أيضاً في «مجمع الزوائد» [١: ٨٨] وقال: رواه الطبراني في «الأوسط والكبير» انتهى. وذكره الشبلنجي في نور الأبصار [ص١٠٣] وقال: رواه الطبراني والديلمي، وأبو الشيخ ابن حبان، والبيهقي مرفوعاً.

وفي «كنز العمال» أيضاً [٦: ٢١٨] وفي [٧: ١٠٣] قال ﷺ: يا علي إن الاسلام عريان، لباسه التقوى، ورياشه الهدى، وزينته الحياء، وعماره الورع، وملاكه العمل الصالح، وأساس الاسلام حبي وحب أهل بيتي. قال: أخرجه ابن عساكر عن علي عليه السلام.

وفي «كنز العمال» أيضاً [٧: ٢١٢] ولفظه: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه، وعن حبنا أهل البيت، قال: أخرجه الطبراني عن ابن عباس.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» [١٠: ٣٤٦] وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

وذكره ثانياً بلا فصل وقال: عن أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ لا تزول قدما عبد يوم القيامة «وساق الحديث كما تقدم» وقال في آخره: قيل: يا رسول الله، فما علامة حبكم؟ فضرب بيده على منكب عليّ عليه السلام.

قال: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط».

وفي «كنز العمال» أيضاً [٦: ٢١٧] وفي [٨: ١٥١] قال ﷺ: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أُمورهم عندما اضطرّوا

في ما جاء في حب أهل البيت عليهم السلام

روى الترمذي في «صحيحه» [٢: ٣٠٨] عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحبّوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبّوني لحب الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي.

قال السيد الحسيني في «فضائل الخمسة» [٢: ٧٥]: ورواه الحاكم أيضاً في «مستدرك الصحيحين» [٣: ١٤٩] بطريقين وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ورواه أبو نعيم أيضاً في «حلية الأولياء» [٣: ٢١١] والخطيب البغدادي أيضاً في «تأريخ بغداد» [٤: ١٥٩] وابن الأثير الجزري أيضاً في «أُسد الغابة» [٢: ١٢] والسيوطي أيضاً في تفسيره «الدر المنثور» في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ الآية [الشورى: ٢٣] وقال: أخرجه الترمذي وحسّنه، والطبراني والحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان».

وفي «تأريخ بغداد للخطيب» [٢: ١٤٦] روى بسنده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي، وهم شيعتي.

وفي «الدر المنثور» للسيوطي [٧: ٣٤٩] في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾ قال: وأخرج أحمد، والترمذي وصحّحه، والنسائي، والحاكم، عن المطلب بن ربيعة قال: دخل العبّاس على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّا لنخرج فنرى قريشاً تحدّث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ودرّعرق بين عينيه ثم قال: والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبّكم لله ولقرابتي. وذكره المحب الطبري أيضاً في ذخائر العقبى [ص٩] لكن عن ابن عباس وقال: أخرجه أحمد.

وقال فيه أيضاً: أخرجه الطبراني والخطيب من طريق أبي الضحى عن ابن عبّاس قال: جاء العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنك قد تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت، فقال النبي صلى الله عليه وآله لا يبلغوا الخير والإيمان حتى يحبّوكم.

وقال فيه أيضاً: وأخرج الخطيب من طريق أبي الضحى عن مسروق عن عائشة

قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير في ذيل تفسير أية المودّة «بعد نقل ما تقدم من الزمخشري في الكشاف» ما لفظه: أقول: آل محمدﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليـه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسينعليهم السلام كان التعلق بينهم وبين رسول اللهﷺ أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل. وذكره الشبلنجي أيضاً في نور الأبصار [ص١٢٧ ط. دار الفكر].

وفي «مجمع الزوائد» للهيثمي [٩: ١٧٢]: قال: وعن الحسن بن عليّعليهما السلام، أن رسول اللهﷺ قال: إلزموا مودّتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عزّوجلّ وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلّا بمعرفة حقنا. «قال: ورواه الطبراني في الأوسط».

وفي «كنوز الحقائق» للمناوي [ص٥] ولفظه: أثبتكم على الصراط أشدكم حـباً لأهل بيتي. وقال: أخرجه الديلمي.

وفي «ذخائر العقبى» للمحب الطبري [ص١٨] قال: وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول اللهﷺ: لا يحبنا أهل البيت إلّا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلّا مـنافق شـقي. «قـال: أخرجه الملّا. يعني في سيرته».

وفي «ذخائر العقبى» أيضاً [ص١٨] قال: وعن عليّعليه السلام قال: قال رسول اللهﷺ: يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم كهاتين السبابتين. «قال: أخرجه الملّا. يعني في سيرته».

وفي «نور الأبصار» للشبلنجي [ص١٠٣] قال: وروي عن عليّعليه السلام قـال: خـرج رسول اللهﷺ مغضباً حتى استوى على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال قوم يؤذونني في أهل بيتي، والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبد حتى يحبني، ولا يحبني حتى يحب ذريتي.

وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم [٩: ٦٥٢] قال: حدّثنا عبدالله بن محمد، حدّثني أبو بكر السبئي قال: سمعت بعض مشائخنا يحكي: أن الشافعي عابه بعض النّاس لفرط ميله

إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه... «قال: أخرجه الديلمي». وقال السيد الحسيني: وذكره المحب الطبري في ذخائر العقبى [ص١٨].

وفي «كنز العمال» أيضاً [٨: ٢٧٨] ولفظه: أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلّا ظله مع أنبيائه وأصفائه. قال: أخرجه أبو نصر عبد الكريم الشيرازي في «الفوائد» والديلمي في الفردوس، وابن النجار عن عليّ عليه السلام. وقال السيد الحسيني: وذكره المناوي في «فيض القدير» في المتن [١: ٢٢٥] وذكره ابن حجر أيضاً في «الصواعق» [ص١٠٣].

وفي «كنز العمال» أيضاً [٦: ٢١٦] ولفظه: إن لكل بني أب عصبةً ينتمون إليها، إلّا ولد فاطمة فأنا وليّهم وأنا عصبتهم، وهم عترتي خلقوا من طينتي، ويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله. قال: أخرجه ابن عساكر عن جابر. أقول: وأما حديث كون النبي صلى الله عليه وآله عصبة أولاد فاطمة فقد رواه ابن حجر في صواعقه [ص٢٣٤] وقال: جاء من طرق، بعضها رجاله موثوقون.

وفي تفسير الكشاف للزمخشري [٤: ٢٢٠ ط. منشورات البلاغة] في تفسير قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشّره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلىٰ الجنة، ألا ومن مات علىٰ حب آل محمد جعل الله قبره مزاراً لملائكة الرحمن، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات علىٰ بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة. انتهىٰ.

إن كـــان حب الولي رفـــضاً فـــإنني أرفـــض العـــباد

وفي الصواعق أيضاً [ص١٣١] قال: قيل للمزني «أي الشافعي»: إنك توالي أهـل البيت، فلو عملت في هذا الباب أبياتاً، فقال:

ومـــا زال كـتماً مـنك حـتى كأنـني بـــردّ جـــواب الســـائلين لأعـجم
وأكـــتم ودّي مـــع صـــفاء مـودّتي لتســـلم مـن قـول الوشـاة وأسـلم

وفي نور الأبصار [ص١٢٧] قال الشبلنجي: ولأبي الحسن بن جبير ﷺ:

أُحب النـــبي المـصطفى وابـن عـمه عـــلياً وســـبطيه وفـــاطمة الزهـــرا
همو أهل بيت أذهب الرجس عنهمو وأطـلعهم أُفـق الهـدى أنجـماً زهـرا
موالاتهـم فـرض عـلى كـل مسلم وحـــبهمو أسـنىٰ الذخـــائر للأُخـرىٰ
ولا أنـــا للـــصحب الكـرام بمـبغض فـــإني رأيت البـغض في حـقهم كـفرا
همـــو جـــاهدوا في الله حـــق جـهاده وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عـــليهم ســـلام الله مـــا دام ذكـــرهم لدى الملأ الأعـلى وأكـرم بـه ذكـرا

وقال بعضهم:

هـــم العـــروة الوثـــق لمـعتصم بهـا مـــناقبهم جـــاءت بـــوحي وإنـــزل
مناقب في الشورى وفي هل أتى أتت وفي سورة الأحزاب يـعرفها التـالي
وهم آل بـيت المـصطفى فـودادهـم على النّاس مفروض بحكم وإسجالِ

* * *

إلى أهل البيت ولشدة محبته لهم، إلىٰ أن نسبه بعض الىٰ الرفض، فأنشأ الشافعي في ذلك يقول:

يـا راكـباً قـف بـالمحصّب مـن مـنى   واهـتف بـقاعد خـيفها والنـاهض
إن كـان رفـضاً حب آل محـمد   فـليشهد الثـقلان أني رافـضي

قال السيد مرتضىٰ الحسيني: وذكرها أيضاً ابن حجر في صواعقه [ص١٣١] وفي طبعة أُخرىٰ [ص٧٩] باختلاف وزيادة، فقال: وقال أيضاً «يعني الشافعي»:

يـا راكـباً قـف بـالمحصب مـن مـنى   واهتف بسـاكـن خـيفها والنـاهض
سـحراً إذا فـاض الحـجيج إلى مـنى   فـيضاً كـملتطم الفرات الفـائض
إن كـان رفـضاً حب آل محـمد   فـليشهد الثـقلان أني رافـضي

ثمّ قال: «يعني ابن حجر» [ص١٧٨] وفي طبعة أُخرىٰ [ص١٠٨]:

وأخرج الخطيب أن أحمد بن حنبل كان إذا جاءه شيخ أو حدث من قريش أو الأشراف، قدمهم بين يديه، وخرج وراءهم. وكان أبو حنيفة يعظم أهل البيت كثيراً، ويتقرب بالإنفاق على المتسترين والظاهرين، حتى قيل إنه بعث إلى متستر منهم باثني عشر ألف درهم، وكان يحض أصحابه على ذلك. ولمبالغة الشافعي فيهم صرح بأنه من شيعتهم حتى قيل: كيت كيت.

فأجاب عن ذلك بما قدمنا عنه من النظم البديع. وله أيضاً:

آل النـبي ذريـعتي   وهـم إليـه وسـيلتي
أرجـو بهـم أُعـطى غـداً   بـيدي اليـمين صـحيفتي

وذكرها الشلنجي في نور الأبصار [ص١٢٧].

وقال ابن حجر في صواعقه [ص١٣١] والشبلنجي في نور الأبصار [ص١٢٧]: قال «يعني الشافعي»:

قـالوا تـرفّضت قـلت كـلّا   مـا الرفـض ديـني ولا اعـتقادي
لكـن تـولّيت غـير شك   خـير إمـام وخـير هـادي

الركن والمقام ألف عام وألف عام، حتى يكون كالشن البالي، ولقي الله مبغضاً لآل محمد، أكبّه الله علىٰ منخره في نار جهنم.

وفي الدر المنثور للسيوطي في ذيل تفسير آية المودّة في سورة الشورىٰ قال: وأخرج ابن عدي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: من أبغضنا أهل البيت فهو منافق.

قال السيد الحسيني: وذكره الطبري أيضاً في ذخائر العقبى [ص١٨] وقال: أخرجه أحمد في المناقب. وذكره المناوي أيضاً في كنوز الحقائق [ص١٢٤] وقال: أخرجه الديلمي. وقال السيوطي أيضاً: وأخرج الطبراني عن الحسن بن عليّ عليهما السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلّا ذيد يوم القيامة بسياط من نار.

وفي «مجمع الزوائد» للهيثمي [٤: ٢٧٨] قال: وعن معاوية بن خديج قال: أرسلني معاوية بن أبي سفيان إلى الحسن بن عليّ عليهما السلام أخطب على يزيد بنتاً له ـ أو اختاً له ـ فأتيته فذكرت له يزيد، فقال عليه السلام: إنا قوم لا نزوج نساءنا حتى نستأمرهن، فأتيتها فذكرت لها يزيد، فقالت: والله لا يكون ذلك حتى يسير فينا صاحبك كما سار فرعون في بني إسرائيل، يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم، فرجعت إلى الحسن عليه السلام فقلت: أرسلتني إلى فلقة تسمّي أمير المؤمنين «يعني معاوية» فرعون، قال عليه السلام: يا معاوية «يعني ابن خديج» إياك وبغضنا فإن رسول الله ﷺ قال: لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلّا ذيد يوم القيامة بسياط من النار.

وفي «تفسير الكشاف» للزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾ [الشورىٰ: ٢٣] قال: وعن النبي ﷺ: حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلىٰ أحد من ولد عبد المطلب، ولم يجازه عليها، فأنا أُجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة. قال السيد الحسيني: وذكره المحب الطبري في ذخائر العقبىٰ [ص٢٠] باختلاف في اللفظ. عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله حرّم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أغار عليهم أو سبّهم. قال:

في تحذيره ﷺ من بغض أهل بيته عليهم السلام

وأما ما جاء من الروايات عن النبي ﷺ في التحذير من بغض أهل بيته عليهم السلام، فقد رواها عدة من المحدّثين والمفسّرين وغيرهم، وقد ذكرنا شطراً من ذلك في باب «حثّه ﷺ على حب أهل بيته» وسنذكر ما بقي مما جمعه السيد الحسيني في كتابه «فضائل الخمسة» [٢: ٩١] فيكون متمماً للباب الذي نحن بصددة.

روى الحاكم في «المستدرك» [٣: ١٤٨] بسنده عن ابن عبّاس أن رسول الله ﷺ قال: يا بني عبد المطلب! إني سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالّكم، وأن يعلّم جاهلكم. وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن رجلاً صفن فصلّىٰ وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمّد دخل النار. قال الحاكم: هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم.

وقال السيد الحسيني: وذكره المتقي أيضاً في كنز العمال [٦: ٢٠٣] وقال فيه: «صفن بين الركن والمقام» ثم قال: أخرجه الطبراني والحاكم عن ابن عباس.

وفي «المستدرك» أيضاً [٣: ١٥٠] روى بسند إلى أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلّا أدخله الله النار. «قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

وقال السيد الحسيني: وذكره ابن حجر في صواعقه [ص١٤٣] وقال: إنه صحيح. وذكره السيوطي أيضاً في الدر المنثور في ذيل تفسير آية المودّة في سورة الشورى، وقال: أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد.

وفي تأريخ بغداد للخطيب البغدادي [٣: ١٢٢] روى بسنده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: ليس في القيامة راكب غيرنا، ونحن أربعة «وساق الحديث» فذكر النبي ﷺ وصالح وحمزة وعلي بن أبي طالب عليه السلام إلى أن قال ﷺ: لو أن عابداً عبد الله بين

[ص١٧٣ ط. مصر]: تنبيه! قال القاضي في «الشفاء» «يعني القاضي عياض اليحصبي» ما حاصله: من سبّ أبا أحد من ذريته ﷺ ولم تقم قرينة على إخراجه ﷺ قتل، وقال: وعلم من الأحاديث السابقة، وجوب محبة أهل البيت، وتحريم بغضهم التحريم الغليظ. وبلزوم محبّتهم صرّح البيهقي والبغوي وغيره، أنها من فرائض الدين، بل نص عليه الشافعي فيما حكي عنه في قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم ... من لا يصلّي عليكم لا صلاة له

وقال في [ص١٦٨]: وللشيخ الجليل شمس الدين ابن عربي:

رأيت ولائي آل طه فريضة ... على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى ... بتبليغه إلّا المودّة في القربىٰ

* * *

أخرجه الامام عليّ بن موسىٰ الرضاﷺ.

وفي كنوز الحقائق للمناوي [ص١٣٤] ولفظه: من آذاني في أهل بيتي فقد آذىٰ الله. قال: أخرجه الديلمي، وقال السيد الحسيني، وذكره المتقي أيضاً في كنز العمال [٦: ٢١٧] ولفظه: من آذاني في أهل بيتي فقد آذىٰ الله، قال: أخرجه أبو نعيم عن عليّﷺ.

وفي ذخائر العقبى للطبري [ص٧] قال: وعن أبي هريرة قال: جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى النبيﷺ فقالت: يا رسول الله ! إن النّاس يقولون: أنت بنت حطب النار. فقام رسول اللهﷺ وهو مغضب فقال: ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي، من آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله. قال: أخرجه الملّا في سيرته.

وفي الصواعق لابن حجر [ص١٧٧] في «المقصد الثالث» قال: صح أنهﷺ قال: والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله النار.

وقال: وأخرج أحمد مرفوعاً: من أبغض أهل البيت فهو منافق. وأخرج هو والترمذي عن جابر: ما كنا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم علياً.

وقال أيضاً: وصحّحه الحاكم غير أنهﷺ قال: يا بني عبد المطلب! إني سألت الله لكم ثلاثاً «الحديث».

فهذه بحمد الله جملة مما اطّلعنا عليه بمنّه وفضله، مع قلّة ما عندنا من الكتب التي نعتمد عليها، وضعف باعنا وقصور معرفتنا في هذا الفن، غير أن الدافع إلى ذكر تلكم الأخبار والروايات، طول غربتها عن مسامع آذان الأُمة ، لعدم من يذكرها، مع كثرة خطبهم في مجالس العلم، والمبلغين في كل محفل. وليت شعري أيرون بأن العلم بهاتيك الأخبار النبوية ليس من الضروري للملاء الديني؟ أو ليست من إحدىٰ المهمات الدينية في حقهم؟ أو لم يكن مفاد تلكم الأخبار يعرب بكل وضوح بأن حب أهل بيتهﷺ علامة لإيمان المؤمن، وانتفاء البغض لأهل بيته عن قلوب المتعبدين شرط في قبول عباداتهم، وبغضهم من أمارات النقاق ومن مقتضيات الدخول في النار؟

فمن أجل ذلك وعظيم ضروريتها للكثيرين من العامة، قال ابن حجر في صواعقه

والطبرسي أيضاً في تفسيره مجمع البيان [٢: ١٢٣ ط. مؤسسة التأريخ العربي] قال: وروى العياشي بإسناده عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: والذي نفسي بيده، لتفترقن هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلّا فرقة واحدة ﴿**وممن خلقنا أُمة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾ فهذه التي تنجو. وروى فيه أيضاً عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، قالا: نحن هم.

وفي ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي في الباب الخامس والثلاثين [ص١٠٩] قال: وأخرج موفق بن أحمد الخوارزمي عن عمر بن أُذينة عن جعفر الصادق عن آبائه عن عليّ عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ مثلك في أُمتي مثل عيسىٰ ابن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن دين الله وهم النصارى، وأن أُمتي ستفترق فيك ثلاث فرق: فرقة اتبعوك وأحبّوك وهم المؤمنون، وفرقة عادوك وهم الناكثون والمارقون والقاسطون، وفرقة غلوا فيك وهم الضالّون، يا عليّ، أنت وأتباعك في الجنة، وعدوّك والغالي فيك في النار.

وفي ينابيع المودّة أيضاً «في الباب المذكور» قال: وأخرج موفق بن أحمد الخوارزمي المكي، عن زادان عن عليّ عليه السلام قال: تفترق هذه الأُمة على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الذين قال الله عزّوجلّ في حقهم: ﴿**وممّن خلقنا أُمة يهدون بالحقّ وبه يعدلون**﴾ وهم أنا ومحبيّ وأتباعي.

وفي دلائل الصدق للإمام المظفر [٢: ١٨٧ ط. بصيرتي] قال: قال عليّ عليه السلام: في هذه الرواية كما في «كشف الغمة» عن ابن مردويه: وتفترق هذه الأُمة على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿**وممّن خلقنا أُمة يهدون بالحقّ وبه يعدلون**﴾ وهم أنا وشيعتي.

أقول: وأما الأحاديث الواردة في كون شيعة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأتباعه هم الفرقة الناجية الفائزة، والراضية المرضية الواردون على الحوض مع العترة النبوية، فقد رواها جمع كثيرون من أعلام الأُمة، وأعاظم الأئمة، وقد مضى ذكر شطر منها في «المبحث

المبحث الحادي والسبعون

في قوله تعالى: ﴿وممّن خلقنا أُمّةٌ يهدون بالحقّ وبه يعدلون﴾ [الاعراف: ١٨١].

قال الحلّي وهو الحسن بن يوسف بن المطهّر من كبار علماء الإمامية في القرن الثامن الهجري كما في «دلائل الصدق [٢: ١٨٦ ط. بصيرتي] في قوله تعالى: ﴿وممن خلقنا أُمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾: قال عليّ عليه السلام: أنا وشيعتي.

وقال الإمام المظفر في كتابه دلائل الصدق «في الصفحة والجزء المذكورين»: لا يخفى أنه ورد في كثير من أخبار القوم أن المراد بالأمة في الآية أُمة محمّد، وليس المراد هو الأُمة بإطلاقها، كما في تفسير الرازي قال: قرأ النبي صلى الله عليه وآله الآية وقال: إن من أُمتي قوم على الحقّ حتى ينزل ابن مريم.

ولما استفاض في الأخبار من أن أُمة محمّد صلى الله عليه وآله تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية وما سواها هالكة في النار، فلا يمكن أن تكون كلّها هادية بالحقّ، بل بعضها، وهي الفرقة الناجية، وقد فسّرتها الرواية التي أشار إليها المصنف «يعني الحلّي» بعلي وشيعته، كما يشهد لها حديث الثقلين وغيره.

في الدر المنثور [٣: ١٤٩] قال السيوطي: وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع في قوله تعالى: ﴿وممن خلقنا أُمة يهدون بالحق﴾ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن من أُمتي قوماً على الحقّ حتى ينزل عيسىٰ بن مريم متى ما نزل.

وقال: أخرج أبو الشيخ عن عليّ بن أبي طالب قال: لتفترقن هذه الأُمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النار إلّا فرقة. يقول الله: ﴿وممن خلقنا أُمة يهدون بالحقّ وبه يعدلون﴾ فهذه هي التي تنجو من هذه الأُمة.

قال الحسيني في فضائل الخمسة [٣: ١١٩ ط. بصيرتي]: وذكره الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد [١٠: ٢١] وقال: رواه الطبراني في الأوسط.

وفي مجمع الزوائد للهيثمي [٩: ١٧٣] قال: وعن أبي هريرة أن علي بن أبي طالب قال: يا رسول الله! أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟ قالﷺ: فاطمة: أحب إلي منك، وأنت أعزّ عليّ منها، وكأني بك وأنت على حوضي تذود عنه النّاس، وإن عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء، وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة، إخواناً على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة، ثم قرأ رسول اللهﷺ: ﴿إخواناً على سرر متقابلين﴾ لا ينظر أحد في قفا صاحبه. قال: رواه الطبراني.

وفي المناقب لابن المغازلي الشافعي [ص٣٣٩برقم ٢٩٦] قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد ابن المظفر العطار الفقيه الشافعي؇، أخبرنا عبدالله بن محمّد بن عثمان المزنيّ الملقّب بابن السقاء الحافظ، حدّثنا عبدالله بن زيدان، حدّثنا عليّ بن يونس بن عليّ بن يونس العطّار، حدّثنا محمد بن عليّ الكندي، حدّثني محمد بن سالم، حدّثنا جعفر بن محمد، قال: حدّثني محمد بن عليّ، حدّثني عليّ بن الحسين، حدّثني الحسين بن عليّ، حدثني عليّ بن أبي طالبؑ عن رسول اللهﷺ: قال: يا عليّ إنّ شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والذّنوب، وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقد فرجت عنهم الشدائد، وسهّلت لهم الموارد، وأُعطوا الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف النّاس ولا يخافون، ويحزن النّاس ولا يحزنون، شرك نعالهم تلألأ نوراً، على نوق بيض لها أجنحة، قد ذلّلت من غير مهانة، ونجبت من غير رياضة، أعناقها من ذهب أحمر، ألين من الحرير، لكرامتهم على الله عزّوجلّ.

ونذكر ما رواه ابن حجر في صواعقه، والذي نقله عن الإمام أحمد بن حنبل، والطبراني، والديلمي ولا نرى بإيراده بأساً لو تكرر بما سبق في المبحث السادس مما رواه غيره عن أُولئك الحفاظ الثلاثة، ورب تكرار يجدي نفعاً، ويزيد بياناً واعتباراً.

قال في [ص ١٤٠ ط. الميمنية]: وفي حديث ضعيف عن علي: شكوت إلى رسول

السادس» في تفسير معنى قوله تعالى: ﴿أُولئك هم خير البرية﴾.

وقد نقل السيد الحسيني الفيروز آبادي في كتابه النفيس «فضائل الخمسة» [٣: ٩٨ ط. دار الكتب الاسلامية] باب «أن علياًعليه السلام وشيعته يردون على الحوض» عن الهيثمي في «مجمع الزوائد» [٩: ١٣١] قال: وبسنده «يعني الطبراني» أن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال لعليّعليه السلام: أنت وشيعتك تردون عليَّ الحوض رواة مرويين، مبيضة وجوهكم، وإن أعداءك يردون على الحوض ظماء مقمحين.

وفي كنوز الحقائق للمناوي [ص١٨٩] ولفظه: يا عليّ أنت وشيعتك تردون علىٰ الحوض وروداً.

وفي مستدرك الصحيحين [٣: ١٥١] روى الحاكم بسنده عن عاصم بن ضمرة عن عليعليه السلام قال: أخبرني رسول اللهصلى الله عليه وآله إن أوّل من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين، قلت: يا رسول الله، فحبّونا، قال: من ورائكم. «قال الحاكم: صحيح الإسناد» وقال الحسيني في فضائل الخمسة [٣: ١٣٣]: وذكره المحب الطبري في ذخائر العقبىٰ [ص٢٧] وقال: أخرجه أبو سعيد.

وفي كنز العمال [١٢: ١٠٤ ط. مؤسسة الرسالة] ولفظه: يا عليّ إن أوّل أربعةٍ يدخلون الجنة: أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا. قال: أخرجه ابن عساكر عن عليّعليه السلام وأخرجه الطبراني عن أبي رافع.

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم [٤: ٣٢٩] روى بسنده عن الشعبي عن عليّعليه السلام، قال: قال لي النبيصلى الله عليه وآله: إنك وشيعتك في الجنة «الحديث» ورواه الخطيب البغدادي أيضاً في تأريخ بغداد [١٢: ٢٨٩].

وفي تأريخ بغداد للخطيب [١٢: ٣٥٨] روى بسنده عن أبي سعيد الخدري عن أُم سلمة قالت: كانت ليلتي من رسول اللهصلى الله عليه وآله فأتته فاطمةعليها السلام ومعها عليّعليه السلام فقال له النبيصلى الله عليه وآله: أنت وأصحابك في الجنة، أنت وشيعتك في الجنة. الحديث.

ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبّي شعيتك، فأبشر فأنت الأنزع البطين. وفي [ص١٣٩ ط. الميمنية] قال: وفي رواية: إن الله قد غفر لشيعتك ولمحبّي شيعتك. كذا رواه السيد الحسيني في فضائل الخمسة [٢: ٩٥].

وذكر الزمخشري في الكشاف [٤: ٢٢٠] في تفسير قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ الآية، قال: روي عن عليّ بن أبي طالبعليه السلام: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد النّاس لي، فقال صلى الله عليه وآله: أما ترضىٰ أن تكون رابع أربعة؟ أوّل من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا.

وفي المناقب لابن المغازلي الشافعي [ص٢٩٣ برقم ٣٣٥] قال: أخبرنا القاضي أبو جعفر محمد بن إسماعيل العلوي، حدّثنا أبو محمد عبدالله بن عثمان المزني الحافظ الملقب بابن السقّاء، حدّثنا أبو عبدالله أحمد بن عليّ الرازي، حدّثنا عليّ بن حسين بن عبيد الرازي، حدّثنا إسماعيل بن أبان الأزدي، عن عمرو بن حريث، عن داود بن سليك عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يدخل من اُمتي الجنة سبعون ألفاً لاحساب عليهم، ثم التفت إلى عليّ عليه السلام فقال: هم من شيعتك وأنت إمامهم.

* * *

الله ﷺ حسداً في النّاس، فقال لي: أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذريتنا خلف أزواجنا.

وقال في [ص٩٦ ط. الميمنية] أيضاً: أخرج الطبراني أنه ﷺ قال لعليّ: أوّل أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا.

وقال فيه أيضاً: أخرج أحمد في «المناقب» أنه ﷺ قال لعليّ: أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا.

وقال في [ص١٥١]: وأخرج الطبراني بسند ضعيف أن علياً أتى يوماً البصرة بذهب وفضة، فقال ابيضّي واصفرّي غرّي غيري، غرّي أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك، فشق قوله ذلك على النّاس: فذكر له ذلك، فأذّن في النّاس فدخلوا عليه، فقال: إن خليلي ﷺ قال: يا علي إنّك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عدوك غضاباً مقمحين، ثم جمع عليّ ﷺ يده إلى عنقه يريهم الاقماح. ثم قال الشيخ: وشيعته هم أهل السنّة.

إن من الغريب عن مستوى الأفهام، ويتعجب منه بسطاء الأُمة من العُوام، فضلاً عن ذوي الاعتبار من الأعلام، تعبيره عن معنى الشيعة في الحديث المذكور بأهل السنّة، مع أن لفظة الشيعة منذ أوائل نشأتها ماكانت تطلق إلا على محبّي أمير المؤمنين وأبنائه من أهل بيت الوحي. ومنذ مقتل سيد الشهداء الحسين السبط ﷺ اتسع معنى الشيعة حتىٰ أُطلقت غالباً على مواليهم ومناصريهم ومؤازريهم وعلى المعادي لمن عاداهم، والمحاربين لمن حاربهم، إلى يوم النّاس هذا. وقد شاع ذلك وذاع بين الخاص والعام، شرقاً وغرباً، كالنار على المنار، والنور على الطور، فأي جدوىٰ يا هل ترىٰ بالتأويلات الباردة، والاحتمالات البعيدة؟ وحاشا أن يلتبس على الأُمة معناها الحقيقي.

وأما ما نقله في [ص ٩٦] عن الديلمي فلفظه: يا عليّ إن الله قد غفر لك ولذريتك

ابن محمّد بن الخليل بن هارون البصري، حدّثنا محمد بن الخليل الجهنيّ، حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ انقضّ كوكب، فقال صلى الله عليه وآله: من انقضّ هذا النجم في منزله فهو الوصيّ من بعدي، فقام فتية من بني هاشم فنظروا، فإذا الكوكب قد انقضّ في منزل عليّ عليه السلام. قالوا: يا رسول الله، قد أُغويت في حب عليّ، فأنزل الله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وهو بالأُفق الأعلى﴾.

قال الفاضل محمد باقر البهبودي: أخرجه من طريق مؤلفنا ابن المغازلي عبدالله الشافعي في مناقبه [ص٧٦]، وأخرجه الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» [ص٢٦٠] بالإسناد إلى أبي عمر محمد بن العباس بن حيّويه بعين السند واللفظ، ثم قال: هكذا ذكره محدّث الشام في ترجمة عليّ عليه السلام.

وفي المناقب [٣: ١٠ ط. دار الأضواء] للحافظ محمد بن علي بن شهر آشوب قال: أخرج أبو جعفر بن بابويه في «الأمالي» بطرق كثيرة، عن جويبر، عن الضحاك، عن أبي هارون العبدي، عن ربيعة السعدي، وعن أبي إسحاق الفزاري، عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام كلّهم عن ابن عبّاس.

وروي عن منصور بن الأسود عن الصّادق عن آبائه عليهم السلام واللفظ له قال: لما مرض النبي صلى الله عليه وآله مرضه الذي توفّي فيه، اجتمع إليه أهل بيته وأصحابه، فقالوا: يا رسول الله، إن حدث بك حدث فمن لنا بعدك؟ ومن القائم فينا بأمرك؟ فلم يجبهم جواباً وسكت عنهم، فلما كان اليوم الثاني أعادوا عليه القول فلم يجبهم عن شيء مما سألوه، فلما كان اليوم الثالث قالوا: يا رسول الله، إن حدث بك حادث فمن لنا بعدك؟ ومن القائم لنا بأمرك؟ فقال لهم: إذا كان غداً هبط نجم من السماء في دار رجل من أصحابي فانظروا من هو، فهو خليفتي فيكم من بعدي والقائم بأمري، ولم يكن فيهم أحد إلّا وهو يطمع أن يقول له أنت القائم من بعدي، فلما كان اليوم الرابع جلس كل واحد منهم في حجرته ينتظر هبوط النجم، إذ انقضّ نجم من السماء قد علا ضوؤه على ضوء الدنيا حتى وقع في حجرة عليّ،

المبحث الثاني والسبعون

في قوله تعالى: ﴿ والنّجم إذا هَوىٰ * ما ضلَّ صاحبُكمْ وما غـوىٰ * ومـا ينطقُ عن الهوىٰ * إن هُوَ إلّا وحيٌ يوحَىٰ ﴾ [النجم: ١ ـ ٤].

قال ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص٢٢٦ برقم ٣١٣]: أخبرنا أبو البركات إبراهيم ابن محمد بن خلف الجماريّ السقطيّ، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد، حدّثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن بن سهل المالكيّ المصريّ الواعظ بواسط في القراطيسيين، حدّثنا سليمان ابن أحمد المالكي قال: حدّثنا أبو قضاعة ربيعة بن محمد الطائي، حدّثنا ثوبان ذو النون، حدّثنا مالك بن غسّان النهشليّ، حدّثنا ثابت عن أنس قال: انقضّ كوكب عـلى عـهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: انظروا إلى هذا الكوكب، فمن انـقض في داره فـهو الخليفة من بعدي، فنظروا فإذا هو قد انقض في منزل عليّ، فأنزل الله تعالى: **﴿والنجم إذا هوى * ما ضلَّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وحيٌ يوحَىٰ﴾**.

قال المحقق والمعلّق على الكتاب الفاضل محمد باقر البهبودي: أخرجـه العـلّامة الذهبي في «ميزان الاعتدال»[١] [٢: ٤٥ برقم ٢٧٥٦] من طريق الجوزجاني بهـذا السـند. وأورده ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» [٢: ٤٤٩].

وأورده أيضاً ابن المغازلي في «المناقب» [ص٣١٠ برقم ٣٥٣] بغير السند المـذكور، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن أحمد بن عثمان، أخبرنا أبو عمر محمد بن العبّاس بن حيّويه الخراز إذناً، حدّثنا أبو عبدالله الحسين بن عليّ الدهّان، المعروف بأخي حمّاد، حدّثنا عليّ

(١) في ذيل الحديث الذي ينقله صاحب ميزان الاعتدال: فقال جماعة قد غوى محمد في حب عليّ، فنزلت: ﴿والنجم إذا هوى * ما ضلَّ صاحبكم وما غوىٰ﴾.

وقال ابن علوية:

هل تعلمون حديث النجم إذا هوى ... في داره من دون كل مكان[١]
قالوا أشرْ نحو النبي بنعمة ... نسمع له ونطعه بالإذعان
قال النبي ستكفرون إن انتم ... ملتم عليه بخاطر العصيان
وستعلمون من المزنّ بفضله ... ومن المشار إليه بالازمان
قالوا أبنه فلم نخالف أمره ... فيما يجيء به من البرهان
فإليه أومِ فقال إن علامة ... فيها الدليل على مراد العاني
فابغوا الثريا في السطوح فإنها ... من سطح صاحبكم كلمع يمان
سكنت رواعده وقل وميضه ... فتبيّنته حسائر العوران
فضلاً عن العين البصير بقلبه ... والمبصر الأشياء بالأعيان
حتى إذا صعدت حقائق أمره ... نفروا نفور طرائد البهزان
زعموا بأن نبينا اتّبع الهوى ... وأتاهم بالإفك والعدوان
كذبوا ورب محمد وتبدّلوا ... وجروا إلى عمهٍ وضدّ بيان

وهناك أحاديث وروايات كثيرة، فلعل من الخير أن نذكر شطراً منها لمناسبة في المقام الذي نحن بصدده، لما انضم مدلولاتها بعضها إلىٰ بعض لمن تدبر مرماها ومغزاها، ولاتفاق معانيها باعتبار مفهومها وفحواها، وإن كانت ألفاظها قد اختلفت، وعباراتها قد تباينت، فلتطوّر أطوار الأحوال والمواقع والمقامات. كما أخرجه نقلة الأخبار والآثار، ونقلها عنهم ابن شهر آشوب في مناقبه [٣: ٥٣ ط. دار الأضواء]. منها ما نقله المنقري بإسناده إلى عمران بن أبي بريدة الأسلمي. وروىٰ يوسف بن كليب المسعودي بإسناده عن داود عن بريدة. وروىٰ عبّاد بن يعقوب الأسدي بإسناده عن داود السبيعي عن أبي بريدة أنه دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ فقال: إذهب وسلّم على أمير المؤمنين، فقال: يا رسول الله وأنت حيّ؟ قال: وأنا حيّ. ثم جاء عمر فقال له: مثل ذلك.

---

(١) هكذا في الأصل وفي صدره خلل في الوزن ظاهر.

فماج القوم وقالوا: ضل هذا الرجل وغوى، وما ينطق في ابن عمه إلّا بالهوى، فأنزل الله في ذلك: ﴿والنجم إذا هوى﴾ الآيات.

ويقال ونزل: ﴿أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم﴾. وفي رواية نوف البكالي أنه سقط في منزل عليّ نجم أضاءت له المدينة وما حولها، والنجم كانت الزهرة، وقيل بل الثريا.

قال ابن حمّاد:

قال الإمام هو الذي في داره ... ينقض نجم الليل ساعة يطلع
فانقض في دار الوصيّ فغاضهم ... وغدت له ألوانهم تتمقع
قالوا أمال به الهوى في صنوه ... وتوازروا إلبا عليه وشنّعوا

وله أيضاً:

نص عليه أحمد ... في خبر لا يجحد
والقوم كل يشهد ... قال لهم وما افترى
من ذا هوىٰ نجم الأُفق ... في داره عند الغسق
فهو الإمام المستحق ... لا تقعدوا عنه بطا
قالوا بدا في حكمه ... هوى لابن عمه
يجعلها بزعمه ... فقال والنجم إذا
في تلكم الدار هوى ... ما ضلّ ذا ولا غوى
صاحبكم كما ادّعى ... بل هو حق قد أتىٰ

وقال خطيب منيح:

ويوم النجم حين هوى فقاموا ... على أقدامهم متألمينا
فقالوا ضلّ هذا في عليّ ... وصار له من المتعصبينا
وأنزل ذو العلىٰ في ذاك وحياً ... تعالى الله خير المنزلينا
بأن محمداً ما ضلّ فيه ... ولكن أظهر الحق المبينا

فسكت ثم قال: والذي نفسي بيده، لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين.

وروى في نفس المصدر [٣: ٤٨] نقلاً عن «حلية الأولياء» لأبي نعيم، وكتاب الولاية للطبري، قال النبيﷺ: يا أنس يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيد المرسلين[1]، وقائد الغرّ المحجلين، وخاتم الوصيّين، قال أنس: قلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمته، إذ جاء عليّ فقالﷺ: من هذا يا أنس؟ قلت: عليّ، فقام مستبشراً واعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، فقال عليّ: يا رسول الله! لقد رأيتك صنعت بي شيئاً ما صنعته بي قبل، قالﷺ: وما يمنعني وأنت تؤدّي عني، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي.

وفي [ص٢٤٩] روى المؤلف عن «العقد الفريد» لابن عبد البر وقال: بل روته الأُمة بأجمعها عن أبي رافع وغيره: أن علياً نازع العباس إلى أبي بكر في برد النبيّ وسيفه وفرسه، فقال أبو بكر: أين كنت يا عبّاس حين جمع النبيّﷺ بني عبد المطلب وأنت أحدهم فقال: أيكم يؤازرني فيكون وصيّي وخليفتي في أهلي، وينجز موعدي ويقضي ديني؟ فقال له العبّاس: فما أقعدك مجلسك هذا تقدّمته وتأمّرت عليه؟ فقال أبو بكر: أغدراً يا بني عبد المطلب؟

وفي [ص٢٦٠] روى عن مسند أبي يعلىٰ عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه، وذلك: سئل أبو ذر عن اختلاف النّاس عنه فقال: عليك بكتاب الله والشيخ عليّ بن أبي طالب، فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: عليّ مع الحق، والحق معه وعلى لسانه، والحق يدور حيثما دار عليّ. ورواه صاحب اعتقاد أهل السنة عن سعد بن أبي وقاص عن النبيﷺ.

وفي [ص ٤٧] روى عن الطبري بإسناد له عن سلمان الفارسي قال: قلت لرسول اللهﷺ: يا رسول الله إنه لم يكن نبي إلّا وله وصيّ، فمن وصيّك؟ قال: وصيّي وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي مؤدّي ديني، ومنجز عداتي عليّ بن أبي طالب.

---

(١) هكذا في الأصل.

وفي رواية السبيعي أنه قال عمر: ومن أمير المؤمنين؟ قالﷺ: عليّ بن أبي طالب، قال عن أمر الله وأمر رسوله؟ قال: نعم.

ومنها ما رواه في نفس المصدر [٣: ٥٣] عن إبراهيم الثقفي، عن عبدالله بن جبلة الكناني، عن ذريح المحاربي عن الثمالي عن الصّادق عليه السلام: أن بريدة كان غائباً بالشام فقدم وقد بايع النّاس أبا بكر، فأتاه في مجلسه فقال: يا أبا بكر هل نسيت تسليمنا على عليّ بإمرة المؤمنين واجبة من الله ورسوله؟ قال: يا بريدة إنك غبت وشهدنا، وإن الله يحدث الأمر بعد الأمر، ولم يكن الله يجمع لأهل هذا البيت النبوّة والملك.

وفي رواية الثقفي والسري بن عبدالله بإسنادهما: أن عمران بن الحصين وأبا بريدة قالا لأبي بكر: قد كنت أنت يومئذ فيمن سلّم على عليّ بإمرة المؤمنين. فهل تذكر ذلك اليوم أم نسيته؟ قال: بل أذكره، فقال بريدة: فهل ينبغي لأحد من المسلمين أن يتأمّر على أمير المؤمنين؟ فقال عمر: إن النبوّة والإمامة لا تجتمع في بيت واحد، فقال له بريدة: ﴿أم يَحسُدُونَ النّاسَ عَلَىٰ ما آتاهم الله من فَضلِه فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مُلكاً عظيماً﴾ [النساء: ٥٤]، فقد جمع الله لهم النبوّة والملك. قال: فغضب عمر وما زلنا نعرف في وجهه الغضب، حتى مات.

وأنشد بريدة الأسلمي:

أمر النبي معاشراً هم أُسوة ... ولازم أن يدخلوا فيسلّموا
تسليم من هو عالم مستيقن ... إن الوصي هو الإمام القائم

وفي نفس المصدر [٣: ٦٣] ما رواه عن ابن مردويه وعن السمعاني في «فضائل الصحابة» عن ابن مسعود أنه قال: كنت مع النبيﷺ وقد تنفس الصعداء، فقلت ما لك يا رسول الله؟ قال: نعيت إلي نفسي يابن مسعود، قلت استخلف، قال: من؟ قلت: أبا بكر، فسكت. ثم مضى ساعة ثم تنفس، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: نعيت إليّ نفسي، فقلت: استخلف، قال: من؟ قلت: عمر، فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: نعيت إلي نفسي، قلت: استخلف، قال: من؟ قلت: عليّ بن أبي طالب،

المبحث الثالث والسبعون

في قوله تعالى: ﴿ وَقُل جاءَ الحقُّ وزهَقَ الباطلُ إنَّ الباطِلَ كان زَهُوقاً ﴾ [الاسراء: ٨١].

روى الحاكم في المستدرك [٢: ٣٦٦-٣٦٧] عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى بي الكعبة فقال لي: إجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله بمنكبي، ثم قال لي: إنهض، فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال لي: إجلس فنزلت وجلست، ثم قال لي: يا علي إصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه ثم نهض بي رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نهض بي خيّل إليّ لو شئت نلت أُفق السماء، فصعدت فوق الكعبة وتنحّى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: ألقِ صنمهم الأكبر صنم قريش، وكان من نحاس موتّداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله عالجه، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي: إيه إيه جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فلم أزل أُعالجه حتى استمكنت منه، فقال: إقذفه فقذفته فتكسّر، وتردّيت من فوق الكعبة، فانطلقت أنا والنبيّ صلى الله عليه وآله نسعى، وخشينا أن يرانا أحد من قريش وغيرهم، قال عليّ: فما صعد به حتى الساعة.

وروى الزمخشري في تفسيره «الكشاف» [٢: ٦٨٨ ط. دار الكتاب العربي] عند تفسيره الآية قال: وعن ابن عباس رضي الله عنه: كانت لقبائل العرب أصنام يحجّون إليها وينحرون لها، فشكا البيت إلى الله عزّوجلّ فقال: أي رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك؟ فأوحىٰ الله إلى البيت: أني سأحدث لك نوبة جديدة، فأملأك خدوداً سجداً يدفّون إليك دفيف النسور، ويحنون إليك حنين الطير إلى بيضها، لهم عجيج حولك بالتلبية.

ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: خذ مخصرتك ثم

وفيها أيضاً عن أبي رافع قال: لما كان في اليوم الذي توفّي فيه رسول الله ﷺ غشي عليه، فأخذت بقدميه أُقبّلهما وأبكي، فأفاق وأنا أقول: من لي ولولدي يا رسول الله؟ فرفع إليّ رأسه وقال: الله بعدي ووصيّي صالح المؤمنين.

وفي رواية عن زيد بن عليّ عن أبيه عليه السلام أن أبا ذر لقيه عليّ عليه السلام فقال أبو ذر: أشهد لك بالولاء والإخاء والوصيّة. وروى مثل ذلك ابن مردويه عن سلمان والمقداد وعمار.

وروى أيضاً عن المسعودي عن عمر بن زياد الباهلي عن شريك بن الفضل بن سلمة عن أُم هاني بنت أبي طالب قالت: قلت: يا رسول الله! إن ابن أُمي يؤذيني «تعني علياً» فقال النبي ﷺ إن علياً لا يؤذي مؤمناً، إن الله طبعه على خلقي، يا أُم هاني! إنه أمير في الأرض، وأمير في السماء، إن الله جعل لكل نبيّ وصيّاً، فشيث وصيّ آدم، ويوشع وصيّ موسى، وآصف وصيّ سليمان، وشمعون وصي عيسىٰ، وعليّ وصيّي وهو خير الأوصياء في الدنيا والآخرة، وأنا صاحب الشفاعة يوم القيامة، وأنا الداعي وهو المؤدّي.

* * *

وقال ابن شهر آشوب في مناقبه [٢: ١٣٥ ط. دار الأضواء]: وقد استنابه «يعني علياً» يوم الفتح في أمر عظيم، فإنه وقف حتى صعد على كتفيه وتعلّق بسطح البيت وصعد، وكان يقلع الأصنام بحيث تهتز حيطان البيت ويرمي بها فتنكسر. رواه أحمد بن حنبل، وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما، وأبو بكر الخطيب في تأريخه، ومحمد بن الصباح الزعفراني في الفضائل، والخطيب الخوارزمي في أربعينه، وأبو عبدالله النطنزي في الخصائص، وأبو المضا صبيح مولى الرضاعليه السلام قال: سمعته يحدّث عن أبيه عن جده في قوله تعالى: ﴿ورفعناه مكانا علياً﴾ [مريم: ٥٧] نزلت في صعود عليّ على ظهر النبي لقلع الصنم.

وقال: حدّثني أبو الحسن علي بن أحمد العاصميّ، عن إسماعيل بن أحمد الواعظ، عن أبي بكر البيهقي بإسناده عن أبي مريم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إحملني لنطرح الأصنام عن الكعبة، فلم أُطق حمله فحملني، فلو شئت أتناول السماء فعلت، وفي خبر: والله لو شئت أن أنال السماء بيدي لنلتها.

وروى فيه أيضاً عن أبي بكر الشيرازي في نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: عن قتادة عن ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال لي جابر بن عبدالله: دخلنا مع النبي صلى الله عليه وآله مكة وفي البيت وحوله ثلاثمئة وستون صنماً، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله فأُلقيت كلها لوجوهها، وكان على البيت صنم طويل يقال له هبل، فنظر النبي إلى عليّ وقال له: يا عليّ تركب علي أو أركب عليك لأُلقي هبل عن ظهر الكعبة؟ قلت: يا رسول الله بل تركبني، فلما جلس على ظهري لم أستطع حمله لثقل الرسالة، قلت: يا رسول الله بل أركبك، فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو أردت أن أُمسك السماء لأمسكتها بيدي، فألقيت هبل عن ظهر الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿وقُل جاءَ الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً﴾ [الأسراء: ٨١].

وفيه قال أيضاً: وروى القاضي أبو عمرو عثمان بن أحمد عن شيوخ بإسناده عن ابن عبّاس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعليّ: قم بنا إلى صنم في أعلىٰ الكعبة، فقاما جميعاً، فلما أتياه قال له النبي صلى الله عليه وآله: قم على عاتقي حتى أرفعك عليه، فأعطاه علي ثوبه فوضعه رسول

ألقها، فجعل يأتي صنماً صنماً وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعاً، وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر، فقال صلى الله عليه وآله: يا عليّ إرم به، فحمله رسول الله صلى الله عليه وآله حتى صعد فرمى به فكسره، فجعل أهل مكة يتعجّبون ويقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمّد صلى الله عليه وآله.

وروى الامام أحمد بن حنبل في مسنده [١: ٨٤] عن عليّ عليه السلام قال: انطلقت أنا والنبيّ صلى الله عليه وآله حتى أتينا الكعبة فقال ليّ رسول الله صلى الله عليه وآله: إجلس، وصعد على منكبي فذهبت لأنهض به فرآى مني ضعفاً فنزل: وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وآله وقال: إصعد على منكبي، قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فأنه يخيّل إليّ أني لو شئت لنلت أُفق السماء، حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس. فجعلت أُزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذ استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إقذف به، فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس.

وفي «دلائل الصدق» [٢: ٢٩٤ ط. بصيرتي] قال: ونحوه في مسند أحمد لكن من دون تعيين الليلة، وكذا في كنز العمال نقلاً عن ابن أبي شيبة وأبي يعلى في مسنده وابن جرير والخطيب. ثم قال: إن اختصاص أمير المؤمنين عليه السلام بمشاركة النبي صلى الله عليه وآله في هذه الواقعة الخطيرة بطلب من النبي صلى الله عليه وآله دليل على فضله على غيره، لا سيما وقد رقى على منكب دونه العيوق، وهام الملائكة والملوك. وقد أشار الشافعي إلى هذه الواقعة مادحاً لأمير المؤمنين عليه السلام كما حكاه القندوزي الحنفي في «ينابيع المودّة» في الباب الثامن فقال:

قيل لي قل في عليٍّ مدحاً ... ذكره يخمد ناراً موصده
قلت لا أقدم في مدح امرئٍ ... ضلّ ذو اللب إلى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحس القلب أن قد برّده
وعليٌّ واضع أقدامه ... في محل وضع الله يده

قالوا مدحت عليّ الطهر قلت لهم … كل امتداح جميع الأرض معناه
ماذا أقول لمن حطّت له قدم … في موضعٍ وضع الرحمن يمناه

وقال العوني:

أمير المؤمنين أبو تراب … بنىٰ الاسلام بالبيض الرقاق
غياث محمّد في كل كرب … إذا ما الحرب قامت فوق ساق
وجاهد في سبيل الله ما إن … يحابي في الجهاد ولا يتاقي
علي كاسر الأصنام لما … رقى كتف النبي إلى بساق

وله أيضاً:

فهذا ويوم الفتح نادىٰ محمّد … ألا قم إلى الأصنام حيدر فاقلع
وطأطا له حتى اعتلىٰ فوق ظهره … فأجلل بهذا من مقام وأرفع
فقال عليٌّ لو أشا نلت عندها … سما الله أورمت النجوم أتت معي

وقال الزاهي:

مكسر الأصنام في اليوم الذي … أريح عن وجه الهدى عماسه
رقى على الكاهل من خير الورى … والدين مقرون به انباسه
ونكّس اللّات وألقى هبلاً … مهشّماً يقلبه انتكاسه
وقام مولاي على البيت وقد … طهّر إذ فارقه أنجاسه

وقال المفجع:

رام حمل النبي كي يقلع الأصنام … من سخطها المشول الجثيا
فحباه ثقل النبوّة حتى … كاد يتآد تحته مثنيا
فارتقى منكب النبي عليٌّ … صنوه ما أجلّ ذاك رقيّا
فأماط الأوثان عن طابة … الكعبة ينقي الأرجاس عنها نقيا
ولو أن الوصيّ حاول مس النجم … بالكف لم يجده قصيا

وقال المرزوقي «وقيل الحصفكي»:

الله ﷺ على عاتقه، ثم رفعه حتى وضعه على البيت، فأخذ عليٌّ الصنم وهو من نحاس فرمى به من فوق الكعبة، فنادى رسول الله ﷺ: إنزل، فوثب من أعلىٰ الكعبة كأنما كان له جناحان.

ويقال: إن عمر كان تمنّىٰ ذلك، فقال ﷺ: إن الذي عبده لا يقلعه. ولما صعد أبو بكر المنبر نزل مرقاة، فلما صعد عمر نزل مرقاة، فلما صعد عثمان نزل مرقاة، فلما صعد عليٌّ صعد إلى موضع يجلس عليه رسول الله ﷺ، فسمع من النّاس ضوضاء، فقال عليه السلام: ما هذه التي أسمعها؟ قالوا: لصعودك إلى موضع رسول الله الذي لم يصعده الذي تقدمك، فقال عليه السلام سمعت رسول الله يقول: من قام مقامي ولم يعمل بعملي أكبّه الله في النار، وأنا والله العامل بعمله، الممتثل قوله، الحاكم بحكمه، فلذلك قمت هنا.

ثم ذكر في خطبته: معاشر النّاس! قمت مقام أخي وابن عمي، لأنه أعلمني بسرّي وما يكون منّي. فكأنه قال: أنا الذي وضعت قدمي على خاتم النبوّة، فما هذه الأعواد؟ أنا من محمّد ومحمّد منّي.

وقال عليه السلام في خطبة الافتخار: أنا كسرت الأصنام، أنا رفعت الأعلام، أنا بنيت الاسلام. قال ابن نباتة: حتى شدّ به أطناب الاسلام، وهدّ به أحزاب الأصنام، فأصبح الإيمان فاشياً بأقياله، والبهتان متلاشياً بصياله، ولمقام إبراهيم شرف على كل حجر، لكونه مقاماً لقدم إبراهيم. فيجب أن يكون قدم عليّ أكرم من رؤوس أعدائه، لأن مقامه كتف النبوّة.

ثم قال ابن شهر آشوب: والغالية والمشبهة تقول أكثر من هذا كما أنشد شاعرهم.

وقد روي عن أبي نواس:

قيل لي قل في عليّ المرتضىٰ ... كلمات تطفي ناراً موقده

قلت لا يبلغ قولي رجلاً ... حار ذو الجهل إلى أن عبده

وعليّ واضعاً رجلاً له ... بمكان وضع الله يده

وأنشد آخر:

وله أيضاً:

وليلة قاما يمشيان بظلمة ... يجوبان جلباباً من الليل غيهبا
إلى صنم كانت خزاعة كلها ... توقّره كي يكسراه ويهربا
فقال اعلُ ظهري يا عليّ وحطّه ... فقام به خير الأنام مركبا
يغادره فضاً جذاذاً وقال ثب ... جزاك به ربي جزاء مؤربا

وقال [٢: ١٤٠]: وحديث الارتقاء مثل حديث المعراج سواء، وقد روي كل واحد منهما من وجهين في زمانين مختلفين، فيدل هذا على أن كل واحد منهما كان مرتين.

وروى القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة [ص١٤٠ في الباب ٤٨] خبراً طويلاً وقال أخيراً: وقد احتمل ﷺ الحسن والحسين يوم حديقة بني النجار وكانا نائمين فيها، وقال ﷺ: نعم الراكابان وأبوهما خير منهما، وأنه ﷺ يصلّي بأصحابه فأطال سجدته، فيقول: إن ابني ركبني فكرهت أن أرفع رأسي حتى ينزل باختياره. فعل ذلك إظهاراً لشرفهم وعظيم قدرهم عند الله عزّوجلّ، وحمل علياً على ظهره إشارةً إلى أنه أبو ولده والأئمة من صلبه، كما حوّل رداءه في الاستسقاء إعلاماً أنه تحول الجدب خصباً، وإعلاماً أن ما حمله المعصوم فهو معصوم. وقال: يا عليّ، إن الله حمل ذنوب أتباعك ومحبيك عليّ ثم غفرها لي. وذلك قوله تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [الفتح: ٢].

وأخرج ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص٢٠٢ برقم ٢٤٠] مسنداً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب يوم فتح مكّة: أما ترى هذا الصّنم بأعلى كعبة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فأحملك فتناوله، فقال علي عليه السلام: بل أنا أحملك يا رسول الله، فقال ﷺ: والله لو أن ربيعة ومضر جهدوا أن يحملوا مني بضعة وأنا حيّ ما قدروا، ولكن قف يا عليّ، فضرب رسول الله ﷺ بيده إلى ساقَي عليّ فوق القرنوس، ثمّ اقتلعه من الأرض بيده فرفعه حتى تبيّن بياض إبطيه، ثم قال له: ما ترى يا عليّ؟ قال: أرى أن الله عزّوجلّ قد شرّفني بك حتى أنّي لو أردت أن أمس السماء لمسستها، فقال له: تناول الصّنم يا عليّ، فتناوله ثمّ رمىٰ به، ثمّ خرج رسول الله ﷺ من تحت عليّ فترك رجليه فسقط على

يـــا رب بـــالقدم التي أوطأتهـــا ... مـــن قـاب قـوسين المحـل الأعـظما
وبحـــرمة القـــدم التي جـــعلت لهـا ... كـــتف المـــؤيد بـــالرسالة سـلّما
إجـــعلهما ربي إليك وســـيلتي ... في يـــوم حـــشر أن أزور جـــهنما

وقال السروجي:

رقى عـــلى ظـــهر النـــبي حـــيدرٌ ... مـــن دون جمـع بـين بـدو وحـضر
حـــتى عـــلا البـيت وألق هـــبلا ... مـــن كـــعبة الله سريـــعاً وانحـــدر

وذكر فيه [٢: ١٤١] أيضاً ما رواه اسماعيل بن محمد الكوفي في خبر طويل عن ابن عباس: أنه كان صنم لخزاعة من فوق الكعبة، فقال له النبي ﷺ: يا أبا الحسن! إنطلق بنا نلقي هذا الصنم عن البيت، فانطلقا ليلاً، فقال له ﷺ: يا أبا الحسن إرقَ على ظهري، وكان طول الكعبة أربعين ذراعاً، فحمله رسول الله ﷺ فقال: انتهيت يا عليّ؟ قال عليه السلام: والذي بعثك بالحق، لو هممت أن أمس السماء بيدي لمسستها، واحتمل الصنم وجلد به الأرض، فتقطّع قطعاً، ثم تعلّق بالميزاب وتخلّىٰ بنفسه إلى الأرض، فلما سقط ضحك، فقال النبي ﷺ: ما يضحكك يا عليّ؟ أضحك الله سنّك، قال عليه السلام: ضحكت يا رسول الله تعجباً من أني رميت بنفسي من فوق البيت إلى الأرض فما ألمت ولا أصابني وجع فقال عليه السلام: كيف تألم يا أبا الحسن، أو يصيبك وجع؟ إنما رفعك محمّد ﷺ وأنزلك جبرئيل عليه السلام انتهى.

وفي أربعين الخوارزمي في خبر طويل: فانطلقت أنا والنبي وخشينا أن يرانا أحد من قريش أو غيرهم، فقذفته فتكسّر ونزوت من فوق الكعبة.

قال الحميري:

وليـــلة خـرجـا فـيها عـلى وجـلٍ ... وهمـــا يجـوبان دون الكـعبة الظـلما
حـــتى إذا انـــتهيا قـــال النـــبي له ... إنـــا نحـــاول أن نســـتنزل الصـــنما
من فوقها فـاعلُ ظـهري ثم قـام بـه ... خير البرية ما استحيىٰ وما احـتشما
حتى إذا ما استوت رجلا أبي حسـن ... أهـــوى بـه لقـرار الأرض فـانحطما
نـــاداه أحمـد أن ثب يـا عـليّ لقـد ... أحســـنت بـارك ربي فـيك فـاقتحما

عليّ عليه السلام بلفظ: لما كان الليلة التي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أبيت على فراشه وخرج من مكة مهاجراً، انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأصنام فقال: إجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، ثمّ صعد رسول الله صلى الله عليه وآله على منكبي، ثمّ قال إنهض فنهضت به، فلما رآى ضعفي تحته قال: إجلس، فجلست فأنزلته عني، وجلس لي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال لي: يا عليّ إصعد على منكبي، فصعد على منكبيه، ثم نهض بي رسول الله صلى الله عليه وآله وخيل إليّ أنّي لو شئت نلت السماء، وصعدت إلى الكعبة وتنحّىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فألقيت صنمهم الأكبر وكان من نحاس موتّداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله عالجه، فعالجت فما زلت أُعالجه ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: إيه إيه، فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه، فقال: دقّه، فدققته فكسرته ونزلت. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فهذا بعض ما أطلعنا الله عليه بإعانته وتأييده، ووفقنا على جمع ما اقتطفناه بفضل كرمه وتوفيقه، فله جزيل الحمد والشكر أولاً وآخراً، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

* * *

الأرض فضحك، فقال له ﷺ: ما أضحكك يا عليّ؟ فقال: سقطت من أعلى الكعبة فما أصابني شيء، فقال رسول الله ﷺ: وكيف يصيبك شيء وإنّما حملك محمّد وأنزلك جبرئيل عليه السلام؟

قال الفاضل[1] في تعليقاته على الكتاب: قد أخرجه بهذا السند الشيخ عبدالله الشافعي في مناقبه المخطوط [ص٣٨] على ما في ذيل «إحقاق الحق» وتراه في المناقب المرتضوية [ص١٨٨ ط. بمبي] وقد أخرجه عن مؤلفنا ابن المغازلي السيد ابن طاووس في «الطرائف» [ص٢٠] وابن البطريق في «العمدة» [ص١٩١] وهكذا أخرج ابن شهر آشوب في المناقب، عن أبي بكر الشيرازي.

وفي تفسير الدر المنثور [٤: ١٩٩ ط. منشورات مكتبة المرعشي النجفي] روىٰ السيوطي ذلك من عدة طرق، ولكن كلّها مختصرة، وقد اقتصر على رواية دخول النبي ﷺ مكة، فجعل يطعن الأصنام المعبودة حول الكعبة بعود بيده حتىٰ انكبّت لوجهها قائلاً: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

وفي «الخصائص» للنسائي [ص٣١] كما في «فضائل الخمسة» [٢: ٣٤٠] روى بسنده عن أبي مريم قال عليّ عليه السلام: انطلقت مع رسول الله ﷺ حتى أتينا الكعبة، فصعد رسول الله ﷺ على منكبي، فنهضت به فلما رآى رسول الله ﷺ ضعفي قال لي: إجلس، فجلست فنزل النبي ﷺ وجلس لي وقال لي: إصعد على منكبي فصعدت على منكبيه فنهض بي، فقال عليّ عليه السلام: إنه يخيّل إلي أني لو شئت لنلت أُفق السماء، فصعدت علىٰ الكعبة وعليها تمثال من صفر أو نحاس، فجعلت أعالجه لأُزيله يميناً وشمالاً وقداماً ومن بين يديه ومن خلفه، حتىٰ استمكنت منه، فقال نبي الله ﷺ إقذفه، فقذفت به فكسرته كما تكسر القوارير، ثمّ نزلت فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد.

وفي المستدرك [٣: ٥] روى الحاكم من طريق أبي بكر بن محمد بن إسحاق عن

---

(١) المقصود به: محقق الكتاب محمد باقر البهبودي.

محتويات الكتاب

الموضوع | الصفحة

المبحث الأول :
في قوله تعالىٰ : ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك ﴾ ٨
المبحث الثاني :
في قوله تعالىٰ : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ ٦٠
المبحث الثالث :
في قوله تعالىٰ : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ ٦٧
المبحث الرابع :
في قوله تعالىٰ : ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ ٨٢
المبحث الخامس :
في قوله تعالىٰ : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ ٩٢
المبحث السادس :
في قوله تعالىٰ : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ﴾ ... ١٠١
المبحث السابع :
في قوله تعالىٰ : ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ ١٠٨
المبحث الثامن :
في قوله تعالىٰ : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ . ١١٢
المبحث التاسع :
في قوله تعالىٰ : ﴿ إنما انت منذر ولكل قوم هاد ﴾ ١١٦

المبحث الحادي والعشرون :

في قوله تعالىٰ : ﴿ هل أتىٰ علىٰ الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ .. ١٧٠

المبحث الثاني والعشرون :

في قوله تعالىٰ : ﴿ وعلىٰ الأعراف رجال يعرفون كلّاً بسيماهم ﴾ ١٧٧

المبحث الثالث والعشرون :

في قوله تعالىٰ : ﴿ براءة من الله ورسوله إلىٰ الذين عاهدتم من المشركين ﴾ ١٨٣

المبحث الرابع والعشرون :

في قوله تعالىٰ : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ ﴾ ١٨٨

المبحث الخامس والعشرون :

في قوله تعالىٰ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ ٢٠٥

المبحث السادس والعشرون :

في قوله تعالىٰ : ﴿ وتعيها أُذنٌ واعيةٌ ﴾ ٢١٢

المبحث السابع والعشرون :

في قوله تعالىٰ : ﴿ ولسوف يعطيك ربّك فترضىٰ ﴾ ٢١٦

المبحث الثامن والعشرون :

في قوله تعالىٰ : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ﴾ ٢٢١

المبحث التاسع والعشرون :

في قوله تعالىٰ : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ ٢٣٠

المبحث الثلاثون :

في قوله تعالىٰ : ﴿ إنّا أعطيناك الكوثر ﴾ ٢٦٧

المبحث العاشر :
في قوله تعالىٰ : ﴿ أفمن كان علىٰ بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ﴾ ١٢٢
المبحث الحادي عشر :
في قوله تعالىٰ : ﴿ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ ﴾ ١٢٦
المبحث الثاني عشر :
في قوله تعالىٰ : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ ١٢٨
المبحث الثالث عشر :
في قوله تعالىٰ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ ١٣١
المبحث الرابع عشر :
في قوله تعالىٰ : ﴿ والسابقون السابقون ﴾ ١٣٥
المبحث الخامس عشر :
في قوله تعالىٰ : ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ ١٣٨
المبحث السادس عشر :
في قوله تعالىٰ : ﴿ اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله ...﴾ ١٤٣
المبحث السابع عشر :
في قوله تعالىٰ : ﴿ سلام علىٰ آل ياسين ﴾ ١٤٩
المبحث الثامن عشر :
في قوله تعالىٰ : ﴿ إن تتوبا إلىٰ الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهر عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾ ١٥٣
المبحث التاسع عشر :
في قوله تعالىٰ : ﴿ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ﴾ ١٦١
المبحث العشرون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ وآتِ ذا القربىٰ حقه ﴾ ١٦٦

المبحث الثاني والأربعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾ ٣١٢
المبحث الثالث والأربعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً ﴾ ٣١٧
المبحث الرابع والأربعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ وأذان من الله ورسوله إلىٰ الناس يوم الحج الأكبر ﴾ ٣٢٤
المبحث الخامس والأربعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ﴾ ٣٢٨
المبحث السادس والأربعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ وردّ الله الذين كفروا بغيظهم ﴾ ٣٣٣
المبحث السابع والأربعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصدّيقون ﴾ ٣٣٩
المبحث الثامن والأربعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ ٣٤٢
المبحث التاسع والأربعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به ﴾ ٣٤٥
المبحث الخمسون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ ٣٤٩
المبحث الحادي والخمسون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبىٰ لهم وحسن مآب ﴾ ... ٣٥١
المبحث الثاني والخمسون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ اني جاعلك للناس إماماً ﴾ ٣٦٢

المبحث الحادي والثلاثون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ مرج البحرين يلتقيان ﴾ ٢٧٣
المبحث الثاني والثلاثون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ ٢٧٧
المبحث الثالث والثلاثون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء علىٰ الناس ﴾ ٢٨٠
المبحث الرابع والثلاثون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ ٢٨٢
المبحث الخامس والثلاثون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه ﴾ ٢٨٦
المبحث السادس والثلاثون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ فتلقىٰ آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ ٢٩١
المبحث السابع والثلاثون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ ٢٩٤
المبحث الثامن والثلاثون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ ٢٩٨
المبحث التاسع والثلاثون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ﴾ ٣٠٠
المبحث الأربعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي ﴾ ٣٠٢
المبحث الحادي والأربعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقاتٍ ﴾ ٣٠٩

المبحث الرابع والستون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ وأوحينا إلىٰ موسىٰ وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً ﴾ ... ٤٢٨
المبحث الخامس والستون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ محمد رسول الله والذين معه اشداء علىٰ الكفار ﴾ ٤٣١
المبحث السادس والستون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ ٤٣٦
المبحث السابع والستون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾ ٤٤٥
المبحث الثامن والستون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ ربِّ اشرح لي صدري * ويسّر لي أمري ﴾ ٤٥٥
الباب الأول :
في أن علياً عليه السلام اخو النبي صلى الله عليه وآله ٤٥٨
الباب الثاني :
في أن علياً عليه السلام وزير النبي صلى الله عليه وآله ٤٦٤
الباب الثالث :
في حديث المنزلة ٤٦٧
المبحث التاسع والستون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ٤٧٥
في إخبار النبي صلى الله عليه وآله زبيراً أنه سيقاتل علياً عليه السلام ٤٧٦
في أمر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ٤٨١
المبحث السبعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ ٤٨٨

المبحث الثالث والخمسون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ ... ٣٦٩
المبحث الرابع والخمسون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ ثم لتسألنّ يومئذٍ عن النعيم ﴾ ٣٧٤
المبحث الخامس والخمسون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ ٣٧٨
المبحث السادس والخمسون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ ٣٨٣
المبحث السابع والخمسون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله ﴾ ٣٩١
المبحث الثامن والخمسون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ٣٩٤
المبحث التاسع والخمسون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ ٤٠٢
المبحث الستون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا ﴾ ٤٠٤
المبحث الحادي والستون :
أيضاً في قوله تعالىٰ : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ ﴾ ٤٠٨
المبحث الثاني والستون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر ﴾.... ٤١٢
المبحث الثالث والستون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ ٤٢٣

في ما جاء في حب أهل البيت عليهم السلام ٤٩٠
في تحذيره صلى الله عليه وآله من بغض أهل بيته عليهم السلام ٤٩٦
المبحث الحادي والسبعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ ومن خلقنا أُمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ ٥٠٠
المبحث الثاني والسبعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ والنجم إذا هوىٰ ﴾ ٥٠٦
المبحث الثالث والسبعون :
في قوله تعالىٰ : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ ٥١٣
المحتويات ٥٢٣

* * *

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم - ٩٩٨٢
التاريخ / ١٦/٩/٢٠١٠م

المجمع العالمي لأهل البيت

٢٠

المجمع العالمي لأهل البيت

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ قم

ص . ب ٣٧١٨٥ / ٨٣٧

هاتف: ٧١٠٧٧١ فاكس: ٢٥١٧٩

THE AHL UL BAIT (AS)

WORLD ASSEMBLY

P.O.BOX 37185/837

GHOM. ISLAMIC REP OF IRAN

Tel: 710771 Fax: 25179